العميد

مجلة فصلية محكمة

تعنى بالأبحاث والدراسات الإنسانية

تصدر عن

العتبة العباسية المقدسة

مركز العميد الدولي للبحوث والدراسات

مجازة من

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

معتمدة لأغراض الترقية العلمية

السنة العاشرة المجلد العاشر العدد السابع والثلاثون

شعبان ١٤٤٢هـ آذار ٢٠٢١م

الترقيم الدولي

ردمد: ٢٢٢٧-٠٣٤٥ :Print ISSN

ردمد الألكتروني: ٢٣١١ - ٩١٥٢ :Online ISSN

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق العراقية ١٦٧٣ لسنة ٢٠١٢م

كربلاء المقدسة ـ جمهورية العراق

الرمز البريدي للعتبة العباسية المقدسة: ٥٦٠٠١

صندوق البريد (ص. ب): ٢٣٢

Tel: +٩٦٤ ٧٦٠ ٢٣٥ ٥٥٥٥ **Mobile**: +٩٦٤ ٧٦٠٢٣٢٣٣٣٧

http: //alameed. alkafeel. net

Email: alameed@alkafeel. net

دار الكفيل للطباعة والنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ
وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ
وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ

صدق الله العلي العظيم

المجادلة (١١)

العتبة العباسية المقدسة. مركز العميد الدولي للبحوث والدراسات.
العميد : مجلة فصلية محكمة تعنى بالأبحاث والدراسات الانسانية / تصدر عن العتبة العباسية المقدسة مركز العميد الدولي للبحوث والدراسات.ـ كربلاء، العراق : العتبة العباسية المقدسة، مركز العميد الدولي للبحوث والدراسات، 1433 هـ. = 2012-
مجلد : ايضاحيات ؛ 24 سم
فصلية.-السنة العاشرة، المجلد العاشر، العدد السابع والثلاثون (آذار 2021)
ردمد : 2227-0345
تتضمن إرجاعات ببليوجرافية.
النص باللغة العربية العربية ؛ ومستخلصات باللغة العربية و الإنجليزية.
1. الانسانيات--دوريات. الف. العنوان.

LCC : AS589.A1 A8365 2021 VOL. 10 NO. 37

مركز الفهرسة ونظم المعلومات التابع لمكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة

رئيس التحرير

أ . د . سَرحان جَفات سَلمانْ

(كليَّة التربيَة/ جامعَة القادسِيَّة)

مدير التحرير

أ. د. شوقي مصطفى الموسوي

(كلية الفنون الجميلة/ جامعة بابل)

هيأة التحرير

أ. د. طارق عبد عون الجنابي (كلية الإمام الكاظم عليه السلام الجامعة للعلوم الاسلامية)

أ. د. كريم حسين ناصح(كلية الإمام الكاظم عليه السلام الجامعة للعلوم الاسلامية)

أ. د. رياض طارق العميدي(كلية التربية للعلوم الانسانية. جامعة بابل)

أ. د. تقي بن عبد الرضا العبدواني (كلية الخليج) سلطنة عمان

أ. د. عباس رشيد الدده(كلية الشريعة. جامعة الكفيل)

أ. د. مشتاق عباس معن(كلية الشريعة. جامعة الكفيل)

أ. د. عادل نذير بيري (كلية العلوم الاسلامية. جامعة وارث الانبياء)

أ. د. علي كاظم المصلاوي (كلية التربية للعلوم الإنسانية. جامعة كربلاء)

أ. د. علاء جبر الموسوي (كلية طب الاسنان. جامعة العميد)

أ.د. حيدر غازي الموسوي (كلية التربية للعلوم الإنسانية. جامعة بابل)

أ. د. غلام نبيل حاكي(جامعة كشمير مركز دراسات آسيا الوسطى)

أ. د. أحمد صبيح محسن الكعبي (كلية الصيدلة. جامعة العميد)

أ. م. د. علي حسن عبد الحسين الدلفي (كلية التربية. جامعة واسط)

أ. م. د. خميس الصباري (كلية الآداب والعلوم. جامعة نزوى) سلطنة عمان

تدقيق اللغة العربية

أ. د. **شعلان عبد علي سلطان**(كلية التربية للعلوم الانسانية/ جامعة بابل)

أ. د. **علي كاظم علي المدني**(كلية التربية/ جامعة القادسية)

تدقيق اللغة الانكليزية

أ. د. **رياض طارق العميدي**(كلية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة بابل)

أ.د. **حيدر غازي الموسوي** (كلية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة بابل)

الإدارة والمالية

عقيل عبدالحسين الياسري

م.م. ضياء محمد حسن عودة

الادارة الفنية

رضوان عبدالهادي السلامي

زين العابدين عادل الوكيل

ثائر فائق هادي رضا

ياسين خضير الجنابي

حسين فاضل الحلو

الموقع الإلكتروني

ســــــامر فلاح الصافي

م.م. محمد جاسم عبد ابراهيم

حيدر صاحب العبيدي

النشر والتوزيع

محمد خليل الاعرجي

علي مهدي الصائغ

الإخراج الطباعي

علي عبدالحليم المظفر

حسين عقيل ابو غريب

قواعد النشر في المجلة

مثلما يرحّب العميد أبو الفضل العباس عليه السلام بزائريه من أطياف الإنسانية، تُرحّبُ مجلة (العميد) بنشر الأبحاث العلمية الأصيلة، وفقا للشروط الآتية:

١. تنشر المجلة الأبحاث العلمية الأصيلة في مجالات العلوم الإنسانية المتنوّعة التي تلتزم بمنهجية البحث العلمي وخطواته المتعارف عليها عالميا، ومكتوبة بإحدى اللغتين العربية أو الإنكليزية، التي لم يسبق نشرها.

٢. يقدَّم الأصل مطبوعا على ورق (A4) بنسخة واحدة مع قرص مدمج (CD) بحدود (٥٠٠٠ .–١٠٠٠٠ .) كلمة، بخط Simpelied Arabic على أن ترقّم الصفحات ترقيما متسلسلا.

٣. تقديم ملخص للبحث باللغة العربية، وآخر باللغة الإنكليزية، كلّ في حدود صفحة مستقلة على أن يحتوي ذلك عنوان البحث، ويكون الملخّص بحدود (٣٥٠) كلمة، على ان يحوي البحث على الكلمات المفتاحية.

٤. أن تحتوي الصفحة الأولى من البحث اسم الباحث وعنوانه، جهة العمل (باللغتين العربية والإنكليزية) ورقم الهاتف، والبريد الألكتروني، مع مراعاة عدم ذكر اسم الباحث في صلب البحث، أو أية إشارة إلى ذلك.

٥. يُشار إلى المصادر جميعها بأرقام الهوامش التي تنشر في أواخر البحث، وتراعى الأصول العلمية المتعارفة في التوثيق والإشارة بأن تتضمّن: اسم الكتاب، ورقم الصفحة.

٦. يزوَّد البحث بقائمة المصادر منفصلة عن الهوامش، وفي حالة وجود مصادر أجنبية تضاف قائمة بها منفصلة عن قائمة المصادر العربية، ويراعى في إعدادها الترتيب الألفبائي لأسماء الكتب أو الأبحاث في المجلات، أو أسماء المؤلفين.

٧. ترتيب وتنسيق المصادر يكون بالصيغ العالمية المعروفة (IEEE, MLA, APA, Chicago ,Vancouver or Harvard)

٨. تطبع الجداول والصور واللوحات على أوراق مستقلة، ويُشار في أسفل الشكل إلى مصدره، أو مصادره، مع تحديد أماكن ظهورها في المتن.

٩. إرفاق نسخة من السيرة العلمية إذا كان الباحث يتعاون مع المجلة للمرة الأولى، وعليه أن يُشير فيما إذا كان البحث قد قدّم إلى مؤتمر أو ندوة، وأنه لم ينشر ضمن أعمالهما، كما يُشار إلى اسم أية جهة علمية، أو غير علمية قامت بتمويل البحث، أو المساعدة في إعداده.

١٠. أن لا يكون البحث قد نشر سابقاً، وليس مقدما إلى أية وسيلة نشر أخرى، وعلى الباحث تقديم تعهّد مستقلّ بذلك.

١١. تعبر جميع الأفكار المنشورة في المجلة عن آراء كاتبيها، ولا تعبّر بالضرورة عن وجهة نظر جهة الإصدار، ويخضع ترتيب الأبحاث المنشورة لموجبات فنية.

١٢. تخضع الأبحاث المستلمة لبرنامج الإستلال العلميTurnitin.

١٣. تخضع الابحاث لتقويم سرّي لبيان صلاحيتّها للنشر، ولا تعاد البحوث إلى أصحابها سواء أقبِلت للنشر أم لم تقبل، وعلى وفق الآلية الآتية:

أ) يبلّغ الباحث بتسلّم المادة المرسَلة للنشر خلال مدّة أقصاها أسبوعان من تاريخ التسلّم.

ب) يخطر أصحاب الأبحاث المقبولة للنشر موافقة هيأة التحرير على نشرها وموعد نشرها المتوقّع.

ج) الأبحاث التي يرى المقوّمون وجوب إجراء تعديلات أو إضافات عليها قبل نشرها تعاد إلى أصحابها، مع الملاحظات المحددة، كي يعملوا على إعدادها نهائيا للنشر.

د) الأبحاث المرفوضة يبلّغ أصحابها من دون ضرورة إبداء أسباب الرفض.

هـ) يمنح كل باحث نسخة واحدة من العدد الذي نشر فيه بحثه.

١٤. يراعى في أسبقية النشر:

أ) الأبحاث المشاركة في المؤتمرات التي تقيمها جهة الإصدار.

ب) تاريخ تسلم رئيس التحرير للبحث.

ج) تاريخ تقديم الأبحاث التي يتم تعديلها.

د) تنويع مجالات الأبحاث كلما أمكن ذلك.

١٥. لا يجوز للباحث أن يطلب عدم نشر بحثه بعد عرضه على هيأة التحرير، إلا لأسباب تقتنع بها هيأة التحرير، على أن يكون خلال مدة أسبوعين من تاريخ تسلّم بحثه.

١٦. يحق للمجلة ترجمة البحوث المنشورة في أعداد المجلة الى اللغات الأخرى، من غير الرجوع الى الباحث.

١٧. ترسل البحوث على الموقع الالكتروني لمجلة العميد المحكمة alameed. alkafeel. net من خلال ملء إستمارة إرسال البحوث، أو تُسلم مباشرةً الى مقر المجلة على العنوان التالي: العراق، كربلاء المقدسة، حي الاصلاح، مجمع الكفيل الثقافي.

بسم الله الرحمن الرحيم

Republic Of Iraq
Ministry Of Higher Education &
Scientific Research
Research and Development

جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
دائرة البحث والتطوير

No :
Date:

العدد : ب ت ع / ٢١٤٤
التاريخ : ١٢ / ٣ / ٢٠١٢

العتبة العباسية المقدسة / قسم الشؤون الفكرية والثقافية

الوارد
العدد /
التاريخ /

م/ مجلة العميد

تحيـــــــة طيبـــــــة...

اشارة الى رسالتكم الالكترونية الواردة بتاريخ ٢٠١٢/٣/١١ و بكتابنا المرقم ب ت ١٢٢٣١/٤ في ٢٠١٢/١٢/٢٠ ، ونظرا لحصول مجلتكم (مجلة العميد) على الترقيم الدولي (ISSN) الخاص بها ، تقـرر إعتماد المجلة اعلاه لاغراض الترقية العلمية .

...مع التقديـــــــــر

أ.م.د محمد عبد عطية السراج
المـدير العـام لـدائرة البحث والتطوير
٢٠١٢/٣/١٢

نسخة منه الى :
- البحث والتطوير/ قسم الشؤون العلمية
- الصادرة

www.rddiraq.com (الموقع الالكتروني للدائرة)
Email scientificdep@rddiraq.com
Tel : 7194065
الهاتف / ٠٦٥ ٣/٣١٩٤٠٦٥

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

. . كلمة العدد. .

الحمد لله الذي لا يصفه نعت الواصفين، ولا يجاوزه رجاء الراجين، والصلاة والسلام على من خصّه الله تعالى بأفضل صلواته ورحمته وبركاته نبيّنا محمد ﷺ والسلام على خُزّان علم الله ووارثي علم الاوّلين والآخرين الأئمة المعصومين عليهم السلام أمّا بعدُ

فما زالت سفينة (مجلة العميد) تبحر في بحار العلم والمعرفة تحمل على متنها حمولات أصناف المعارف مبثوثة في بحوث جادّة تغور في أعماق الفكر لتنقل للقارئ ما يستجدّ في ميادين البحث العلميّ الرصين.

وقد اختطّت مجلة العميد لنفسها طريقًا وعرًا هو البحث عن الجديد والرصين والمُمنهج في مجالات البحث الأكاديمي.

وظلّت المجلة ملتزمة بهذا المنهج في مسيرتها العلميّة.

ويؤكّد هذا العدد مصداقيّة المجلة في تحقيق ما اختطّته لنفسها فقد ضمّ ملفًا مهمًا عنوانه (**خُطَبُ الطَّفِّ وأبعادهُ: مُقارَبَةٌ تَحْليليَّةٌ**) حوى بحوثًا درست التراث الأدبيّ والفكريّ لنهضة الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام بتحليل خطبه ووصاياه وحواراته وعطائه الإصلاحيّ الذي عبّرت عنه مقولته عليه السلام « إنّي لم أخرج أشِرًا ولا بطرًا ولا مفسدًا ولا ظالمًا وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في أمّة جدّي» كما تنوّعت بحوث العدد بين دراسات لسانيّة معاصرة ودراسات تاريخيّة وإداريّة وفكريّة تخصّصت برثاء نبيّنا الهادي محمد ﷺ وعرض صوره المشرقة في القرآن الكريم فدرست بنية الخطاب القرآنيّ والنبويّ وخطب واقعة صفّين وغيرها من البحوث التي حاول فيها الباحثون سبر غور الفكر الإسلاميّ من خلال تحليل النصوص المحقّقة.

ولاشكّ في أنّ هذه البحوث تساهم مساهمة جادّة في مسيرة البحث العلميّ الهادف والرصين كما أنّ التنوّع في الاختصاصات والدول التي ينتمي إليها الباحثون دليل على أنّ هذه المجلّة قد وسّعت دائرة انتشارها ووثّقت علاقاتها مع الجامعات والمؤسسات العلميّة في العالم، وما كان هذا النجاح ليتحقق لولا الجهود التي يبذلها المشرفون على تحرير المجلة في تحرّيهم عن البحوث الرصينة وفي سعيهم إلى إخضاع البحوث لتقويم علميّ موضوعيّ في ضوء المعايير العلميّة والمنهجيّة السليمة وتوخيهم الدقّة في تطبيقها.

ولا ريب في أنّ الرعاية المستمرة لسماحة المتولي الشرعيّ للعتبة العبّاسيّة المقدسة السيد أحمد الصافي – دام تأييده – كان عاملًا فاعلًا في تحقيق رقيّ المجلة وتطوّرها وكان للمتابعة الدائبة من لدن قسم الشؤون الفكريّة والثقافيّة ومركز العميد الدوليّ للبحوث والدراسات الأثر الواضح في نمّو قدراتها الفنيّة والإداريّة وهذا ما يحمّل هيأة تحرير المجلة مسؤوليّة مضاعفة العمل بنشاط وهمّة لتقديم ما هو أكثر جدّة وأشدّ التزامًا بمعايير الجودة.

ندعو الله تعالى أن نكون عند حسن ظنّ الباحثين والقرّاء فنقدّم لهم الجديد في ميادين البحث لنرفد الجامعات والمراكز البحثيّة بمزيد من البحوث الرصينة التي تغني الباحثين وتزيد من ثروة القرّاء العلميّة والمعرفيّة ومن الله التوفيق

٢١	خطب الإمام الحسين عليه السلام في وقعة الطف لأبي مخنف الازدي (ت ١٥٧هـ) دراسة في ضوء تحليل الخطاب	أد. حربي نعيم محمد الشِّبلي جامعة كربلاء / كلية التربية للعلوم الإنسانية/ قسم اللغة العربية م. م. غفران إقبال يوسف مديرية تربية محافظة كربلاء المقدسة
٥٥	ثورة الامام الحسين عليه السلام الإصلاحية وابعادها الانسانية في العالم الإسلامي: رؤية اجتماعية	أ. م. د. حمدان رمضان محمد جامعة الموصل / كلية الآداب / قسم علم الاجتماع
١٠٣	شعريّة الحوار في قصة استشهاد الإمام الحسين عليه السلام «دراسة تحليليّة»	م. د. عبّاس فاضل عبد الله الموسويّ المديريّة العامة للتربية / محافظة ذي قار
١٣٧	دراسةٌ أسلوبيةٌ في قصيدة "رثاء النبيّ وآله عليهم السلام للصنوبري	أ. م. د. نعيم عموري أ. د. محمود آبدانان مهدي زاده الباحث محمد حسين حردانى ايران / جامعة شهيد تشمران أهواز / كلية الالهيات والمعارف الاسلامية / قسم اللغة العربية وآدابها
١٦٩	صدر النبي صلى الله عليه وآله في القرآن الكريم	أ. م.د. أحمد حميد أوغلوا تركيا / جامعة إبراهيم جاجان- أغري / كلية العلوم الإسلامية / قسم التفسير م. د. يوسف عبد علي شبيب دائرة التعليم الإسلامي - ديوان الوقف السني

٢٠٧	دلالة التداول وآليات الحجاج في بنية خطاب الحديث النبوي الشريف	أ. م. د. لطيف عبد السادة سرحان الجامعة التقنية الوسطى / المعهد التقني الصويرة / قسم التقنيات المحاسبية
٢٤٥	مقاربة تحليليّة تداولية للخطبة الحربية وقعة صفين مثالاً	م. د. أحمد حسين حيال وزارة التربية/ مديرية تربية بغداد الرصافة / ٣
٢٧٧	واقعة وادي المخازن ١٥٧٨	أ. م. د. سمير عبد الرسول العبيدي الجامعة المستنصرية / مركز المستنصرية للدراسات العربية والدولية / قسم الدراسات التاريخية
٣١٧	النزاهة الإدارية والمالية للحكومة العراقية في العهد الملكي ١٩٣٩-١٩٥٨	م. د. أركان مهدي عبد الله المديرية العامة للتربية في محافظة ذي قار
٣٥٥	استخدام التقنيات الحديثة لتحليل الهزات الأرضية في الحدود العراقية الإيرانية – جنوب شرق حلبجة ٢٠١٧ – ٢٠١٨	م. د. علي خلف صايل وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
17	**A Pragma-Rhetorical Study of Irony In Al-Imam Al-Hassan's Sermon**	Lectur. Zina Abdul-Hussein Khudhair College of Al-Imam Al-Kadhim for Islamic Sciences/ Department of English Researcher/ Saja Sattar Ali English BA/ College of Al-Imam Al-Kadhim for Islamic Sciences / Department of English

خطاب اللطف وأبعاده

مقاربة تحليلية

خطب الإمام الحسين عليه السلام في وقعة الطف
لأبي مخنف الازدي (ت ١٥٧هـ)
دراسة في ضوء تحليل الخطاب

Imam Al-Hussein Sermons in Al-Taff Battle by
Abi Makhnif Al-Azdi (157 Hegira Died)
(Discourse Analysis Study)

أد. حربي نعيم محمد الشّبلي
Prof. Dr. Harbi Na`aim Mohammad
م. م. غفران إقبال يوسف
Asst. Lecture. Ghafran Iqbal Youssif

خطب الإمام الحسين عليه السلام في وقعة الطف لأبي مخنف الازدي (ت ١٥٧هـ)
دراسة في ضوء تحليل الخطاب

Imam Al-Hussein Sermons in Al-Taff Battle by Abi Makhnif Al-Azdi (157 Hegira Died)
(Discourse Analysis Study)

أد. حربي نعيم محمد الشِّبلي
جامعة كربلاء / كلية التربية للعلوم الإنسانية/
قسم اللغة العربية

Prof. Dr. Harbi Na`aim Mohammad
Dept of Arabic/ College of Education for Humanist Sciences/ University of Karbala

م. م. غفران إقبال يوسف
مديرية تربية محافظة كربلاء المقدسة
Asst. Lecture. Ghafran Iqbal Youssif
Education Directorate of Holy Karbala Province

raniaalsaadi2006@gmail. com
Dhndhn1971@gmail. com

تاريخ الاستلام: ٢٠/ ١/ ٢٠٢٠
تاريخ القبول: ٢٥/ ٨/ ٢٠٢٠

خضع البحث لبرنامج الاستلال العلمي
Turnitin - passed research

ملخّصُ البحث:

الحمد لله الأول الذي لا أول لأوليته، والآخر الذي لا آخر لاخريته، والصلاة والسلام على نبينا الصادق الأمين محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

تخللت ثورة الإمام الحسين عليه السلام التي كانت منارا للتاريخ الإنساني والإسلامي مجموعة من الخطب للإمام الحسين عليه السلام في مسيرته إلى كربلاء. ويهدف البحث إلى تسليط الضوء على بعض الجوانب المتصلة بمفهوم تحليل الخطاب في خطب الإمام الحسين عليه السلام، إذ يبدأ البحث بالأصول العربية والغربية لتحليل الخطاب، ثم تدخل الدراسة إلى آليات خطاب الإمام عليه السلام وروافده الدينية والأدبية، ويُختم البحث باستعراض الخطاب الإقناعي، الخطاب الحجاجي او المنطقي والخطاب الحماسي بوصفها نماذج لتحليل خطاب الإمام الحسين عليه السلام.

الكلمات المفتاحية: خطب، وقعة الطف، أبي مخنف الازدي، تحليل الخطاب، الخطاب الحجاجي

Abstract

Praise be to Allah. The first who is second to none , the last who has no last one but Him and peace and blessings be upon our sincere prophet Mohammed and his benevolent and immaculate progeny.

The revolution of Imam Hussein (peace be upon him) was a beacon of human and Islamic history and celebrated with a series of speeches of Imam Hussein (peace be upon him) in his procession to Karbala. This research aims to shed light on some aspects related to the concept of discourse analysis in the speeches of Imam Hussein (peace be upon him). Then it begins with the Arabic and Western origins to analyze the speech. Moreover , the study tackles the mechanisms of Imam's speech (Peace be upon him) and its religious and literary tributaries , the research ends with a review of persuasive speech as a model to analyze the discourse of Imam Hussein (peace be upon him).

Key words: Sermons, Al-Taff battle, Abi Makhnif Al-Azdi , discourse analysis , argumentative discourse

التمهيد:

في تحليل الخطاب

تحليل الخطاب هو مفهوم جامع ذو استعمالات عديدة، يشتمل على مجالات واسعة من الأنشطة: تداولية - اجتماعية – نفسية- أسلوبية وغيرها. انه في استفاضة دائمة: موضوعا، مجالا، علما، منهجا، يسعى الى تحليل وفك شفرة الخطاب من اجل فهمه، على اختلاف أنواعه: (أدبي/ شعري / نثري)، سياسي، إشهاري، اجتماعي – نفسي، تعليمي، علمي. . . الخ. حتى لا نقف عند هذا الأخير (الخطاب) مكتوفي الأيدي وعاجزين لا نملك آليات التحليل، ولا قدرة لنا على القراءة والتأويل، بوصفه خطابا متماسكا، غاية في التعقيد والتشابك.

يقول سعيد علوش: « إن وقفة عابرة على نص صيني هيروغليفي، سانسكريتي لتجعلنا نقف كمحاربين منزوعي الأسلحة، مدهوشين أمام كنوز، لا نملك مفاتيحها، وكذلك الأمر أمام نوتات موسيقية، وضعت بين يدي رسام، أو إشارة أبكم إلى أعمى» [١] أمام مثل هذه المقولة، نتساءل: ماذا نريد بتحليل الخطاب ؟

أ- الخطاب: على الرغم من غنى العربية بالمفردات التي تفوق في عددها مفردات بعض اللغات الأخرى، ترانا نعاني أحيانا من مشكلة تحديد معاني عدد من المفاهيم والمصطلحات العلمية، وتحديد الوافد منها، في إطار العلوم الإنسانية.

فاللغة أي لغة كانت، هي أساس التعامل الإنساني، وهي وسيلة للتعبير عن أوضاع وحالات وأفكار محددة، والمصطلح هو ألف باء العلم، كل علم، وأي علم كان [٢]، ومن هنا تأتي أهمية تحديد مفهوم «خطاب» عملا بمقولة «فولتير Voltaire »الشهيرة: «قبل أن تتحدّث معي، حدد مصطلحاتك. »[٣]

إن مصطلح «خطاب»، اسم مشتق من مادة (خ. ط. ب)، وقع اعتماده من طرف الفكر النقدي العربي الحديث ليحمل دلالة المصطلح الغربي «Discourse».

ب – التحليل: ويعني لغة – الفتح – جاء في لسان العرب «حل العقدة يحلها حلا: فتحها ونقضها فانحلت» [٤] أي فككها.

والتحليل مصطلح جامع يستدعي في ممارسته مصطلحات عديدة، بإجرائه عملية إسقاطية على ما يسمى الخطاب، إذ تسعى هذه العملية إلى تفكيك الخطاب المحبوك المتماسك (شكلا ودلالة)، المكتوب والمسموع إلى بنيات جزئية فاعلة ومتفاعلة: داخلية وخارجية، من اجل معرفة مختلف المرجعيات الخطابية (الأسس المعرفية والخلفية والأطر النظرية للخطاب)، التي ساهمت في تشكله، بمعرفة مضامينه ومحتوياته وغاياته ومعاييره وفضائه وبنياته وجنسه. . . الخ، ليتحقق التحليل، الأمر الذي يجعل العملية غاية في التشابك والتعقيد، تتطلب من اجل التحكم فيها، معرفة موسوعية عميقة في التخصص تحوفها معارف رافدة أخرى من جهة، والتحكم في ممارسة بعض المصطلحات التي يقودنا إليها التحليل – بوصفه مصطلحاً جامعاً – من جهة أخرى.

والغاية من تحليل الخطاب هي الوقوف على دلالات النص الأكثر عمقا، وإعطاء النص القراءة الدلالية الأدق، غير أننا متأكدون مبدئيا من أن تلك القراءة لن تكون نهائية، لأنها قراءة تجرنا إلى قراءات أخرى تتحكم فيها ظروف القراءة، لتقتحم النص في عمقه لتكشف دلالته[٥].

المبحث الأول: آليات خطاب الإمام الحسين وتحليله

لا ينبغي أن يتوقف الخطاب عند الحدود اللسانية للجملة أو الفقرة أو النص، بل أن يتجاوز ذلك، من دون شك، إلى المضمون والمحتوى، ثم إلى الخطاب انطلاقا من خصائصه الفنية المتمثلة في درجة الأدبية فيه؛ لذا فإن تحليلنا للخطاب يجب أن يراعي اجتماع الخصائص اللسانية والقضايا الفكرية والاعتبارات النفسية والبويطيقية والفنية. وهذا الاجتماع هو الخطوة الأساسية لفهم أي نص/ خطاب. لكننا نعتقد أن تحليل الخطاب يجب أن يتجاوز كل هذا إلى ما هو أعمق باعتماد الاستقراء والاستنباط والتأويل مع الاستعانة بالأدوات السيميائية المسهلة لفتح سبل الإشارات والدلالات والتأويلات التي تربط النص بكافة الأجواء الخارجية، والتي يتعلق معظمها بنفسية صاحبه وبخلفياته الفكرية والمعرفية والإيديولوجية. . . وهذا يدفعنا إلى الانفتاح بقوة على حقول علم النفس والسيسيولوجيا والسياسة وغير ذلك.

هذه هي معظم محطات تحليل الخطاب، التي من دونها لا يمكن سبر أغوار خطاب ما وفهم ما وراء السطور والتقاط شذرات المعاني والأفكار المشتتة فيه؛ وهذا ينطبق على الملفوظ الشفوي والخطاب المكتوب، بل على كل وسائل التعبير والتواصل باللغة والصورة وغيرهما. على الرغم من أن العملية صعبة جدا وتستلزم شروطا لعل أقلها هو سعة الاطلاع إضافة إلى المواهب الذاتية التي يمكن أن تصل إلى حد الفراسة، وأن يتم صقلها بالتمرين والمراس. . . .

فإذا أخذنا جملة يمكن أن نجد أن الحدود اللسانية لا تكفي لسبر أغوارها وتأويل دلالاتها ومعانيها، مما يستلزم الاستعانة بما ذكرناه من الآليات. نلمح من كلام الإمام الحسين عليه السلام في إحدى خطبه التي رد بها على من كتبوا له وطلبوا منه أن يكون إماما لهم قائلا: ((إنّي لم آتكم حتّى أتتني كتُبكُم وقدمت عليّ رسلُكم، أن

أقدم علينا فانّه ليس لنا إمام، لعلّ الله يجمعنا بك على الهدى))[٦].

يتجه في خطابه من طريق تقييد المخاطبين بحجته وهو يعلن طلبهم إمامته عليهم وهنا يومئ إلى رفض المسلمين أولياء الأمر حينذاك من خلال الصياغة اللغوية في الخطبة (ليس لنا إمام، لعل الله يجمعنا بك على الهدى) فهو دليل على فقدان الأمة إمامهم الحقيقي وعدم القناعة بأحقية تولي الحاضر، ويتبين لنا من خلال الخطبة الاستنجاد فنلاحظ الفعل (أتى) ومرادفه:

لم آتكم ← أتتني كتُبكُم ← وقدمت عليّ رسلُكم ← أن أقدم علينا

فالجمع بين الفعل (أقدم) مع الفعل (آتى) تأكيد للطلب ويشير إلى بعد المسافة بين المرسل والمرسل إليه، وقد زادت صياغة النفي والتمني ذلك الطلب وأكدته بعبارة (يجمعنا بك على الهدى) وهذا دليل على اجتماع الآراء حوله واتحاد القوم ونصرتهم له.

وبعدها يتكلم الإمام الحسين عليه السلام بلسان أهل البيت جميعا ويقر أن خلافة المسلمين هي من حقهم بقوله: ((أمّا بعد، أيّها الناس فإنكم إن تتقوا الله وتعرفوا الحقّ لأهله يكن أرضى لله، ونحن أهلَ البيت أولى بولاية هذا الأمر عليكم من هؤلاء المدعين ما ليس لهم، والسائرين فيكم بالجور والعدوان! وان كرهتمونا وجهلتم حقّنا، وكان رأيُكم الآن غير ما أتتني به كتبكم وقدمَت به عليّ رسلكم، انصرفت عنكم!))[٧].

يتجه الإمام الحسين عليه السلام بخطابه إلى المتلقين بأداة التوكيد (إنكم) بالشرط (إن تتقوا الله وتعرفوا الحقّ ← لأهله يكن أرضى لله) ليقر بحقيقة دامغة لا تقبل الشك وهي حقوق أهل البيت وهو يقرن بينها وبين رضا الله، وبعدها يلجأ الإمام الحسين عليه السلام إلى عقد مقارنة بين ولاة الأمر حينئذ معتمدا على مبدأ المفاضلة والتمييز.

نحن أهلَ البيت←أولى بولاية هذا الأمر.

من هؤلاء المدعين←المدعين ما ليس لهم.

السائرين فيكم←بالجور والعدوان.

فهو يعمل بطريقة التقابل (المدعين← ما ليس لهم)

(السائرين فيكم← بالجور والعدوان)

فقد أبان الخطاب قدرة الإمام على رسم صورة المقابل بأوصاف لا تليق بمن يتصف بها تولية الآمر فضلا عن تأكيده الدفاع عن حق آل البيت باستعماله التكرار في صيغ الخطاب الدالة على ذلك:

(نحن = أهل البيت) (أولى + بولاية + هذا الأمر)

فمن خلال هذا الأسلوب في الخطاب تبرز جدية مطلبه المعززة بلهجة قوية ذات وقع على أسماع المتلقين تصب في إبراز صوت المتكلم (الإمام عليه السلام) وإعلانه صراحة بالمطالبة بحقوق أهل البيت عليهم السلام.

ويُقسم خطاب الإمام لعدة أنواع مستمدة من عدة روافد منها الرافد الديني والرافد الأدبي.

أولا / الرافد الديني:

إن قراءة متأنية لمقطع من حياة الإمام الحسين عليه السلام منذ أن رفض بيعة يزيد والى أن تقبله الله تعالى شهيدا في كربلاء، هذه المرحلة على قصرها هي المرحلة الأهم في حياته عليه السلام لأنها مرحلة الثورة المقدسة التي مثلت انعطافة تاريخية في حياة الإسلام والمسلمين أفرزت قيما أخلاقية، وتضمنت جوانب تربوية واجتماعية، مجتمعنا بأمس الحاجة إليها الآن لان الإسلام اليوم يتعرض إلى هجمة شرسة عمادها الفكر

الأموي. (وعندما يكون الفرد أهم وحدة تكوينية للمجتمع، فبناؤه وعدّه نفسيا وفكريا من المهمات الكبيرة التي تلقى على عاتق الأمة وقياديها لبناء مجتمع إسلامي رصين)[٨]. ويعد الموروث الديني رافدا ثقافيا يتراسل مع مكونات الثقافة الأخرى لمنشئ النص، ينهل منه المبدعون على مر العصور، الألفاظ، المعاني والصور التي تساعدهم في ارتقاء نتاجهم الأدبي، ويمنح الرافد الديني الخطاب مميزات النص الديني من دلالة الألفاظ وجمال الصورة ودقة الصياغة وقوة الحجة وعنصر التأثير.

١- القرآن الكريم:

عند خروج الإمام الحسين عليه السلام من المدينة في بداية المسير نحو كربلاء ركز عليه السلام على أمرين: الأول هو الرفض القاطع لبيعة يزيد والثاني هو دعوة المسلمين إلى نصرة الحق ورفض الباطل، والحسين ينطلق من ((فكرة واضحة هي كونه صاحب حق، اغتصب حقه أمام المسلمين جميعا))[٩] ولتحقيق ذلك وإقناع السامعين اتخذ خطاب الإمام الحسين عليه السلام أبعادا مختلفة و تأثّر أُسلوب الإمام عليه السلام في طريقة (كلامه وخطبه) بأُسلوب القرآن الكريم، فالاقتباس القرآني يؤدي إلى إثارة المخاطبين وضمان إصغائهم من خلال الإشارة إلى الأخذ من القران فقول الخطيب ((قال تعالى، قال عز وجل أو وهو قول الله))، إنما هو بمنزلة جرس إنذار وانتباه لما سيأتي به الخطيب فيولد استعدادا ذهنيا تاما عند المتلقي ويمنح السياق الخطابي القوة والمجادلة أو البرهنة في توثيق ما يذهب إليه فيزيد الثقة والحماس عند المنشئ أو المتلقي.

الإمام الحسين عليه السلام وهو سليل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة ومهبط الوحي، وقد نزل القران في بيتهم لذلك نجد القران لا يغادر لسانه على طول الطريق منذ خروجه من المدينة مع بنيه وإخوته وبني أخيه وجل أهل بيته، وهو يتلو هذه الآية ﴿ خَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾[١٠]، فلما دخل مكّة

تلا هذه الآية ﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾[١١].

وفي البيضة[١٢] خطب الحسين عليه السلام بأصحابهِ وأصحاب الحر وقال: ((. . . وان لم تفعلوا ونقضتم عهدكم، وخلعْتم بيعتي من أعناقكم فلعمري ماهي لكم بنُكر، لقد فعلتموها بأبي وأخي وابن عمي مسلم ! والمغرور من اغتر بكم، فحظكم أخطأتم، ونصيبكم ضيعتم﴿ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ﴾[١٣] وسيغني الله عنكم، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته))[١٤].

في هذه الخطبة هنالك اقتباس تام من القرآن الكريم وظف به الإمام النص القرآني وادخلها في خطبته ولا يخفى ما لهذا الأسلوب من تأثير في نفوس السامعين، لان الآيات التي يختارها الإمام ويدخلها في سياق خطابه يكون لها تأثير كبير في السامعين، وبين عليه السلام لهم حقيقة مفادها أن من ينكث وينقض عهده وبيعته فإنما ينكث على نفسه وهذا الأمر ليس بغريب عليهم فأعطاهم الحسين الأدلة الدامغة على ما فعلوه من قبل مع أبيه وأخيه وابن عمه عليهم السلام.

وأيضا نلاحظ أن هنالك اقتباسا غير تام من القران الكريم من قوله تعالى﴿ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴾[١٥]. في هذه الخطبة اكتفى الإمام بالإشارة إلى المعنى في الآية، واقتبس عليه السلام لجزئية الغرور، والغرور ((كل ما يغر الإنسان من مال أو جاه وشهوة شيطان))[١٦]، ليوظفها في النص الخطابي ليمنحه قيمة فنية لما تحمله الآية القرآنية.

وفي واحدة من خطبه في ساحة المعركة يقول: ((وان لم تقبلوا مني العذر، ولم تعطوا النّصف من أنفسكم ﴿ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴾[١٧]، ﴿ إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴾[١٨])).

فتتجلى قدرة الإمام في الاختيار للجمع بين نصين متفرقين وهما يحملان معاني مشتركة أسهمت في تعزيز دلالة النص. فصور الإمام حال القوم والموقف القائم من خلال استدعاء الحقائق التاريخية التي وثقها القرآن الكريم وصورها.

إذ تتحدث الآيات المقتبسة عن نبأ النبي نوح عليه السلام ومعارضة قومه الشديدة لدعوته، فنوح ((صمد مقابل أعدائه الأقوياء المعاندين و واجههم بقاطعية وحزم ومنتهى الشجاعة والشهامة مع أصحابه القليلين الذين كانوا معه وكان يستهزئ بقواهم وبربهم وعدم اهتمامه بخططهم وأفكارهم وأصنامهم، وبهذه الطريقة كان النبي نوح عليه السلام يوجه ضربة عنيفة إلى أفكارهم)) [١٩].

٢- الحديث النبوي:

الحديث النبوي نص ديني، يتضمن دقة التعبير، وجودة السبك، وروعة التصوير فلا يرتفع فوقه في مجال الأدب الرفيع إلا كتاب الله بلاغة، وفصاحة وتأثيرا إذ ((لم يسمع الناس بكلام قط اعم نفعا، ولا اقصر لفظاً، ولا أعدل وزناً، ولا أجمل مذهبا ولا أكرم مطلباً، ولا أحسن موقعاً، ولا أسهل مخرجاً، ولا أفصح معنى ولا أبين في فحوى، من كلامه صلى الله عليه وآله كثيرا)) [٢٠].

والحديث النبوي كما هو معروف هو كلام الرسول صلى الله عليه وآله الذي لا ينطق عن الهوى إنما هو وحي يوحى، وهو المصدر الثاني من مصادر التشريع بعد القرآن الكريم، وهو أفصح من نطق بالضاد وقد وصل إلينا كم هائل من الأحاديث النبوية الشريفة من طريق الصحابة والتابعين، وأفاد منها الخطباء والشعراء والأدباء في خطبهم وأشعارهم ويُعد الالتزام بها واجبا شرعيا على المسلم، وقد أشار أحد الباحثين إلى هذه المسالة بقوله:

((لا يرد إلا في المواقف التي يتطلب فيها اظهار الحجة والبرهان، والقصدية في ظلم حق أهل البيت وإنكاره واضحة عند الأمويين))[٢١]

يلمس وجود الأثر النبوي في خطاب الإمام الحسين عليه السلام الذي انبرى فيه ليحرك المعاني الذهنية للألفاظ التي تحاكي فيها النص الخطابي في دقة المعاني وجزالة الألفاظ وهذا ما تجلى في قوله عليه السلام بقوله: ((انه قد نزل بنا من الأمر ما قد ترون، وان الدنيا قد تغيّرت وتنكرت وأدبر معروفها واستمرت حَذاء، ولم يبق منها إلا صُبابة كصبابة الإناء وخسيس عيش كالمرعى الوبيل. . .))[٢٢]، تمتد جذوره إلى الوصف النبوي في قوله صلى الله عليه وآله ((أما بعد، فإن الدنيا قد آذنت بصرم وولت حذاء، ولم يبق منها إلا صُبابة كصُبابة الإناء))[٢٣].

استحضر الامام الحسين عليه السلام رمزية جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله في خطاباته، وأخذ يذكر القوم بانتمائه نسباً وديناً لرسول الله صلى الله عليه وآله مما يستدعي منهم أن يراعوا تلك الصلة وذاك الانتماء، لذلك خاطب جيش بني أمية بقوله: ((أمّا بعد: فانسبوني من أنا؟! ثم ارجعوا إلى أنفسكم وعاتبوها، فانظروا هل يحلّ لكم قتلي وانتهاك حرمتي؟! ألست ابن بنتِ نبيّكم صلى الله عليه وآله وابن وصيّه وابن عمّه، وأوّل المؤمنين بالله والمُصدّق لرسوله بما جاء به من عند ربّه؟))[٢٤]. وهذه النسبة الى رسول الله صلى الله عليه وآله مع المواقف كلها، ومنها قول حبيب بن مظاهر الاسدي (أما والله لبئس القومُ عند الله غداً قوم يَقدمون عليه قد قتلوا ذريّة نبيّه صلى الله عليه وآله وعترته وأهلَ بيته))[٢٥]، ومما لا شك فيه أن استحضار مثل هذه المرجعية يهدف إلى إضفاء قدر من القدسية على نهضة الامام الحسين عليه السلام من جهة، وبغية التأثير في جيش ابن سعد من جهة أخرى، لأن لرسول الله صلى الله عليه وآله مكانة مقدسة في نفوس المسلمين وهو القائل في حديثه المتواتر ((الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة وفاطمة سيدة نسائهم إلا ما كان لمريم بنت عمران))[٢٦]، فما جزاء من يقتل هذا السيد إلا النار، لأن قتل أبناء الأنبياء هو قتلٌ للأنبياء وقد توعد الله على ذلك بالعذاب الأليم.

ثانيا / الرافد الأدبي

يخضع النص الخطابي شأنه في ذلك شأن النصوص الإبداعية في الفنون الأخرى لظاهرة التأثير والتأثر إذ يسعى المنشئ بشتى الطرق إلى الارتقاء في الخطاب نحو التميز، ويمكن أن نلحظ في بنية الخطاب أن الإمام يستعمل أكثر التعبيرات تأثيراً في عقول المخاطبين وأسماعهم، وهو يلجأ إلى أسلوب الإقناع حيناً، وقد يستعمل أسلوب الحوار والمناقشة أو التهديد والتخويف من العواقب حيناً آخر؛ لذا تنوعت الأساليب التي يعبر بها الإمام عن أغراضه، وتداخلت في تراكيب خطابه الجمل الاسمية مع الجمل الفعلية والخبر مع الإنشاء، ليرسم من خلالها الصورة التي يريد إيصالها إلى السامعين، ومن هنا يمكن القول: إن بنية الخطاب الحسيني في مراحله المختلفة تتسع، لتشمل كل الأساليب المستعملة في لغة العرب من توكيد وقسم وتشبيه وشرط ومجاز وحقيقة واستعارة وكناية وتكرار وخبر وإنشاء وغيرها، وكما نعلم جيدا أن الإمام الحسين عليه السلام هو وارث الأنبياء وهو كذلك وارث لثقافة أدبية عظيمة تلقاها عن جده سيد المرسلين وعن أبيه سيد البلغاء والمتكلمين وهو بالتأكيد على قدر كبير من الإلمام بما تحدثت به العرب من فنون الشعر والنثر، ولذلك نجد الإمام الحسين عليه السلام يضمن نصوصا من الشعر أو حتى الأمثال في خطبه وذلك بحسب ما يقتضيه الحديث أو سياق الكلام.

١- الشعر:

الشعر، ديوان العرب والمنظوم من كلامها والمقيد لأيامها[٢٧] فيه أخبارهم وعلومهم به يأخذون واليه يصيرون [٢٨]. فهو اللسان الناطق في حلهم و ترحالهم، في سلمهم وحربهم، فهو علم قوم ليس لهم علم اصح منه [٢٩] حتى روي عن عبد الله بن عباس قوله: ((إذا قرأتم شيئا من كتاب الله فلم تعرفوه، فاطلبوه في أشعار العرب فإن الشعر ديوان العرب))[٣٠].

كان نصيب الشعر في خطب الإمام الحسين عليه السلام محدودا وقف عند حدّ التضمين لبيت أو أكثر في فكرة تلتقي مع الخطاب بسبب من الحكمة، وهو ليس بكثير، من ذلك ما نجده في قول الإمام الحسين عليه السلام[٣١]:

(بحر الرجز)

يَــا دَهْرُ أُفٍّ لَكَ مِنْ خَلِيلِ ... كَمْ لَكَ بِالإِشْرَاقِ وَالأَصِيلِ
مِنْ صَاحِبٍ أَوَ طَالِبٍ قَتِيلِ ... وَالدَّهْــرُ لا يَقْنَعُ بِالبَدِيــلِ
وَإِنَّمَــا الأَمْرُ إِلى الجَلِيــلِ ... وَكُــلُّ حَيٍّ سَالِكٌ سَبِيــلِي

هذه الأبيات نلاحظ فيها طباقا بين (الإشراق) و(الأصيل) وهو تناسب بين طرفين في الاسمية أيضا، فهو يحشد أفكاره باستلهام معاني القرآن والحديث ويطرز شعره.

فألفاظه تتراوح بين الليونة والرقة ويحدو بها إلى الاستعمال الفني لما تتضمن من جزالة وحيوية وصدق فملامحه واضحة إلا انه واسع الدلالة يختفي في مفرداته وصياغاته معالم البيان العربي من مجاز وتشبيه واستعارة وكناية.

إن هذا النعي التفصيلي المبكر لنفسه يعجز عن وصفه البيان، ولا مثيل له في التاريخ؛لأنه تنظير وتطبيق في الوقت نفسه، ومن هنا تبدو حرارة مصيبة الامام الحسين عليه السلام ووقع شدتها على النفوس على مر التاريخ.

ومما تمثل به الإمام الحسين عليه السلام في شعر الحماسة ما ذكره أبو مخنف في هذا الحوار حين ساير الحر الإمام عليه السلام فقال له الحر: ((يا حسين إنّي أُذكرك الله في نفسك، فانّي أشهد لئن قاتلت لُتقتلنَّ، ولئن قوتلت لتُهلكنَّ فيما أرى!))[٣٢].

فقال له الحسين عليه السلام: ((أ فبالموت تخوفني! وهل يعدو بكم الخطب أن تقتلوني! ما أدري ما أقول لك: ولكن أقول كما قال أخو الأوس لابن عمه ولقيه وهو يُريد نصرةَ رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال له: اين تذهب؟ فإنّك مقتول؟ فقال[٣٣].

(بحر الطويل)

سَأَمْضِي وَمَا بِالمَوْتِ عَارٌ عَلَى الفَتَى ... إِذا مَا نَوَى حَقّاً وَجَاهَدَ مُسْلِمَا
وَوَاسَى الرِّجَالَ الصَّـــالِحِينَ بِنَفْسِهِ ... وَفَارَقَ مَثْبُوراً يُغَشُّ وَيُرْغَمَـــا
فَإِنْ عِشْـــتُ لَمْ أَنْدَمْ وَإِنْ مُتُّ لَمْ أُلَمْ ... كَفَى بِكَ ذُلًّا أَنْ تَعِيشَ وَتُرْغَما

فلما سمع ذلك الحر منه تنحّى. وكان يسير بأصحابه في ناحية، والحسين عليه السلام في ناحية أخرى.

لقد استطاع الإمام الحسين عليه السلام أن يوظف هذه الأبيات التي قالها الشاعر في مقام معين لإيضاح علو الهمة لتحقيق ما يريده حتى لو كان الموت هو النتيجة، هذا الموت هو الذي تنتهي به المعارك ولا تنتهي به الحياة لأنه موت كريم، وأي موت أفضل من أن تواسي به الصالحين. يقول أحد الباحثين:

((لقد أكد أن انتصار الحرب وخسرانها يتقاسمان المعركة، ولكن قد يأتي الانتصار مصحوبا بالحياة الذليلة، وقد يرد خسران المعركة وشعارها الحياة الخالدة، أما الموت فحقيقة شاملة خارج الإرادة الإنسانية، ولكن الموت الكريم لا يخرج عن تلك الإرادة))[٣٤].

٢- الأمثال:

سجلت الأمثال حضورا متميزا في الأدب العربي القديم فتناقلتها الأجيال جيلا بعد جيل، اذ وردت في جميع أحداثهم وشؤون حياتهم، ((فالأمثال حكمة العرب في الجاهلية والإسلام يجتمع فيها إيجاز اللفظ وإصابة المعنى وحسن التشبيه))[٣٥]. والمثل ((جملة وجيزة ذات مفهوم عميق، تدل على نتيجة اثر تجربة واقعية، والمثل موجود عند كل شعوب الأرض، وهو المرآة الصافية لحياتها، عاداتها وتقاليدها))[٣٦].

إن استحضار الأمثال في الخطب يؤثر ((في القلوب ما لا يؤثره وصف الشيء في نفسه، وذلك لان الغرض من المثل تشبيه الخفي بالجلي، والغائب بالشاهد، فيتأكد الوقوف على ماهيته، ويصير الحسّ مطابقا للعقل، وذلك في نهاية الإيضاح))[٣٧]، وقد وظفت الأمثال في خطب الإمام بطريقتين هما:

أ- التضمين المباشر.

ب- التضمين غير المباشر.

والأمثال ضمنت لتؤدي وظيفة الإيجاز في الألفاظ بما يقتضيه المقام (ساحة القتال) وتأكيد المعنى في نفس المتلقي وتعميقه في الخطاب، لكون الأمثال ((صورة حية ماثلة لمشهد واقعي أو متخيل، مرسومة بكلمات معبرة موجزة يؤتى بها غالبا لتقريب ما يُضرب له من طريق الاستعارة أو الكناية أو التشبيه))[٣٨].

أ- التضمين المباشر:

من الأمثال المستحضرة بشكل مباشر في خطاب الإمام الحسين عليه السلام في أصحابه قوله: (اتخذ الليل جملا)[٣٩] وهذا المثل يضرب للرجل إذا ركب الليل في حاجته ولم ينم حتى ينالها ويقضيها[٤٠] جاء في سياق الخطبة قوله عليه السلام: ((أما بعد، فإنّي لا أعلم أصحاباً أولى ولا خيراً من أصحابي، ولا أهل بيت أبرّ ولا أوصل من أهل بيتي، فجزاكم الله عني جميعاً خيراً، ألا واني أظنّ يومنا من هؤلاء الأعداء غداً، ألا وأنّي قد (أذنتُ) لكم فانطلقوا جميعا في حِل، ليس عليكم منّي ذمام، هذا ليل قد غشيكم، فاتّخذوه جملاً)) [٤١]. فبعد أن أباح الإمام الحسين عليه السلام لأنصاره الابتعاد والتفرق عنه، لان القوم لا يريدون إلا قتله جعل لهم الخيار ووضع لهم الواسطة التي يتفرقون بها من حوله، وهي (سواد الليل) فسيكون كالجمل في القدرة على حملهم إلى بر الأمان

بالرغم من الصعاب وخطورة الطريق، فنلاحظ العلاقة بين الليل والجمل متفاعلين تفاعلا غير متوقع برز فيها المعنى حاملا الإثارة [٤٢]، لما منحه المثل المخزون في ذاكرة المخاطب من تأثير في ذاكرة المتلقي وتعميق للمعنى.

ومن الأمثال التي استحضرها الإمام الحسين عليه السلام في كلامه مباشرة قوله: (لو ترك القطا ليلا لنام)[٤٣]، ويضرب هذا المثل لمن حُمِلَ على مكروه من غير إرادته.

وهنا مصداقٌ لقوله تعالى ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [٤٤]، والقطا هو طائر بحجم الحمام جميل الشكل، غالي الثمن كان العرب يلاحقونه ليلاً ونهارا فكان هذا الطائر لا ينام لكثرة ملاحقته، فقد شبه الامام الحسين عليه السلام ملاحقة الأعداء له بهذا الطائر، ومن جانب آخر فإن الإمام الحسين كان كارها أن يبدأ القوم بالقتال، ويتضح ذلك جليا بقوله عليه السلام صبيحة يوم عاشوراء عندما طلب منه مسلم بن عوسجة أن يرمي شمر بن ذي الجوشن بسهم فقال: ((فإنه قد أمكنني، وليس يسقط سهم منّي فالفاسق من أعظم الجبّارين! فقال له الحسين عليه السلام: لا تَرمِه، فانّي أكرهُ أن أبدأهم))[٤٥]، فالإمام الحسين حاول جاهدا أن لا يقع السيف بينه وبينهم. وبالرجوع للمثل الذي قاله الإمام الحسين فإنه في ليلة عاشوراء ينقل الإمام السجاد أن الإمام الحسين عليهما السلام كان يعالج سيفه ويصلحه قال هذه الأبيات[٤٦]:

(بحر الرجز)

يَا دَهْرُ أُفٍّ لَـكَ مِنْ خَلِيلِ ... كَمْ لَكَ بِالإِشْرَاقِ وَالأَصِيلِ
منْ صَاحِبٍ أوَ طَالِبٍ قَتِيلِ ... وَالدَّهْـــرُ لا يَقْنَعُ بِالبَدِيلِ
وَإِنَّمَـا الأَمْرُ إِلى الجَلِيـلِ ... وَكُـلُّ حَيٍّ سَالِكٌ سَبِيلِي

فأعادها مرتين أو ثلاثا حتى فهمتها فعرفت ما أراد، فخنقتني عبرتي، فرددت دمعي ولزمت السكون، فعلمت أن البلاء قد نزل. فأما عمّتي سمعتْ ما سمعتُ – وهي امرأة، وفي النساء الرقة والجزع: فلم تملك نفسها أن وثبت تجرّ ثوبها – وإنها لحاسرة – حتى انتهت إليه، فقالت: واثكلاه! ليت الموت أعدمني الحياة! اليوم ماتت فاطمة أُمي، وعليّ أبي، وحسنٌ أخي، يا خليفة الماضي وثُمال الباقي!

فنظر إليها الحسين عليه السلام فقال: أُخية! لا يذهبن بحلمك الشيطانُ! قالت: بأبي أنت وأمي يا أبا عبد الله! استقتلت؟ نفسي فداك.

فردّ غصّته وترقرقت عيناه وقال: لو تُرك القطا ليلا لنام ![٤٧]، أي لو لم يجبر القطا على الطيران في وقت نومه لما طار، والسبب في عدم نومه هو إقلاقه ولو تركه لنام، ويرجع سبب جلوس الامام بباب الخيمة ولم ينم خشية من انه اذا نام تهجم الأعداء عليه، أي إن الامام(عليه السلام) كان يخشى غدرهم، وبين الامام عليه السلام أن القوم عازمون على قتاله والأمر لا مفر منه ولن يتركوه إلا بقتله وأهله وأصحابه.

ب- التضمين غير المباشر:

في خطبة من خطب الإمام عليه السلام في كربلاء لأصحابه وبعد أن حمد الله وأثنى عليه قال لهم: ((إنه قد نزل بنا من الأمر ما قد ترون. . . فإني لا أرى الموت إلا شهادة والحياة مع الظالمين إلا برما)) [٤٨]

ففي قوله عليه السلام: ((فأني لا أرى الموت إلا شهادة والحياة مع الظالمين إلا بَرما)) معنى لمثل ((المنية ولا الدنية))، الذي يضرب لمن يختار الموت على العيش الذليل، ويجوز فيها الرفع: أي المنية أحب إليّ ولا الدنية: أي وليست مما أحب واختار)) [٤٩].

وقد جسد الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه ذلك المعنى في واقعة كربلاء، إذ إنهم

جميعا اختاروا الموت العزيز على حياة الذل مع الظالمين، ((ولم تكن الدنية والذلة إلا عند أهلها، أهل الأطماع الذين تهافتوا على أموال يزيد كتهافت الفراش))[٥٠].

ومن الواضح أن تضمين الأمثال ومعانيها في خطب الإمام جاء ((مترابطا ومنسجما وسياق الخطاب، فظهر ذلك جزءا من ثقافتهم اللغوية التي تؤكد تمكنهم من زمام اللغة))[٥١].

المبحث الثاني: انواع الخطاب

من خلال استقرائنا لبعض موضوعات خطب الإمام الحسين عليه السلام نجد أن أساليب هذه الخطب يسير في الغالب في اتجاهين:

الأول هادئ رزين يسلك سبيل التقرير والاحتجاج العقلي أو الديني[٥٢]، والثاني ثائر قويٌ يعتمده عندما يغضب على سلوك الخصوم وينتقم منهم ويمكننا من أن نصف أولهما بـ: –

١ – الخطاب الاقناعي

٢ – الخطاب الحجاجي أو المنطقي.

٣– الخطاب الحماسي.

١ – فالخطاب الاقناعي

هو ((الخطاب الذي يرمي إلى تحويل المخاطبين من وضع سلوكي إلى وضع آخر، والى حملهم على التصديق بقوة المتكلم، وبقدرته على الفعل))[٥٣]. ((وبما يقدمه من الأدلة التي تكفل الإقناع بالإثارة))[٥٤]، ولا يبتعد هذا النهج عن خطاب الإمام الحسين عليه السلام فيعمله بصيغ متعددة ومنها قوله ((أيها الناس، إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من رأى سلطانا جائرا مستحلا لحُرم الله، ناكثا لعهد الله، مخالفا لسنة رسول الله صلى الله عليه وآله،

يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان فلم يغير عليه بفعل ولا قول، كان حقا على الله ان يدخله مُدخله، ألا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، واظهروا الفساد، وعطّلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلوا حرام الله، وحرّموا حلال الله، وأنا أحق من غيري.

قد أتتني كتبكم وقدمت عليّ رسلكم ببيعتكم أنكم لا تسلموني ولا تخذلوني، فان تممتم عليّ بيعتكم تصيبوا رشدكم، فانا الحسين بن عليّ، وابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، نفسي مع أنفسكم، وأهلي مع أهليكم، فلكم في أُسوة، وإن لم تفعلوا ونقضتم عهدكم، وخلَعْتم بيعتي من أعناقكم فلعمري ماهي لكم بنُكر، لقد فعلتموها بأبي وأخي وابن عمي مسلم. . .))[٥٥].

يحاول الإمام الحسين عليه السلام في هذا الخطاب إقناع المتلقين لنصرته والالتفاف حوله لتوليه أمور المسلمين فيلجأ إلى حديث الرسول صلى الله عليه وآله مدخلا في بيان موضوعه، وخطابه وأسلوب الخطاب الذي أراد به إفهام المتلقين اثر النداء الذي استهله بقول الرسول صلى الله عليه وآله: (أيها الناس، إن رسول الله قال)، في هذا الخطاب يقيد الإمام الحسين عليه السلام المُخاطبين بحديث الرسول صلى الله عليه وآله فضلا عما يحمله من قوة حجاج المخاطب، وكأنه يعمل الدليل النقلي لتقوية طرحه وتعزيزه.

ينتقل بعدها الإمام الحسين عليه السلام في توجيه خطابه إلى طغاة الأمة (ولاة الأمر) وهذا ما أراده بإشارته قائلا: (ألا وإن هؤلاء) فهنا يوصل الإمام عليه السلام بين قول الرسول صلى الله عليه وآله ((من رأى سلطانا جائرا)) وإجابته عليه السلام بقوله السالف وكأنه يوجه أصابع الاتهام إلى ولاة أمر المسلمين آنذاك، ويذكر الإمام عليه السلام مقتضيات وأمور تضعف بدورها صورة المشار إليهم بعبارة (هؤلاء) وذلك من طريق استعماله القياس المضمر[٥٦] مسترسلا في وصف أعمال مناوئيه

ألا إن هؤلاء ← قد لزموا طاعة الشيطان
وتركوا طاعة الرحمن
واظهروا الفساد
وعطّلوا الحدود
واستأثروا بالفيء
واحلوا حرام الله
وحرّموا حلال الله

ويكفي لمن يفعل هذه الأعمال المناهضة أن يخرج من دائرة الإسلام وان تقوم الثورة ضده، وعليه يفترض على المتلقين استنتاج نتيجة عمل هؤلاء القوم من خلال المقدمة التي ابتدأ بها خطابه والمتمثلة بحديث الرسول ﷺ في ضوء حديثه السالف، فضلا عن التوازن الذي اعتمده الإمام الحسين عليه السلام في خطابه بين كل فقرتين.

ثم ينتقل الإمام الحسين عليه السلام إلى إبراز نفسه مؤكدا تفضله على الآخرين وهذا كان واضحا بقوله (أنا أحق من غيري) منطلقا بقوله هذا من مبدأين:

الأول حصوله على التأييد والدعم من الأغلبية ودليل ذلك قوله (قد أتتني كتبكم)، (وقدمت عليّ رسلكم).

الثاني فهو التصريح علنا وجهرا بنسبه بقوله: أنا الحسين بن علي، وابن فاطمة بنت رسول الله ﷺ. وهذا الخطاب موجه إلى الجميع لاسيما من يجول في نفسه الشك والريبة تجاه الإمام الحسين عليه السلام مؤكدا تفرده بتلك الأحقية بدليل نسبه وسلالته الشريفة، وأدى تكرار الضمير مع الاسم (أنا الحسين) اشد وقعا وتأثيرا في المتلقي، ويختم الإمام خطابه بقوله (لكم فيّ أسوة) وهو اقتباس من قوله تعالى ﴿لَّقَدْ كَانَ

لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾[٥٧] مما يقوي حجته ويدعمها وكأنه يرسم لهم الطريق الذي يجب إتباعه منشدا الإقناع والاستمالة لتحقيق مبتغاه.

٢- الخطاب الحجاجي او المنطقي.

تعد خطب الإمام الحسين عليه السلام سفرا خالدا في تاريخ الخطابة العربية، لما تحمله هذه الخطب من قيم إنسانية عالية وما انطوت عليه من أساليب حجاجية و إقناعية، أراد بها الإمام الحسين عليه السلام تأدية دوره الرسالي، وإعلان كلمة الحق من خلال هذا الخطاب الحسيني كيف لا وهو من (أوتي ملكة الخطابة من طلاقة لسان وحسن بيان، وغنة صوت)[٥٨]، وقد تضمنت هذه الخطب حججا مدوية أخذت تقرع آذان أعدائه وتفحم ألسنتهم كاشفا زيف إعلام الأمويين، ثم حدث أن كان مقتل الإمام الحسين عليه السلام من أقوى العوامل في تكاثر أنصار أهل البيت و اثارة النقمة الشاملة على الأمويين[٥٩].

في البداية لابد لنا أن نتعرف ما المقصود بلفظة الحجاج ؟ ترد لفظة الحجاج في قواميس اللغة من الحجة وهو الدليل والبرهان ومنه تخرج لفظة الحجاج مرادفة للجدل، فعند ابن منظور هو (مقابلة الحجة بالحجة)[٦٠]. وعلى هذا المعنى تكون بنية الحجاج مؤدية لمعنى النزاع والخصام بوجود أدلة وبراهين وحجج، ويكثر الحجاج في الخطابة كما هو الحال مع الجدل وقد عبر عنهما أرسطو بأنهما (قوتان لإنتاج الحجج)[٦١].

إن الخطاب الحجاجي هو الأسلوب الذي برز أثره في المناظرات والاحتجاجات لذلك وسم به أصحاب المذهب الكلامي[٦٢] والذي (يقوم على ايراد المتكلم على صحة دعواه حجة قاطعة مسلمة عند المخاطب، وان تكون المقدمات بعد تسليمها ملزمة للمطلوب. . . بالبراهين العقلية القاطعة[٦٣]، وقد وقف الإمام الحسين عليه السلام عند هذا الاسلوب في إحدى خطبه لمعارضيه قائلا:

((أمّا بعد: فانسبوني فانظروا من أنا؟! ثمّ ارجعوا إلى أنفسكم وعاتبوها، فانظروا هل يحلّ لكم قتلي، وانتهاك حرمتي؟! ألست ابنَ بنتِ نبيكم صلى الله عليه وآله، وابنَ وصيّه وابن عمّه، وأوّل المؤمنين بالله، والمُصدّق لرسوله بما جاء به من عند ربّه؟ أَوَ لَيْسَ حَمْزَةُ سيدُ الشُهداء عمّ أبي؟ أَوَ لَيسَ جعفر الشهيد الطيَّار ذو الجناحين عمّي؟ أَولَم يبلغكم قولٌ مستفيضٌ فيكم: ان رسول اللهﷺقال لي ولأخي هذان سيّدا شباب أَهل الجنَّة؟))(٦٤).

اعتمد الامام الحسينعليه السلامعلى ادلة واقعية ومنطقية متسلسلة في إقامة حجته في مواجهة خصومه محاولا اقناع المتلقين بصواب رأيه وفكرته والوصول إلى نتيجة معينة، مستخدما قدرة تعبيرية ولغوية لعرض ما بخاطره، بدقة ولباقة تمسك على المتلقي عقله وشعوره حتى يسلم بما يُقال فلا يملك المقابل مجالا للنقض أو المداخلة، فيعمل أسلوب الأمر بصياغة الطلب مدعوما بأسلوب الاستفهام في إقامة حجته المنطقية: الأفعال (انسبوني، ارجعوا، انظروا) هي أفعال أمر يراد بها الطلب مسندة إلى واو الجماعة موشحة بأسلوب الاستفهام (من أنا ؟ / هل يحق لكم قتلي وانتهاك حرمتي؟) وهنا يجعل الإمام الحسينعليه السلامالجواب عن هذا الاستفهام مخصصا والموجه نحو المتلقي فقط ليشهدهم على قوله وحجاجه، ومن ناحية أُخرى ينتقل الإمامعليه السلام بالاستفهام بالهمزة مقرونا بالنفي وجوابه مثبتا ومعروفا بأداة الجواب (بلى) (ألست ابن بنت نبيكم؟ ابن وصيه؟ ابن عمه؟ أول المؤمنين). فينتقل الإمام الحسينعليه السلام في خطابه الحجاجي بين أدوات الاستفهام فيستفهم ب(هل) ويجيب ب(الهمزة) فيدعم موقفه ويعززه بما يفحم المقابل ويقيده ويحجم رده. ومن ناحية أُخرى فقوله عليه السلام: ألست ابن بنت نبيكم؟ ماثل الإمام الحسينعليه السلام بين قتله وقتل النبيﷺإذ إن الإمامة تمثل الامتداد الطبيعي للنبوة، فيكون من الطبيعي الاعتداء على الإمامة هو

اعتداء على النبوة وهنا وجه الإمام خطابه إلى الناس ناصحا وواعظا لهم بشكل حجاجي لتثبيت أقواله وترسيخها ومن ثم إقناعهم بها.

٣- الخطاب الحماسي

يرتبط هذا الخطاب بحالة المتكلم الشعورية فيحاول إثارة العواطف والأحاسيس الصادقة والمشاعر لدى المتلقي، عاملا من الألفاظ الوصفية المؤكِدَة والحقيقية على جلب انتباه المتلقين وتوجيههم نحو الهدف الذي يقصده المتكلم[٦٥]. فإثارة الحماسة في نفوس المتلقين تحملهم على الاستبسال والاستشهاد[٦٦]، لذلك نجد بصمات للخطاب الحماسي في أقوال الإمام الحسين عليه السلام، فيستخدم هذا الخطاب في استنهاض العزيمة وإذكاء روح الحماسة تجاه المخاطبين والدعوة إلى الاستنفار والاستنصار نحو قوله:

((إنه قد نزل بنا من الأمر ما قد ترون، وان الدنيا قد تغيّرت وتنكرت وأدبر معروفها واستمرت حَذّاء، ولم يبق منها إلا صُبابة كصبابة الإناء وخسيس عيش كالمرعى الوبيل ، أَلا ترون أَن الحقّ لا يعمل به، وأن الباطل لا يُتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقَاء ربه محقا، فإنّي لا أَرى الموت إِلا شهادة، والحياة مع الظالمين إِلَّا بَرما)) [٦٧].

الواضح من هذا الخطاب هو لغة الاستثارة والاستنفار، إذ استخدم الإمام الحسين عليه السلام الصيغ اللغوية في شحذ همم المتلقين، وتأجيج عواطفهم للوقوف مع المتلقي فيما يروم الخوض فيه، فكان لإعماله الأداة (قد) مع الفعل الماضي وتكراره هذه الصياغة، تأكيد لتحقيق الأمر واستفحاله.

قد نزل ←——— ما قد ترون

الانتقال من الفعل الماضي الى الفعل المضارع إحضارا للحدث لإيقاف المتلقي على حقيقة الأمر واستعظامه.

ثم يسهب الإمامعليه السلام في وصف الأمر ويفصل فيه مستعملا أداة التحقيق مع الأفعال الماضية المسبوقة بأداة التوكيد.

وإن الدنيا قد تغّيرت وتنكّرت وأدبر

معروفها واستمرت حذّاء

تأكيد + فعل ماض مسبوق ب(قد) وعطفه على الأداة سلسلة

من الأفعال الماضية المنسوبة إلى الدنيا بما تحمله من معنى

السلب، إذ يرسم تصويرا واقعيا فداحة الأمر الحاصل والتي

ختمها بالفعل (استمرت جدا) وكأنه يودع أسماع المتلقين صرخة

لإيقاظهم مما هم فيه.

وتأكيدا لكلامه يرسم صورة بلاغية مدعومة بصياغة التشبيه ليودع عباراته قوة وحرارة بما تحمله تلك الصورة من أخيلة تثير العاطفة [٦٨].

لم يبق منها ← إلا صُبابة كصبابة الاناء

وخسيس عيش كالمرعى الوبيل

فضلا عما تتركه الألفاظ من معان (صبابة الإناء – خسيس عيش – المرعى الوبيل) تصب في الاضمحلال ونفاذ القوة، يرسم بموجبها أثرا داخل نفس المتلقين، ويعرض الإمام الحسينعليه السلام صورا مستمدة من الواقع الملموس

ألا ترون ← أَنّ الحَق لا يعمل به

ألا ترون ← أنّ الباطل لا يتنَاهى عنه

فقد مثلت صورة المطابقة التي ساقهاعليه السلام في عرض خطابه لغة ناطقة لحالة الفساد

والتردي التي تشهدها الدولة الإسلامية آنذاك، ويعمل اسلوب الخبر المتمثل بصياغة الشرط والتأكيد والنفي

ألا ترون ← أَنَّ الحَق ـــــــــــــــ لَا يُعْمَلُ بِهِ

أنَّ الباطل ـــــــــــــــ لا يتناهى عنه

وبهذا الخطاب المحكم أقام الحسين عليه السلام خطابه، عامدا إلى أن يصل به إلى مبتغاه وتحقيق ما يرمي نحوه الذي يتمثل بالحصول على الدعم بخطاب ينتهج الحكمة والتروي حينا والإثارة والاستبسال حينا آخر، فخطابه موجه إلى عامة المسلمين فغلبت عليه سمة الوضوح وقوة الإبلاغ المقرون ببسط الآراء ومناقشتها وتقديم نتائجها وتعزيز مخرجاتها، بحجج نقلية وعقلية ومنطقية، مدعومة ببديهيات في حقيقة النسب والقرابة والولاية والاقتباس من آيات الذكر الحكيم، والحديث النبوي الشريف، بما ينزع أي شك يتسرب إلى نفوس المتلقين، وحثهم على الالتزام بما يقره الشرع والدين والعقل من أحقية في ولاية المسلمين وإمامتهم

ودفع الباطل وأهله ولمن استله واغتصب حقه بأسلوب هادئ مرة وشديد مرة أخرى مما انطوت عليه نصوص الإمام الحسين عليه السلام.

الخاتمة

توصّل الباحثان من سعة فضل الله تعالى ومنّه عليهما إلى ثمرات عدّة في دراسة خطب الإمام الحسين عليه السلام في وقعة الطف لأبي مخنف الازدي (ت ١٥٧ هـ) – دراسة في ضوء تحليل الخطاب يمكن إيجازها على النحو الآتي:

١- إن الثقافة الإسلامية المتمثلة بالقرآن الكريم والسنة النبوية كان لها الدور الكبير في تكوين الشخصية المتكاملة للإمام الحسين.

٢- كان الإمام الحسين عليه السلام مدركا تماما طبيعة الدور الذي يضطلع فيه الاستدلال ولاسيما فيما يخص المتلقي، وهو الأمر الذي يؤكد كفاءته الحجاجية التي تعتمد على المعنى الحركي المؤثر والنسق الديني المهيمن.

٣- اعتمد الإمام الحسين عليه السلام في حجاجه بعض أساليب الاستدلال القرآني، والأحاديث النبوية والروافد الأدبية من شعر وأمثال استند إلى الخطاب الفاعل الذي لا يقبل سوى الصدق، وهو الأمر الذي ساعد في الكشف عن المقاصد التي تقع داخل النصوص وخارجها وهي تتوافق مع شخصية الإمام الحسين عليه السلام والمصادر التي استقى منها أساليب استدلاله.

٤- خطاب الامام الحسين عليه السلام موجّه إلى عامة المسلمين فغلبت عليه سمة الوضوح وقوة الإبلاغ المقرون ببسط الآراء ومناقشتها وتقديم نتائجها وتعزيز مخرجاتها، بحجج نقلية وعقلية ومنطقية، مدعومة ببديهيات في حقيقة النسب والقرابة والولاية والاقتباس من آيات الذكر الحكيم، والحديث النبوي الشريف، بما ينزع أي شك يتسرب إلى نفوس المتلقين، وحثهم على الالتزام بما يقره الشرع والدين والعقل

٥- إن هدف الإقناع من خطب الإمام الحسين عليه السلام هو إصلاح شأن الأمة الإسلامية بعدما طغى عليها الطغيان الأموي بمفاصله كلها، فالإصلاح غايته وهدفه عليه السلام وهو ما أراد أن تعيه الناس، محاولا إقناعهم بذلك والتأثير فيهم.

هوامش البحث:

١) الخطاب، سارة ميلز، ترجمة: يوسف بغول، منشورات مخبر الترجمة في الأدب واللسانيات، جامعة متنوري، قسنطينة، ٢٠٠٤، ٥٠.

٢) حول وضع العلوم الإنسانية ومشكلاتها من منظور ابستيمولوجي، يوسف بريك، مجلة جامعة دمشق، المجلد: ١٥، ع/ ٤، ١٩٩٩، ١٠٦

٣) حول حدود استحضار المقدس في الأمور الدنيوية: ملاحظات منهجية، ابراهيم ايراش: مجلة المستقبل العربي، بيروت، ع / ١٨٠، ١٩٩٤، ٥٠.

٤) لسان العرب، ابن منظور، المجلد الخامس، دار احياء التراث العربي، بيروت – لبنان، ٢١٩.

٥) ينظر: البلاغة وتحليل الخطاب، حسين خالفي، دار الفارابي، بيروت – لبنان، ط١، ٢٠١١.

٦) ينظر: وقعة الطف لابي مخنف، لوط بن يحيى الازدي، تحقيق الشيخ محمد هادي اليوسفي الغروي، المجمع العالمي لآهل البيت، ط ٣، دار المعارف – بيروت، ١٤٣٣ ه – ٢٠١٢ م: ص ١٩٧.

٧) ينظر: وقعة الطف ١٩٧.

٨) التصوير الفني في خطب المسيرة الحسينية من مكة الى المدينة، هادي سعدون هنون، العتبة العلوية المقدسة، ٢٠١١: ١٧٨.

٩) الخطاب الحسيني في معركة الطف دراسة لغوية وتحليل، عبد الكاظم محسن الياسري، كربلاء، العتبة الحسينية المقدسة ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م.

١٠) سورة القصص: ٢١

١١) سورة القصص: ٢٢

١٢) وهي منطقة واقعة ما بين واقصة الى عذيب الهجانات في أرض الحَزْن من ديار بني يربوع بن حنظلة، كما في معجم البلدان، المجلد الأول، ص٥٣٢.

١٣) سورة الفتح: ١٠

١٤)وقعة الطف: ص ٢٠٠

١٥) سورة لقمان: ٣٣

١٦) الامثل ١٣ / ٥٨

١٧) سورة يونس: ٧١

١٨) سورة الأعراف: ١٩٦

١٩) الامثل في تفسير كتاب الله المنزل: الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت –لبنان، ط: ٢، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م، ٦ / ٢٧٩.

٢٠) البيان والتبيين: ٢/ ١٧-٤١٨.
٢١) ينظر: التصوير الفني في خطب المسيرة الحسينية من مكة الى المدينة / ٣٣.
٢٢) وقعة الطف لابي مخنف، ١٩٩.
٢٣) مسند احمد: احمد بن حنبل، ترقيم محمد عبد السلام عبد، دار الكتب العلمية – بيروت ١٩٩٣، ٤ / ٢١٤.
٢٤) وقعة الطف لابي مخنف، ٢٣٧.
٢٥) المصدر نفسه، ٢٢٤.
٢٦) فضائل الصحابة، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن اسد الشيباني (ت٢٤١هـ)، تحقيق: وصي الله محمد عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ج٢، ١٩٨٣م.
٢٧) العقد الفريد: احمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي (ت٣٢٨هـ)، تحقيق محمد سعيد العريان، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٣٧٣هـ-١٩٥٤م: ٦ / ١١٨.
٢٨) ينظر: طبقات فحول الشعراء: محمد بن سلام، قرأه وشرحه: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، مصر (د. ت): ٢٤.
٢٩) العمدة في محاسن الشعر وآدابه: ابو علي الحسن بن رشيق (ت ٤٥٦هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م: ١/ ٢٨.
٣٠) المصدر نفسه: ١ / ٣٢.
٣١) وقعة الطف لأبي مخنف: ٢٣٠/ تاريخ اليعقوبي، احمد بن أبي يعقوب اليعقوبي، ج٢، ص٢٤٤ / تاريخ الأمم والملوك، الطبري، ج٥، ص٤٢٠/ مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الاصفهاني، ص٧٥ / الامالي، محمد بن علي الصدوق، ص٢٢١.
٣٢) وقعة الطف لابي مخنف: ٢٠٠.
٣٣) وقعة الطف لابي مخنف: ٢٠١، / كامل الزيارات، جعفر بن محمد بن قولويه، ص١٩٤/ الامالي، محمد بن علي الصدوق، ص ٢١٩/ تاريخ الأمم والشعوب، الطبري، ج٤، ص٣٠٥ / الارشاد، محمد بن محمد المفيد، ج٢، ص٨١.
٣٤) التصوير الفني في خطب المسيرة الحسينية / ٤٤.
٣٥) ينظر: معجم مجمع الأمثال: الميداني، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت – لبنان، ط٢، ١٩٨٧م: المقدمة: ١/ ٦.
٣٦) المعجم المفصل في الأدب: محمد التونجي، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط٢،

١٩٩٩م: ٢/ ٧٥٧.

٣٧) مفاتيح الغيب: الرازي، دار الفكر، بيروت – لبنان، ط٣، ١٩٨٥م: ٢/ ٨٠.

٣٨) الصورة الفنية في المثل القرآني: د. محمد حسين الصغير، دار الرشيد للنشر، العراق، ١٩٨١م، ٦٠.

٣٩) مجمع الامثال: ابو الفضل احمد بن محمد بن ابراهيم الميداني (ت٥١٨ه)، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، دار

الجيل بيروت – لبنان، ط٢، ١٤٠٧ه-١٩٨٧م: ١/ ٢٣٧.

٤٠) ينظر: جمهرة الأمثال: ١ / ٧٦.

٤١) تاريخ الطبري: ٥ / ٤١٨، الإرشاد: ٣٣٦، أعلام الورى: ٢٤٣، مقتل الخوارزمي: ١ / ٣٥٠، الكامل في التاريخ: ٣/ ٢٨٥.

٤٢) ينظر: التفسير النفسي للأدب: عز الدين إسماعيل، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٣ م: ٦٦

٤٣) ينظر مجمع الامثال: ٢/ ٣٢٢٠.

٤٤) سورة البقرة: ٢١٦

٤٥) ينظر وقعة الطف: ٢٣٦

٤٦) المصدر نفسه: ٢٣٠

٤٧) المصدر نفسه: ٢٣٠

٤٨) ينظر: وقعة الطف ١٩٩.

٤٩) مجمع الامثال: ٣/ ٣١٦.

٥٠) الطبري: ٥ / ٤٠٣.

٥١) التصوير الفني: ٦٦

٥٢) ينظر: تاريخ الشعر السياسي إلى منتصف ق ٢، احمد الشايب، مكتبة النهضة المصرية، ط٤، ١٩٦٤م: ١٩٩.

٥٣) الرسائل الأدبية ودورها في تطوير النثر العربي القديم (مشروع قراءة شعرية)، صالح بن رمضان، دار الفارابي، بيروت لبنان، ط١، ٢٠٠٢م: ٢٨١.

٥٤) ينظر: فن الخطابة، احمد الحوفي، دار النهضة للنشر، ١٩٧٢: ١٨١.

٥٥) ينظر وقعة الطف: ٢٠٠

٥٦) القياس المضمر: هو القياس الذي تضمر احدى مقدمتيه، او تضمر نتيجته، ويفترض على السامع استنتاجها من المقدمتين. ينظر: الرسائل الادبية: ٢٩١.

٥٧) سورة الأحزاب: ٢١

٥٨) الحسين ابو الشهداء، عباس محمود العقاد، تح، محمد جاسم الساعدي، فجر الإسلام، إيران، ط١، ٢٠٠٤م: ١٣٥.

٥٩) ينظر: التصوير الفني في خطب المسيرة الحسينية، هادي سعدون عنون، إصدارات العتبة العلوية المقدسة، ٢٠١٢، م: ١٩

٦٠) لسان العرب: ابن منظور، دار صادر، بيروت، د. ت، مادة (جدل).

٦١) الخطابة: أرسطو، تعريب عبد الرحمن بدوي، دار الشؤون الثقافية، بغداد ١٩٨٦م، مقالة ١، الفصل الثاني، ١٣٥٦أ

٦٢) ينظر: الخطاب السياسي في رسالة الخميس لأحمد بن يوسف الكاتب (دراسة فنية)، أد. رمضان صالح عباد، بحث منشور، مؤتمر كلية الآداب، ٢٠١٢م: ١٦.

٦٣) ينظر: جواهر البلاغة في البيان والبديع، احمد الهاشمي، دار إحياء التراث العربي، بيروت–لبنان: ٣٧.

٦٤) ينظر: وقعة الطف ٢٣٧–٢٣٨

٦٥) ينظر: فن الخطابة، محمد تحريشي، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق ٢٠٠٠م: ١٩.

٦٦) ينظر: الخطابة العربية في عصرها الذهبي، احسان النص، دار المعارف، مصر، ١٩٦٣م: ١٨٣.

٦٧) ينظر: وقعة الطف: ١٩٩.

٦٨) ينظر: فن الخطابة: ١٨٣.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

*الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت –لبنان، ط: ٢، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.

* البلاغة وتحليل الخطاب، حسين خالفي، دار الفارابي، بيروت – لبنان، ط١، ٢٠١١.

*البيان والتبيين: ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد *هارون، مكتبة الخانجي، مصر، ط٢، ١٣٨٠- ١٩٦٠م.

*تاريخ الشعر السياسي إلى منتصف ق ٢، احمد الشايب، مكتبة النهضة المصرية، ط٤، ١٩٦٤م

*التصوير الفني في خطب المسيرة الحسينية من مكة الى المدينة، هادي سعدون هنون، العتبة العلوية المقدسة، ٢٠١١.

*جواهر البلاغة في البيان والبديع، احمد الهاشمي، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان

*الحسين ابو الشهداء، عباس محمود العقاد، تح، محمد جاسم الساعدي، فجر الإسلام، إيران، ط١ ٢٠٠٤م.

*حول حدود استحضار المقدس في الأمور الدنيوية: ملاحظات منهجية، ابراهيم ايراش: مجلة المستقبل العربي، بيروت، ع/ ١٨٠، ١٩٩٤

*حول وضع العلوم الإنسانية ومشكلاتها من منظور ابستيمولوجي، يوسف بريك، مجلة جامعة دمشق، المجلد: ١٥، ع/ ٤، ١٩٩٩.

*الخطاب، سارة ميلز، ترجمة: يوسف بغول، منشورات مخبر الترجمة في الأدب واللسانيات، جامعة متنوري، قسنطينة، ٢٠٠٤

*الخطابة: أرسطو، تعريب عبد الرحمن بدوي، دار الشؤون الثقافية، بغداد ١٩٨٦م، مقالة ١، الفصل الثاني، ١٣٥٦أ

*الخطاب الحسيني في معركة الطف دراسة لغوية وتحليل، عبد الكاظم محسن الياسري، كربلاء، العتبة الحسينية المقدسة، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م.

* الخطاب السياسي في رسالة الخميس لأحمد بن يوسف الكاتب (دراسة فنية)، أد. رمضان صالح عباد، بحث منشور، مؤتمر كلية الآداب، ٢٠١٢م

*الخطابة العربية في عصرها الذهبي، احسان النص، دار المعارف، مصر، ١٩٦٣م.

*الرسائل الأدبية ودورها في تطوير النثر العربي القديم (مشروع قراءة شعرية)، صالح بن رمضان، دارالفارابي، بيروت، لبنان، ط١، ١٠٠٢م.

*الصورة الفنية في المثل القرآني: د. محمد حسين الصغير، دار الرشيد للنشر، العراق، ١٩٨١م

*طبقات فحول الشعراء: محمد بن سلام، قرأه وشرحه: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، مصر (د. ت): ٢٤.

*العقد الفريد: احمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي (ت٣٢٨هـ)، تحقيق محمد سعيد العريان، دار الفكربيروت، ط٢، ١٣٧٣هـ-١٩٥٤م.

*العمدة في محاسن الشعر وآدابه: ابو علي الحسن بن رشيق (ت ٤٥٦هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

*فضائل الصحابة، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن اسد الشيباني (ت٢٤١هـ)، تحقيق: وصي الله محمد عباس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ج٢، ١٩٨٣م.
*فن الخطابة، احمد الحوفي، دار النهضة للنشر، ١٩٧٢.
*فن الخطابة، محمد تحريشي، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق ٢٠٠٠م.
* لسان العرب، ابن منظور، المجلد الخامس، دار احياء التراث العربي، بيروت – لبنان
*مسند احمد: احمد بن حنبل، ترقيم محمد عبد السلام عبد، دار الكتب العلمية – بيروت ١٩٩٣.
*معجم مجمع الأمثال: الميداني، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت – لبنان، ط٢١٩٨٧م.
*المعجم المفصل في الأدب: محمد التونجي، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط٢، ١٩٩٩م.
*مفاتيح الغيب: الرازي، دار الفكر، بيروت – لبنان، ط٣، ١٩٨٥م.
*وقعة الطف لأبي مخنف، لوط بن يحيى الازدي، تحقيق الشيخ محمد هادي اليوسفي الغروي، المجمع العالمي لآهل البيت، ط ٣، دار المعارف – بيروت، ١٤٣٣ هـ – ٢٠١٢ م.

ثورة الامام الحسين عليه السلام الإصلاحية وابعادها الانسانية في العالم الإسلامي: رؤية اجتماعية

Reformist Imam Al-Hussein Revolution and Its Humanitarian Scopes in the Islamic World (Social View)

أ. م. د. حمدان رمضان محمد

Asst. Prof. Dr. Hamdan Ramadhan Mohammed

ثورة الامام الحسين عليه السلام الإصلاحية وابعادها الانسانية في العالم الإسلامي: رؤية اجتماعية

Reformist Imam Al-Hussein Revolution and Its Humanitarian Scopes in the Islamic World (Social View)

أ. م. د. حمدان رمضان محمد
جامعة الموصل / كلية الآداب / قسم علم الاجتماع

Asst. Prof. Dr. Hamdan Ramadhan Mohammed
Dept of Sociology/College of Arts/University of Mosul

hamdan1966@yahoo. com

تاريخ الاستلام: ٨/ ٨/ ٢٠٢٠
تاريخ القبول: ٣٠/ ١٢/ ٢٠٢٠

خضع البحث لبرنامج الاستلال العلمي
Turnitin - passed research

ملخّصُ البحث:

استهدف البحث التعرف إلى الابعاد الانسانية والروحية والتربوية والثقافية لثورة الامام الحسين عليه السلام التي كانت من أهدافها العظيمة وغاياتها الاساسية الاصلاح، واستخدمنا المنهج الوصفي للتحليل في البحث، فضلا عن المنهج التاريخي من طريق الاستقراء والاستدلال والاستنتاج لتثبيت الحقائق ومأثر واقول الامام الحسين عليه السلام، مسترشدين بالأدبيات التاريخية والبحوث والمقالات المكتوبة في ذلك، وتوصل البحث الى عدة استنتاجات اهمها.

١- ان ثورة الإمام الحسين عليه السلام تحمل الكثير من المعاني والأبعاد والدلالات والعبر والدروس.

٢- جسدت ثورة الامام الحسين عليه السلام الاصلاح والهداية لكل البشرية من دون استثناء.

٣- إن سلوك الإمام الحسين منذ خروجه من المدينة حتى يوم استشهاده في كربلاء كان منطوياً على المعنويات والعزة والشموخ و مغموراً بالعبودية والتسليم المطلق لأمر الله.

٤- ان ملحمة كربلاء من أهم الأَحداث العالمية، بل من أهمّ ما حققته البشرية من إنجازات رائعة في ميادين الكفاح المسلّح ضدّ الظلم والطغيان.

الكلمات الدالة: الثورة، الاصلاح، التغيير، الثقافة، الاسلام.

Abstract

The study aims at identifying the human, spiritual, educational, and cultural dimensions of the Imam's revolution, which are between the greatest goals of reformation. There is a use to the descriptive approach to analyze, in addition to the historical approach through induction, inference, and conclusion to confirm the facts. The research reaches several conclusions:

1- The Imam Hussein's Revolution takes many meanings, dimensions, connotations, lessons, and lessons.

2-The revolution of Imam Husain, peace be upon him, embodies reform and guidance for all humanity without exception.

3-Imam Al-Hussein's behavior from his departure from Madinah until the day of his martyrdom in Karbala is of morale , pride and dignity and designates servitude and absolute surrender to the command of God.

4- The Karbala epic is one of the most important international events, and indeed one of the most remarkable achievements of humankind in the fields of armed struggle against oppression and tyranny.

Key words: revolution, reform, change, culture, Islam.

المقدمة

قال تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وأولئك هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (آل عمران: آية١٠٤) من هذه الآية الكريمة ومن مقولة سيدنا الحسين عليه السلام ننطلق الى تحليل جزء من المواقف والقيم الانسانية من ثورة الامام الحسين عليه السلام ومآثره ومناقبه مستشهدين بقوله حينما قال: (هل من ناصر ينصرني؟ هل من ذابّ يذبُّ عن حرَمِ رسول الله) (قناة العالم، ٢٠١٦). استغاث الحسين بهذا النداء بعد استشهاد جميع أنصاره وأهل بيته الطيبين الطاهرين رضوان الله عليهم جميعا مخاطبا المجتمع الانساني ليسجل التاريخ اروع وابرز ملحمة عرفتها الانسانية من الشجاعة، والبسالة، والتضحية، والبطولة، والفداء بوجه الظلم والاستبداد والطغاة في ذلك العصر ليكون بذلك طريقا ينير الدرب في السير الى الحق والشهادة من اجل المبادئ العليا لبناء الانسان.

ان الثورة الحسينية شجرة معطاءة تؤتي ثمارها منذ انبثاقها وعلى مر التاريخ، والسر الكامن في هذا الخلود المشرق انها جاوزت الحدود المألوفة للحركات والثورات والنهضات البشرية حيث انها ثورة شاملة تعكس في مكوناتها وتداعياتها مختلف جوانب الحياة العقدية والخلقية والسلوكية والثقافية والاجتماعية، فليس من الغريب ان بها حاجة الى دراسة عناصرها التي ساهمت في تكوين هذه المنظومة الشاملة فقلما نجد ثورة بشرية على مستوى تغيير انظمة الحكم او الظروف الاجتماعية يهمها الالتزام بالقيم والدفاع عن المبادئ، وهذا ينم بهادفية هذه الثورة بما انها لم تكن حركة عشوائية تنطلق من مبدأ الصدفة وتشق طريقها عبر اسباب خارجة عن ارادة المقيمين لها، بل انها خطة ممنهجة جمعت بين تخطيط هادف مسبق وبين المبادئ والقيم التي ترسم خطوطها العريضة، اضافة الى مكانة رائدها وقائدها فهو اهم عنصر في رقي هذا التخطيط (فكري، ٢٠١٧: ص٣٤٣).

وعليه فان ثورة الإمام الحسين عليه السلام هي ثورة إنسانية كبرى بكل أبعادها حدثت في عصر معين لكن إشعاعاتها وقيمها ومثلها ومحتواها الإنساني الكبير يشع على كل أمم الأرض مادام الظلم والاضطهاد قائمين في هذا العالم. ولابد لنا أن نستحضر قيم تلك الثورة الخالدة في كل لحظة من لحظات هذا الزمن الذي تجبر فيه طواغيت الأرض وازدادوا عتوا كبيرا وتمادوا في غطرستهم وعنجهيتهم وظلمهم لبني البشر. وحين نستحضر قيم تلك الثورة المجيدة وأهدافها لننهل من نبعها الثر، ودفقها المتجدد نزداد ثقة وعزيمة بقدرة كل من سُلب حقه وامتُهنت كرامته وصودرت آماله، ووضع نصب عينيه ثورة الإمام الحسين عليه السلام لانتزاع ذلك الحق المصادر. لأنه لابد أن يقول للظالم قف عند حدك لأن ساعة الخلاص آتية لا محالة. وما دام هذا الدفق يتجدد كالسيل الأزلي ومادام هذا الشعاع المحمدي الخالد يظل يخترق المسافات لينير طريق الحرية والكرامة لكل شعوب الأرض المظلومة لذا فإن الكتابة عن الحسين عليه السلام متجددة أيضا وهي كالبحر الذي لا ينتهي تدفقه ولا يجف عطاؤه مادامت شعوب الأرض. (المهاجر، ٢٠١٢). وبناء على ما سبق قسّم البحث الى عدة محاور منها:

•اشكالية البحث

لقد فجّر الإمام الحسين عليه السلام أبو الأحرار ثورته الكبرى التي أوضح الله بها الكتاب وجعلها عبرة لأولي الألباب، فدكّ بها حصون الظلم، وقلاع الجور. ان ملحمة كربلاء من أهم الأحداث العالمية، بل من أهمّ ما حققته البشرية من إنجازات رائعة في ميادين الكفاح المسلّح ضدّ الظلم و الطغيان، فقد غيّرت مجرى تاريخ الشعوب الإسلامية، وفتحت لها آفاقاً مشرقة للتمرّد على الظلم والطغيان. لقد ألهبت هذه الملحمة الخالدة عواطف الاحرار، في سبيل تحرير المجتمع من نير العبودية والذلّ، وإنقاذه من الحكم غير الشرعي.

ان ثورة الإمام الحسين عليه السلام، لم تكن ثورة انفعالية، ولا حركة عشوائية، ينقصها الوضوح في الرؤية، أو القصور عن تحديد الغايات والأهداف، بل كانت ثورة واعية، لها رؤيتها الواضحة، وأهدافها المحددة، والتي كشف عنها مفجرها في أول بيان من بياناته المتعلقة بها، وذلك حين قال صلوات الله وسلامه عليه: (إني لم أخرج أشرا، ولا بطرا، ولا ظالما، ولا مفسدا، إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي، أريد أن آمر بالمعروف، وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي رسول الله، وأبي أمير المؤمنين، فمن قبلني بقول الحق، فالله أولى بالحق، ومن رد عليّ أصبر هذا، أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق، وهو خير الحاكمين)(قناة العالم، ٢٠١٦). وعليه فان الموضوع يستحق البحث والدراسة.

•تساؤلات البحث.

تطرح ورقة البحث اسئلة عديدة من اجل الإجابة عليها.

ما معاني التضحية في ثورة الامام؟. ما ابعاد ثورة الامام عليه السلام الاصلاحية في المفهوم الانساني المعاصر؟. ما طبيعة الاصلاح الاجتماعي في فكر الامام الحسين؟. ما الجوانب التربوية والثقافية والسياسية والاجتماعية المستلهمة من ملحمة الامام في واقعة الطف في كربلاء المقدسة؟. لماذا لا نستلهم الدروس والعبر من ثورة الامام الحسين عليه السلام على الظلم؟ كيف يمكن ان نقيس ثورة الامام الحسين مع الثورات الاخرى في العالم اليوم؟. ما المبادئ والاهداف العظيمة لثورة الامام؟. ما المعطيات العاطفية والثقافية لثورة الامام الحسين عليه السلام ؟. ما الدروس المستفادة من ثورة الامام الحسين عليه السلام؟. هل جسدت ثورة الإمام الحسين عليه السلام في نهضتها قيم ومبادئ وحقوق الأمة والبشرية جمعاء؟. هل استطاعت ثورة الحسين عليه السلام ان تصل في تأثيرها الى المستوى المتناسب مع حجم الاهتمام بها من جانب الائمة والعلماء والباحثين عبر العصور؟.

•اهداف البحث.

يسعى البحث الى تحقيق عدة اهداف منها:

١ –تحديد المعاني والدلالات البطولية من ثورة الامام الحسين عليه السلام.

٢ – تشخيص اسباب ثورة الامام على الظلم والاستبداد.

٣– ابراز اقوال المستشرقين الغربيين في مآثر الامام الحسين عليه السلام.

٤ – التعرف الى الابعاد الانسانية والاجتماعية والسياسية الرئيسة لثورة الامام.

٥– معرفة المبادئ والملامح الوجدانية والثقافية للإمام في سبيل ارساء القيم النبيلة في العالم الاسلامي.

• منهج البحث.

استخدمنا في البحث المنهج الوصفي التحليلي، فضلا عن المنهج التاريخي من خلال الاعتماد على الاستقراء والاستدلال والاستنتاج في النصوص الواردة في الادبيات والمقالات العلمية المكتوبة عن سيرة حياة الامام الحسين عليه السلام، لتحليل موضوع البحث.

•تحديد مفاهيم البحث.

١ .مفهوم الثورة.

التعريف اللغوي للثورة: عند الرجوع الى قاموس معجم المعاني في اللغة العربية نجد أنه تناول تعريف الثورة على الشكل الآتي: ثَوْرة (اسم): ، ثَوْرة: مصدر ثارَ، والجمع منها: ثَوْرات و ثَوَرات. والثَّوْرَة: تغيير أساسي في الأوضاع السياسية والاجتماعية يقوم به الشعب في دولةٍ مّا. وثورة أهليّة: ثورة يقوم بها المدنيُّون، وثورة بيضاء، ثورة سِلْميَّة: ثورة تحقِّق أغراضها بدون سلاح أو إراقة دماء. وثورة مُسلَّحة: ثورة تعتمد السلاحَ وسيلةً للتغيير، وثورة مُضادَّة: ثورة معاكسة لثورة أخرى.

وعند البحث في مصدر آخر في اللغة العربية عن معنى الثورة، نجد في لسان

العرب أن كل ما كتب حول مادة ثار ثار الشيء هاج، ثورة الغضب حدته، والتأثر الغضبان، ويقال للغضبان أهيجَ ما يكون وقد ثار ثائره وفار فائره إذا غضب وهاج غضبه، وثار إليه وثب ويربط اللسان العربي لفظ الثورة بذلك لغويا أو إيحاءً لغويا بمعاني عدم الانضباط والغضب. ورغم هذا الالتجاء الى قاموس المعاني ولسان العرب نجد أن مفهوم الثورة لديهما قاصر عن التعبير عن مفهوم الثورة بشكل جامع ومانع من كل قصور للمفاهيم السائدة حول الثورة؛ خاصة مع تعدد اشكال الثورات واغراضها وادواتها(الاخرس، ٨١٠٢).

اما التعريف الاصطلاحي للثورة فيتضمّن: «المطالبة بتغيير النظام الحاكم القائم واستبداله بنظام جديد»، ويقول (أرسطو) في كتابه السياسة عند تعريف الثورة: إن جميع أنماط الحكم معرضة للثورة والانقلاب، وذلك بما فيها من نمطَيْ الحكم الأساسيّين: (الأوليغاركية والديمقراطية)، وهذا ما يسمّى بنظام الحكم المتوازن، أو نظام الحكم الدستوري، أو نظام الحكم الأرستقراطي، في حين وجد أرسطو أن الأوليغاركية والديمقراطية هما من عناصر تحقيق العدالة، لكنّ كلَيْهما لم يسلَما من خطر الثورة عندما لا يلبّي النظام الحاكم جميع متطلبات الشعب، ومن الممكن تقسيم الثورة إلى نوعين:

النوع الأول: يؤدّي إلى تغيير الدستور القائم، فيستبدل نظام الحكم بشكلٍ كامل.

والنوع الثاني: يهدف إلى تغيير الحكام مع البقاء على نظام الحكم القائم. لذلك يتمّ تعريف الثورة بأنّها: «اندفاع من الشعب بالمطالبة بتغيير الأوضاع السياسية أو الاجتماعية تغييرًا جذريًا»(بشارة، ٢٠١٢: ص٧-٨).

والثورة مصطلح سياسي يعني: «الخروج عن الوضع الراهن وتغييره باندفاع يحركه عدم الرضا أو التطلع إلى الأفضل أو حتى الغضب». والثورة تدرس على أنها «ظاهرة اجتماعية تقوم بها فئة أو جماعة ما هدفها التغيير (لا تشترط سرعة

التغيير) وفقا لأيدولوجية هذه الفئة أو الجماعة، ولا ترتبط بشرعية قانونية، كما تعبر عن انتقال السلطة من الطبقة الحاكمة إلى طبقة الثوار». في حين يعرفه اخرون بانها: «هو التغيير الكامل لجميع المؤسسات والسلطات الحكومية في النظام السابق لتحقيق طموحات التغيير لنظام سياسي نزيه وعادل ويوفر الحقوق الكاملة والحرية والنهضة للمجتمع». والمفهوم الدارج أو الشعبي للثورة هو«الانتفاض ضد الحكم الظالم». الثورة ظاهرة مهمة جداً في التاريخ السياسي يعني بالثورة: «هي حركة سياسية في البلد حيث يحاول الشعب أو الجيش أو مجموعات أخرى في الحكومة إخراج السلطة الحاكمة. يستخدم هذه المجموعات الثورية العنف في محاولة إسقاط حكوماتها. يؤسس الشعب أو الجيش حكومة جديدة في البلد بعد إسقاط الحكومة السابقة. ويسمى هذا التغيير في نظام الحكومة (أوفي القيادة الحاكمة) "الثورة" لأنه يصبح إلى السلطة الحاكمة الجديدة»(ويكيبيديا، د. ت).

وتعرف الثورة بانها: «التغيير المفاجئ السريع بعيد الاثر في الكيان الاجتماعي لتحطيم استمرار الاحوال القائمة في المجتمع وذلك بإعادة تنظيم وبناء النظام الاجتماعي بناء جذرياً». (عليوي، ٢٠١٦). وعند الذهاب الى (موسوعة علم الاجتماع) نجدها تعرف الثورة بأنها: «التغييرات الجذرية في البنى المؤسسية للمجتمع، تلك التغييرات التي تعمل على تبديل المجتمع ظاهريا وجوهريا من نمط سائد إلى نمط جديد يتوافق مع مبادئ وقيم وإيديولوجية وأهداف الثورة، وقد تكون الثورة عنيفة دموية، وقد تكون سلمية، وتكون فجائية سريعة أو بطيئة تدريجية». ويستخدم المصطلح للتعبير عن تغييرات جذرية في مجالات غير سياسية كالعلم والفن والثقافة لأن الثورة تعني التغيير، واستخدم مفهوم الثورة بالمعنى السياسي في أواخر القرون الوسطى، ويستخدم في علم الاجتماع السياسي للإشارة

إلى التأثيرات المتبادلة للتغييرات الجذرية والمفاجئة للظروف والأوضاع الاجتماعية والسياسية (الاخرس مصدر سابق: ص١).

والثورة بوصفها مصطلحا سياسيا يمكن تعريفها ايضا بانها: «الخروج عن الوضع الراهن سواء إلى وضع أفضل أو اسوأ من الوضع القائم»، وللثورة تعريفات معجمية تتلخص بتعريفين ومفهومين: التعريف التقليدي القديم الذي وضع مع انطلاق الشرارة الأولى للثورة الفرنسية وهو« قيام الشعب بقيادة نخب وطلائع من مثقفيه لتغيير نظام الحكم بالقوة». وقد طور الماركسيون هذا المفهوم بتعريفهم للنخب والطلائع المثقفة بطبقة قيادات العمال التي سماها(البروليتاريا). اما التعريف أو الفهم المعاصر والاكثر حداثةً فهو« التغيير الذي يحدثه الشعب من خلال أدواته «كالقوات المسلحة» أو من خلال شخصيات تاريخية لتحقيق طموحاته لتغيير نظام الحكم العاجز عن تلبية هذه الطموحات ولتنفيذ برنامج من المنجزات الثورية غير الاعتيادية». وقد تعني الثورة في معنى آخر« التطور الايجابي كما هو متعارف عليه في مجال التكنولوجيا والعلوم التطبيقة اذ يستخدم مصطلح (ثورة) في الإشارة إلى ثورة المعلومات والتكنولوجيا»)مفهوم الثورة، د. ت، على موقع فيسبوك).

ويمكن تحديد تعريف لمفهوم الثورة في حدود بحثنا: بانها مفردة تأخذ معنى متعدد الدلالات والاشكال، ولأنه مفهوم حداثي متطور باستمرار ومرهون ومرتبط منذ الازل بتطور الانسانية وادوات تعبيرها عن فكرة الحق والحرية والعدالة والمساواة ودفع الظلم، وبقية الامور المطلبية الاخرى، المرتبطة بحقيقة وجود الانسان وتطوره منذ نشأة الخليقة وحتى عصرنا، فإننا نجد ان أقرب كلمة إلى مفهوم الثورة المعاصرة هي الخروج

٢.مفهوم الاصلاح.

التعريف اللغوي للإصلاح: «زال عنه الفساد، صلح الشئ أي زال فساده. ، والصلاح الاستقامة والسلامة من العيب»(المعجم الوسيط، ٢٠٠٥: ص٥٤٠). ويعرف لغة ايضا بانه نقيض الإفساد(لسان العرب والصحاح)، والصلاح ضد الفساد، يقال رجل صالح في نفسه من قوم صلحاء، ومصلح في أعماله وأموره، ويقول الراغب في المفردات(الصلح يختص بإزالة النفار بين الناس, وإصلاح الله تعالى الإنسان يكون تارة بخلقه إياه صالحا، وتارة بإزالة ما فيه من فساد بعد وجوده، وتارة يكون بالحكم له بالصلاح) (خيري، ٢٠١٦).

اما اصطلاحا فالإصلاح: هو« الحركة العامة الموجهة لإحداث تغيير تدريجي بطيء في المجتمع، تستند في التزامها بالتغيير إلى الإرادة الواعية لأفراد المجتمع، وتهدف إلى إزالة الخلل والفساد المنتشر في قطاعات المجتمع المختلفة، وتحقيق تكافؤ الفرص والعدالة أمام القانون بين جميع أفراد المجتمع وفئاته المختلفة، والعمل على تنمية أساليب المشاركة المجتمعية في بناء المجتمع وتطويره إلى الأفضل، والتمتع بجميع الحريات المدنية والسياسية وحقوق الإنسان في المجتمع». وعرف الإصلاح في ابسط تعريف له بانه «تحسين وضع أو تعديل ما هو خطأ، أو الفاسد، أو غير المرضي، وما إلى ذلك(الجراح، ٢٠١٤) اما المعنى الاجتماعي للإصلاح، يعني «التغيير إلى الأحسن، وتحقيق التقدم وتحديث المجتمع. وينبع هذا التغيير من احتياجات المواطنين، ولا تمليه الصفوة ولا تفرضه فرضاً». ويشير الإصلاح الاجتماعي إلى« الحركة العامة التي تحاول القضاء على المساوئ التي تنشأ من خلل وظائف النسق الاجتماعي أو أي جانب من هو يقع الإصلاح الاجتماعي في مفهومه وأهدافه بين الخدمة الاجتماعية والهندسة الاجتماعية». (الصالحي، ٢٠٠٨).

ان المقصود بالإصلاح هو« أحداث تغيير نوعي في نمط الاستجابة للمؤثرات المحيطة بالفرد سواء كانت المؤثرات داخلية أم خارجية, وهذا التغيير النوعي في الاستجابة يتبعه تغيير في نمط سلوك الفرد وتصرفه حيال المثيرات والمحذورات في الموقف ويتحدد نوع هذا التغيير في نمط الاستجابة وفي نوعية السلوك في مقاييس وقواعد الآداب والسلوك المتبعة في المحيط الاجتماعي». فإصلاح سلوك الفرد وتقويمه في نطاق علم الإجرام يتحدد في أحداث تغير يتحول في نمط الاستجابة ومن ثم في نوعية السلوك, من السلوك المضاد إلى المجتمع إلى السلوك المنسجم مع قوانين المجتمع وقواعد السلوك والآداب السائدة فيه(العلواني، ٢٠١٦).

في حين يشير مفهوم الإصلاح الاجتماعي من وجهة نظر اخر إلى« تحسين الأحوال الاجتماعية من طريق تعديل في بعض النظم الاجتماعية دون أن يؤدي إلى تغيير شامل في البناء الاجتماعي بشكل جذري»(عليوي، مصدرسابق، ص٢) بينما يعرف الآخرون الإصلاح الاجتماعي، بانه« تعديل غير جذري في النظام السياسي والاجتماعي القائم، من دون مساس بالقواعد والأسس. ويهدف إلى إحداث تغيير في الشكل وتعديل في التفاصيل، وإزالة خطأ من الأخطاء. ولا يعدو أن يكون محاولة تحسين، أو رتق الشيء وسد ما هو موجود بالفعل؛ فالإصلاح أشبه بالدعائم التي تحول دون انهيار المبنى». (الجراح، مصدرسابق: ص١).

لقد وردت كلمة (صلح) ومشتقاتها في القرآن الكريم أكثر من مائة وثمانين مرة فإذا نسبنا الصلاح للإنسان كانت له معانٍ، وإذا نسبناها الى الاشياء ترتب عليها نتائج وكذلك إذا نسبناه الى العمل، إن الاصلاح هو» جعل الشيء صالحاً – أي ذا صلاح – ويقابل الاصلاح الفساد والإفساد، والفساد خروج الشيء عن الاعتدال، وتبلغ مفردات كلمة (فسد) قرابة خمسين مفردة في القرآن الكريم في الماضي والحاضر

واسم الفاعل والمصدر»، ولعل واحداً من تعريفات الاصلاح هو(الانخراط في عملية متواصلة من إقامة نظام اجتماعي عادل ثم حمايته وتطويره) او(هو الثبات على حالة الاعتدال والاستقامة او المواءمة مع الكون والانسان)(الربيع، ٢٠١٧).

ان الإصلاح ورد بمعان عديدة منها: ما يقابل الفساد ﴿وَلاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا﴾(الأعراف: ٥٦)، وما يقابل السيئة﴿خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا﴾)(التوبة: ١٠٢)، وتوفيقَ الله لعباده لعمل الصَّالحات ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ﴾ (الأحزاب: ٧١)، ومحو التباغض بين المتخاصِمين: ﴿وَلاَ تَجْعَلُواْ اللهَّ عُرْضَةً لِّأَيْمَانِكُمْ أَنتَبَرُّواْ وَتَتَّقُواْ وَتُصْلِحُواْ بَيْنَ النَّاسِ وَاللهُّ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة: ٢٢٤).

وقد أشارت الكثير من النصوص إلى مفهوم الإصلاح بمعانيه المتعددة، وجعله القران جوهر الرسالات السماوية، فوصف به إبراهيم: ﴿وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (البقرة: ١٣٠)، وعيسى ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (آل عمران: ٤٦) ، وشعيب ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللهِّ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وإليه أنيب﴾ (هود: ٨٨) يقول الرازي في تفسيره الكبير والمعنى: ما أريد إلا أن أصلحكم بموعظتي ونصيحتي، وقوله ما (استطعت) فيه وجوه: الأول: أنه ظرف والتقدير مدة استطاعتي للإصلاح وما دمت متمكنا منه لا آلو فيه جهدا. والثاني: أنه بدل من الإصلاح, أي المقدار الذي استطعت منه. والثالث: أن يكون مفعولا له أي ما أريد إلا أن أصلح ما استطعت إصلاحه. ثم يميز القران الكريم بين الإصلاح الحقيقي على الوجه السابق بيانه وادعاء الإصلاح(وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون، ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون) يقول القشاني: (كانوا يرون الصلاح في تحصيل المعاش، وتيسير أسبابه،

وتنظيم أمور الدنيا لتوغلهم في محبة الدنيا) (محاسن التأويل للقاسمي، ١/ ٢٥٢).

ومن ثم فان العلاقة بين هذه التعريفات هى علاقه تكامل لا تناقض. والتعريف الذى نرجحه لمفهوم الاصلاح منظور اليه من زاوية منهجية، هو تعريفه بأنه: «تغيير تدريجي جزئي سلمي». ومن ادلة الإصلاح (كتغيير تدريجي جزئي سلمي) قوله صلى الله عليه وآله(من رأى منكم منكراً فليغيره بيده إن استطاع، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان، ليس بعد ذلك من الإيمان شيء) (صحيح مسلم رقم ٧٨). ويأخذ الإصلاح كنمط للتغيير اشكالا عدة أهمها التقويم الذى عبر عنه أبو بكر الصديق بقوله: (إني قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني). والتقويم يعبر عن موقف يتجاوز كل من موقفي الرفض المطلق والقبول المطلق إلى موقف نقدي قائم على قبول الصواب، ورفض الخطأ، فهو نقد للسلطة لتقويمها أي بهدف الكشف عن أوجه قصورها عن أداء دورها. ومن أشكال الإصلاح النصح لقوله صلى الله عليه وآله(الدين النصيحة، قيل: لمن يا رسول الله، قال: لله ولكتابه ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم) يقول الباقلاني بعدما ذكر فسق الإمام وظلمه: بل يجب وعظه و تخويفه، و ترك طاعته في شيء ممّا يدعو إليه من معاصي الله)(التمهيد ١٨٦).

وطبقا لهذا التعريف فان للإصلاح خصائص معينة هي:

اولا: التدرج: الاصلاح تغيير تدريجي وهنا يجب التمييز بين نوعين من انواع التدرج:

ا/ التدرج في التشريع: أي التدرج في بيان درجة الالزام في القاعدة الشرعية المعينة.

ب/ التدرج في التطبيق: أي التدرج في تطبيق القاعدة الشرعية وليس في بيان درجة الإلزام فى القاعدة الشرعية.

ثانيا: الموقف النقدي (التقويمي): ومضمون الاصلاح المعرفي هو الموقف النقدي (التقويمي)، وهو الموقف الذى يتجاوز كل من موقفي الرفض والقبول المطلقين، إلى موقف قائم على أخذ وقبول ما هو صواب، ورد ورفض ما هو خطأ(خيري، مصدر سابق: ص٨).

اما تعريف الاصلاح في حدود بحثنا فهو: النهج الفكري والاصلاحي الذي قاده الامام الحسين عليه السلام النابع من ال بيت الرسول صلى الله عليه وآله لتصحيح المسار المنحرف الذي وقع فيه بنو امية عند استلابهم للسلطة بالقوة، مما دفع بالإمام الى مقارعة الظلم والاستبداد بالثورة لاسترجاع هيبة الاسلام في ملحمة كربلاء المقدسة في واقعة الطف الاليمة.

٣.علاقة الاصلاح بالثورة.

لا يكتمل تناول مفهوم الإصلاح إلا بتناول علاقته بمفهوم الثورة بوصفه نمطا آخر للتغيير يتصف بالفجائية والكلية، وهنا نجد مذهبين فى تحديد طبيعة العلاقة بين المفهومين:

أولا: مذهب الجمع: ويقوم على الجمع بين الإصلاح (كنمط تغيير تدريجي جزئي) والثورة(كنمط تغيير فجائي كلى) على وجه يرفع التعارض (التناقض) بينهما، من خلال مفهوم المفاضلة: اى من خلال تقديم الإصلاح على الثورة زمانيا وقيميا، وذلك باعتبار الإصلاح هو نمط التغيير الأصل، ومن ثم الالتزام به، ما دامت تتوافر امكانية التزام به، بينما الثورة هي نمط التغيير الفرع، وان الالتزام بها لا يكون إلا في حالة عدم توافر امكانية الالتزام بالإصلاح

ثانيا: مذهب الإفراد: وهناك مذهب الإفراد ويتضمن العديد من المذاهب التي تتطرف فى تأكيد نمط تغيير معين (الإصلاح او الثورة) لدرجة إلغاء نمط التغيير الآخر(خيري، مصدرسابق، ٢٠١٦).

ويتبين مما سبق أن الإصلاح هو تحويل وتغيير غير جذري في شكل وانماط العلاقات الاجتماعية دون المساس بأسس وقواعد الإصلاح الاجتماعي والاقتصادي والثقافي للدولة، بينما الثورة تكون أعنف من الإصلاح وتأتي خيارا نهائيا عندما تستعصى أدوات الإصلاح عن تحقيق الهدف الأسمى لها في إحداث تغيير شامل في البنى الاجتماعية والاقتصادية للدولة، بل يؤدي في حال تعذرها إلى حالةٍ من التمرد والعصيان وتدخل البلاد في حالة حربٍ أهلية ينجمُ عنها الفوضى وقتل للمدنيين نتيجةً لعدم توافق صياغة نموذجية مشتركة بين الأطر السياسية حول بناء نموذج إصلاحي توافقي يخدم أبناء المجتمع الواحد بعيداً عن التمسك بأجندات حزبية لا تخدم سوى حزبٍ أو تنظيمٍ سياسي واحد دون الآخذ بعين الاعتبار المصلحة العليا للشعب (عليوي، مصدرسابق: ص٢).

ويتميز الإصلاح عن الثورة بأن هذه الأخيرة تسعى للتغيير الشامل والجذري، في حين أن الإصلاح يهدف لمعالجة بعض المشاكل والأخطاء دون المساس بأساسيات النظام. (الصالحي، ٢٠٠٨، مصدر سابق) ولقد فرّق بعض العلماء بين الثورة والإصلاح؛ فالثورة معنى واسع يُغطي أشكالاً عديدة لاستخدام القوة، قد لا تبدو قانونية أو شرعية بالمعنى المحدود؛ ولكنها تهدف في النهاية إلى إحداث التغيير الفجائي؛ ومن ثَم، فالثورة تشير إلى مجموعة من الأحداث تُستخدم فيها القوة بنجاح للإطاحة بحكومة أو نظام سياسي معين، وإذا لم تنجح الثورة أُطلق عليها تمرداً أو عصياناً مسلحاً أو انتفاضة (الجراح، مصدر سابق: ص٣).

▪**سيرة حياة الامام الحسين عليه السلام ولادته ونسبه ومناقبه.**

نسبه: هو الحسين بن علي بن ابي طالب بن هاشم بن عبد المناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن معد بن عدنان. (الشيباني، ٢٠٠٩: ص٣٥٧-٣٦٢). **والده**: سيد الأوصياء ويعسوب الدين علي بن أبي طالب أمير المؤمنين رابع الخلفاء الراشدين عند أهل السنة والجماعة، والإمام الأول عند الشيعة الاثني عشرية، وابن عم النبي محمد (الشيباني واخرون، ٢٠٠٥: ص١٥٧-١٦٧) و(الدمشقي، ٢٠٠٣: ص٦٣٨-٦٦٠). **والدته**: البتول الطاهرة والصديقة الشهيدة فاطمة الزهراء بنت النبي صلى الله عليه وآله

اخوته: للحسين بن علي العديد من الإخوة والأخوات من أبيه، فقد بلغ عدد إخوته من الذكور قرابة عشرين أخًا، ومن الإناث ثماني عشرة، أما الإخوة الأشقاء من أبناء فاطمة الزهراء فهم: الحسن والمحسن وزينب وأم كلثوم (البغوي، ٢٠٠: ص٦٤). والحسين هو الابن الثاني لعلي وفاطمة بعد الحسن(السبحاني، د. ت: ص٤٥٨).

جده: أشرف وأكمل الكائنات، النبي محمد صلى الله عليه وآله. **ميلاده**: اختلف في تاريخ ميلاده، وأرجح الأقوال أنه ولد في شهر شعبان سنة أربعة من الهجرة(الحسيني، د. ت: ص٣٨٤)، وأكثر الأقوال أنه ولد في ٥ شعبان(الكندي، ١٩٩٥: ص١٦٥). وقيل ٣ شعبان(ابن حنبل، رقم الحديث: ١٢١٥). وجاء في الكافي رواية تذكر انه ولد في الثالث من شعبان، العام الثالث من الهجرة، بالمدينة المنورة (اليوسف، ٢٠١٧). **كنيته**: أبو عبد الله، والخاص: أبو علي(السيوطي، ١٩٨٥: ص١٩١). **صفته**: كان الإمام الحسين عليه السلام أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وآله، فلم يكن طويلا ولا قصيرا، كث اللحية واسع الصدر عظيم المنكبين رحب الكفين والقدمين، فصفاته قريبة جدا من صفات اخيه الإمام الحسن، وبالجملة كان الحسين في غاية الجمال ما راي أحد قط احسن ولا أملأ للعين منه(الحسين بن علي، ويكيبيديا، د. ت).

ألقابه:

الرشيد والطيب والوفي والسيد والزكي والمبارك(السيوطي، ١٩٨٥: ص١٩٢) والتابع لمرضاة الله والسبط وسيد شباب أهل الجنة والدليل على ذات الله تعالى والشهيد والمظلوم الشهيد السعيد وأفضل ثقات الله والثأري بنفسه لله والمنتقم من أعداء الله وأجل الأسر والإمام المظلوم والأسير المحروم والقتيل المرجوم والإمام الشهيد والولي الرشيد والوصي السديد والطريد الفريد وذو النسب العلي والإمام الرضي وأبو عبدالله الحسين ومنبع الأمة وشافع الأمة وعبرة كل مؤمن ومؤمنة وأطيب العرق وصاحب المحنة الكبرى والواقعة العظمى وعبرة المؤمنين في دار البلوى ومن كان بالإمامة أحق وأولى والمقتول بكربلاء وابن علي المرتضى وزين المجتهدين وسراج المتوكلين ومفخرة أئمة المهتدين وبضعة كبد سيد المرسلين ونور العترة الفاطمية وسراج الأنساب العلوية وشرف غرس الأحساب الرضوية والمقتول بأيدي شر البرية وطالب الثأر يوم الصراط وأكرم العتر وأزهر البدر ومعظم مكرم موقر منظف مظهر وأجمل الخلق وأطيب العرق ومجتبى الملك الغالب والحسين بن علي بن أبي طالب.

إمامته: عاش عليه السلام مع جده ست سنين وأشهراً وقد كمل عمره خمس سنين ومدة خلافته خمس سنين وأشهر في آخر ملك معاوية وأول ملك يزيد، قام بالأمر بعد أخيه الحسن مباشرة، وقد استلم مقام الإمامة عام (٥٠) للهجرة. **وفاته:** استشهد مظلوما في كربلاء على يد يزيد بن معاوية في العاشر من المحرم عام(٦١هـ) وله من العمر(٥٨) سنة. (المسار، ١٤٢٩، موقع الانترنيت). **من مناقبه:** إنه سيد شباب أهل الجنة، ومنه استمر خط الإمامة، وأحد الأربعة الذين باهل بهم النبي نصارى نجران، وأحد الخمسة في حديث الكساء، وأحد الذين جعل الله تعالى مودتهم واجبة، وقد قلده رسول الله أوسمة رائعة لا تقاس بالماديات منها: « حسين مني وأنا من حسين» و«اللهم اني احبهما

فاحبهما واحب من احبهما»(امام الولائي، موقع/ ١٢، موقع الانترنيت)و« أحب أهل بيتي إلي الحسن والحسين» و«الحسن والحسين إمامان إن قاما وإن قعدا»(سعيد، ٢٠١٢: ص٣٣٣) و« حسين سبط من الأسباط»(المجلسي، د. ت: ص٩٠) وقوله ﷺ: «اللهم أني أحبه فأحبه»(القرشي، ١٤٢٩ هجرية)، وغيرها من الفضائل.

نقش خاتمه: لكل اجل كتاب، حسبي الله، ان الله بالغ أمر ولعله كان له عدة خواتيم هذه نقوشها (المسار، ١٤٢٩، موقع الانترنيت). **حرزه:** بسم الله يا دائم يا ديموم يا حي يا قيوم الرحمن الرحيم يا كاشف الغم يا فارج الهم يا باعث الرسل يا صادق الوعد اللهم إن كان لي عندك رضوان وود فاغفر لي ومن اتبعني من إخواني وشيعتي وطيب ما في صلبي برحمتك يا أرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد و آلة أجمعين(مركز الامام علي الاسلامي، د. ت: الانترنيت).

زوجاته: ليلى بنت أبي مرة بن مسعود الثقفي، ورباب بنت امرئ القيس، وعاتكة، وشهربانويه أو شاه زنان بنت يزدجرد بن شهريار بن شيرويه بن كسرى ملك الفرس.

أولاده: زين العابدين علي السجاد، وعلى الأكبر، وجعفر، وعبد الله الرضيع، ويقال له علي الأصغر، وسكينة، وفاطمة النبوية، ورقية (الغنطوسي وحسن،: ص٦).

الحسين مع جده: لقد كانت العلاقة بين خاتم الأنبياء وولده الحسين كالعلاقة بينه وبين الحسن، فهي فريدة من نوعها، فإنه على عظمته وشموخه كان يجثو للحسنين فيركبان على ظهره ويقول: (نعم الجمل جملكما ونعم العدلان أنتما)، فهذا فعل سيد الكائنات مع الحسين، إنه يريد ان يدلل على عظمة هذا الوليد وأهمية موقعه في المستقبل. وفي يوم خرج رسول الله ﷺ من بيت عائشة فمر على بيت فاطمة فسمع حسينا يبكي فمس بكاؤه شغاف قلب النبي ﷺ وآله فهرع إلى فاطمة وقال لها: (ألم تعلمي أن بكاءه يؤذيني.) فكانت العلاقة روحية، لأن الله تعالى قد اختزل في الحسين شمائل جده ومبادئه وقيمه، يقول الإمام الصادق عليه السلام: لم يرضع الحسين من فاطمة عليها السلام

ولا من أنثى، كان يؤتى به النبي صلى الله عليه وآله فيضع إبهامه في فيه فيمص منها ما يكفيه اليومين وثلاثة فنبت لحم الحسين من لحم رسول الله ودمه. وبذلك صدق قول النبي(حسين مني) ليعبر أنه منه ماديا ومعنويا((مركز الامام علي الاسلامي، د. ت: الانترنيت)).

الحسين مع أبيه: أقام الإمام الحسين مع أبيه ما يقارب سبعا وثلاثين سنة أو أقل، إذ أقام معه في الكوفة واشترك معه في حرب الجمل ضد الناكثين، ثم اشترك معه في حرب صفين ضد الفئة الباغية التي يرأسها معاوية والتي أخبر عنها النبي عندما قال: (عمار تقتله الفئة الباغية)). وكذلك اشترك الحسين مع أبيه المرتضى عليه السلام في حرب الخوارج، وكان ملازما له في السلم والحرب ينهل منه كل شيء: العلم والتجارب ومنطق الحياة وبالجملة فإنه كان يقتدي به لأن عليا نفس محمد صلى الله عليه وآله، وهو بذلك يقتدي برسول الله صلى الله عليه وآله

من فضائل الإمام الحسين عليه السلام: لقد اشترك الإمام الحسين مع أخيه الإمام الحسن في الفضائل، فهو: أحد الخمسة الذين نزل فيهم قوله تعالى: ﴿ إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ﴾. (الأحزاب: ٣٣)وأحد أهل المودة: ﴿ قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى ﴾. (الشورى: ٢٣) وأحد الثقلين: (إني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي اهل بيتي. .)، وممن شملهم حديث السفينة: (مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجى ومن تخلف عنها غرق وهوى)، وهو الذي بكته الملائكة والجن والإنس، بل بكته حتى الكونيات والطيور والحيتان وناح عليه الأنبياء والأوصياء في مقاماتهم. وللحسين فضائل وخصائص انفرد بها منها: «أن الأئمة الأطهار من نسله» و «أن الدعاء تحت قبته مستجاب» و« جعل الله الشفاء في تراب قبره الطاهر» و« أن الله لا يعد أيام زائريه ذهابا وإيابا من عمرهم« من بكى عليه غفر الله تعالى له»(المصدر نفسه).

وإذا أردنا أن نقول الحقيقة بدون أية مبالغة فيحق لنا أن نفتخر بالحسين عليه السلام ونباهي به الأمم ونخاطبها بالعطاء الحي، فجده سيد المرسلين وأبوه بطل الإسلام الخالد وصاحب نهج البلاغة العظيم، وسيد الوصيين، وإمام الغر المحجلين الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله: (ياعلي أنت مني بمنزلة هارون من موسى ولكن لا نبي بعدي). وأمه سيدة نساء العالمين التي قال فيها رسول الله صلى الله عليه وآله: (فاطمة بضعة مني فمن آذاها فقد آذاني) وهو نسب وضاء ومشرق لا يناله ألا الحسين عليه السلام وإذا كان للتأريخ أن يقف وقفة إجلال أمام أروع مثال للشموخ، وإذا كان للدنيا أن تكبر لأروع تضحية سجلها تأريخ الفداء، وإذا كان للإنسانية أن تنحني في خشوع أمام أروع أمثولة للبطولة فشموخ وتضحية وبطولة الحسين عليه السلام هي أروع أمثولة شهدها تأريخ الشموخ والتضحيات والبطولات، ولا يمكن أن تجللنا إشراقات الطهر لتنسكب من أقباس ثورة الحسين عليه السلام. هذا هو نسب الامام وال بيته من يضاهيه في ذلك المقام والمكانة والمنزلة في الدنيا.

•اقوال بعض المستشرقين في بطولة الامام الحسين عليه السلام.

مثلت ثورة الامام الحسين عليه السلام منارا للإنسانية تستضيء به دروب العزة والكرامة، بما تضمنته من دروس وعبر نهلت منها وما زالت، المجتمعات الحرة التي لا ترتضي لنفسها ان تبقى اسيرة الظلم والجور الذي يمارسه الحكام الطغاة المستبدون، ولهذا مثلت الثورة الحسينية عطاء انسانيا نهل منه المسلمون وغير المسلمون، ويشير الى ذلك كثير من كتب عن ثورة الامام الحسين عليه السلام وتضحياته. وتمثل ثورة الامام محطة تحول ليس في حياة الامة الاسلامية فحسب بل في حياة البشرية جمعاء، فالبعد الانساني واضح فهو احد ابعاد الثورة الحسينية، التي استهدفت رفع الظلم عن الانسان وتحريره من الخوف والقهر الذي مارسه حكام بني امية، واهداف الثورة الحسينية

ومبادئها كانت ولازالت وستبقى منارا للثائرين ضد الظلم والقهر والفساد طالما ان انموذج الحكم لحاكم بني أمية القائم على الجور والظلم والقهر والفساد يتكرر الى يومنا هذا(الانباري، ٢٠١٧: ص٢٨٧). بهذا المعنى تحدث بعض من المفكرين غير المسلمين عن ثورة الحسين عليه السلام على النحو الاتي:

قال الكاتب المسيحي(كرم قنصل) (سيرة الحسين مبادئ ومثل وثورة أعظم من حصرها ضمن الأطر التي حصرت بها، وعلى الفكر الانساني عامة ان يعيد تمثلها واستنباط رموزها من جديد لأنها سر السعادة البشرية وسر سؤددها وسر حريتها وأعظم ما عليها امتلاكه)

والمستشرق الأمريكي (غوستاف غرونييام) يقول (إن وقعة كربلاء ذات أهمية كونية، فلقد أثّرت الصورة المحزنة لمقتل الحسين، الرجل النبيل الشجاع في المسلمين تأثيراً لم تبلغه أيّة شخصية مسلمة أخرى) وقال المستشرق الفرنسي (لويس ماسينيون) (اخذ الحسين على عاتقه مصير الروح الإسلامية، وقتل في سبيل العدل بكربلاء. .)كما ان العالم الانتروبولوجي الأمريكي (كارلتون كون) ويرى(أن مأساة مصرع الحسين بن علي تشكل اساساً لآلاف المسرحيات الفاجعة»)(مجلة المصطفى، ٢٠١٦). اما الباحث الإنكليزي (جون أشر) فقال: ((إن مأساة الحسين بن علي تنطوي على أسمى معاني الاستشهاد في سبيل العدل الإجتماعي)).

في حين قال الهندوسي والرئيس السابق للمؤتمر الوطني الهندي(تاملاس توندون): ((هذه التضحيات الكبرى من قبيل شهادة الإمام الحسين رفعت مستوى الفكر البشري، وخليق بهذه الذكرى أن تبقى إلى الأبد، وتذكر على الدوام.)). وقال المستشرق الإنجليزي(السير برسي سايكوس): ((حقاً إن الشجاعة والبطولة التي

أبدتها هذه الفئة القليلة، على درجة بحيث دفعت كل من سمعها إلى إطرائها والثناء عليها لا إرادياً. هذه الفئة الشجاعة الشريفة جعلت لنفسها صيتاً عالياً وخالداً لا زوال له إلى الأبد))(موقع harouf. com، الانترنيت).

وقال المستشرق (جارلس ديكنز)، الكاتب الإنجليزي« إن كان الإمام الحسين قد حارب من أجل أهداف دنيوية، فإنني لا أدرك لماذا اصطحب معه النساء والصبية والأطفال؟ إذن فالعقل يحكم أنه ضحى فقط لأجل الإسلام» بينما قال المستشرق الأميركي (فيليب حتي) (إن الإمام الحسين وعصبته القليلة المؤمنة عزموا على الكفاح حتى الموت، وقاتلوا ببطولة وبسالة ظلت تتحدى إعجابنا وإكبارنا عبر القرون حتى يومنا هذا). (كاظم، ٢٠١٦).

وقال المستشرق الألماني(ماربين)((قدم الحسين للعالم درساً في التضحية والفداء من خلال التضحية بأعز الناس لديه ومن خلال إثبات مظلوميته وأحقيته، وأدخل الإسلام والمسلمين إلى سجل التاريخ ورفع صيتهما. لقد أثبت هذا الجندي الباسل في العالم الإسلامي لجميع البشر أن الظلم والجور لا دوام له، وان صرح الظلم مهما بدا راسخاً وهائلاً في الظاهر، إلا أنه لا يعدو أن يكون أمام الحق والحقيقة إلا كريشة في مهب الريح)). اما المفكر المسيحي(انطوان بارا): فقال ((لو كان الحسين منا لنشرنا له في كل أرض راية، ولأقمنا له في كل أرض منبر، ولدعونا الناس إلى المسيحية باسم الحسين)). والآثاري الانكليزي(وليم لوفتس) قال(لقد قدم الحسين بن علي ابلغ شهادة في تاريخ الإنسانية وارتفع بمأساته إلى مستوى البطولة الفذة).

بينما قال الزعيم الهندي (غاندي) ((لقد طالعت بدقة حياة الإمام الحسين، شهيد الإسلام الكبير، ودققت النظر في صفحات كربلاء واتضح لي أن الهند إذا

أرادت إحراز النصر، فلا بد لها من اقتفاء سيرة الحسين)). وقال ايضا: ((على الهند إذا أرادت أن تنتصر فعليها أن تقتدي بالإمام الحسين)). وهكذا تأثر محرر الهند بشخصية الإمام الحسين ثائراً حقيقياً وعرف أن الإمام الحسين مدرسة الحياة الكريمة ورمز المسلم القرآني وقدوة الأخلاق الإنسانية وقيمها ومقياس الحق.. وقد ركّز غاندي في قوله على مظلومية الإمام الحسين بقوله: (تعلمت من الحسين كيف أكون مظلوماً فانتصر) (النجفي، ٢٠١٨) و(القيسي، ٢٠١٤).

اما الكاتب الاسكتلندي (توماس كارلايل) فيقول: «تعلمنا من الإمام الحسين كيفية الإيمان بالله تعالى حين قال: أسمى درس نتعلمه من مأساة كربلاء هو أن الحسين وأنصاره كان لهم إيمان راسخ بالله. . والذي أثار دهشتي هو انتصار الحسين رغم قلة الفئة التي كانت معه». بينما يعبر المستشرق الإنكليزي(إدوارد براون) عن تأثره العميق بنبل قضية الإمام الحسين وطهارتها فيقول: «هل ثمة قلب لا يغشاه الحزن والألم حين يسمع حديثاً عن كربلاء حتى غير المسلمين لا يسعهم إنكار طهارة الروح التي وقعت هذه المعركة في ظلها». كما تطلق المؤرخة الإنكليزية (فريا ستارك) العنان لمشاعرها عندما قرأت عن الحسين حتى تقول: إن مأساة الحسين تتغلغل في كل شيء حتى تصل إلى الأسس وهي من القصص القليلة التي لا أستطيع قراءتها دون أن أبكي.

ومدح(المطران برثلماوس) الإمام الحسين ووصفه« بالتجسيد الأروع للفداء في الإسلام» ويعبر الكاتب والأديب الايرلندي(جورج برنارد شو): « عن إجلاله لشخص الإمام الحسين بالقول: ما من رجل متنور إلا وعليه الوقوف وقفة إجلال واحترام لذلك الزعيم الفذ حفيد الإسلام، الذي وقف تلك الوقفة الشامخة امام حفنة من الأقزام الذين روعوا واضطهدوا أبناء شعوبهم. »

والزعيم الصيني (ماوتسي تونغ) يقول لمن ابتعدوا عن الحسين: » عندكم تجربة ثورية وإنسانية فذة قائدها الحسين، وتأتون إلينا لتأخذوا التجارب». ويقول المؤرخ الأميركي الشهير (واشنطن إيروينغ): » الحسين وطّن نفسه لتحمّل كل الضغوط والمآسي لأجل إنقاذ الإسلام. . وبقيت روح الحسين خالدة»(قناة العالم، ٢٠١٣).

•الثقافة الثورية للإمام الحسين عليه السلام.

لا يمكن النظر إلى ثورة كربلاء على أنها حدث تاريخي كغيره من الوقائع التي سجلها التاريخ والتي نتجت عن تضافر ظروف سياسية وفكرية لتعبر عن موقف اللحظة أو المحطة التي اقتضت تغييرا بهذا الأسلوب الفريد الذي لم تشهده كل تجارب الأمم والشعوب السابقة والذي لن يتكرر بكل عناصره وخصوصياته ذلك أن هذه النظرة ستخرج قضية كربلاء عن كونها منهجا كاملا وأسوة صالحة للاقتداء بها وإتباعها في كل وقت ولعل الإشارة إلى هذا المعنى كانت واضحة وتامة في الرواية المروية عن الإمام الصادق عليه السلام: «كل يوم عاشوراء وكل أرض كربلاء»، فان هذه العبارة عبرت عن المستوى العالي والمقام الرفيع والقيمة الرسالية والإنسانية لهذه الواقعة والتي سمت في مضامينها ومعانيها بالدور الذي جسده سيد الشهداء عليه السلام من موقعه كإمام معصوم تهيأ لوظيفة تكريس المنهج وتثبيت دعائم الثورات التغييرية في أقصى تجلياتها وتضحياتها(صفي الدين، ٢٠٠٨: ص٧٣).

اذ يلتقي عنوان البحث مع المتن في مهمّة لا تخرج عن أُطر الواقعية؛ إذ لا يمكن عدّ الدراسة في ثورة الإمام الحسين عليه السلام مجرد حدث وقع في إطار زمني، ثمّ خمد وحقق الانتصار على صعيد حدوث الحدث فقط. ليس هذا ما حصل في ثورة الإمام الحسين، بل امتدّ الحدث وتوالد عبر عصور لاحقة، وصولاً إلى أيامنا هذه؛ لهذا يمكن عدّ الثورة الحسينية رمزاً إنسانياً ينبض بالتعبير الإيجابي وما زال إلى اليوم(التميمي، ٢٠١٨).

فالمقصود بالثقافة هُنا «كلّ ما فيه استثارة للذهن، وتهذيب للذوق، وتنمية لملكة النقد، والحكم لدى الفرد أو في المجتمع، وتشمل على المعارف والمعتقدات، والفن والأخلاق، وجميع القدرات التي يُسهم بها الفـــرد، أو في مجتمعه، ولها طرق ونماذج عملية، وفكرية، وروحية»(المعجم الفلسفي،: ص٥٨) وتدخل الثورة التي قام بها الإمام الحسين عليه السلام ضمن هذه المعطيات، فهي مبدأ حافظ على رقيه وديمومته منذ زمن وقوع الثورة، وما زال إلى اليوم رغم أنّ «مفهوم الثقافة يتضمّن عنصراً معيارياً»(التميمي، مصدرسابق) لكن ثقافة الثورة عند الإمام الحسين عليه السلام بعيدة عن هذا تماماً؛ لكونها قيمة معنوية خالصة، ومفهوماً جديداً للعيش الحر، جعل أهم العناصر التي يتشبّث بها الإنسان على المحك، وتأتي في مقدّمتها (الحياة)؛ إذ قدّم الإمام حياته لتثبيت الدين، وترسيخ مفهوم الإيمان الحقيقي. إذن؛ فالثقافة هُنا تدلّ على «مجموعة من المعارف، والمهارات التقنية والذهنية، وأنماط التصرف والمخالفة، التي تميّز شعباً عن سواه من الشعوب» (عبدالنور، ١٩٨٤: ص٨٠) و(المقداد، ٢٠١٨).

وعليه؛ تكون الثورة «نقطة تحوّل في حياة المجتمع لقلب النظام البالي، وإحلال نظام تقدّمي جديد محلّه، وهي بهذا تتميّز عن الانقلاب الذي يتلخّص في نقل السلطة من يد إلى أُخرى»(المعجم الفلسفي، ، مصدر سابق: ص٥٨). والنقطة التي تحوّل بها المجتمع الإسلامي هي معركة الطفّ، وما تركته للمسلمين من إرث سياسي واجتماعي وديني، بقي انموذجا يُحتذى به إلى اليوم؛ لأنّه من الملاءمة والحيوية ما جعله أُنموذجاً لكلّ مجتمع، مهما كانت توجهاته الدينية والسياسية والاجتماعية، فهي «مدرسة لطلائع الأُمّة، والمصلحين الذين ينشدون إصلاح أُمّتهم ومجتمعاتهم، ويبحثون عن السبل التي توصلهم إلى تحقيق أهدافهم، وأخذ أُمّتهم إلى سبيل الخير؛ وذلك لما تحويه هذه الحركة الإلهية المقدّسة من رؤى وبصائر يمكن لـمَن

طالعها وتأمل فصول أحداثها أن يهتدي إلى مجموعة النظم والاستراتيجيات التي اعتمدها الإمام الحسين عليه السلام من حركته ونهضته؛ كيما يستنير بها في معترك العملية الإصلاحية»(السادة، ٢٠٠٧: ص١١) و(رويح، ٢٠١٦).

وبما ان هذه القيم التي روّجت لها الثورة الحسينية، وثقّفت الإنسانية عليها؛ هي لضمان العيش الحر والكرامة التي تُلائم الإنسان باختلاف انتمائه وجنسيته، أو دينه، فهي ثورة عالمية لم يشهد التاريخ مثيلاً لها. ومن هنا؛ كانت ثقافة الثورة ثقافة حسينية، وجهها الآخر الإصلاح، فقد ظهرت ببُعد استنشق الحياة من خلال الموت، فكانت إصلاحاً للدين والأُمّة، ولكن هل لهذا المفهوم ترهّل مكّنه من التمدد ليُشكّل في نهاية الأمر معنى مغايراً لحقيقة الإسلام على ما روّج له بعض؟ قطعاً لا؛ لأنّ الإسلام ـ ما زال ديناً ـ لم يكن فاسداً لإجراء الإصلاح عليه من خلال الثورة التي قام بها الإمام الحسين عليه السلام، بل كانت السلطة السياسية هي مَن شوّهت أبرز ملمح إسلامي، جاهد الرسول صلى الله عليه وآله من أجل تحقيقه في المجتمعات، وهو العدلة الاجتماعية(التميمي، مصدر سابق).

ومن هنا؛ نكتشف أنّ ثقافة الإصلاح التي قام بها الإمام الحسين عليه السلام أصبحت ثقافة عامّة لكلّ شعب ولكل عصر؛ لأنّها كانت ضمن ما جاء به القرآن الكريم، فهو «الإصلاح» من الملاءمة والمناسبة ما يصلح للمجتمعات الإنسانية، وهذا ردّ على مَن ينتقد التجربة الإسلامية، وانتصار لإصحاب المقاربة النقدية الإسلامية التي وجّهت جهدها لإظهار نجاعة التعاليم الإسلامية للعالم الإنساني، بغض النظر عن الدين أو التوجه الطائفي، رغم وجود عقليات سُخّرت للحيلولة دون هذه المقاربة، وسيلفتنا في هذا الصدد الصراع المدمّر بين المذاهب الإسلامية نفسها، الذي أصبح شفرة حادّة تشوّه وجه الإسلام الحقيقي. وهنا يكمن الاستدماج الديني الذي كان عليه الإمام الحسين عليه السلام، فأصبح ثقافة إسلامية تنال التقدير والاحترام على مرّ

العصور، فكانت نهضة عاشوراء نهضة لإحياء سُنّة النبي صلى الله عليه وآله والدفاع عنها، ونقلها إلى حيّز التطبيق في حياة المسلمين؛ لأنّ تعاليم النبي صلى الله عليه وآله قد أُهملت آنذاك، كما أنّ البدعة قد أُحييت وظهرت(الاصفهاني،: ص٤٧) و(مبلغي، ٢٠١٧).

▪الابعاد الانسانية لثورة الامام الحسين في العالم الاسلامي والعالمي.

ثورة الإمام الحسين عليه السلام مدرسة ذات أبعاد وجوانب عديدة، فيها جميع معاني البطولة والفداء والقيم الرسالية التي يستطيع الإنسان أن يستخلص منها، ومن مشاهدها ومراحلها وفصولها، جميع دروس القيم الإنسانية والرسالة، وجميع المعاني الخالدة والسامية التي بشَّرت بها الرِّسالات الربَّانية والسماوية(الشاهرودي، ٢٠٠٣: ص١٧).

لذاعندما نتحدث عن الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب (سلام الله عليهم) لا نتحدث عن إنسان عادي عاش ثم مات، دون أن يكون له أي أثر في الحياة، وإنما نتحدث عن شخصية قدسية حلّقت في سماء المجد والعظمة، حتى وصلت إلى أسمى المراتب وأرفع المقامات، فلم يسبقها سابق، ولن يلحقها لاحق في جميع المناقب والفضائل والمآثر والمكرمات. إنها الشخصية الكبيرة التي تمثل الامتداد الطبيعي لخط النبوة والرسالة في الأرض، وهي الشخصية المعصومة التي تهدي للتي هي أقوم. وبناء على ذلك يمكن ان نقدم بعض الابعاد او الجوانب الانسانية لثورة الامام الحسين عليه السلام، منها:

اولا: البعد النفسي.

أقدم أبو الشهداء عليه السلام على أعظم تضحية لم يقدمها أي مصلح اجتماعي في الارض، فقد أقدم على التضحية بنفسه وأبنائه وأهل بيته وأصحابه فداء لما يراه من تعميم العدل واشاعة الحق والخير بين الناس، لقد صمم على الموت واستهان بالحياة من أجل أن ترتفع راية الحق وتعلو كلمة الله في الارض، فكان يشاهد الصفوة من أصحابه الذين هم من أنبل من عرفتهم الانسانية في ولائهم للحق، وهم يتسابقون إلى المنية بين يديه، ويرى الكواكب من أهل بيته وأبنائه، وهم في غضارة العمر وريعان الشباب، وقد تناهبت أشلاءهم السيوف والرماح، واهتزت الدنيا من هول هذه التضحية التي تمثل شرف العقيدة، وسمو القصد وعظمته المبادئ التي ناضل من أجلها، وهي من دون شك ستبقى قائمة على مر القرون والاجيال، تضيء للناس الطريق، وتمدهم بأروع الدروس عن التضحية في سبيل الحق والواجب(مقالة، على موقع، www. alseraj. net: ص٢٧).

إن الزخم العطائي لثورة الإمام الحسين عليه السلام عطاء مستمر ودائم، على مختلف العصور والدهور والأجيال، فهي بمنزلة المشعل الذي ينير الدرب للثائرين، في سبيل رسالة الحق، الرسالة الإسلامية الخالدة. فهي كانت وما تزال وستكون نبراساً لكل إنسان معذب ومضطهد على وجه هذه الأرض، وهي الأمل المنشود لكل الناس الخيرين، الذين يدافعون عن حقهم في العيش بسلام وأمان. فهذه القرون تأتي وتذوب قرناً بعد قرن، وهذا الحسين اسمه باق في القلوب وفي الأفكار والضمائر; لأنّه عاش لله، وجاهد في سبيله، وقتل في رضوانه. فهو مع الله والله معه، ومن كان الله معه فهو باق. (القزويني، د. ت).

ثانيا: البعد الاجتماعي.

تتميز ثورة الإمام الحسين عليه السلام عن باقي الثورات بأنها كانت ثورة اصلاح وهداية لكل البشرية دون استثناء، إذ سعى الامام عليه السلام الى بناء مجتمع إسلامي وإنساني متكامل، تسود فيه الاخلاق الفاضلة والقيم النبيلة وتتحقق فيه العدالة والاخوة والحرية والمساواة وباقي القيم الانسانية التي تحفظ حقوق وكرامة الإنسان، لذا فقد أكد المؤرخون وكما نقلت بعض المصادر، أن ثورة الإمام الحسين عليه السلام، هي أعظم ثورة إصلاحية عرفها التاريخ البشري على سطح الكرة الأرضية لأنها أحيت المبادئ والقيم المقدسة في نفوس وعقول الأجيال المتعاقبة، وأعطت الدروس المشرقة عن التضحية في سبيل القيم الإسلامية والإنسانية. وقد تأثر عظماء البشرية ومفكروها وسياسيوها بشخصية الإمام الحسين عليه السلام وسيرته العطرة، لأنهم وجدوا في ثورة الإمام الحسين الرفض المطلق للظلم السياسي والاجتماعي والاقتصادي والعرقي والقبلي والمناطقي، ولمسوا في حركته التحررية الكرامة الإنسانية، والحرية الفكرية، والعدالة الاجتماعية، والتسامح الديني، والوفاء للقيم الإنسانية. التي تتجدد بشكل دائم مع حلول شهر محرم الحرام وايام عاشوراء، حيث يسعى عشاق سيد الشهداء عليه السلام في هذه الايام المباركة الى القيام ببعض المبادرات والمواقف الانسانية المهمة والمميزة(رويح، مصدر سابق، ٢٠١٦)(الخضران، ٢٠١٦)

وهي الثورة الوحيدة في العالم التي لو تسنى لكل فرد مهما كان معتقده وفكرته ان يقرأ مسرحيتها بكل ابعادها وتفاصيلها لما تمكن من ان يملك دمعته وعبرته، وقد يؤدي احيانا الى ضرب الصدر لا شعوريا، لأنها مأساة اليمة تتصدع القلوب لهولها ومصابها(القزويني، د. ت)، وذلك كما وصفها المؤرخ الإنكليزي الشهير(جيبون) بقوله: ان مأساة الحسين المروعة، بالرغم من تقادم عهدها، وتباين موطنها، لابد ان تثير

العطف والحنان في نفس اقل القراء احساسا وأقساهم قلبا»(علي، ١٩٨٣: ص٧٤).

لقد اقترنت ثورة الحسين بالعطاء فكانت عظيمة بعطاء الحسين وشموخ الحسين وأخلاق الحسين التي هي أخلاق محمد وعلي، إنها أخلاق القرآن الذي صرّح بالأخلاق العظيمة لرسول الله ﷺ فقال تعالى مخاطباً نبيه الكريم: (وإنك لعلى خلق عظيم) والتي هي أيضاً أخلاق الأئمة المعصومين عليهم السلام فأي خلق أعظم من هذا الخلق، لقد مثّل الإمام الحسين عليه السلام في وقفته يوم عاشوراء أروع القيم وأعظم الأخلاق، وقف في ذلك اليوم أمام الجموع ليعظهم وينبههم إلى ما هم مقدمون عليه من الأمر الشنيع غير أن النفوس التي أغرتها الدنيا ودناءتها أبت إلا طغياناً وكفراً، وبلغ من خسّة الشمر أن يتطاول على الحسين سيد شباب أهل الجنة عليه السلام فأراد مسلم بن عوسجة أن يرميه بسهم فمنعه الحسين عليه السلام وقال: أكره أن أبدأهم بقتال.

هذه كانت أخلاق رسول الله ﷺ الذي كان كلما زاد أذى قريش له كان يقول: اللهم اهد قومي فأنهم لا يعلمون، وهي أخلاق أمير المؤمنين عليه السلام الذي لم يبدأ عدوه بالقتال في حروبه كلها بل كان يسعى إلى حقن الدماء وهداية الناس إلى جادة الحق. لقد أعاد الإمام الحسين عليه السلام منهج الإسلام الحقيقي بأخلاقه العظيمة بعد أن حاول الأمويون طمس هذا المنهج ومحو ذكر الإسلام بسياستهم الظالمة المستبدة (ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره المشركون)، فتم نور الله بالحسين بعد أن بزغ بدعوة الإسلام المحمدية الشريفة. (الصفار، ٢٠١٨) .

إن ثورة الامام الحسين عليه السلام التي جسدت الاصلاح والهداية لكل البشرية دون استثناء، اذ سعى سيد الشهداء وصحبه الابرار بتضحياتهم السخية الى بناء مجتمع إسلامي وإنساني متكامل، تسود فيه الاخلاق الفاضلة والقيم النبيلة وتتحقق فيه العدالة والاخوة والحرية والمساواة وباقي القيم الانسانية التي تحفظ حقوق وكرامة الإنسان، ان الجموع التي تسير الى كربلاء مجددة حبها ووفاءها لصاحب الذكرى

العطرة سيد الشهداء وصحبه الابرار لثورة تعد مدرسة حقيقية تستقي منها الأجيال اللاحقة كل معاني العز والشرف والكرامة الإنسانية وإنقاذ الدين وإحياء الشريعة ورفع البشرية من أدنى ما وصلت إليه إلى عالم النور والضياء(الخالدي، ٢٠١٧).

فثورة الحسين عليه السلام هي امتداد للرسالة المحمدية السمحة التي ما جاءت ألا لتزيل نظام الرق والعبودية، وتهد صروح الظلم والظالمين الذين نصبوا من أنفسهم آلهة تعبد من دون الله وسخروا كل شيء لأغراضهم الدنيئة المحرمة التي تتعارض مع أبسط المفاهيم والقيم الأخلاقية وأمروا شعوبهم أن تنقاد كالقطيع لمشيئتهم كما يحدث اليوم في الكثير من الدول التي يزخر بها عالمنا المعاصر، والإسلام يرفض كل مفسدة وظلم وموبقة وتهتك وانحراف، ويخمد كل صوت يخرج عليه، ويعامله بالبطش والقوة والجبروت. لكن الإمام الحسين عليه السلام قال تلك الجملة القصيرة البليغة بملء فمه وقلبه وكيانه تلك الجملة المدوية التي مازالت ترعب الطغاة والظالمين أعداء الإنسانية على مر العصور حين ترددها الشعوب المقهورة: (هيهات منا الذلة)(الهاجر، ٢٠١٢).

رابعا: البعد الاقتصادي.

لم يفجر الامام الحسين عليه السلام ثورته الكبرى اشرا، ولا بطرا، ولا ظالما، ولا مفسدا، بل حاول تحرير اقتصاد الامة الاسلامية بسبب انهياره الذي هو شرايين حياتها الاجتماعية، فقد نهبت الخزينة المركزية في حين أن الجوع قد نهش الامة وعمت فيها المجاعة، وانتشر شبح الفقر في جميع الاقطار الاسلامية وقد ثار الامام الحسين عليه السلام ليحمي اقتصاد الامة ويعيد توازن حياتها المعيشية، وقد صادر أموالا من الخراج، وكان عليه السلام اكثر ما يعاني من الالام هو انه يرى الفقر قد أخذ بخناق المواطنين، ولم ينفق شيء من بيت المال على انعاش حياتهم.

لذا انطلق ليؤسس معالم الاصلاح في البلاد، ويحقق العدل الاجتماعي بين الناس، ويقضي على أسباب النكسة الاليمة التي مني بها المسلمون في ظل الحكم الاموي آنذاك، لقد انطلق الامام ليصحح الاوضاع الراهنة في البلاد، ويعيد للامة ما فقدته من مقوماتها وذاتياتها، ويعيد لشرايينها الحياة الكريمة التي تملك بها ارادتها وحريتها في مسيرتها النضالية لقيادة أمم العالم في ظل حكم متوازن تذاب فيه الفوارق الاجتماعية، وتقام الحياة على أسس صلبة من المحبة والاخاء، انه حكم الله خالق الكون وواهب الحياة، لا الحاكم الذي قاد مركبة حكومته على اماتة وعي الانسان، وشل حركاته الفكرية والاجتماعية(الغطاء، د. ت).

فضلا عن ذلك كان احد اهم اسباب ثورة الامام الحسين عليه السلام هو التدهور الذي كان سائدا في المجتمع الاسلامي آنذاك، وانتشار الفساد بأنواعه المختلفة، وازداد الشراء الفاحش لحكام ذلك الزمن، ونهبو الخزينة المركزية للدولة والتي هي اموال المسلمين وتكدست في بيوتهم الاموال وجاروا في صرفها، وكان من نتيجة ذلك انتشار الفقر والبطالة وغيرها من الظواهر الاجتماعية غير المرغوبة والتي كانت سببا مباشرا لكي يثور الامام من اجل اصلاح الوضع الاقتصادي والقضاء على الفقر وتوزيع الثروات بشكل عادل بين المسلمين(حميد، ٢٠١٤).

لقد ضحى الامام بأمواله وضحى أبيّ الضيم بجميع ما يملك فداء للإسلام و للقران، ووقاية لدين الله، وقد هجمت بعد مقتله الوحوش الكاسرة من جيوش الامويين على مخيمه فتناهبوا ثقله ومتاعه حتى لم يتركوا ملحفة او ازارا الا نهبوه، ومثلوا بذلك خسة الانسان حينما يفقد ذاتياته، ويمسخ ضميره الانساني من اجل الجاه والسلطة والمال.

ثالثا: البعد الثقافي والتربوي.

استطاع الإمام الحسين عليه السلام أن يوقظ الضمير الإنساني والعالمي ويؤثر فيه باتجاه القيم الحقة، والانتصار لها، وتحقيقها على أرض الواقع، لان ثورته لم تحدد بدين أو مذهب أو قومية معينة، بل كانت للإنسانية جمعاء. ودعا الامام الحسين عليه السلام الى ان يكون الناس احراراً في دنياهم، بقوله (ألا وإني لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا مفسدا ولا ظالما، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي رسول الله «ص»، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر". ومن الواضح انه لم يشهد ثورة في التاريخ عرفت بعقائديتها والاستشهاد من اجل احقاق الحق، والتفاني الى هذه الحدود، كثورة الامام الحسين عليه السلام (جعفر، ٢٠١٦).

فضلا عن ذلك يدرك المرء أن بإمكانه النظر إلى النهضة الحسينية بمنظارين في الواقع، وكلاهما صحيح، سوى أن مجموعهما يكشف عن الأبعاد العظيمة لهذه النهضة؛ فالنظرة الأولى تكشف عن الحركة الظاهرية للحسين بن علي عليه السلام، والتي قام بها في مواجهة حكومة فاسدة ومنحرفة وظالمة وقمعية وهي حكومة يزيد. وأما باطن القضية وعمقها فتكشف عنه النظرة الثانية، وهي الحركة الأعظم والأعمق، لأنها ضد جهل الإنسان وضلالته. فمع أن الإمام الحسين قام بمقارعة يزيد في الواقع، إلا أن هذه المقارعة الواسعة التاريخية لم تكن ضد يزيد الفرد الفاني الذي لا يساوي شيئاً، بل كانت ضد جهل الإنسان وانحطاطه وضلالته وذلّه، وهو ما يكافحه الإمام الحسين في الحقيقة (الخامنئي، ٢٠١٨).

وعليه لقد قيل الكثير عن نهضة الامام الحسين عليه السلام هذا العظيم مصباح الهدى وسفينة النجاة، لكنّ الإنسان كلّما فكّر وتدبّر في هذا الموضوع، اتّسع مجال التفكير والبحث والتحقيق والمطالعة عنده، فقد بقي الكثير ممّا لم يقل عن هذه الحادثة العظيمة

والعجيبة الّتي لا نظير لها. فعلينا أن نتدبّر ونتفكّر فيه ثمّ نقوله للآخرين. لو نظرنا الى الحادثة منذ أن خرج أبو عبد الله ﷺ من المدينة وتوجّه نحو مكّة إلى أن استُشهد في كربلاء، لأمكننا أن نقول إنّ الإنسان يستطيع عدّ مئة درس مهمّ في هذا التحرّك الّذي استمرّ شهراً فقط. ولا أودّ القول آلاف الدروس وإن أمكن قول ذلك إذ تعتبر كلّ إشارة من ذلك الإمام العظيم درساً، لكن عندما نقول مئة درس أي لو أردنا أن ندقّق في هذه الأعمال لأمكننا استقصاء مئة عنوان وفصل، وكلّ فصل يعتبر درساً لأمة وتاريخ وبلد ولتربية النفس وإدارة المجتمع وللتقرّب إلى الله(المصدر نفسه).

وكانت نتيجة ثورته بقاء وحيوية الإسلام الى اليوم، وخلود واقعة كربلاء حيّة وباقية ليس في قطعة صغيرة من الأرض فقط، وإنّما في مساحة مترامية الأطراف على المستوى الاقليمي والعالمي من محيط الحياة البشرية. إنّ كربلاء موجودة في كلّ شيء؛ وفي الأدب، وفي الثقافة، وفي السنن والآثار، وفي الاعتقادات، وفي القلوب.

خامسا: البعد السياسي.

انتبه المسلمون الى انحراف الفئة الحاكمة الضالة والى فساد اعمالها، وحاولوا من خلال محاولات عديدة تطهير الجهاز الحاكم المتوغل في الظلم والطغيان، حتى غدت ثورة الامام انموذجا يحتذى به لمقارعة ومقاومة كل نظام يستشري فيه الفساد، اذ جسدت ثورة الامام الحسين ﷺ في نهضتها قيم ومبادئ حقوق الامة ومنها الاصلاح، فقد اكد فيها ضرورة الاهتمام بإصلاح شؤون الامة السياسية من خلال توعية الامة بمواصفات الحاكم العادل القائم بالعدل الذي يسوس الناس بالقران والسنة ويحترم اراءهم ومعتقداتهم ويؤمن بالشورى في الحكم وتولي الحكم من هو اهل لها، وعدم المساومة على الحق، والالتزام بالاتفاقيات والعهود،

ودعم سيادة القانون، وجعلها مقياسا لقيمة الحاكم ومشروعية حكمه وهذا ما اراده الامام الحسين عليه السلام. بقوله(ولعمري ما الامام الا الحاكم بالكتاب، القائم بالقسط، الداين بدين الحق، ، الحابس نفسه على ذات الله)، وهذا ما حصل بالفعل في حادثة عاشوراء، تلك الحادثة التي اصبحت رسالة لكل المسلمين والمستضعفين والمظلومين في الارض(الغنطوسي، وحسن، مصدرسابق: ص٤).

وعندما قرر الامام الحسين عليه السلام محاربة الفساد والمفسدين أعلن للدنيا كلها وخاطبها قائلا: (أيها الناس إني سمعت جدي رسول الله يقول: (من رأى منكُم سُلطاناً جائِراً مُستحلاً لحرم الله، ناكثاً بعَهدِه، مُخالِفاً لسنّةِ رسولِ الله، يَعملُ في عبادِه بالإثمِ والعدوانِ، فلم يغِرْ (وفي رواية فلم يُغيّر ما) عليهِ بقولٍ ولا بفعلٍ، كان حَقّاً على الله أن يُدخِله مَدخلَه) وقد عَلمتُم أنَّ هؤلاء القومَ ـ ويشيرُ إلى بني أميّة وأتباعِهم ـ قد لَزِموا طاعةَ الشيطانِ وتَولَوا عن طاعةِ الرحمنِ، وأظهرُوا الفسادَ وعطّلوا الحدودَ واستأثَروا بالفيء، وأحَلّوا حرامَ اللهِّ وحَرَّموا حلالَهُ، وإنّي أحقُّ بهذا الأمر) (المهاجر، مصدر سابق، ٢٠١٢) و(حميد، ٢٠١٧: ص٥٩). نستنج من ذلك بان الامام كان هدفه من ثورته اقامة دولة العدل الاجتماعي، ومحاربة الظلم والاستبداد والطغاة.

سادسا: البعد الديني.

كانت ثورة الامام الحسين عليه السلام تهدف الى حفظ الدين من انحرافات الحكام الجائرين ومن سار في ركبهم وتبعهم الى يومنا هذا (فياض، ٢٠١٧: ص٢٥٣) لذلك انبعثت ثورة الامام الحسين عليه السلام من ضمير الامة الحي ومن وحي الرسالة الاسلامية المقدسة ومن البيت الذي انطلقت منه الدعوة الاسلامية للبشرية جمعاء، البيت الذي حمى الرسالة والرسول ودافع عنها، حتى استقام عمود الدين. لان ثورة الامام الحسين عليه السلام،

بلغت في عقائدها الذروة العليا في الوعي والعمق، لدى قائدها واتباعه وانصاره، فهي لم تختلف وعيا في جميع ادوارها وعلى مختلف المستويات الثقافية والادراكية لرجالها منذ ان اعلنت حتى اخر نفس من حياة رجاله، لذا نجد يحمل الشيخ الكبير نفس الوعي للثورة الحسينية الذي يحمله الكهل والفتى والمرأة، وحتى الذي لم يبلغ الحلم يحمل الروح نفسها لدى رجالها وابطالها(الغنطوسي، مصدر سابق: ص٩).

فضلا عن ذلك حمل عقائل النبوة، وكان من اروع ما خططه الامام العظيم عليه السلام في ثورته الكبرى حمله لعقائل النبوة وشذرات الرسالة الى كربلاء، وهو يعلم ما سيجري عليهن من النكبات والخطوب، وقد اعلن ذلك حينما عذله ابن عباس على حملهن معه الى العراق، فقال له: «قد شاء الله ان يراهن سبايا» (مقالة على موقع، www. alseraj. net : ص٢٧) إنّ هدف الإمام الحسين عليه السلام ذلك العظيم كان عبارة عن أداء واجب عظيم من واجبات الدين لم يؤدّه أحد قبله، لا النبيّ صلى الله عليه وآله ولا أمير المؤمنين عليه السلام ولا الإمام الحسن المجتبى عليه السلام، واجب يحتلّ مكاناً مهمّاً في البناء العام للنظام الفكريّ والقيميّ والعمليّ للإسلام. (السيدالسيستاني، ٢٠١٨). لذا فقد كان لاستشهاد الامام الحسين عليه السلام هزة لضمير الامة وعامل بعث لإرادتها المتخاذلة وعامل انتباه مستمر للمنحدر الذي كانت تسير فيه بتوجيه من بني امية ومن سبقهم من الحكام الذين لم يحرصوا على وصول الاسلام نقيا الى من يليهم من الاجيال.

الخاتمة

ان الامام الحسين عليه السلام سعى الى اقامة المشروع الحضاري التنموي الدائم، ذي البعد الانساني الاصلاحي المقترن بالإدارة الاستراتيجية للامة الاسلامية المتمثل بواقعة الطف الاصلاحية، وجسدت ثورة الإمام في نهضتها قيم ومبادئ حقوق الأمة والبشرية جمعاء. فهي لم تكن ثورة في مكان وزمان معينين بل كانت على امتداد التاريخ والعالم اجمع لأنها رسمت سبيل الخلاص من الظلم وطلب العدالة والحرية، فثورته اكدت ضرورة صلاح شؤون الأمة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية وعدم المساومة على الحق ورفض الباطل، والزيف، والفساد، والضلال وكل ألوان الانحراف الأخلاقي، والثقافي، والاجتماعي، والسياسي، فالإمام الحسين عليه السلام قال«لا أرَى المَوتَ إلاَّ سَعَادَة والحَياةَ مَع الظالمينَ إلاَّ بَرَمَا» في تأكيد على ان ثورته هي الصرخة المدوية في مواجهة الظلم والظالمين، والبغي والباغين ومقارعة الاستكبار والمستكبرين.

فقد استطاع الإمام الحسين عليه السلام أن يوقظ الضمير الإنساني ويؤثر فيه باتجاه القيم الحقة، والانتصار لها، وتحقيقها على أرض الواقع، لأن ثورته لم تحدد بدين أو مذهب أو قومية معينة، بل كانت للإنسانية جمعاء، ودعا الامام الحسين عليه السلام الى ان يكون الناس احراراً في دنياهم، بقوله (ألا وإني لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا مفسدا ولا ظالما، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي رسول الله صلى الله عليه وآله، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر). ومن الواضح انه لم يشهد ثورة في التاريخ عرفت بعقائديتها والاستشهاد من اجل احقاق الحق، والتفاني الى هذه الحدود، كثورة الامام الحسين عليه السلام. وعليه فقد توصل الباحث الى عدة استنتاجات منها:

١. إن سلوك الإمام الحسين منذ خروجه من المدينة وحتى يوم استشهاده في كربلاء كان منطوياً على المعنويات والعزة والشموخ وفي الوقت نفسه مغموراً بالعبودية والتسليم المطلق لأمر الله، وهكذا كان دائماً وفي كل المراحل.

٢.ان ملحمة كربلاء من أهم الأَحداث العالمية، بل من أهمّ ما حققته البشرية من إنجازات رائعة في ميادين الكفاح المسلّح ضدّ الظلم والطغيان، فقد غيّرت مجرى تاريخ الشعوب الإِسلامية، وفتحت لها آفاقاً مشرقة للتمرّد على الظلم والطغيان. لقد ألهبت هذه الملحمة الخالدة عواطف الاحرار، في سبيل تحرير المجتمع من نير العبودية والذلّ، وإنقاذه من الحكم غير الشرعي.

٣.ان ثورة الإمام الحسين عليه السلام، لم تكن ثورة انفعالية، ولا حركة عشوائية، ينقصها الوضوح في الرؤية، أو القصور عن تحديد الغايات والأهداف، بل كانت الثورة واعية، لها رؤيتها الواضحة، وأهدافها المحددة، ولم تقتصر قضيته على المسلمين فقط بل وصلت إلى كل العقول النيرة التي رأت في ثورته ومبادئها قدوة تستحق الإجلال على مدى العصور.

٤.عندما نتحدث عن الإمام الحسين عليه السلام لا نتحدث عن إنسان عادي عاش ثم مات، دون أن يكون له أي أثر في الحياة، وإنما نتحدث عن شخصية قدسية حلّقت في سماء المجد والعظمة، حتى وصلت إلى أسمى المراتب وأرفع المقامات، فلم يسبقها سابق، ولن يلحقها لاحق في جميع المناقب والفضائل والمآثر والمكرمات، إنها الشخصية الكبيرة التي تمثل الامتداد الطبيعي لخط النبوة والرسالة في الأرض، وهي الشخصية المعصومة التي تهدي للتي هي أقوم، كما أنها حلقة الوصل بين الأرض والسماء، وباب من أبواب الله التي منها يؤتى.

٥.ان لكل ثورة أو نهضة شعارات محددة ومميزة وعادة ما تعكس هذه الشعارات الخلفية الفكرية والسياسية والاجتماعية لمنهج ونهج الثورة وأصحابها لقد كانت شعارات الإمام مدوية وقوية ومعبرة عن معاني الحرية والكرامة والعزة والشرف، ورفض الاستعباد والاستبداد والذل والخنوع، لقد رفع الإمام مجموعة من الشعارات المعبرة عن نهجه وفكره ومواقفه الشجاعة في يوم البطولة والفداء، يوم عاشوراء المصبوغ بالدماء من هذه الشعارات «هيهات منا الذلة يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون».

٦.تتميز ثورة الإمام الحسين عليه السلام بانها ثورة إنسانية كبرى بكل أبعادها اذ حدثت في عصر معين لكن إشعاعاتها وقيمها ومثلها ومحتواها الإنساني الكبير يشع على كل أمم الأرض مادام الظلم والاضطهاد قائمين في هذا العالم.

٧.ان المتتبع لمسيرة الإمام الحسين عليه السلام يجدها تفيض عطاءً وعظمة، فإضافة إلى مشروعية الثورة التي اتخذها عليه السلام منطلقاً لرفع راية الرفض بوجه السلطة الأموية المستبدة، فقد مثّل في مواجهته قوى البغي والاستبداد أعظم مبادئ الإسلام في الوقوف بوجه الباطل ومجابهته مجسّداً قول النبي الأعظم صلى الله عليه وآله: (أعظم الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر)، وجسد في نهضته الروح النبوية والأخلاق المحمدية السمحة، فكان الحسين عظيماً في كل حركاته وسكناته كما كان عظيماً في جميع أقواله وأفعاله.

٨.لم يقدم الامام على الثورة إلا بعد ان انسدت امامه جميع الوسائل والسبل وانقطع كل أمل له في اصلاح الامة، وانقاذها من السلوك في المنعطفات فايقن انه لا طريق للإصلاح إلا بالتضحية الحمراء، فهي وحدها التي تتغير بها الحياة، وترتفع راية الحق عالية في الارض.

٩.جسدت ثورة الامام الحسين عليه السلام الاصلاح والهداية لكل البشرية من دون استثناء، فقد سعى سيد الشهداء وصحبه الابرار بتضحياتهم السخية الى بناء مجتمع إسلامي وإنساني متكامل، تسود فيه الاخلاق الفاضلة والقيم النبيلة وتتحقق فيه العدالة والاخوة والحرية والمساواة وباقي القيم الانسانية التي تحفظ حقوق الإنسان وكرامته.

١٠.لقد تأثر عظماء البشرية ومفكروها وسياسيوها بشخصية الإمام الحسين عليه السلام وسيرته العطرة، لأنهم وجدوا في ثورته الرفض المطلق للظلم السياسي والاجتماعي والاقتصادي والعرقي والقبلي والمناطقي، ولمسوا في حركته التحررية الكرامة الإنسانية، والحرية الفكرية، والعدالة الاجتماعية، والتسامح الديني، لان هذه الثورة أعطت الدروس المشرفة عن التضحية في سبيل القيم الإسلامية والوفاء للمبادي الإنسانية.

١١.تتميز ثورة الإمام الحسين عليه السلام بانها تحمل الكثير من المعاني والأبعاد والدلالات،

فهي ليست تلك الثورة والحركة التي حصلت أحداثها قبل ما يقرب من(١٤٠٠) عام وانتهت بشكل طبيعي كما تنتهي المعارك التي يقوم بها الإنسان فلا بد من التوقف طويلا عند النتائج والآثار التي حملتها، والتي ما زالت مستمرة حتى يومنا هذا ومتجذرة في نفوس الملايين وضمائرتهم، عاما بعد اخر.

١٢.إنّ إحياء ذكرى عاشوراء هو للعبرة والاتعاظ وتوضيح الدرس العملي والتطبيق لآيات كتاب الله الآمرة بالثورة على الحاكم الظالم ولو من موقع إسلامه العام، فمجرد كون الحاكم مسلماً لا يمنع من القيام ضدّه لتصحيح مسار الأمور عندما ينحرف بها عن جادة الاستقامة والهداية والعدل والحق ولذلك نرى القرآن يصرّح بأن من لم يحكم بما أنزل الله فهو الكافر والفاسق والظالم.

١٣.اكدت ثورة الامام الحسين عليه السلام ضرورة اصلاح شؤون الأمة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية وعدم المساومة على الحق ورفض الباطل، والزيف، والفساد، والضلال وكل ألوان الانحراف الأخلاقي، والثقافي، والاجتماعي، والسياسي. فالامام الحسين عليه السلام قال ((لا أرَى المَوتَ إلاَّ سَعَادَة والحَياةَ مَع الظالمينَ إلاَّ بَرَمَا))في تأكيد على ان ثورته هي الصرخة المدوية في مواجهة الظلم والظالمين، والبغي والباغين ومقارعة الاستكبار والمستكبرين.

١٤.جسدت ثورة الإمام الحسين عليه السلام في نهضتها قيم ومبادئ وحقوق الأمة والبشرية جمعاء. فهي لم تكن ثورة في مكان وزمان معينين بل كانت على امتداد التاريخ والعالم اجمع لأنها رسمت سبيل الخلاص من الظلم وطلب العدالة والحرية.

١٥.انطلقت الثورة الحسينية، وخرجت تنادي بالرسالة المحمدية والثبات عليها، بعد أن قام مَن رام السلطة وعشق التسلّط على رقاب الناس تحريفها، ليكون رافداً لمصالحه، لكن أبت الكلمة وانتفض الدم أمام ظلم الظالمين، فكان الموت للإمام اختياراً وليس خياراً؛ لأنّه أدرك الموت بهذه المعركة، كما أدرك بقاء الدين، بل كانت معركة الطفّ حفاظاً على منبر الرسول صلى الله عليه وآله.

وعلى ضوء استنتاجات البحث نقترح ونوصي ما يلي:

١.ضرورة العمل على تنشئة الاجيال على حب الامام الحسين عليه السلام وثقافته من خلال توجيه المؤسسات التربوية والدينية على الاستلهام من اهدفه ومبادئه وقيمه ابتداء من الروضة ومرورا بالمدرسة وصولا الى الجامعة ليكون شعارته وكلامه منهاج عمل في حياتنا اليومية.

٢.انشاء جامعة او صرح علمي يليق بمكانة وباسم الامام الحسين عليه السلام في كافة التخصصات العلمية والانسانية ليجسد روح الامام في خدمة الانسانية.

٣.انشاء مركز ثقافي عالمي باسم الامام الحسين عليه السلام يهتم بفكره وعلومه وعلوم ال بيته، يتضمن مكتبة وقاعات لإقامة الدورات وورش العمل والمؤتمرات والمناسبات عن سيرة حياة الامام العطرة ومأثره البطولية والانسانية والاجتماعية.

٤.توجيه وسائل الاعلام المتنوعة المرئية والمسموعة ومواقع التواصل الاجتماعي والمراكز الثقافية وبلغات متعددة للتعريف بدور الامام الحسين عليه السلام في بناء الانسان في المجتمع، ولإيصال رسالته الانسانية والدروس المستفادة منها لكل العالم.

٥.فتح باب التعاون وتقديم التسهيلات الرسمية وغير الرسمية لبلدان العالم وشعوبه كافة من اجل زيارة الامام الحسين لإحياء شعائره والوقوف على معانيه الانسانية في اسمى ملحمة شهدها التاريخ الانساني في اليوم العاشر من شهر محرم المحرم ليكون منارا ورمزا يحتذى به تتجسد عظمة وحب الامام الازلي والكوني ليبقى خالداً لا زوال له إلى الأبد.

المصادر والمراجع:

القران الكريم.
*الاخرس، مهند طلال(٢٠١٨)، ماهي الثورة، الحوار المتمدن، العدد/ ٥٧٦٤، محور الثورات والانتفاضات الجماهرية/ www. m. abewar. org
*الأصفهاني، د. محمد علي الرضائي(٢٠١٧)، المباني القرآنية لنهضة عاشوراء، مجلة الإصلاح الحسيني: العدد / ٥، موسوعة وارث الانبياء، مؤسسة وارث الانبياء للدراسات التخصصية في النهضة الحسينية، كربلاء المقدسة، العراق.
*الانباري، د. احمد عبد الامير(٢٠١٧)، ثورة الامام الحسين عليه السلام واثرها في استنهاض الشعوب للتحرر من الظلم، بحث منشور في وقائع مؤتمر الإمام الحسين عليه السلام الدولي الاول، العتبة العباسية المقدسة، قسم الشؤون الفكرية والثقافية، مركز العميد الدولي للبحوث والدراسات، كربلاء المقدسة، العراق.
* بشارة، عزمي(٢٠١٢)، في الثورة والقابلية للثورة، ط١، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت.
*البغوي(٢٠٠)، معجم الصحابة للبغوي، جـ ١، ط١، مكتبة دار البيان للطباعة والنشر والتوزيع، الكويت.
*بن حنبل، احمد، فَضَائِلُ الْحَسَنِ والحسين، رقم الحديث: ١٢١٥ .
*التمهيد، ١٨٦.
*التميمي، د. نابلس صلال(٢٠١٨)، ثقافة الثورة عند الامام الحسين عليه السلام، مجلة الاصلاح الحسيني، العدد/ ١٤، مؤسسة وارث الانبياء للدراسات التخصصية للنهضة الحسينية، العتبة الحسينية، كربلاء المقدسة.
*الجراح، حيدر(٢٠١٤)، الاصلاح، شبكة النبآ المعلوماتية، بتاريخ ٨/ ١٠ / ٢٠١٤، متاح على موقع/ www. m. annabaa ,org
*جعفر، السيد عطاالله(٢٠١٦)، ما الدروس المستفادة من واقعة كربلاء، قناة العالم الاخبارية، بتاريخ١٠/ ١٠/ ٢٠١٦، متاح على موقع/ www. alalamtv. net
*الحاج، عدي(٢٠١٥)، ثورة الامام الحسين عليه السلام ثورة انتصار الدم على السيف، بتاريخ ١٨/ ١٠/ ٢٠١٥، متاح على موقع/ www. fk-news. com
*الحسين بن على، ويكيبيديا، متاح على موقع/ www. ar. wikipedia. org.
*الحسيني، صلاح الدين(د. ت)، سبيل المستبصرين، جـ ١.
*حميد، د. بشير ناظر(٢٠١٤)، دراسات في علم الاجتماع، دار نيبور للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، بغداد، العراق.
*حميد، د. بشير ناظر(٢٠١٧)، دور النهضة الحسينية في التغير الاجتماعي- تحليل سوسيولوجي، بحث منشور في وقائع مؤتمر الامام الحسين عليه السلام الدولي الاول، العتبة العباسية المقدسة، قسم الشؤون الفكرية والثقافية، مركز العميد الدولي للبحوث

والدراسات، كربلاء المقدسة، العراق.
*الخالدي، صباح (٢٠١٧)، ثورة الامام الحسين واستلهام القيم، جريدة الزمان، بتاريخ ٢٧/ ٩/ ٢٠١٧، متاح على موقع/ www. azzaman,com
*خامنئي، السيد علي(٢٠١٨)، ، اهداف وابعاد حركة الامام الحسين عليه السلام في كلمات قائد الثورة، قناة العالم، بتاريخ ١٨/ ٩/ ٢٠١٨، متاح على موقع/ www. alalamtv. net
*خيري، د. صبري محمد خليل (٢٠١٦)، مفهوم الاصلاح في الفكر السياسي والاجتماعي الاسلامية، بحث دراسات اسلامية، متاح على موقع/ www. icp. hadaracenter. com
*الدمشقي، ابن كثير(٢٠٠٣)، البداية والنهاية، ، ترجمة يزيد بن معاوية، جـ ١١، دار عالم الكتب.
*الربيع، د. فائز(٢٠١٧)، مفهوم الاصلاح في القران الكريم، صحيفة الراي، بتاريخ ٩/ ٨/ ٢٠١٧، متاح على موقع/ www. alrai. com
*رويح، عبد الامير(٢٠١٦)، ثورة الامام الحسين عليه السلام اصلاح حقيقي وثقافة مستدامة، بتاريخ ١٣/ ١٠/ ٢٠١٦، متاح على موقع/ www. m. annnabaa. org
*السادة، ماجد(٢٠٠٧)، استراتيجيات النهضة الحسينية في الإصلاح والتغيير السياسي، ط٢.
*السبحاني، جعفر(د. ت)، بحوث في الملل والنحل، جـ ٦.
*سعد، علي حميد، وجابر، زينة اياد(٢٠١٥)، طريق زيارة اربعينية الامام الحسين عليه السلام بنظم المعلومات الجغرافية، بحث منشور في مجلة آداب الكوفة، العدد/ ٢٢، السنة/ ٨، كلية الآداب، جامعة الكوفة، النجف الاشرف، العراق.
*سعيد، فاطمة عبد المنعم(٢٠١٢)، الدور السياسي للأمام الحسن بن علي عليه السلام، بحث منشور في مجلة آداب الكوفة، العدد/ ١٢، السنة/ ٥، كلية الآداب، جامعة الكوفة، النجف الاشرف، العراق. ، ص٣٣٣
*سورة آل عمران / آية١٠٤.
*سورة الاحزاب، اية/ ٧١واية/ ٣٣
*سورة الاعراف، اية/ ٥٦.
*سورة البقرة، اية/ ٢٢٤ واية/ ١٣٠.
*سورة التوبة، اية/ ١٠٢.
*سورة الشورى، اية/ ٢٣.
*سورة هود، اية/ ٨٨.
*سورة ال عمران، اية/ ٤٦.
*السيستاني، اية الله السيد علي(٢٠١٨)، اهداف ثورة الامام الحسين عليه السلام -الاجتهاد، بتاريخ ١٣/ ٩/ ٢٠١٨، متاح على موقع/ www. ٥ijtihadnet. net
*السيوطي، جلال الدين (١٩٨٥)، الخصائص الكبرى جـ ٢، دار الكتب العلمية، بيروت.
*الشاهرودي، اية الله السيد محمود الهاشمي(٢٠٠٣)، الثورة الحسينية – دراسة في الاهداف والدوافع، بحث منشور في مجلة المنهاج، السنة/ ٨.

*الشيباني، محمد بن عبد الهادي بن رزان (٢٠٠٩). مواقف المعارضة في عهد يزيد بن معاوية (٦٠-٦٤هـ)، ط٢، دار طيبة للنشر والتوزيع الرياض، السعودية.
*الشيباني، محمد بن عبد الهادي و الخضر، محمد سالم (٢٠٠٥)، القول السديد في سيرة الحسين الشهيد، ط١، مكتبة الكويت الوطنية، الكويت.
*الصالحي، عدنان(٢٠٠٨)، الامام الحسين عليه السلام مبادئ متجدده ونظام لفعل الخير، مركز الامام الشيرازي للدراسات والبحوث، شكية النبأ المعلوماتية، بتاريخ ١٥/ ١/ ٢٠٠٨، متاح على موقع/ www. shrsc. com
*صحيح مسلم، رقم/ ٧٨.
*صفي الدين، السيد هاشم(٢٠٠٨)، ثورة الامام الحسين عليه السلام وتيار التغيير في الامة، بحث منشور في وقائع مؤتمر ثورة الامام الحسين عليه السلام قراءة في الابعاد والدلالات، سلسلة المؤتمرات والندوات الفكرية(٧)، مركز الامام الخميني الثقافي، جمعية المعارف الاسلامية الثقافية، ط١، بيروت، لبنان.
*الصقار، محمد ظاهر (٢٠١٨)، اخلاقية الثورة عند الامام الحسين عليه السلام، موقع العتبة الحسينية المقدسة، بتاريخ ٣٠/٩/٢٠١٨، متاح على موقع/ www. imamhussain. org
*الضخران، الشيخ عزيز حسن(٢٠١٦)، الثورة الحسينية مبادئ وقيم، مجلة رسالة القيم، العدد/ ٣٧، بتاريخ ١٣/ ٤/ ٢٠١٦، متاح على موقع/ www. ralgalam. com
*عبد النور، د. جبور(١٩٨٤)، المعجم الأدبي، ط٢، دار العلم الملايين، بيروت.
*العلواني، عمار سليم عبد الحمزة (٢٠١٦)، تحديد معنى مصطلح الاصلاح، قسم علم الاجتماع/ كلية الآداب/ جامعة بابل، بتاريخ ١٨/ ٢/ ٢٠١٦.
*علي، السيد مير(١٩٨٣)، تاريخ العرب، ترجمة رياض رافت، طبعة مصر.
*عليوي، معاذ(٢٠١٦)، مفهوم الاصلاح الاجتماعي، المركز الديمقراطي العربي، بتاريخ ١/ ٢/ ٢٠١٦، www. democraticac. de
*الغنطوسي، د. عبد الرحمن وحسن، د. سلام عبود(٢٠١٧)، تأملات ومواقف انسانية وتربوية من ثورة الامام الحسين عليه السلام واثرها في اصلاح الفرد والمجتمع، بحث منشور في مجلة الكلية الاسلامية الجامعة، المجلد/ ٥، العدد/ ٤٣، الجزء/ ٥.
*فكري، د. مسعود(٢٠١٧)، البعد الاخلاقي في الثورة الحسينية – التزام بالقيم وتمسك بالمبادئ، بحث منشور في وقائع مؤتمر الامام الحسين عليه السلام الدولي الاول، العتبة العباسية المقدسة، قسم الشؤون الفكرية والثقافية، مركز العميد الدولي للبحوث والدراسات، كربلاء المقدسة، العراق.
*فياض، د. حسن حميد(٢٠١٧)، منهج التربية الحسينية في التربية الروحية، بحث منشور في وقائع مؤتمر الامام الحسين عليه السلام الدولي الاول، العتبة العباسية المقدسة، قسم الشؤون الفكرية

والثقافية، مركز العميد الدولي للبحوث والدراسات، كربلاء المقدسة، العراق.
*القاسمي، محمد جمال الدين (١٩٩٧)، *محاسن التاؤيل، ١/ ٢٥٢، تحقيق، محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية.
*القرشي، باقر شريف(١٤٢٩هـ)، حياة الامام الحسين بن علي عليه السلام- دراسة تحليلية، قسم الشؤون الفكرية والثقافية في مكتبة العتبة الحسينية المقدسة، ط٢، متاح على موقع / www. Imamhussain-bil. com
*القزويني، سيد عبد الكريم الحسيني(د. ت)، ثورة الامام الحسين ومعطياتها العاطفية والثقافية، متاح على موقع/ www. imamhussain. lib. com
*قناة العالم(٢٠١٦)، الامام الحسين عليه السلام، نبراس الحرية ودرس العزة والكرامة، تاريخ ٦/ ١٠/ ٢٠١٦، متاح على موقع/ www. alalamtv. net
*قناة العالم(٢٠١٣)، الحسين عليه السلام في اقوال فلاسفة ومفكري وقادة العالم، تاريخ ١٤/ ١١/ ٢٠١٣، متاح على موقع/ www. alalamtv. net
*كاظم، عمار(٢٠١٦)، اقوال في حق الامام الحسين عليه السلام، بتاريخ ١٢/ ١٠/ ٢٠١٦، متاح على موقع/ www. balagh. com
*الكندي، لعمر بن مظفر بن عمر بن محمد ابن أبي الفوارس أبي حفص زين الدين ابن الوردي المعري (١٩٩٦)، تاريخ ابن الوردي، جـ ١، ط١، دار الكتب العلمية بيروت.
*ماهي الثورة- وما تعريفها، بتاريخ ٢٤/ ١١/ ٢٠١٩، متاح على موقع/ www. razej. com
*مبلغي، الشيخ احمد(٢٠١٧)، فلسفة النهضة الحسينية- قراءة جديدة في النظريات القائمة، بتاريخ ٣/ ١٠/ ٢٠١٧، متاح على موقع/ www. alkawthertv. com
*مجلة مصطفى(٢٠١٦)، اقوال خالدة بحق الامام الحسين عليه السلام، بتاريخ ٥/ ١٠/ ٢٠١٦، متاح على موقع/ www. al-mostafa. com
*المجلسي، محمد باقر(د. ت)، بحار الانوار، ت١١١١هـ، ط٢، ج/ ٣٩، دار احياء التراث، بيروت.
*مجمع اللغة العربية(٢٠٠٥)، المعجم الوسيط، باب الاصلاح، ج١، ط٣، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة.
*مجمع اللغة العربية(١٩٨٣)، المعجم الفلسفي، الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية، القاهرة.
*مركز الامام علي الاسلامي(د. ت)، حياة الامام الحسين بن علي عليه السلام، ستوكهولم، السويد، متاح على موقع / Imam Ali Islamic . center. se
*مفهوم الثورة، بتاريخ ٢٦/ ٥/ ٢٠١١، متاح على موقع/ www. ar-ar. facebook
*المسار (١٤٢٩هـ)، مقالة، الحسين بن على عليه السلام، قادتنا كيف نعرفهم، المسار، بتاريخ ١/ ذو الحجة/ ١٤٢٩هـ، متاح على موقع/

wwwgadatona. org
*القيسي، شاكر كريم(٢٠١٤)، من ثورة الامام الحسين عليه السلام نستلهم مبادئ الحق والعدالة، الحوار المتمدن، بتاريخ ٢٢/ ١٠/ ٢٠١٤، متاح على موقع/ www. m. ahewar. org
*مقالة(د. ت)، ثورة الامام الحسين عليه السلام في اقوال المستشرقين والعلماء الغربيين، متاح على موقع/ www. harouf. com
*المقداد، الشيخ محمد توفيق(٢٠١٨)، تأثير الثورة الحسينية في الثقافة الاسلامية، بحث منشور في وقائع مؤتمر ثورة الامام الحسين عليه السلام قراءة في الابعاد والدلالات، سلسلة المؤتمرات والندوات الفكرية(٧)، مركز الامام الخميني الثقافي، جمعية المعارف الاسلامية الثقافية، ط١، بيروت، لبنان.
*المهاجر، جعفر(٢٠١٢)، ثورة الامام الحسين عليه السلام ثورة الحرية والكرامة والإباء، وكالة انباء براثا، بتاريخ ٢٩/ ١٢/ ٢٠١٢، متاح على موقع/ www. burathanews. com
*امام الولائي، موقع(١٢)، نبذه عن حياة الامام الحسين عليه السلام، متاح على موقع/ www. sites. google. com
*النجفي، اسامة(١٤٢٧هـ)، اقوال المستشرقين وعلماء العرب في ثورة الحسين عليه السلام، ملف عاشوراء، شبكة النبأ المعلوماتية، متاح على موقع/ www. annabaa. org
*وكالة انباء براثاه ، ٢٠١٢-١٢-٢٩، متاح على موقع: burathanews. com
*ويكيبيديا، ثورة، متاح على موقع/ www. ar. wikipedia. org.
* اليوسف، د. عبدالله احمد(٢٠١٨)، سيرة الامام الحسين عليه السلام دراسة تحليلية، قسم الشؤون الفكرية والثقافية، مكتبة العتبة الحسينية المقدسة، كربلاء المقدسة، العراق.
*الغطاء، الامام كاشف(د. ت)، الثورة الحسينية اسبابها ومخططاتها: كتاب السياسية الحسينية، متاح على موقع/ www. alrseraj. net

شعريّة الحوار في قصة استشهاد الإمام الحسين عليه السلام

«دراسة تحليليّة»

Dialogue Poeticism in Narrativity of
Imam Al-Hussein Martyrdom
(Analytic Study)

م. د. عبّاس فاضل عبد الله الموسويّ
Lectur. Dr. Abbas Fadhil `Abidallah
Al-Moosawi

شعريّة الحوار في قصة استشهاد الإمام الحسين عليه السلام

«دراسة تحليليّة»

Dialogue Poeticism in Narrativity of Imam Al-Hussein Martyrdom (Analytic Study)

م. د. عبّاس فاضل عبد الله الموسويّ
المديريّة العامة للتربية / محافظة ذي قار

Lectur. Dr. Abbas Fadhil `Abidallah Al-Moosawi General Directorate of Education /Theqar Province

abbassfidl2017@gmail. com

تاريخ الاستلام: ٨/ ٢/ ٢٠٢٠
تاريخ القبول: ١٤/ ٥/ ٢٠٢٠

خضع البحث لبرنامج الاستلال العلمي
Turnitin - passed research

ملخص البحث:

تبحث هذه الدراسة عن جماليّات الحوار، في أحد نصوص السيرة التاريخيّة المهمة من جانبي الموضوع والأسلوب، وهذا النص، هو (قصة استشهاد الإمام الحسين عليه السلام)؛ فتكشف عن الآليات والأساليب التي استعملها الإمام عليه السلام لمخاطبة الناس، سواءً كان هؤلاء المخاطَبون من أهل بيته وأصحابه وأنصاره، أم من المعسكر المعادي المتجحفل لمقاتلته؛ إذ تبرز هنا (مستويات شعريّة الحوار) التي تُميزها من الشعريات الأخر، وتتنوع أساليبها الفنيّة، وتُظهر كذلك براعة اختيارات ألفاظ الخطاب ودقته من ناحيتي بناء الجملة والمفردة ودلالاتها.

الكلمات المفتاحيّة: الشعريّة، وظائف الشعريّة، اتجاهات الشعريّة، الحوار، أنواع الحوار، شعريّة الحوار.

Abstract

This study examines the aesthetics of dialogue, in one of the texts of the historical biography of the important aspects of the subject and style. The text, is (the story of the martyrdom of Imam Hussein peace be upon him) reveals the mechanisms and methods used by the Imam (peace be upon him) to address people, whether these addressees , his home people , his companions and his supporters, or from the hostile camp to his fighters. It highlights the levels of poetic dialogue that distinguishes it from other poets, and varied his artistic methods, as well as it shows the versatility and accuracy of speech choices in terms of syntax and diction and semantics.

Key words: Poeticism, poetic functions , poetic trends, dialogue, dialogue types, dialogue poeticism

المقدّمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد مصباح الحق وهادي الخلق، سيد المرسلين وخاتم النبيين الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله والصلاة والسلام على آله الطاهرين وصحبه الأبرار المنتجبين، وبعد:

أولاً ـ يُعد (الحوار) واحداً من أهم عناصر السرد العربي القديم والحديث؛ إذ ترتكز سرديّات الحكاية بمختلف أجناسها على هذه التقنية، فغالباً ما يعطي هذا العنصر الحيويّة والنشاط للاستمرار في رغبة الاتصال بالآخر، وإيصال الأفكار له، كما أنّه يُعدّ من الأساليب التي يتخذها أصحاب الدعوة من أنبياء ومصلحين وفلاسفة، فيستعملونه للتأثير في الجماهير من طريق المجادلة أو إثبات الحقائق الإلهيّة وإقامة البراهين العقليّة والعلميّة، أو الدعوة لاتّباعهم والإنضمام إليهم ونصرتهم، والأخذ بأقوالهم، وقد تختلف أشكال (الحوار) بحسب طبيعة الموقف الذي يتجلّى فيه، ونوعية الحدث القائم، والفعل الذي من أجله يُقام وينبني.

ثانيًا ـ إنّ قصة استشهاد سيِّد شباب أهل الجنة ومن معه من أهل بيت وأصحاب وأنصار لزاخرة بـ(الحوار) التواصلي وتمثلاته المختلفة؛ وهذا رّبما يعود إلى طبيعة الحدث الذي انبثق منه هذا (الحوار)، فقد انقسم العالم الإسلامي آنذاك ـ وما زال ـ على قسمين، الأول المعسكر الداعي إلى العدل والحق، والمعسكر الداعي إلى الرذيلة والتسلط على رقاب الناس بالقوة، ومن الطبيعي أن يكون هناك مناصرون لكلِّ طرف، يدافعون عمّا أمنوا به، ومناوئون له يحاولون عرقلته والقضاء عليه، فتجري بينهما حوارات ومناجزات قد تطول أو تقصر بحسب الظرف الذي يمرُّ بها المعسكران.

ثالثًا ـ تناولت هذه الدراسة (الحوار) كونه خطاباً يمتلك خصائص جماليّة لغويّة ولسانيّة تختلف عن خصائص الخطابات الأدبيّة الأخر، وتقيدًا بأساسيات المنهج

العلمي فقد اعتمد الباحث (المنهج التحليليّ) لدراسة نصوص هذا الخطاب، بعد أن عرّف (الشعرية) بوصفها مصطلحاً معرفياً مرَّ بمراحل عديدة، ثُمَّ الوقوف على مصطلح (الحوار) والبحث في وظائفه وأنواعه، وتمثّلاته في النص «عينة الدراسة»، بعدها شخصنا أهم مظاهر الشعريّة وتجلّياتها في (نص استشهاد الإمام الحسين)، وهو الجانب التطبيقيّ في الدراسة، وقسّم على ما يأتي:

١ـ شعرية الإيجاز في قصة استشهاد الإمام الحسين عليه السلام.

٢ـ شعرية كسر أفق التوقع في قصة استشهاد الإمام الحسين عليه السلام.

٣ـ شعرية التناص في قصة استشهاد الإمام الحسين عليه السلام.

٤ـ شعرية الحذف في قصة استشهاد الإمام الحسين عليه السلام.

وتجدر الإشارة إلى أنَّ هذه الدراسة قد اقتصرت على نماذج من (الحوار) الذي جرى بين الإمام الحسين وآخرين، بدءاً من خروجه عليه السلام من المدينة المنوّرة حتى استشهاده؛ متجنبة الحوارات الأخرى لعدة أسباب؛ منها

أولًا ـ طول (الحوار) في نص هذه السيرة التاريخيّة الذي من الصعوبة استيعابه كاملاً في هذه الدراسة.

ثانيًا ـ فضلًا عن أنّ (الحوار) الذي جرى مع الإمام الحسين عليه السلام يمثل (زبدة) الكلام والمضمون، فهو بمثابة السبب والنتيجة التي من أجلها خرج الإمام طالباً الإصلاح في الأمة، وما عداها من (الحوارات) الأخر تعد ثانويّة.

ثالثًا ـ وتتأتى أهمية اقتصار الدراسة على هذا (الحوار) المذكور آنفاً من أنَّ الإمام عليه السلام هو قائد هذه الثورة الميدانيّ والروحيّ ومن غير المنطقي ترك مادار بينه وبين الآخرين أصدقاءً أو أعداءً والتركيز على الحوارات الأخر.

وينبغي أن نشير إلى أنّ هذه الدراسة قد اعتمدت (قصة الاستشهاد) برواية أبي مخنف الأزديّ الكوفيّ والمعنونة (وقعة الطف)؛ لما لهذا المؤلَف من عمق تأريخيّ يصل إلى منتصف القرن الثاني الهجريّ، وأنَّ كلَّ المقاتل الأخر التي ظهرت بعده تُعد عيالاً عليه[١]، وتابعة له، ومعتمدة على ماوَرَدَ فيه من مادة تأريخيّة منقحة من لدن شيوخ المحققين وأساتذتهم.

أولاً ــ الشعريّة المفهوم والوظيفة

توصف (الشعريّة) بأنّها بمنزلة الخط الفاصل «بين التأويل والعلم في حقل الدراسات الأدبية وهي بخلاف تأويل الأعمال النوعية، لا تسعى إلى التسمية، بل إلى معرفة القوانين العامة التي تنظّم ولادة كل عمل، ولكنها بخلاف كل هذه العلوم التي هي علم النفس وعلم الاجتماع. . . ألخ تبحث هذه القوانين داخل العمل ذاته. فالشعرية إذن مقاربة للأدب «مجردة» و»باطنية» في الان نفسه»[٢]. وقد يرجع تاريخ ظهور الشعرية مع ظهور الأدب نفسه؛ إذ إنّها تعني الصفة الأدبية للخطاب وطبيعته التي سمت به إلى مصاف النصوص الراقية. ويعرّف الدكتور يوسف إسكندر الشعريّة أو النظرية الأدبية كما تسمى في غرب أوربا، بأنّها «دراسة البنى المتحكمة في الخطاب الأدبي، وهي لا تحدد بنوع أدبي معين بل يكون مدار اشتغالها مجمل الأدب بوصفه إبداعاً، غير أن هذا لا يعني أنها لا تراعي الحدود والفوارق النوعية بين الأجناس الأدبية، ولهذا نشأت لها فروع متخصصة بهذه الأجناس، فهنالك شعرية للمسرح وأخرى للقصة وغيرها للشعر. [٣] و هي أيضاً، «معالجة الاستعمال الجماليّ للغة، أو هي تعني الدراسة الخاصة بالبنى المتحكمة في الخطاب الأدبيّ في جميع مستوياته، اللغوية والأسلوبية. ويمكن الالتفات إلى مفهوم (الشعرية) من جهة الخصائص التي تقع تحت هوية النص الأدبي، فنجدهم يقصدون به «الخصائص التي تصنع فرادة الحدث الأدبي أي الأدبية»[٤].

في حين يرى الدكتور حسن ناظم المعنى العام للشعرية يتلخص بأنها « البحث عن قوانين الإبداع، وقد اتخذ مصطلحات مختلفة منها: شعرية أرسطو، ونظرية النظم للجرجاني والأقاويل الشعرية: المستندة الى المحاكاة والتخييل عند القرطاجني، أما الجهة الثانية فتتلخص في النظريات التي وضعت في إطار مصطلح (الشعرية) ذاته مع اختلاف التصور في سر الإبداع وقوانينه، كما هو الحال في نظرية التماثل eguivalence عند ياكوبسن R. Jakobson و نظرية الانزياح devition ونظرية الفجوة: مسافة التوتر عند كمال أبو ديب»[٥]

وقد مرّت الشعرية بوصفها منجزاً معيارياً بعدد من المراحل التي طورت من رؤيتها للخطابات الأدبية المطروحة أمامها؛ إذ إنّها «التحقت بالدوائر المعرفية النموذجية، فهي تشكل في مراحلها الأولى قسما من الثالوث الفلسفي: الإقناعي الخطابي (أو البلاغي) من جهة، والتحليلي الاستنباطي (أو المنطقي) من جهة ثانية، والخيالي الفني (أو الجمالي) من جهة ثالثة، وقد انتقلت إلى المجال العربي في عصوره الوسيطة لتغتني بالأبحاث العربية آنذاك، والمتمثلة بالبلاغة وعلوم النحو واللغة، ولاسيما أن النص الإسلامي الرئيس ـ القرآن الكريم ـ ينطوي هو الآخر على إشكاليات الاستخدام المتنوع للغة، مما فرض على الباحثين تحديا كبيرا من أجل تفسيره والكشف عن معانيه في محكمه ومتشابهه»[٦].

وينطوي تحت جناح الشعرية ثلاثة اتجاهات رئيسة ساهمت في تأسيسها ووضع الأصول الأولى لها، وخط الطريق واضحة أمامها، وهذه الاتجاهات هي، الاتجاه الأول: الاتجاه السيميائي، والاتجاه الثاني الوظيفي، والاتجاه الشكلي، يضم كلٌّ واحد من هذه الاتجاهات مجموعة من المقولات والأصول[٧]. إذن فالشعرية تعني دراسة الصفات الجمالية للأساليب التي يستخدمها المبدع في خطابه الأدبي، من أجل التأثير في المتلقي، كما أنّها تعني الوقوف على القوانين لمعرفة الأسس والقواعد التي تساهم في بنية النص.

ثانياً: الحوار أنواعه ووظائفه

يبدو أنَّ (الحوارَ)، هو الأسلوب الذي يعتمد عليه السارد في تبادل الخطاب الأدبي مع الطرف الثاني، وهو بمثابة القناة التي تستقر فيها الرسالة المنطلقة من المرسِل إلى المرسَل إليه، اعتماداً على المرجعيات والسياق الذي يرد في هذا الخطاب، وقد توقف بعض الباحثين عند مصطلح الحوار وتدبروه جيداً وقد يرون بأنّه في حقيقته ليس الأسلوب الفردي المختص بالسارد، وإنّما هو أحد الأساليب التي يتقمصها الراوي أو شخصيّاته للتعبير عن واقعية الحياة[٨].

و«الحوار» في أصله هو «حديث بين اثنين او اكثر تضمه وحدة في الوضوح والأسلوب»[٩]، أو هو كما يصفه الدكتور فاتح عبد السلام بأنّه«الكلام الملفوظ المتبادل بين شخصيات القصة، وتقع عليه مسؤولية مثل حركة الحدث من نقطة إلى أخرى داخل النص، وهي عملية صعبة تتحول من خلال الفكرة الى جزء فاعل له صيغة عمل داخلية نابعة من إجراءات الحدث وتفاصيله»[١٠].

وقد يتحول أحياناً أسلوب «الحوار» إلى أهم وسيلة لإظهار الخصائص الفردية للشخصيّات في النص السرديّ، عارضاً وجهات نظرها، في الأحداث والمواقف التي تجري في المحيط الذي تعيش فيها[١١]. وهو أيضاً قد يكون بمثابة «الأقوال المتبادلة بين شخصين فأكثر منذ لحظة الالتقاء إلى لحظة الافتراق مع ما يصحب هذه الأقوال من هيئات وإيماءات وحركات وكل ما يخبر عن ظروف التواصل ترد جميعها في شكل خطاب إسنادي»[١٢] ووَرَدَ بأنّ الحوار «هو أن يتناول الحديث طرفان او اكثر عن طريق السؤال والجواب، بشرط وحدة الموضوع أو الهدف، فيتبادلان النقاش حول امر معين، وقد يصلان الى نتيجة، وقد لا يقنع احدهما الاخر ولكن السامع يأخذ العبرة ويكون لنفسه موقفا»[١٣]. وربما يكون الحوار هو بمنزلة

الأسلوب المثالي في الخطاب والبيان ووسيلة ناجعة لتثبيت الحجج والبراهين في مواقف الاحتجاج والجدال، حين يكون وسيلةً لإبلاغ أو إفهام الأطراف الداخلة ضمن الوحدة الحواريّة الواحدة.

وقد وَرَدَت في القرآن الكريم إشارة صريحة عن تجليات (الحوار) بين المتخاصمين في الرأي والعقيدة، لاسيما فيما يخص وجهة النظر حول مسألة عبادة الله وحده من دون الإشراك به بقوله تعالى ﴿ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا ﴾[١٤]، ووَرَدَ أيضاً الحوار بصيغة الجدال من أجل الوصول إلى حقيقة الأمر كما في قوله تعالى ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا، إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾[١٥]، فالتجادل هنا قد يقترب من معنى التحاور مع النبيّ صلى الله عليه وآله، "هو مناقشة بين طرفين - أو أطراف - بقصد تصحيح الكلام، وإظهار حجة، وإثبات حق، ودفع شبهة، وردّ الفاسد من القول والرأي"[١٦]

وقد يساهم الحوار في تقديم شخصيّات الخطاب الأدبي، وهذا يعتمد في الدرجة الأساس على مهارة المبدع وحذاقته في« صياغة حوارات فنية موحية يستطيع القارئ عبر ما تتضمنه من دلالة تكوين صورة محددة عن الشخصية. [إذ] إن المفردات التي تستخدمها الشخصية، والطريقة التي تتبعها، في الكلام عن الآخرين تظهر مستواها الثقافي، والاجتماعي، والفكري؛ وكلّما اعتمد الروائي في تقديم شخصياته على الحوار كان بمقدور الناقد أن يتبين، بوضوح أكبر، قدرته على صياغة حوارات فنية ناجحة»[١٧].

أما أهم وظائف الحوار فقد يمكن إجمالها بما يأتي:

ـ أولاً: كشف أعماق الشخصية في النص الأدبي، وإبراز ما في أغوارها.

ـ ثانياً: يساهم الحوار في بناء الحدث ونموه ويساعد على بلورته.

ـ ثالثاً: يقوم الحوار بنسج الوقائع الصغيرة كي تكون جزءاً من البنية القصصية للحدث. [١٨]

ويفترق «الحوار» عن «الجدال» بأنَّ الأول، هو عبارة عن مراجعة الكلام والحديث بين طرفين، ينتقل من طرف إلى آخر، ثُمّ يعود إلى سيرته الأولى، من دون أن يكون بين هذين الطرفين ما يدلّ بالضرورة على وجوب الخصومة، أمّا الجدال، فهو المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة، وقيل: الأصل في الجدال الصراع وإسقاط الإنسان صاحبه على الجَدالة وهي الأرض الصلبة. (١٩)

وينقسم الحوار بحسب نوع الآلية أو الطريقة التي تتم به عملية التحاور، إلى نوعين رئيسين تنضوي تحتهما مجموعة من الأنواع الأخرى الفرعية:

١ـ الحوار الخارجيّ، الذي يتم بين الشخصيّات وبأشكال مختلفة.

٢ـ الحوار الداخليّ، أي حديث الشخصيّة داخلياً أو حديث النفس.

وقد أقرّت نظريات (القراءة والتلقي) الحديثة التي اعطت دوراً جديداً ومهماً في الوقت نفسه للقارئ/ المتلقي، بأنّ «الحوار وان بدا في الظاهر حوارا بين شخصيتين فهو في حقيقة الأمر غير محصور في هذا المدى المنظور، وإنما يمر عابراً الى المتلقي الذي يكون بمثابة الشخص الثالث غير المرئي بين هاتين الشخصيتين المتحاورتين في موقع داخل النص، وهو الذي يجعل من دائرة الكلام دائرة مفتوحة غير منغلقة، ويعطي للحوار الأدبي سمة دقيقة وثابتة»(٢٠)، وهذا يعني أنّ السلطات الثلاث للنقد(المؤلف، والنص، والقارئ) مشتركة جميعاً في تشييد منظومة الحوار ووضع أسسه الأولى كي ينطلق منها إلى الفضاءات الأكثر انفتاحاً؛ لذلك نتلمس بروز دور الحوار وأهميته « بوصفه عنصراً له أثره الفاعل في العمل الروائي، إذ يستدل على وعي الشخصية وتفردها، ويسهم في تطوير الأحداث، فضلاً عن دوره في المساعدة في بحث الحرارة والحيوية في المواقف المميزة بشكل يحقق معه تطوراً متكاملاً لظواهر الواقع، تصويراً يعتمد التنوع في الرؤية، والشمول في آفاق التفكير»(٢١).

وقد يكون (الحوار) بمنزلة النافذة التي من طريقها يستطيع المبدع في الأجناس الأدبية المتنوعة أن يطل على القارئ، وأن يدور في فلك النص الذي يبدعه، ويريه الجوانب المعتمة من هذا النص، كما يُعد بمنزلة الرابط بين أطراف الشخصيّات المتقابلة على الخط السردي نفسه الذي اختطه السارد في بدء عمله؛ إذن المفهوم الأساس لمصطلح الشعرية ـ كما أسلفنا ـ هو التركيز على الاستعمال الجمالي للغة، من طريق استعمال المفردة في مكانها المناسب، أو من طريق توظيف تركيب معين أعمق دلالةً وأقوى جرساً وأكثر تأثيراً في الطرف المتحاوَر معه.

ولا يفوتنا التذكير بأنَّ النصَّ «أنموذج الدراسة»، هو نص واقعي وليس نصاً أدبياً خيالياً، أي أنّه عملٌ تاريخي نقل قصّةً جرت على أرض الواقع بين معسكرين حدثت بينهما معركة، وهذا النص المنقول، هو نقل حرفي للحوار الذي جرى بين الإمام الحسين (عليه السلام) وبعض أصحابه وأعدائه، كما حدث من دون إعادة صياغة له، أو إضافة بعض اللمسات الفنية له، وهذا يولد انطباعاً لدينا بأنَّ ما نتوقعه من جماليات فنّية في لغة هذا الحوار، ستكون محدودة ومقيّدة إلى حدٍ ما، وليست متنوعة بطبيعة الحال كما هو في النصوص السرديّة والشعريّة.

ثالثاً ـ مظاهر تجلّي الشعريّة في قصة استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام)

لا تقف الشعريّة عند مستوى خطابيّ معين، بل تدخل في كلِّ الخطابات الأدبيّة، وتتفرع إلى شعريّات عديدة، فهي قد رافقت عدداً من المظاهر البلاغيّة في النصوص العربيّة التراثيّة منها والحداثويّة، مستجليةً منها أبرز الخصائص المتحكّمة ببناء النّص وأنساقه المضمرة والظاهرة، وبنيته اللغوية، ومرجعياته الثقافيّة؛ وعلاقة النصوص بعضها ببعض، وغيرها من الخصائص البنيويّة والسياقيّة والنّصيّة؛ لذلك سنقف في دراستنا هذه على أربعة أنواع من الشعريّات فقط، وجدنا بأنّهن جديرات بالبحث

والتحليل، وهنَّ من أبرز مظاهر الشعريّة في نص (قصة استشهاد الإمام الحسين)، وهذا لا ينفي مطلقاً وجود عدد آخر من مظاهر الشعريّة في هذا النص، وتكون تمثّلات هذه الشعريّات على النحو الآتي:

١ـ شعريّة الإيجاز في قصة استشهاد الإمام الحسين عليه السلام

يعني الإيجاز فيما يعنيه بأنّه اقتصاد في الألفاظ وتأدية المعنى المراد بأقل عدد ممكن من الحروف؛ إذ إنّه «ما من كلام وجيز إلّا ويمكن تأدية معناه الإجمالي بأقل من لفظه، أو بما يساويه وإن لم يغن غناءه، ولم يوف وفاءه»[٢٢]. ويرى عبد القاهر الجرجانّي بأنَّ الإيجاز « هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فانك ترى به ترك الذكر، أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة، أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ماتكون اذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبن»[٢٣]. وقد عرّف السكاكي الإيجاز بأنّه « هو أداء المقصود من الكلام بأقل من عبارات متعارف الأوساط»[٢٤]، أي أنّه الاقتصاد اللغوي في تقديم الخطاب الأدبيّ عبر التداولية، وإفهام المتلقي من دون اللجوء إلى تكرار المعلومة، ولا يعني هذا إهمال اللفظ مطلقاً. ويرى بعض علماء اللغة وأدبائها أنَّ (الإيجاز) يعني البلاغة، إذ يقول (ابن المقفع) في تعريفه للبلاغة بأنها « اسم لِمعانٍ تجري في وجوه كثيرة، فمنها ما يكون في السكوت، ومنها ما يكون في الاستماع، ومنها ما يكون في الإشارة، ومنها ما يكون شعرا، ومنها ما يكون سجعا، ومنها ما يكون ابتداء، ومنها ما يكون جوابا، ومنها ما يكون في الحديث، ومنها ما يكون في الاحتجاج، ومنها ما يكون خطبا، ومنها ما يكون رسائل؛ فعامة هذه الأبواب الوحي فيها والإشارة إلى المعنى، والإيجاز هو البلاغة»[٢٥].

وتلزم بعض الحوارات تقنية الإيجاز والاختصار؛ بسبب الظروف التي يمرُّ بها المتحاورون، أو ربّما بسبب عدم إظهار الحقيقة كاملةً للطرف الآخر خوفاً من إفشاء

السر أو تجنباً لافتضاح أمرٍ ما يريد الطرف الثاني أخفاءه، وقد تعتمد هذه التقنية أسلوب التعتيم أو الصمت البلاغي المنطوي على حكمة؛ إذا كان أحد المتحاورين لم يرغب بإطلاع الآخر على كلِّ ما يفكّر به، وقد يكون الإيجاز أبلغ من الإطناب أحياناً إذا أفاد المعنى واستوفاه؛ إذ يكون عدم الإفصاح أبلغ من الإفصاح.

وحينَ عَزَمَ الإمام الحسين عليه السلام على المسير إلى العراق اعترضه بعض المحبين له، وأرادوا تقديم المشورة له بذلك، وليس لمثل الإمام عليه السلام يُقدم النصحُ، وهو أدرى بما يجري وسيجري، لكن بسبب خوف بعضهم على إمامهم، وهم أعرف بمكانته من جده رسول الله صلى الله عليه وآله؛ فلذلك أول ملاحظة يمكن أن نستشفها في الحوارات التي دارت بين الإمام وبين هؤلاء النفر هو (الرد الموجِز) من الإمام على الأسئلة التي كانت توجه له، التي غالباً ما تَطرح وقوع المعضلات السياسيّة فيما لو أصرّ على توجهه إلى العراق، ونصرة أهله الذين كتبوا له (أن أقبل علينا)، ووقوع الاقتتال مع معسكر يزيد بن معاوية الذي أصرَّ على أن يبايعه الإمام خليفة مفترض الطاعة، وهذا مالا يريده الإمام لما فيه من مفاسد دنيويّة وآخرويّة وإذلال للمسلمين وضياع للحقوق، ومرد هذا القصر في الجواب الذي يستلزمه الحوار بينه وبين بعض محاوريه، هو المعرفة التامة واليقين الراسخ لدى الإمام عليه السلام بما ستؤول إليه الأحداث، والنتائج التي ستتمخض عنها هذه الحركة على المستويين القريب والبعيد؛ إذ نلاحظ (الإيجاز) واضحاً وبيناً جداً في الحوار الذي دار بين الإمام عليه السلام مثلاً وأخيه السيِّد محمد بن الحنفيّة، فنقرأ مايلي:

« وأمّا محمد بن الحنفية: فإنّه لمّا سمع بالأمر جاء إلى أخيه الحسين) عليه السلام (قال له: يا أخي أنت أحبّ الناس إلي، وأعزهم عليّ، ولست أدّخر النصيحة لأحد من الخلق أحقّ بها منك، تنحّ ببيعتك عن يزيد بن معاوية وعن الأمصار ما أستطعت، ثم ابعث برسائلك إلى الناس فادعهم إلى نفسك، فان بايعوك حمدت الله على ذلك.

وأن أجمع الناس على غيرك لم ينقص الله بذلك دينك ولا عقلك، ولا يذبّ به مرؤتك ولا فضلك، إني أخاف أن تدخل مصراً من تلك الأمصار وتأتي جماعة من الناس فيختلفون فيما بينهم، فطائفةٌ معك وأُخرى عليك؛ فيقتتلون؛ فتكون لأول الأسنّة] غرضا[فاذن خير هذه الأمة كلّها نفساً وأباً وأماً أضيعها دماً وأذلها أهلاً»! فقال له الحسين عليه السلام: فاني ذاهب يا أخي»[٢٦]، فنرى وقياساً بطول الحوار زمنياً بين الأخوين المعصوم وغير المعصوم، أنَّ الإجابة كانت غايةً في الدقة والتصميم على بلوغ الهدف ومقتضبة جداً، مهما كلّفَ ذلك من تعب ومشقة وإحراجات وتضحيات بكلِّ شيء، ويستمر هذا الحوار على المنوال نفسه، فنقرأ تتمة الحوار، حين شعر السيِّد ابن الحنفية بإصرار إمام زمانه على المضي، فما كان منه إلّا أن غيّر مسار الحوار من ثني الإمام عن المسير إلى الالتماس في تغيير وجهة خروجه، إذ يقول ابن الحنفية له: «فانزل مكّة، فان اطمأنت بك الدار فسبيل ذلك، وإن نبتْ بك لحقت الرّمال وشعف الجبال، وخرجت من بلدٍ إلى بلدٍ حتى تنظر إلى مايصير الناس، وتعرف عند ذلك الرأي، فانك أصوب ما تكون رأياً وأحزمه عملاً حين تستقبل الأمور استقبالاً، ولاتكن عليك ـ أبداً ـ أشكل حين تستدبرها استدباراً. فقال له الحسين عليه السلام: يا أخي قد نصحت فأشفقت، فأرجو أن يكون رأيك سديداً موفّقاً»[٢٧]، فعلى الرغم من أن نبرة الحوار من جانب المحاوِر الأول/ الناصح قد تغيرت، إلّا إن الجواب من الإمام بقي على نمط واحد، وهذا متأتٍ بالدرجة الأساس من الباعث الذي ينطلق منه عليه السلام وهو الثبات على الموقف مع الإطمئنان للوصول إلى الهدف المنشود، فعندها نشعر بأنَّ الاتكاء على الحذف، قد أصبحت ظاهرة لافتة للمتمعن جيداً في النص؛ ذلك أنّ « للحضور دلالته دون شك، لكن للغياب أيضاً دلالته، وإن دلالة الغياب قد تكون أكثر جوهرية، وتجسيداً لبنية الثقافة، من دلالة الحضور»[٢٨].

إنَّ الإمام الحسين عليه السلام كان مصداقاً تطبيقياً لقوله تعالى: (وإذا عزمت فتوكل على الله) فحين يحاوره عبدالله بن عبّاس حبر الأمة وكاتبها وماله من منزلة عظيمة عند المسلمين جميعاً وقرابة نسب من بني هاشم، فإنَّ صيغة الإيجاز تبقى ملازمة للحوار بينهما، وهذا يدل على ما يتمتع به الإمام الحسين عليه السلام من حنكة سياسيّة ودراية ومعرفة تنم بتخطيط، «فلما أجمع المسير إلى الكوفة أتاه عبدالله بن عباس فقال: يابن عم، قد أرجف الناس أنك سائر إلى العراق، فبيّن لي ما أنت صانع؟ قال إني أجمعت المسير في إحدى يوميّ هذين إن شاء الله تعالى، فقال ابن عباس فإني أعيذك بالله من ذلك، أخبرني رحمك الله أتسير إلى قوم قد قتلوا أميرهم وضبطوا بلادهم ونفوا عدّوهم؟ فان كانوا قد فعلوا ذلك فسر بهم، وإن كانوا إنما دعوك إليهم وأميرهم عليهم قاهر وعمّاله تجبى بلادهم، فانهم إنما دعوك إلى الحرب والقتال، ولا أمن عليك أن يغرّوك ويكذبوك، ويخالفوك ويخذلوك، وأن يستفزوا إليك فيكونوا أشدّ الناس عليك! فقال له حسين عليه السلام: وإني أستخير الله وأنظر مايكون»[٢٩] وهذا يعني بأنّ صاحب المشروع لايثنيه عن الإقدام على مشروعه أي شيء.

ونجد هناك كثيرًا من الحوارات موجزة الرد من لدنه عليه السلام في قصة الاستشهاد المروية عنه[٣٠]، وقد يكون الإمام عليه السلام لم يجد الوقت الكافي ليشرح تفاصيل الأحداث ومعطياتها المتسارعة الوتيرة فلم يمهله العدو مجالاً، محاولاً زعزعّته، وهيهات لهم ذلكَ. وإنَّ اعتماد الإيجاز في (الحوار) لم يخلخل بنية النص، وأيضاً لم يقلل من أهميته، بل إنّه زاد شعريته بعداً بلاغياً أكثر عمقاً ودلالةً.

٢ـ شعريّة التناص في قصة استشهاد الإمام الحسين عليه السلام

ارتبط مفهوم التناص عند العرب بالإغارة على النصوص الأخرى وتضمينها والاقتباس منها أو امتصاصها ومعارضتها، من دون الوقوف عند جماليّات هذا الاستعمال ووظائفه[٣١]، في حين يُعرّف هذا المصطلح بوصفه مفهوماً نقدياً حديثاً

يمثّل تعالق النصوص وتقاطعها، ولإقامة الحوار بينهما، أو وجود علاقة بين ملفوظين، ويتجاوز مفهومه الكلي ليشمل ذلك النص الأدبي من جميع نواحيه[٣٢]، وقد أصبح هذا المصطلح واحداً من أكثر« المفهومات الرئيسة في النقد الحديث، الذي استمد قيمته النظرية وفاعليته من كونه يقف راهنا في مجال الشعرية الحديثة في نقطة تقاطع/ تلاقي التحليل البنيوي للنصوص والأعمال الأدبية بصفة عامة، بصفتها نظاما مغلقاً يحيل على نفسه مع نظام الإحالة أو المرجع، بصفته مؤشراً على ما هو خارج نصي، ولقد حدده باحثون من نقاد الغرب في العصر الحديث»[٣٣].

ويتناص حوار الإمام عليه السلام أحياناً في (قصة الاستشهاد) مع عدد من آيات القرآن الكريم؛ وربما يكون هذا التوظيف هو من أجل إلقاء الحجة عليهم، وإفحامهم بالنص الإلهيّ المعبِّر عن الحالة أو الموضوع المتحاورين فيه، فيروي ناقل القصة أنه «لمّا خرج الإمام الحسين عليه السلام من مكّة اعترضه رسل عمرو بن سعيد بن العاص، عليهم يحيى بن سعيد، فقالوا له: انصرف! أين تذهب؟ فأبى عليهم فتدافع الفريقان فاضطربوا بالسياط، ومضى الحسين عليه السلام على وجهه. فنادوه ياحسين! ألا تتقي الله! تخرج من الجماعة وتفرّق بين هذه الأمّة! فتأول الحسين عليه السلام قول الله عزّ وجلّ: ﴿ **لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ، أَنتُم بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ** ﴾ يونس: ١٤ [٣٤]، وهذا يعني أنَّ الإمام عليه السلام جعل القرآن الكريم هو الميزان بين ما يقوم به هو من تكليف شرعيّ وإلهيّ، وبين ما يقوم به أعداؤه من أعمال لا تمت للإسلام بصلة، كما أنّه تأكيد منه عليه السلام أنَّ الالتفاف حول القرآن الكريم هو الحياة الكريمة وفيه نجاة الأمة.

ويتناص بعض كلام الإمام الحسين عليه السلام مع إحدى آيات القرآن الكريم تجسيداً للموقف الذي مرّ به بعض الأنبياء في موقف دعواتهم إلى عبادة الله وترك الوقوف مع الظالم، كما في قصة النبي موسى عليه السلام حين خرج من مصر إلى المدن الأخرى وهو خائف على نفسه من أتباع فرعون الذين ما فتئوا يبحثون عنه ليقتلوه تقرباً وزلفةً

للحاكم المستبد، فنجده ﷺ يستعير من القرآن الكريم الآية التالية؛ إذ يقول صاحب المقتل « فخرج [الإمام] الحسين ﷺ من تحت ليلته هذه الثانية وهي ليلة الأحد ليومين بقيا من رجب سنة ستّين من الهجرة ببنيه وإخوته وبني أخيه وجل ّ أهل بيته، إلا محمد بن الحنفية، وهو يتلو هذه الآية ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ، قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ فلما دخل مكّة تلا هذه الآية ﴿ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ »[٣٥]، وهنا نجد المقاربة الدلالية بين الموقفين التاريخيين.

ولأنّ واحدة من أهم وظائف (الحوار) في النصوص، هي وظيفة التواصل بين المخاطِب والمستمع، نلاحظ أنَّ الإمام يوم عاشوراء يلجأ إلى استعمال بعض آيات من القرآن الكريم ليدل بها على ضلالة القوم وتيههم عن الرشاد، فربما تكون هذه الآيات هي الهادي من الضلال والمنقذ في هذا الموقف الحرج والمصيريّ، فنقرأ في حواره ﷺ مع قيس بن الأشعث هذه الشخصيّة المعروفة بحقدها على آل البيت وقد تلطخت يداه ويدا أخيه محمد وأخته جعدة بدماء أبناء هذا البيت الطاهر، فتسعفه ﷺ مقالة الله تعالى في هذا الصنف من البشر الظالم لنفسه، تاركاً الخطاب العادي، راكناً إلى الخطاب الإلهيّ، خاتماً به حواره مع هذا الضال، فينقل أبو مخنف الحوار التالي «فقال له قيس بن الأشعث: أو لا تنزل على حكم ابن عمك! فانهم لن يروك إلا ماتحب، ولن يصل إليك منهم مكروه! فقال له الحسين ﷺ: أنت أخو أخيك]محمد بن الأشعث[أتريد ان يطلبك بنو هاشم بأكثر من دم مسلم بن عقيل؟! لا والله لا أعطيهم إعطاء الذليل، ولا أُقرّ اقرار العبيد ! عباد الله ﴿ **وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ** ﴾ الرحمن: ٢٠ ﴿ **إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ** ﴾ غافر: ٢٧[٣٦] إنَّ الاستعارة من القرآن الكريم في حوار الإمام مع أعدائه في مختلف المواقف وخلو ساحة حوار العدو من هذه الاستعارة، لهي دلالة كبرى تضاف إلى

مختلف الدلالات الأخر بأنَّ استعمال الإمام لأنواع أساليب الخطاب، والرد على المتحاورين معه بأسلوب يختلف عمّا يألفونه، فهو توظيف دقيق من لدن مُحاوِر لا يهان له جانب، يفهمها المتلقي الواعي، وتبثُّ فيه العزيمة بأنّه مع المعسكر الحق.

إنَّ استثمار الخطاب القرآني الغني بالدلالات يوحي بأنَّ المعين الذي يغرفُ منه الإمام الحسين عليه السلام ثرٌّ لم ينضب ولن يجف أبداً، مع أنَّ اختيار الآية المناسبة للحوار القائم كان دقيقاً وبلا شك أو أدنى ريب. ونلمس هذا حين استعار الإمام الحسين عليه السلام آياً من القرآن الكريم لّما أخبره النفر الذين التحقوا به وهو في موقع قريب من (بني مقاتل) خارجين من الكوفة، بخبر مفاده مقتل رسوله إلى الكوفة بعد استشهاد المولى مسلم بن عقيل عليه السلام؛ إذ قال لهم بعد أن تجاذب أطراف الحديث معهم عن الناس في الكوفة وأحوالهم: « أخبروني فهل لكم برسولي إليكم؟ قالوا من هو؟ قال: قيس بن مسهر الصيداويّ، قالوا: نعم، أخذه الحُصين بن تميم فبعث به إلى ابن زياد، فأمره ابن زياد أن يلعنك ويلعن أباك فصلّى عليك وعلى أبيك ولعن ابن زياد وأبيه، ودعا إلى نصرتك وأخبرهم بقدومك، فأمر ابن زياد فأُلقي من طمار القصر! فترقرقت عينا حسين عليه السلام ولم يملك دمعه، ثم قال ﴿ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾ الأحزاب: ٢٣[٣٧]، فالتناص مع القرآن الكريم في (الحوار) نادراً ما يحصل؛ لأن التوفيق بين المناص والمناص منه يكون صعباً أحياناً، لكنه كان أداةً طيعةً جداً بيد الإمام عليه السلام؛ إذ لم يكن هذا متاحاً للجميع؛ بسبب النشأة القرآنيّة الحقيقيّة والذوبان في نصوصه والتعمق ببيانه، كيف لا؟ والإمام الحسين عليه السلام ربيب البيت الذي نزلت في آياته، محكمها ومتشابهها وناسخها ومنسوخها! فليس من الصعوبة أن يناسب عليه السلام بين الحدث الواقع وبين النص القرآني الكريم، كما أنّه عليه السلام يركز على اللفظ الذي يخدم الموقف، ويترك أحياناً جزءاً من الآية المتناص معها

إذا كان شائعاً استعمالها لدى الناس بكثرة الاستشهاد فيها. وقد نلاحظ أنَّ الإمام الحسين عليه السلام «اسند كلامه إلى كلام الله ليقوي مكانته، ولما أطمَأنَّ إلى رحمة ربه رفع طرفه إلى السماء مناجياً ربه أن ينصره على من عاداه، وهنا نلاحظ أن قوّة الإمام الحسين عليه السلام قد تضاعفت أضعافاً مضاعفة»[٣٨].

وقد يكون هناك تناص من المنجز الشعريّ للعرب، فحين يقوم الإمام الحسين عليه السلام بإنشاد بيت شعري ما، فأعلم أن هناك فكرة ما تكمن خلف هذا الاختيار وليس اعتباطاً مطلقاً اختياره من دون آلاف الأبيات الشعريّة الأخر، فمثلاً يتناص نص قصة الاستشهاد مع بيت شعري لأحد الشعراء ينعى نفسه فيه، فيقول أبو سعيد الخدري «نظرتُ إلى الحسين عليه السلام داخلاً مسجد المدينة، وانه ليمشي وهو معتمد على رجلين، يعتمد على هذا مرّة وعلى هذا مرّة، وهو يتمثل بقول يزيد ابن المفرّغ الحميريّ:

لا ذَعرَتَ السّوام في فلق الصبح ... مُغـــيراً ولا دعيــت يزيدا

يـــوم أعطى مخافة الموت ضيــما ... والمنايا يرصدنني أن أحيدا»[٣٩]

فالتمثل بالشعر كثير جداً في قصة الاستشهاد، ومن الدواعي المهمة لاستدعائه هو أنه تعبير عن الخلجات النفسيّة للمتكلِّم، ودليل على سعة الاطلاع على الموروث الشعري العربيّ في زمانه أو غير زمانه.

٣ـ شعرية كسر الأفق والتوقع في حوار قصة استشهاد الإمام الحسين عليه السلام

يعني مصطلح (كسر أفق توقع القارئ/ المتلقي) في الفكر النقديّ الحديث مفاجأة المتلقي بما لم يتوقعه من مبالغة أو أحداث أو صور وأخيلة، ويرى نقاد نظرية القراءة والتلقي بأن (كسر أفق التوقع) مقولة تقدِّم «مفهوم الرؤيا أو المساحة التي ينتهي عندها مايريد أو ينتظر المتلقي من نص ما، أو مبدع أو (مرسل) بالوصف اللسانيّ والشموليّ،

ويعدُّ هذا المفهوم من المفاهيم التي ركّزَ عليها ياوس، وهو عبارة عن ذلك الفضاء الذي تتمُّ من خلاله عمليّة بناء المعنى ورسم الخطوات المركزيَّة للتحليل، فيبدو وكأنه أداة، أو معيار يستخدمه المتلقِّي لتسجيل رؤيته القرائية، بوصفه مستقبلاً لهذا العمل أو ذاك»[٤٠].

وحين التقى الركب الحسينيّ الذي سارَ من المدينة المنورة مروراً بمكة المكرّمة بعدد من الأشياع والأعداء في الوقت نفسه، جرت الكثير من الحوارات بين الإمام الحسين عليه السلام وخواصه وأصحابه، وبين تلك الفئات المناصبة لهم العداء على طول الطريق إلى كربلاء، وكانت تلك الحوارات التي تطول و تقصر أغلبها يدور حول موضوع واحد، وهو رؤية الإمام الحسين عليه السلام المستقبليّة للأحداث، وشرعية معارضته لخلافة يزيد بن معاوية- وضرورة خروجه إلى العراق؛ فمثلاً كان الإمام عليه السلام غالباً ما يصرّح للمحاورين له على اختلاف توجهاتهم وعقائدهم وقرابتهم منه، وأيضاً على اختلاف درجات إيمانهم بالغيب، بقضايا مدهشة لهم تتعلق بالمستقبل، بينما كان أغلب هؤلاء المتحاورين معه عليه السلام يتوقعون ردّاً مغايراً، غير الذي سمعوه منه عليه السلام.

وتركزت شعريّة (كسر أفق التوقع والانتظار) في (الحوار) الذي يتضمنه نص (المقتل) حول أسلوب إخبار الإمام الحسين عليه السلام أصحابه أو أهل بيته الطاهرين أو الأعداء عمّا سيحدث له أو لهم في أثناء المعركة، وبعدها، ومنزلتهم بين الشهداء في الجنة أحياناً أخرى، مما أعطى لـ(الحوار) أبعاداً أخرى أكثر جاذبيّة وديمومة ونشاطاً غير محدود. وأول مايطالعنا من هذا الأسلوب ـ كسر أفق التوقع ـ بشكل صريح جداً، حوار الإمام الحسين مع ولده علي الأكبر عليه السلام؛ إذ يذكر صاحب المقتل «قال عُقبة بن سمعان لمّا كنا في آخر الليل أمر الحسين عليه السلام بالاستقاء من الماء، ثم أمرنا بالرحيل ففعلنا، فلمّا ارتحلنا من قصر بني مقاتل وسرنا ساعة خفق الحسين عليه السلام برأسه خفقة ثم انتبه وهو يقول: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، والحمدلله رب العالمين، ففعل ذلك مرّتين أو ثلاثاً. فأقبل عليه ابنه

عليّ بن الحسين على فرس له، فقال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، الحمدلله رب العالمين، يا أبيتِ جعلت فداك مِمَّ حمدت الله واسترجعت؟ قال عليه السلام: يابنيّ إني خفقت برأسي خفقة فعنّ لي فارس على فرس فقال: القوم يسيرون والمنايا تسري إليهم. فعلمتُ أنها أنفسنا نُعيت إلينا»[٤١]، وأيضاً نلمس الشيء نفسه من (كسر أفق توقع) السامعين، حين نعى عليه السلام نفسه ليلة العاشر من محرّم الحرام بواسطة الحوار الذي جرى بينه وبين العقيلة زينب عليها السلام، وكيف رأى جده رسول الله صلى الله عليه وآله في المنام يبشره بالالتحاق به[٤٢]. أو عندما بشّر عليه السلام الفتيّين الجابريين بالجنة، وهما (سيف بن الحارث بن سريع ومالك بن عبيد بن سريع) حين وصلا بقرب الإمام عليه السلام وهما يبكيان، فقال لهما:

« أي ابني أخي مايبكيكما؟ فو الله إني لأرجو أن تكونا قريري عين عن ساعة.

قالا جَعلنا الله فداك! لا والله ما على أنفسنا نبكي ولكنّا نبكي عليك، نراك وقد أُحيط بك ولا نقدر على أن نمنعك»[٤٣]. كذلك الحال في (الحوار) مع (حنظلة بن أسعد الشاميّ) حين بشره عليه السلام لحاقه بالصالحين في جنات الخلد مطمئناً[٤٤].

وقد تكون (الكرامة الآنية/ المباشرة) التي لا تفارق الإئمة عليهم السلام هي إحدى سمات شعريّة (كسر الأفق) في الخطاب اللسانيّ الذي يخرج من حيز القوّة إلى حيز الفعل، كما في (الحوار) بين الإمام الحسين عليه السلام وأحد جنود معسكر عمر بن سعد، صبيحة العاشر من محرّم، فحين يكون الردُّ منه عليه السلام بالدعاء الذي يتحقق مباشرةً من دون مهلة غير مفاجئٍ لأصحابه من حوله، يكون ردّاً مزلزلاً للعدو وصاعقةً عليه، ومفاجئاً لهم؛ لأنّ عقولهم الصغيرة لم تكن تتحمل بأنّ الله سيستجيب للحسين عليه السلام بهذه السرعة، وهو صادم لهم، حين يرون هذه المعاجز من رجل حاصروه ويريدون قتله. فنقرأ نموذجاً من هذا (الحوار) في (قصة المقتل): «جاء رجل من بني تميم يقال له عبدالله بن حوزة، حتى وقف أمام الحسين عليه السلام فقال: ياحسين! ياحسين!

فقال حسين عليه السلام: ماتشاء؟

قال: أبشر بالنار!

قال: كلا إنّي أقدم على ربّ رحيم، شفيع مطاع، من هَذا؟

قال له أصحابه: ابن حوزة.

قال: ربّ حُزه إلى النار!

فاضرب به فرسه في جدول فوقع فيه، وتعلّقت رجله بالركاب، ووقع رأسه في الأرض، ونفر الفرس فأخذ يمر به فيضرب برأسه كل حجر وكل شجرة حتى مات!»[٤٥]، وهناك أكثر من (معجزة) حدثت في أثناء الحوار بينه عليه السلام وبين هؤلاء النفر الضال، كانت دليلا بيّنا وواضحا وحجة على الجبهة المعاديّة.

وربما يكون اللجوء إلى استعمال أسلوب (كسر أفق التوقع والانتظار) من لدن الإمام الحسين عليه السلام لبث العزيمة وروح التفاؤل في أنصاره من أصحابه وأهل بيته (عليهم السلام جميعاً)، وإطلاعهم على الحقيقة الكاملة والكامنة في مجريات الغيب وتبشيرهم بنيل رضا الله ورسوله عليهم وإيفاء حقهم لما صبروا ويصبرون من أجله، وكذلك الحال بالنسبة لأعدائه، فالإمام عليه السلام يقوم بخرق (توقعهم) لينذرهم من سوء العاقبة والنهاية المأساوية التي سيصلون إليها بعنادهم وكفرهم وجرأتهم على أهل الحق، كما في آخر (حوار) جرى بينه وبين المعسكر الذي اجتمع عليه السلام ليقتله، بعد أن اُستشهد جميع من معه من أصحاب وإخوة وأبناء وأهل بيت ماعدا الإمام السجاد ومجموعة من النساء والأطفال؛ إذ قال لهم قولةً ما لبثت أن تحققت بعد استشهاده عليه السلام، ففي (الحوار) القصير الذي جرى مع الشمر بن ذي الجوشن، فضحهم من طريق تصريحه بمستقبلهم، فهم العصابة التي قاتلته وجاهدته من أجل الدنيا، وكان القوم يتوقعون منه غير ذلك، لاسيما وهو عليه السلام في ساعاته الأخيرة، فقد كانوا يظنون أنّ الحسين سوف يتنازل عمّا أمن به، أو سوف يُسلّمُ نفسه لهم، بينما كان عليه السلام أربط جأشاً

وأكثر ثباتاً، حتى جاء خطابه مطابقاً لفعله تماماً؛ إذ يروي أبو مخنف هذا (الحوار) بعد أن احتشدوا عليه من كل جانب، وخاطبهم بأن يتركوا المخيم ويقبلوا عليه ليقاتلوه، وخاطبوه بما ملئت به أنفسهم من حقد دفين، فقال لهم:

«أعلى قتلي تحاثّون: أما والله لا تقتلون بعدي عبداً من عباد الله أسخط عليكم لقتله منّي! وأيم الله إني لأرجو أن يكرمني بهوانكم ثم ينتقم لي منكم من حيث لا تشعرون أما والله لو قد قتلتموني لقد ألقى بأسكم بينكم وسفك دمائكم، ثم لا يرضى لكم حتى يضاعف لكم العذاب الأليم»[٤٦]، وأيضاً كان (حوار) القاسم بن الإمام الحسين مع عمه عليه السلام يحمل المضمون نفسه[٤٧]، وقد يكون أكثر ما يلفت النظر في هذا (الحوار) بأنّه جاء بصيغة الدعاء على هذه الجماعة الخارجة على ملة الإسلام بعد أن يئس منهم عليه السلام ومن هدايتهم. كما أنّه لم يكن أسلوب (كسر أفق التوقع والانتظار) يعني تغييراً لمجريات وأصول (الحوار)، أو الابتعاد به عن ساحات الواقع، إنّما هو تثبيت لما سيأتي من الأحداث التي لم يطّلع عليها إلّا الله (عزَّ وجلَّ) والأنبياء والراسخون في العلم من آل بيت النبوة.

٤ ـ شعرية الحذف في قصة استشهاد الإمام الحسين عليه السلام

يؤدي الحذف في البلاغة العربيّة دوراً كبيراً من خلال تقديمه النصوص الأدبيّة سواء الشعريّة منها أم النثريّة بألفاظ أقل لكن بمعانٍ ودلالات عميقة، وذلك من طريق تحفيز عمليات التأويل والتخيل لدى القارئ أو المستمع، اعتماداً على خياله الجامع وثقافته اللغويّة وغير اللغويّة، وأيضاً على ملكته البلاغيّة في تحديد جوانب الحذف، وقد يأتي الحذف عفوياً من غير قصد بسبب الاعتماد على نباهة المستمع أو القارئ وإدراك مستواه في استلام الرسالة، أو يكون الحذف مقصوداً لذاته، بسبب الموقف الذي يمرُّ به المتكلم أو الظرف الذي يدفعه للاختصار.

وقد يكون في تركيبة الجمل أو في حذف بعض الحروف لاسيما في النداء وتحديداً في الترخيم، أو يكون في أحد عناصر الجملة الأساسيّة من الفعل أو الفاعل والمفعول به، أو يكون في الفضلة أي العناصر غير الأساسيّة للجملة من التمييز والنعت والحال وغيرها، وقد يكون الحذف واقعاً في الأدوات.

وقد يكون الحذف من باب الوجوب الذي يقتضي أن لا يظهر إلى بنية الجملة مطلقاً، ويكون أيضاً جوازاً فـ"الحذف الواجب: وهو حذف يوجبه النظام النحوي للجملة، بحيث يكون ذكر المحذوف خطأً، ويقع هذا الحذف في العناصر الإسنادية كالمبتدأ في الجملة الاسمية، والفعل في الجملة الفعلية عدا الفاعل. والحذف الجائز: وهو حذف يقتضيه الموقف الاستعمالي، وأهم شرط فيه وجود القرينة اللفظية والمعنوية، ويقع هذا الحذف في العناصر الإسنادية وغيرها، إذ يكون الذكر فيه غير ممنوع في الصناعة لكنّه يضر بالمعنى المقصود من المتكلم[٤٨]".

أما الدوافع البلاغيّة للحذف فهي كثيرة ويمكن إيجازها بما يأتي:

١ـ التخفيف من أجل تحاشي الاطناب في مواضع لا يتطلب فيها ذلك.

٢ـ الإيجاز في الكلام حين يكون الإفهام حاضراً.

٣ـ التفخيم والتعظيم إذا أُريد المبالغة في صفات المخاطب.

٤ـ الترفع حينما يكون المتكلم راغباً في تجنيب المخاطب ضحالة الموقف أو بالعكس راغباً في تحقيره.

٥ـ وقد يكون الحذف ضرورياً حين يكون الإظهار سبباً في إخلال الوزن لاسيما في الشعر.[٤٩]

وإذا عدنا إلى النص ـ قيد الدراسة ـ وهو نص قصة الاستشهاد لوجدناه زاخراً في أسلوبيّة الحذف، فكيف لا، وهو والمتكلّم فيه هو من سادات العرب وبلغائهم وابن

سيِّد بلغائها وتاج الفصاحة، وجّده هو أفصحهم على الإطلاق، ونلاحظ أنَّ الإمام الحسين عليه السلام استعمل هذا الأسلوب حينما يشعر عليه السلام بأنّه أبلغ من التصريح به، فمثلاً نقرأ في حادثة أخذ البيعة ليزيد بن معاوية بعد هلاك الأخير من الإمام عليه السلام وعبدالله بن عمر وعبدالله بن الزبير التي عزمَ عليها الوليد بن عبد الملك بأمر من يزيد نفسه وبمشاورة مروان بن الحكم، فحين قدمَ رسول الوليد إلى الإمام عليه السلام يطلبهم فيه للقدوم إليه، فيمكن أن نؤشر مواضع الحذف وأسباب ذلكَ الحذف بحسب تقديرنا لذلك وليس جزماً؛لأننا لاندرك ما في قلب المعصوم، « فأرسل الوليد عبدالله بن عمرو بن عثمان ـ وهو إذ ذاك غلام حدث ـ يدعوهما إليه، فوجدهما في المسجد وهما جالسان، فأتاهما في ساعة يكون الوليد يجلس فيها للناس ولا يأتيانه في مثلها، فقال: أجيبا، الأمير يدعوكما! فقالا: انصرف، الآن نأتيه. ثم أقبلَ أحدهما على الآخر فقال عبدالله بن الزبير للحسين عليه السلام، وظنّ فيما تراه بعث إلينا في هذه الساعة التي لم يكن يجلس فيها؟

فقال الحسين عليه السلام: قد ظننت أن طاغيتهم قد هلك، فبعث إلينا ليأخذنا بالبيعة قبل أن يفشو في الناس الخبر»[٥٠] فنجد الإمام عليه السلام قد حذف من كلامه اسم معاوية بن سفيان واستعاض عنه بما يدلُّ عليه، وهو (الطاغية) وذلك حين سأله ابن الزبير عن سبب استدعاء الوليد لهما في مثل هذا الوقت غير المناسب، والسبب رّبما يكمن وراء هذا الحذف هو الترفع عن ذكر هذا الاسم الذي ولغ في دماء المسلمين، وأجّج الفتن بينهم وشق عصا المسلمين، وهذا الحذف هو تبعاً لما استعمله القرآن أحياناً حين يترفع عن ذكر أسماء الطغاة، وهو تحقير لهم مع أنه قد ذكرهم في آيات أخر، لكن سياق الآية قد يستوجب الحذف كما في حذف في قوله تعالى ﴿ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴾[٥١]. ويستمر في قوله عليه السلام هذا الحذف حين سأله ابن الزبير عن موقفه من هذه الدعوة فيجيبه عليه السلام قائلاً: « لا آتيه إلا وأنا على الامتناع قادر»[٥٢] وأيضاً نجد ذلك في جوابه عليه السلام على مروان بن الحكم حينَ طلب من الوليد أن يمنع الإمام من الخروج إلّا بعد مبايعته أو يقتله،

حيث قال له عليه السلام:

«يابن الزرقاء أنت تقتلني أم هو كذبت ـ والله ـ وأثمت ثم خرج، ومرّ أصحابه معه حتى أتى منزله»[٥٣]، والزرقاء المذكورة هنا هي أم مروان وليس هذا تنابزاً باللقب مطلقاً، والإمام الحسين عليه السلام أرفع من أن يخالف القرآن الكريم أو يعتدي على أحد ويجرحه بالكلام، فكيف ذلكَ وهو الإمام المعصوم بعد أبيه وأخيه عليهما السلام، لكن حقيقة هذه المرأة البغي هو أن ابنها يحرض على قتله، وهي من النساء المعروفات بأفعالهن، لذلك ترفع عن ذكرها الإمام وأشار إليها فقط، إهانة لمروان وكشف حقيقته أمام الناس المغرر بهم.

وحين هاجم شمر بن ذي الجوشن معسكر الإمام الحسين عليه السلام فخاطب الإمام بوقاحة وصلافة واستهتار قائلاً له « ياحسين! استعجلت النار في الدنيا قبل الآخرة!

فقال الحسين عليه السلام: مَن هذا ؟ كأنه شمر بن ذي جوشن؟

فقالوا: نعم، أصلحك الله هو هو.

فقال: يا بن راعية المعزى أنت أولى بها صلياً![٥٤]، فقد حُذف اسم الشمر حين جاوب أصحاب الإمام عليه السلام حين سأل عن هوية المتكلم معه، فقيل له بأنّه (هو هو) تأكيداً لسؤال الإمام بأنّه الشمر الذي خرق قواعد السلوك والعرف حين تطاول بكلامه مع سيِّد شباب أهل الجنة وسبط الرسول، وجاء الجواب بتنكير لاسم هذا الجاهل والمستخف بمكانة أهل البيت وبما يناسب مع مكانته وحجمه الاجتماعي المتدني، وأيضاً كان هناك حذف في إجابة الإمام حين ناداه يابن راعية المعزى، بدون ذكر اسم أمه أو صفة من صفاتها. وحينما دعا عليه السلام الناس إلى أن يحكّموا عقولهم ويرجعوا إلى أنفسهم ويتفكّروا قليلاً، ثمَّ يرجعون بذاكرتهم إلى الوراء ويدقّقون في نسبه عليه السلام وحسبه ومواقفه من الإسلام ويقارنون بينه وبين يزيد بن معاوية، عندها يقررون هل

يجوز لهم قتاله ومناكفته، وقد أجابه من ضمن من أجابوه، بالتعنّت والتعصب قيس بن الأشعث وهذا الرجل من عائلة معروفة بعدائها لآل البيت عليهم السلام ومواقفها غير المشرفة، فأخوه محمد بن الأشعث الذي ساهم بقتل مسلم بن عقيل عليه السلام وأبوهم كان له موقف في حرب صفين ضد الإمام علي عليه السلام وابنته جُعدة زوج الإمام الحسن عليه السلام والتي قامت بسمه بتدبير من معاوية، كان جواب ابن الأشعث للإمام الحسين حين خطب بهم، هو أن أنزل على حكم الخليفة يزيد، بينما جاء رد الإمام عليه السلام دقيقاً جداً ومعتمداً على حذف اسم اخيه محمد بن الأشعث منه، وربّما السبب وراء عدم التفصيل فيه، هو معرفة أكثر الناس بمواقف عائلة (الأشعث) ؛ إذ قال الإمام عليه السلام بعدما سمع ابن الأشعث يتكلم «أنت أخو أخيك (محمد بن الأشعث) أتريد أن يطلبك بنو هاشم بأكثر من دم مسلم بن عقيل؟! لا والله لا أعطيهم بيدي إعطاء الذليل ولا أقرّ اقرار العبيد»[٥٥].

والقصد من وراء هذا الحذف تنبيه الناس أنَّ هذا المتكلم، هو نفس شخصيّة ذاك الأخ الذي قام بقتل رسوله عليه السلام إلى الناس في الكوفة مسلم بن عقيل عليه السلام لا لشيء يطلبه من آل أبي طالب إلّا تقرباً وتزلفاً للحاكم الظالم الجائر.

وفي حوار الإمام الحسين عليه السلام مع رجل من معسكر عمر بن سعد يُدعى ابن حوزة، الذي قال للإمام عليه السلام أبشر ياحسين بالنار، فأجابه الإمام بجواب حذف منه القسم، وقد يكون القسم في مثل هذا الموقف ضرورياً لزيادة اليقين عند الناس ودفع الشك عنهم، بينما كان الإمام عليه السلام لا يخالجه الشك أو يرقى إليه بأنَّ الله سيعجل العقوبة الآنية لهذا الرجل المعاند؛ لذلك أجابه عليه السلام: » كذبت، بل أقدم على ربٍّ غفور، وشفيع مطاع، من أنت»[٥٦]. وتوجد هناك مواضع عديدة تم الحذف فيها والاعتماد على الإشارات التي تدل على ذلك الحذف، ومراعاة للسياق العام الذي انبثق فيه نص الحوار.

الخاتمة

في نهاية هذه الدراسة، لابدَّ من الإشارة إلى أهم النتائج التي توصل إليها الباحث والتي يمكن إجمالها بما يأتي:

١ـ ينفرد الحوار في قصة مقتل الإمام الحسين عليه السلام بخصائص فنيّة قل نظيرها، وندر تواجدها مجتمعةً في نص أدبي أو تاريخيّ، وقد تكون هذه الخصائص، هي التي جعلت من هذه القصة تمتلك شعريتها الخاصة بها، ومقروءة دائماً من دون تسلل الملل الى نفس المتلقي/ القارئ.

٢ـ كانت من أهم الأمور التي وقفت عليها هذه الدراسة؛ هي تصحيح الأفكار التي شابت أفكار المسلمين، ورفع اللبس عنها، وحملة التشويش والتشويه التي قام بها المعسكر المعادي للقضية، والتصدي للأفكار المنحرفة والإشاعات الي فرضتها سلطة الإعلام الأمويّ، وكان هذا بواسطة تدشين (الحوار) بنصوص لا يرتقي إليها الشك أو الريبة، لاسيما التناص مع آيات القرآن الكريم.

٣ـ اقتصر (الحوار) في (قصة مقتل سيد شباب أهل الجنة) على نوع الحوار المباشر/ الخارجيّ، ولم نعثر على أي حوار داخليّ/ غير مباشر الذي يكون مع النفس؛ وهذا عائد لأنَّ النص المدروس هو نص تأريخيّ بامتياز مكتوب بلغة أدبيّة لكنها واقعيّة جداً تعتمد الوصفية ولا تقترب من الخيال أبداً.

٤ـ لفتت الدراسة إلى أنَّ (حوار) شخصيّة الإمام الحسين عليه السلام يختلف عمّا صدر عن الآخرين من حوارات، وهذا عائد إلى الكاريزما التي يتمتع بها الإمام عليه السلام ومدى تأثيرها في الناس، وظهر هذا التأثير جليا مما دار بين بعض الشخصيّات من تحاور وجدال.

٥ـ اعتمد الحوار في قصة الاستشهاد على أساليب شعريّة جمالية عديدة، منها الإيجاز والحذف والتناص والاستعارة، التي تمثّلت فيها الشعريّة وساهمت إلى حد كبير بإخراج تلك الأساليب من حيز البلاغة المعيارية إلى الجماليّات.

هوامش البحث:

١) وردت قصة مقتل الإمام الحسين عليه السلام في مصادر تاريخيّة عديدة غير المقتل المروي برواية أبي مخنف الأزدي المتوفي سنة ١٥٨ هـ وهو الأشهر، وقد ظهرت هذه المصادر بعد (مقتل أبي مخنف الأزدي) بمدد زمنية متفاوتة، ومنها تاريخ الطبري «تاريخ الرسل والملوك» ٣١٠ هـ، لمؤلفه محمد بن جرير المتوفي، تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ١٣٨٧ – ١٩٦، وأيضاً، كتاب مقاتل الطالبيين لأبي الفرج الأصبهاني المتوفي سنة ٣٥٦ هـ، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعرفة بيروت، لبنان، وأيضاً، قصة مقتل الإمام الحسين للخوارزميّ أبي المؤيد الموفق بن أحمد المكي أخطب خوارزم المتوفى سنة ٥٦٨ هـ، تحقيق العلامة الشيخ محمد السماويّ، بجزءين، مطبعة مهر قم المقدسة، ط١ـ١٤١٨ هـ. وأيضاً مقتل الحسين عليه السلام أو حديث كربلاء، للسيد عبد الرزاق المقرّم، منشورات دار الشريف الرضي، دون ت ط ومكان نشر.

٢) الشعرية، تيزفان تودوروف، ترجمة شكري المبخوت ورجاء بن سلامة، دار توبقال، ط ٢ ـ ١٩٩٠: ٢٤.

٣) يُنظر: الدكتور يوسف إسكندر، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان ط٢ ـ ٢٠٠٨: ٩ـ١٠.

٤) الخطيئة والتكفير، عبدالله الغذامي، من البنيوية الى التشريح، الهيئة المصرية العامة، ط١ ـ ١٩٩٨: ٩

٥) مفاهيم الشعرية «دراسة مقارنة في المنهج والأصول والمفاهيم»، الدكتور حسن، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط ١ ـ ١٩٩٢: ١١.

٦) اتجاهات الشعرية الحديثة «الأصول والمقولات» الدكتور يوسف إسكندر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ط٢ـ ٢٠٠٨: ٩.

٧) يُنظر: اتجاهات الشعرية الحديثة «الاصول والمقولات: ٩ ومابعدها.

٨) يُنظر: اسلوبية الراوي، حميد الحمداني، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط١، سنة ١٩٨٩: ١٨.

٩) المصطلح في الأدب الغربي، الدكتور ناصر الحاني، , منشورات دار المكتبة العصرية، صيدا، لبنان, ط ١٩٦٨: ٥٣

١٠) الحوار في القصة العراقية القصيرة، فاتح عبد السلام، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة الموصل ١٩٨٧: ٥١.

١١) يُنظر: غائب طعمة فرمان روائياً، فاطمة عيسى جاسم، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط١: ٤٧.

١٢) معجم السرديات محمد القاضي وآخرون، دار محمد علي، تونس، ط١، ٢٠١٠،: ١٥٩.

١٣) أصول التربية الإسلامية واساليبها: عبد الرحمن النحلاوي، دار الفكر، دمشق – سوريا، ط ٢ ١٩٩٥ م: ٢٠٣.

١٤) ـ الكهف: ٣٧.
١٥) المجادلة: ١.
١٦) ـ معالم في منهج الدعوة، ابن حميد، صالح بن عبد الله، دار الأندلس الخضراء، جدّة، ط ١٤٢٠)ـ ١٩٩٠): ٢١٢
١٧) تقنيات تقديم الشخصية في الرواية العراقية «دراسة فنية»، أثير عادل شواي، دار الشؤون الثقافية، سلسلة أكاديمون جدد، ط١، ٢٠٠٩: ١٦٧.
١٨) يُنظر: غائب طعمة فرمان روائياً: ٤٨.
١٩) يُنظر: الحوار في القرآن الكريم، معن محمود عثمان ضمرة، رسالة ماجستير، جامعة النجاح فلسطين ٢٠٠٥: ٢٠.
٢٠) الحوار في خطاب جليل القيسي القصصي، بختيار إبراهيم أبو بكر، رسالة ماجستير، كلية الآداب ـ جامعة صلاح الدين: ٥.
٢١) ـ لغة لحوار ودلالاته في الرواية العراقية، باقر جواد، الطليعة الأدبية، ع ٢، س ٦، شباط ١٩٨٠.
٢٢) النبأ العظيم «نظرات جديدة في القرآن الكريم»، محمد عبدالله درزاز، نشر وتوزيع دار الثقافة، الدوحة، ١٩٨٥: ١٢٣.
٢٣) دلائل الإعجاز» في علم المعاني»، عبد القاهر الجرجاني، تحقيق الشيخ محمد عبده، ومحمد محمود الشنقيطي، منشورات الأروميه، قم الجمهورية الإسلامية الإيرانية، ط١ ـ ١٩٧٨: ١١٢.
٢٤) مفتاح العلوم، السكاكي، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، ط ٢، بيروت، ١٩٨٧، ص ٢٧٧.
٢٥) ابن رشيق (أبو علي الحسن)، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، حققه وفصله وعلق . حواشيه عبد الحميد (محمد محي الدين)، دار الجيل، ط ٥، بيروت، ١٩٨١: ٢٤٣.
٢٦) وقعة الطف، أبو مخنف لوط بن يحيى الأزدي الكوفي ت ١٥٨، تحقيق الشيخ محمد يوسف هادي الغروي، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، الجمهورية الإسلامية الإيرانية، ط١ـ ١٤١٧: ٨٥
٢٧) المصدر نفسه: ٨٦
٢٨) الأدب والأيديولوجيا، كمال أبو ديب، مجلة فصول، المجلد الخامس، العدد الرابع ١٩٨٥: ٧٥. العامة للكتاب.
٢٩) وقعة الطف: ١٥٠ ومابعدها.
٣٠) يُنظر مثلًا الحوار الذي دار بينه عليه السلام وبين (عبدالله بن الزبير)، وقعة الطف: ١٤٩، وأيضاً الحوار الذي دار بينه عليه السلام وبين (عبدالله بن عباس) المصدر نفسه: ١٥٠، ويُنظر أيضاً، حواره مع عمر بن عبد الرحمن المخزومي: ١٥٠ ومابعدها، وأيضاً في حواره مع مجموعة ممن التحقوا به عليه السلام خارجين من الكوفة بعد مقتل مسلم بن عقيل عليه السلام يُنظر: ١٦٥، وحواره عليه السلام مع أحد بني عكرمة

حين أشار عليه عدم المسير إلى الكوفة، يُنظر: ١٦٨.

٣١) يُنظر: شعرية التناص في شعر الجواهري، الطيب أبو ترعة، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران، معهد الآداب والفنون ٢٠١٧: ١٥ ومابعدها.

٣٢) يُنظر: الأسلوبية وتحليل الخطاب ج٢، نور الدين الأسد، دار هومة، الجزائر ـ ١٩٨٨، د ت: ٩٦.

٣٣) شعرية التناص في شعر الجواهري: ٢.

٣٤) وقعة الطف: ١٥٤.

٣٥) وقعة الطف: ٨٥ـ٨٦.

٣٦) وقعة الطف: ٢٠٩.

٣٧) وقعة الطف: ١٧٥ وما بعدها. وأيضا ماحصل من حوار بينه عليه السلام وبين مسلم بن عوسجة: ٢٢٥.

٣٨) أبعاد المكان وأثرها في تشكيل النص في الخطاب الحسيني (في واقعة الطف)، أ. د سلافة صائب خضير، مجلة تسليم السنة الثالثة، مج الخامس، العدد التاسع والعاشر، ٢٠١٩: ١٥٤.

٣٩) وقعة الطف: ٨٣.

٤٠) Jauss (H. R) pour uneesthethetique de larecption, traduit par: Cloud-emaillard, preface: Jean starobinski, edgallinard, PARIS, 1978, P: 14

٤١) وقعة الطف: ١٧٧.

٤٢) وقعة الطف: ١٩٣.

٤٣) وقعة الطف: ٢٣٤.

٤٤) وقعة الطف: ٢٣٥.

٤٥) وقعة الطف: ٢١٩ ـ ٢٢٠.

٤٦) وقعة الطف: ٢٥٣.

٤٧) وقعة الطف: ٢٥٥.

٤٨) جماليات الحذف ودلالاته في شعر صالح الشرنوبي، مجلة السودان للعلوم والثقافة، العدد الثامن ٢٠١٧، الجزء الأول: ٢٦١

٤٩) يُنظر: المصدر نفسه: ٢٦٢ ومابعدها.

٥٠) وقعة الطف: ٧٩ ـ ٨٠.

٥١) القلم: ١٣.

٥٢) وقعة الطف: ٨٠.

٥٣) وقعة الطف: ٨١.

٥٤) ـ وقعة الطف: ٢٠٦.

٥٥) وقعة الطف: ٢١٠.

٥٦) وقعة لطف: ٢٢٠.

المصادر والمراجع:

*ابن رشيق (أبو علي الحسن)، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، حققه وفصله وعلق. حواشيه عبد الحميد (محمد محي الدين)، ط، ٥، دار الجيل، بيروت.

*أبو المؤيد الموفق بن أحمد المكي أخطب خوارزم المتوفى سنة ٥٦٨ هـ، قصة مقتل الإمام الحسين للخوارزميّ، ط، ١، تحقيق العلامة الشيخ محمد السماويّ، مطبعة مهر قم المقدسة، ١٤١٨ هـ.

*أبو مخنف لوط بن يحيى الأزدي الكوفي ت ١٥٨، وقعة الطف، تحقيق الشيخ محمد يوسف هادي الغروي، ط، ١، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، الجمهورية الإسلامية الإيرانية، ١٤١٧.

*أثير عادل شواي، تقنيات تقديم الشخصية في الرواية العراقية «دراسة فنية»، ط، ١، دار الشؤون الثقافية، سلسلة أكاديمون جدد، ٢٠٠٩.

*باقر جواد، لغة لحوار ودلالاته في الرواية العراقية، الطليعة الأدبية، ع ٢، س ٦، شباط ١٩٨٠.

*بختيار إبراهيم أبو بكر، الحوار في خطاب جليل القيسي القصصي، رسالة ماجستير، كلية الآداب ـ جامعة صلاح الدين.

*تيزفان تودوروف، الشعرية، ترجمة شكري المبخوت ورجاء بن سلامة، ط، ٢، دار توبقال، ١٩٩٠.

*الدكتور حسن ناظم، مفاهيم الشعرية «دراسة مقارنة في المنهج والأصول والمفاهيم»، ط، ١، المركز الثقافي العربي، بيروت ١٩٩٢.

*حميد الحمداني، أسلوبية الراوي، ط، ١، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، سنة ١٩٨٩.

*أ. د سلافة صائب خضير، أبعاد المكان وأثرها في تشكيل النص في الخطاب الحسيني (في واقعة الطف) مجلة تسليم السنة الثالثة، مج الخامس، العدد التاسع والعاشر، ٢٠١٩.

*الطيب أبو ترعة، شعرية التناص في شعر الجواهري، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران، معهد الآداب والفنون ٢٠١٧.

*عبدالله الغذامي، الخطيئة والتكفير، من البنيوية الى التشريح، ط، ١، الهيئة المصرية العامة ـ ١٩٩٨.

*عبد الرحمن النحلاوي، أصول التربية الإسلامية وأساليبها، K2K دار الفكر، دمشق – سوريا، ١٩٩٥.

*عبد الرزاق المقرّم، مقتل الحسين عليه السلام أو حديث كربلاء، دن، ط منشورات دار الشريف الرضي.

*عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز» في علم المعاني»، تحقيق الشيخ محمد عبده، ومحمد محمود الشنقيطي، ط، ٢، منشورات الأروميه، قم الجمهورية الإسلامية الإيرانية، ١٩٧٨.

*عبير هاني محمد، جماليات الحذف ودلالاته في شعر صالح الشرنوبي، مجلة السودان للعلوم والثقافة، العدد الثامن ٢٠١٧، الجزء الأول.

* فاتح عبد السلام، الحوار في القصة العراقية القصيرة، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة الموصل ١٩٨٧.

*فاطمة عيسى جاسم، غائب طعمة فرمان روائياً، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ط ١. ٢٠٠٤.

*كمال أبو ديب، الأدب والأيديولوجيا، مجلة فصول، المجلد الخامس، العدد الرابع ١٩٨٥.
*محمد بن جرير ت ٣١٠، تاريخ الطبري «تاريخ الرسل والملوك»، تحقيق، محمد أبو الفضل إبراهيم، ط، ١، دار المعارف، ١٣٨.
*محمد القاضي وآخرون، معجم السرديات، ط، ١، دار محمد علي، تونس، ٢٠١٠.
*محمد عبدالله درزاز، النبأ العظيم «نظرات جديدة في القرآن الكريم»، دن، ط نشر وتوزيع دار الثقافة، الدوحة، ١٩٨٥.
*ابن حميد، صالح بن عبد الله، معالم في منهج الدعوة، دار الأندلس الخضراء، جدّة، ط ١٤٢٠)ـ ١٩٩٠): ٢١٢.
*معن محمود عثمان ضمرة، الحوار في القرآن الكريم، رسالة ماجستير، جامعة النجاح فلسطين ٢٠٠٥.
* الدكتور ناصر الحاني، المصطلح في الأدب الغربي، ط، ١، منشورات دار المكتبة العصرية، صيدا، لبنان ١٩٦٨.
*نور الدين الأسد، الأسلوبية وتحليل الخطاب ج٢، دن، ط دار هومة، الجزائر ـ ١٩٨٨، العامة للكتاب.
*الدكتور يوسف إسكندر، اتجاهات الشعرية الحديثة «الأصول والمقولات» ط، ٢، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ٢٠٠٨.

المصادر باللغة الإنكليزيّة

*Jauss (H. R) pour uneesthethetique de larecption, traduit par: Cloudemaillard, preface: Jean starobinski, edgallinard, PARIS, 1978, P: 14

دراسةٌ أسلوبيةٌ

في قصيدة "رثاء النبيّ وآله عليهم السلام للصنوبري

Stylistic Study on Prophet and His Progeny Elegy of Al-Sanubary

أ. م. د. نعيم عموری

Asst. Prof. Dr. Na`aeem `Amuri

أ. د. محمود آبدانان مهدي زاده

Asst. Prof. Dr. Mahmood Abdanan Mahdi Zada

الباحث محمد حسين حردانی

Researcher. Mohammad Hussein Hardani

دراسةٌ أسلوبيةٌ
في قصيدة "رثاء النبيّ وآله عليهم السلام للصنوبري

Stylistic Study on Prophet and His Progeny Elegy of Al-Sanubary

أ. م. د. نعيم عموری
Asst. Prof. Dr. Na`aeem `Amuri
أ. د. محمود آبدانان مهدي زاده
Asst. Prof. Dr. Mahmood Abdanan Mahdi Zada
الباحث محمد حسين حردانی
Researcher. Mohammad Hussein Hardani

ايران / جامعة شهيد تشمران أهواز / كلية الالهيات والمعارف الاسلامية / قسم اللغة العربية وآدابها
Shahid Chamran University of Ahvaz / College of Theology and Islamic Knowledge / Department of Arabic and Literature

naim_amouri@yahoo. com
abdanan. mh@yahoo. com
harm76@yahoo. com

تاريخ الاستلام: ١٧/ ١٠/ ٢٠١٨
تاريخ القبول: ٢٤/ ٢/ ٢٠١٩

خضع البحث لبرنامج الاستلال العلمي
Turnitin - passed research

ملخص البحث:

الأسلوبية منهج نقدي حديث في دراسة النصوص، وتسعى إلى دراسة الهيكل البنائى للشعر بإلقاء الضوء على الظواهر المتكررة في النص وفقاً للمستويات الصوتية والتركيبية والبلاغية، والكشف عن المؤثرات البارزة التي استعملها الكاتب. هذا البحث يدرس القصيدة الرثائية " رثاء النبي وآلهﷺ " للصنوبري، وذلك في ضوء المنهج الوصفي- التحليلي الإحصائي بمعطيات علم اللغة والظواهر الأسلوبية. نتائج البحث تدلّ على الأمور الآتية: جاءت الأبيات بحسب مضمونها بالموسيقى المختلفة، ففي مواقع الشدة والقوة يفيد الشاعر من الأصوات المجهورة الشديدة والمنفجرة وفي مواقع الحياء يستفيد من الأصوات المهموسة. وقد دفعت العاطفة الحزينة الشاعرَ إلى أن يستعمل في هذه الأبيات الجمل الفعلية أكثر من الجمل الإسمية.

الكلمات المفتاحية: الأسلوبية، الرثاء، الشعر العربي، الصنوبري.

Abstract

It is a modern critical approach to the study of texts, which is the basis of many linguistic studies, and seeks to study the structure of poetry by shedding light on the repeated phenomena in the text according to the levels of sound, composition and communication to reveal the salient influences used by the writer. This research examines the elegies, "lamentation of the Prophet and his family "in the light of the morphology, the descriptive-analytical and statistical methodology of linguistics and methodological phenomena. The results of the study reaches the following points: In the vocal level, the lines come according to their content in the different musical instruments. In the occasion of the stress and the power, the poet benefits from the stressed voiced sounds and plosives, in the modesty ones, he does from the voiced sounds. The sad emotion prompts the poet to use in these verses the verbal sentences more than nominal ones.

Key words: Methodism, lamentation, Arabic poetry, Al-Sanubary

المقدمة

استعملت كلمة الأسلوب في الآداب العربية القديمة للدلالة على تناسق الشكل الأدبي، واتّساقه، في كلام البلاغيين حول إعجاز القرآن الكريم، وأقدم من استعمل هذه اللفظة كان الجاحظ وابن قتيبة والباقلّاني في كتابه المسمى بإعجاز القرآن. فقد أوضح أنّ لكل شاعر أو كاتب طريقة يُعرف بها وينسب إليها. ومثلما يتعرّف المرء إلى خط صاحبه إذا وضع بين خطوط عامة، فإنّ القارئ البصير بالشعر أو النثر يتعرّف أسلوب صاحبه[1].

يفيد نظام اللغة لأداء المعاني من امكانيات مختلفة، والأسلوبية تدرس كيفية صياغة النص وأثر اختيار اللفظ في نقل المعنى ثم تبحث في الربط بين المعنى المعجمي والمعنى الأدبي. وتعدّ الدراسة الصوتية المحور الأول للدخول إلى النص الأدبي ومنطلقاً أوليّاً للغوص في عالمه الداخلي، فيكون الصوت الوحدة الاساسية للغة، حيث يبنى عليها العمل الأدبي مهما تباينت أجناسه[2]. كلمة الأسلوب في عصرنا هذا، من الكلمات الشائعة المستعملة في بيئات مختلفة، يستعملها العلماء ليدلوا بها على منهج البحث العلمي، ويستعملها الموسيقيون دليلاً على طرق التلحين وتأليف الانغام، والرسامون، فهي عندهم دليل على طريقة تأليف الألوان ومراعاة التناسب بينها، ويستعملها الأدباء في الفنّ الأدبي فنقرؤها، أو نسمعها مقترنة بأوصاف معينة[3].

في هذا البحث اخترنا قصيدة للشاعر الصنوبري[4] تتكوّن من أبيات في رثاء النبيّ صلى الله عليه وآله وآله عليهم السلام. فتهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن أهم خصائص الأسلوبية في هذه الأبيات ضمن الإجابة عن الإسئلة الآتية:

١. ما السمات الأسلوبية الموجودة في القصيدة؟

٢. ما الميزات البارزة للمستوى الصوتي في هذه القصيدة؟

٣. ما أهمّ الجوانب المتميزة للمستوى التركيبي في هذه القصيدة؟

خلفية البحث

هناك دراسات متعددة في الدرس الأسلوبي، ولكن لم أعثر على بحث في أسلوبية قصيدة "رثاء النبيّ وآله عليهم السلام" في شعر الصنوبري. فمن هذه الدراسات: رسالة معنونة بـ« سيماى اهل بيت عليهم السلام در شعر صنوبرى» لصيديقة شجاعي؛ تناولت فيها المؤلفة شرح بعض الأبيات عن أهل البيت وتطرقت الى الأحوال السياسة والإجتماعية آنذاك الوقت ولم تتطرق إلى الأسلوبية في هذه الرسالة[٥]. وأيضا مقالة معنونةبـ« السمات الأسلوبية لقصيدة "في رحاب الحسين عليه السلام" دراسة وتحليل[٦]».

الأسلوب و الأسلوبية

الأسلوبية منهج نقدي حديث يتناول النصوص الأدبية بالدراسة على أساس تحليل الظواهر اللغوية والأسلوبية بشكل يكشف الظواهر الجمالية للنصوص، ويقيّم أسلوب مُبدعها، محدّداً الميزات الأسلوبية التي تتميّز بها عن غيرها من المبدعين[٧]. يعد شارل بالي١٨٦٥_١٩٤٧م مؤسس علم الأسلوب معتمداً في ذلك على دراسات أستاذه فرديناد دوسوسير لكن بالي تجاوز ما قال به أستاذه، وذلك من خلال تركيزه الجوهري والأساسي على العناصر الوجدانية للغة، وهو تركيز تلقّفه عالم الأسلوب الألماني "seidler" الذي نفى أن يكون الجانب العقلاني في اللغة يحمل بين طياته بعدًا أسلوبيًا، وإنّما ركز على الجانب التأثيري والعاطفي في اللغة وجعل ذلك يشكل جوهر الأسلوب ومحتواه[٨]. والجدير بالذكر أن كل الدراسات التي جاءت بعده، أخذت عنه أو استفادت منه؛ في المنهج أو في الموضوع[٩]. ارتبط الأسلوب ارتباطاً وثيقاً بالدراسات اللغوية التي قامت على يد العالم اللغوي دوسوسير من خلال التفريق بين اللغة "langve" والكلام "parole"، وإذا كانت الدراسات اللغوية تركز على اللغة فإن علم الأسلوب يركز على طريقة استعمالها

وأدائها[١٠]. ولذلك فإن الأسلوبية سعت أن تكون منهجاً بديلًا وعلمياً منضبطاً، وهو منهج يهدف إلى تحليل الخطاب الأدبي، والكشف عن أبعاده الجمالية والفنية[١١].

ويشير عبد السلام أن الأسلوبية هي صلة اللسانيات بالأدب ونقده. وبها تنتقل من دراسة الجملة «لغة» إلى دراسة اللغة نصاً، فخطاباً، فأجناساً؛ ولذا كانت الأسلوبية (جسر اللسانيات إلى تاريخ الأدب)، كما عبر «سبيتزر»عن ذلك[١٢]. وفي كتاب الأسلوب لأحمد الشايب الذي يعد أحد روّاد هذا المجال، يعرف الأسلوب بأنه: «اختيار الأديب للمعاني وترتيبها وتفسيرها، طوع مزاجه تفسيراً فنياً، ثم التعبير عنها بالألفاظ التي تجذبها المعاني فيأخذ الكاتب باختيار الفن، وينتهي بالألفاظ فيجمع الأسلوب بين وضوح التفكير وجمال التصوير، مع مراعاة الدقة في أداء الفكرة أو صوغ الخيال، والتصرف السديد في بناء الجمل والعبارات، حتى تكون العبارة صورة صادقة لما في نفسه من المعاني[١٣]. على أن هذه التعريفات تساعد بالضرورة على تحديد الظاهرة؛ وخاصة عندما لا تنتزع من سياقها قسرا، بل يعنى الباحث بالإشارة إلى إطارها النظري الأصيل، بالإضافة إلى قيمتها التوثيقية، أما إذا اقتطعت بشكل مبتسر فإنها حينئذ تعوق نمو النظرية الأسلوبية، وتحول دون اجراء تحليل دقيق لظواهرها. ولعلّ هذا يتضح بشكل بين من التعريف الشهير الذي قدمه«الكونت بوفون» في خطابه عن الأسلوب إذ يقول: « إن المعارف والوقائق والإكتشافات تتلاشى بسهولة، وقد تنتقل من شخص لآخر، ويكتسبها من هم أعلى مهارة، فهذه الأشياء تقوم خارج الإنسان، أما الأسلوب فهو الإنسان نفسه، فالأسلوب إذن لا يمكن أن يزول ولا ينتقل ولا يتغير»[١٤].

الإتجاهات الأسلوبية

الأسلوبية في درسها للنص لا تعنى به من حيث هو جوهر ثابت بل تراه كذلك. ولذا، فإنها لا تدَّعي الإحاطة به فهماً. ولكنها تعمل على توسيع فهمه. ولكي تبلغ غايتها المرجوّة هذه، فإنها تتعدّد به قراءة، وتفسيراً، وتأويلاً. ولما كان حاله معه كذلك فقد انقسمت طرائق قدداً. وقد أدى انقسامها الى ميلاد نزعات فردية واجتماعية ونفسية وسلوكية في النظر إلى الأسلوب، وأدى إلى ميلاد اتجاهات فيها. فتعدّدت الاتجاهات بحسب الدارسين وانفعالاتهم به. وصار للأسلوبية اتجاه عام هو دراسة الأسلوبية العامة، واتجاه خاص، وهو الدرس الأسلوبي الخاص بلغة من اللغات[١٥]. واعتمد "ريفاتير" في ذلك على أن الأسلوب تأكيد تعبيري، أو تأثيري، أو جمالي يضاف إلى المعلومات المنقولة من خلال تركيب لغوي دون أي تغيير في المعنى[١٦].

ويشير صلاح فضل أن عملية التحليل الأسلوبي تتمثل في تطبيق المناهج التي أقامتها ونمتها البحوث الأسلوبية على نصوص لغوية تقوم بعملية توصيل أدبي يعادل الكلام؛ فالتحليل الأسلوبي إذن يتعامل مع ثلاثة عناصر:

١ .العنصر اللغوي: إذ يعالج نصوصاً قامت اللغة بوضع شفرتها.

٢ .العنصر النفعي: الذي يؤدي إلى أن ندخل في حسابنا مقولات غير لغوية مثل المؤلف والقارئ والموقف التاريخي وهدف الرسالة وغيرها.

٣.العنصر الجمالي الأدبي: ويكشف عن تأثير النص في القارئ والتفسير والتقويم الأدبيين له.

هناك مناهج لغوية مختلفة في التحليل الأسلوبي ومنها: المنهج السياقي، واختبار الاستبعاد، واسترجاع الإمكانات المتاحة في نظام اللغة والمنهج الإحصائي[١٧].

الأسلوبية الإحصائية

يقول الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي(٨٤٩-٩١١هـ) في " الاتقان": « وقال الهذلي في كامله: اعلم أن قوماً جهلوا العدد وما فيه من الفوائد حتى قال الزعفراني: « العدد ليس بعلم، وإنّما اشتغل بعضهم ليروج به سوقه[١٨]»

الأسلوب الإحصائي يحاول الوصول إلى تحديد الملمح الأسلوبي للنص من خلال الكمّ، وهو يقويم على ابعاد الحدس لمصلحة القيم العددية، فقوام عمله يكون بإحصاء العناصر اللغوية في النص. استحسنا نحن في هذه الدراسة أن ندخل الدراسة الإحصائية إلى علم الأسلوب بوجه عام، باعتباره يدخل في أيّ علم، ويعد أحد المعايير الموضوعية التي يمكن باستعمالها تشخيص الأساليب وتمييز الفروق. فالإحصاء أداة فعالة في الدرس الأسلوبي؛ لأنه يدرس الانزياحات، ثم يلاحظها يقيمها ويؤَوّلها[١٩].

ويهدف التشخيص الأسلوبي الإحصائي إلى تحقيق غايات ثلاث تندرج هرمياً على النحو الآتي:

١.الوصف الإحصائي الأسلوبي للنص بهدف الكشف عن الخصائص الأسلوبية المائزه فيه.

٢.التحليل الإحصائي للنص.

٣.الحكم التقويمي، أو ما يمكن الإصطلاح على تسميته« نعوت الأسلوب[٢٠]».

ثمة محاولات عديدة وجديرة بالاشارة في مجال التطبيق الأسلوبي الإحصائي قدمها لأول مرة الدكتور سعد مصلوح في كتابه «الأسلوب دراسة لغوية إحصائية»اعتمد فيها على آراء "بوزيمان" في تحديده ظواهر الأسلوب بالحدث والوصف أو بالفعل وبالصفة، وقد اعتمد في ذلك على آلية تقضي إلى حساب عدد الكلمات المعبرة عن الاحداث، والكلمات المعبرة عن الاوصاف[٢١].

المستوى الصوتيّ

الدراسة الصوتية تعد المحور الأول للدخول إلى النص الأدبي، وبداية الولوج إلى عالمه، وفهمه وللإحساس بوعي الفني لما فيه من قيم جمالية؛ فالصوت هو الوحدة الأساسية للغة التي يتشكل منها النصُ الأدبي، وعلى هذا «يعد المبحث الصوتي الخطوة الأولى للدارس اللساني؛ لأن الصوت أصغر وحدة في اللغة[٢٢]»، والمستوى الصوتي أو ما يُسمّى بالصور الفونولوجيّة (أو المتيا أصوات) تضمّ صوراً صوتية وصوراً نغميّة، وذلك حسب توزيع الفونيمات إلى وحدات تقطيعيّة(مصّوتات وصوامت)، وفوق تقطيعيّة أو نغميّة (مثل النبر و الوقف و التنغيم[٢٣]).

لا يخامرنا الشك في أن الدراسة الصوتية يتع في صميم دراسة النصوص الأدبية، لأن التحليل الأسلوبي لهذه النصوص يساعد كثيراً في فهم طبيعتها، والكشف عن الجوانب الجمالية فيها، فضلاً عن ما فيه من كشف الانفعالات النفسية والعواطف التي تحكم مبدعها. « ليس يخفي أنّ مادة الصوت هي مظهر الانفعالات النفسي، وأنّ هذا الانفعال بطبيعته إنّما هو سبب في تنويع الصوت، بما يخرج فيه مدّ أو غنّةً أو شدّةً[٢٤]».

فالدلالة الصوتيّة التي تُدرس في المستوى الصوتي، هي الدلالة التي تستنبط من الأصوات التي تألّفت منها الكلمة وتختلف دلالة الكلمات بحسب طبيعة هذه الأصوات، فتدلّ شدّة الصوت وجهره على معنى قوي، كما تدلّ رخاوة الصوت وهمسه على معنى فيه لين ويسير. والدلالة الصوتية تشتمل على دلالة الصوت، دلالة النبر، دلالة المقاطع ودلالة التنغيم[٢٥]. فالأصوات من حيث صفات النطق تنقسم إلى أنواع عديدة منها: الجهر والهمس، والشدّة والرخاوة.

جهر الأصوات و همسها

يعرف العرب القدماء الصوت المجهور« أنّه حرف أشبع الاعتماد من وضعه، و منع النفس أن يجري معه حتّى ينقضي الاعتماد، و يجري الصوت[٢٦]» و يُعرَف الصوت المجهور "les sonores" بأنّه الصوت الذي يهتز عند النطق به الوتران الصوتيان في النتوء الصوتي الحنجري، بحيث يسمع رنين تنشره الذبذبات الحنجرية في تجاويف الرأس و الأصوات المجهورة هي: «ع/ ض/ م/ و/ ز/ ن/ ر/ غ/ ظ/ ج/ د/ ل/ ب/ الف/ ذ». أما الصوت المهموس فهو: الصوت لا يهتز عند النطق به الوتران الصوتيان في النتوء الصوتي الحنجري و الأصوات المهموسة استناداً إلى علم الأصوات الحديث هي: «ء/ ف/ ح/ ث/ ه/ ش/ خ/ ص/ س/ ك/ ط/ ق[٢٧]». الفرق بين المهموس و المجهورة هو عامل جريان النفس و عدمه، لهذا عرف ابن الجوزي المهموس بأنّه كل حرف جرى معه النفس بسبب ضعف الاعتماد على المخرج، أما المجهورة فعرفه بأنه كل صوت انحبس معه تيار النفس بسبب قوة الاعتماد على المخرج[٢٨].

شدّة الأصوات و رخاوتها

من الصفات الأخرى للأصوات الشدّة و الرخاوة و ما يتوسّط بينهما و الّذي يسمّى بالصفة المتوسطة. و الأصوات الشديدة تقابل الأصوات الأنفجاريّة أو الوقفات عند الغربيين، و تكون هذه الأصوات«بأن يحبس مجرى الهواء الخارج من الرئتين حبساً تاماً في موضع من المواضع، و ينتج هذا الحبس أو الوقف أن يضغط الهواء، ثمّ يلق سراح المجري الهوائي فجأة فيندفع الهواء محدثا صوتا انفجاريّاً[٢٩]». و الأصوات العربية الشديدة كما تؤيدها التجارب الحديثة هي«ب/ ت/ د/ ط/ ض/ ك/ ق/ الجيم القاهرة». أما الجيم العربية الفصيحة فيختلط صوتها الانفجاري بنوع من الخفيف يُقلِّلُ مِن شدتها[٣٠].

أما الأصوات الرخوة فهي التي لا ينحبس الهواء عند النطق بها انحباساً تامّاً و إنّما يكتفي بأن يكون مجراه عند الخروج ضيّقا جدّا، يترتّب على ضيق المجرى أنّ النفس في أثناء مروره بمخرج الصوت يحدث نوعا من الصفير أو الحفيف تختلف نسبته تبعا لنسبة ضيق المجرى. و هذه الأصوات يسميّها المحدثون بالأصوات الاحتكاكيّة و على قدر نسبة الصفير في الصوت تتكوّن رخاوته، لهذا فأكثر الأصوات رخاوة تلك التي سماها القدامى بأصوات الصفير و هي المرتبة حسب نسبة رخاوتها: «س/ ز/ ث/ ص/ ش/ ذ/ ث/ ظ/ ف/ ه/ ح/ خ/ غ[٣١]»

المستوى التركيبي

دراسة الجمل

«الجملة هي عنصر الكلام الاساسي، إذ يحصل بوساطتها الفهم و الإفهام بين مختلف المتنفعين باللغة. و يحوّل المنتفع مادة فكرة إلى كلام معبّر، بوساطة الجمل، و يتكلّم و يتواصل بوساطتها كذلك. و اعتبر علماء الألسنية الجملة، الصورة الصغرى للكلام المقيد، أي الكلام الذي يخضع لمتطلبات اللغة و نواميسها[٣٢]» والمستوى التركيبي يتناول الجملة المنظومة أو المكتوبة على المستوى التحليلي أو التركيبي و يطلق على هذا النوع من الدلالة الوظائف النحوية أو المعاني النحوية[٣٣]. فالأسلوبية ترى في هذا المستوى عنصراً مهماً في مجال البحث الأسلوبي إذ يعد هذا المستوى من أهم الملامح التي تميز أسلوب مبدع ما عن غيره من المبدعين و يتوجه علم الأسلوب على المستوى التركيبي إلي البحث العناصر الآتية: تكرار الألفاظ و العبارات، و بعض الظواهر اللغوية كالجناس و الطباق و الاستفهام و. . . كما أن الباحث في هذا المستوى يتحدّث عن الأزمنة الفعلية، كإحصاء عدد تواتر الافعال الماضية و المضارعة من شعر ما أو قصة الخ[٣٤]. .

التحليل المضموني للقصيدة:

قصيدة الصنوبري[٣٥]

سيــرا إذاً لــن تســيرا ... عــيراً تُناقل عِــيرا
محمَّــــلات ظهــــوراً ... وَمُــوقراتٍ نُذورا
زورا بــيــثربَ قــــبراً ... وبالعــراقِ قبــورا
زورا ولا تســـأمـا مـا ... حُيـيـتما أن تــزورا
زورا النـــبـيَّ و زورا ... وصــيه والوزيــرا

زورا الشموسَ شموس الـ ... أيام زورا البــدورا
محمــــداً و علّيــــاً ... وشـــبَّراً وشبــيرا
صــلَّي الالـــهُ علي من ... أَتـــي بَشـيراً نذيرا
ومــن مــضي خاتمَ الرُّسـْ ... لِ والســراجِ المُنيرا
ومـــن بـــه بشَّر الــرك ... بَ مِن قريشٍ بحيرا

وزاد فـــاطمةَ الطُّــهــ ... رَ كـــلَّ يومٍ طَهورا
يـــا عينُ فيضي رَواحــاً ... لهــم وفيضي بُكورا
فيضـــي لحمـــزةَ أو لل ... عبّــاسِ فيضاً غزيرا
عَمَّيـــه زادهمـــا مَنْ ... كســاهما النورَ نورا
المطفِئـــينِ لظَـــي الحر ... بِ ونــه و السَّعيرا

ولم أزلْ منـــذ خـــاضَتْ ... بـــيَ الأمـــورُ أمورا
يهيجنـــي ذكرُ يـــومِ الطـ ... ـــيارِ حتـــي أطيرا
أقولُ والقـــولُ يـــبـــقى ... بعدَ الدهـــورِ الدهورا
دورَ الغـــــــرّي ودوراً ... بالطّـــفِ حُيّيتِ دُورا
كَـــم قـــد حويتِ جبالاً ... و كـــم حويتِ بحورا
وكـــم تضمنـــــت خيـراً ... وكـــم تضمنت خيرا
أضحـــي الهُدَي في قبـورٍ ... ضُـــمِّنتهـــا مقبورا
مُلّيـــت للفـــاطمييـــ ... ـن لوعـــةً و زَفيـرا
الأفضلـــــينَ جهـــاداً ... والأفضـــلين نصيرا
الصـــائمينَ المصـــلِّيـــ ... ـن طُهّـــروا تَطهيرا
والمنطويـــن بطـــونـــاً ... والمنـــحنينَ ظُهـــورا
والمطعمـــينَ يـــتيـماً ... والمطعميـــنَ أسيرا
أهلُ الكســـاء الأجلّليـــ ... ـنَ منبـــراً و سريرا
من لم يـــزل جـــبرئيلُ ... رداءاً لهـــم وظهـــيرا
لهفـــي عليهـــم ليـوثاً ... لهفي عليهـــم صقورا
بغـــي عليـــهـــم حمـــارٌ ... بـــاغٍ يســـوسُ حميرا
وكـــان ينقـــصُ مذ كـا ... نَ نـــاقصـــاً مَبتُورا
يومَ الحســـين على الديـ ... ـنِ كنـت يوماً عسيرا
مـــلأت والله كـــربـــاً ... يـــا كربلاء الصُّـدورا
كـــأنّي بِـــرَحى الحـــر ... بِ أوشكت أن تدورا

والفـــاطميـــونَ تقريـــ ـهمُ السيوفُ الطيـورا
والفـــاطـــماتُ ينـحرْ نَ بـــالدمـوعِ نحورا
يـــا عُصبةً لم تخف مـن إلهـــاً أن تجـــورا
يـــا عصـــبةً لم تراقـب قـــرآنه المسطـورا
ألم يكـــن حمـــلُ رأس الـ حسيـــنِ خطباً كبيرا
ألم يكـــنْ منعـهُ المـــا ءَ كـــان شيئـاً نكيرا
يـــا مـــن يذودُ حسـيناً عن الفرات فجـورا
تذود عنـــه حسيـــنـاً بغياً وتسقـي البعيرا
غـــداً تطـورُ بحوضِ الـ ـــنبيّ لا أن تَطورا
ياقـــوم مـــاذا جني القو م دُمَّـــروا تدمـــيرا
أكـــانَ هتـــكُ حريمِ الـ ـحسينِ أمـــراً حقـيرا
أكـــان قـــرعُ ثنـــايا هُ بـــالقضيبِ يسيرا
سبحـــانَ من يمسِكُ الأر ضَ حلمـــهُ أن تَمتورا
أبحتـــمُ مـــن أبـيـه وجـــدَّهِ محـظـــورا
ثـــأرتـــمُ أهـــلَ بدرٍ لمـــا وجـــدتمْثُؤرا
نـــفســـي تقـي أمَّ كُلثو مِ الـــرَّدي والشرورا
لـــو أنَ شِعتَهـــا اليـو مَ أمسِ كانوا حُضورا
إذنْ لـــظَّلوا يضـــاهو نَ بـــالزئـــيرِ الزئيرا
فيكـــلمـــونَ كلـــوماً وَيثغَـرونَ ثغـــروا
وينظمـــون نُـــحوراً مـــن العدَي وَسحورا
وينـــحرون يـــزيداً نَحرَ الحجيجِ الجَزورا

تقف القصيدة على ملمح تكويني نوعي ينطلق من خلق شعري خاص، فهو نص رائد كامل من النصوص التي تبرهن على صياغة اللغة و بناء صور أسلوبية من مادة لغوية تصل لممارسات أسلوبية[٣٦]. في البداية يطلب الشاعر من القارئ أو من النّاس الارتحال نحو قبر النبيّ و آلهﷺ و زيارة هذه القبور التي ضمت في جوفها الشموس والبدور و يذكر بعضًا من صفاتهم(١١-١) ثم يطلب الشاعر من الناس البكاءعند هذه القبور و يريد من العين أن تفيض و تبكي عليهم صباحاً و عشيةً(١٣-١٢) حيثُ يقول:

يـا عينُ فيضي رواحاً لهم و فيضي بكورا
فيضي لحمـــزة أو لمل عبّاس فيضاً غزيرا

و في ضمن هذه الأبيات يشير الشاعر إلى ابن أبي طالب الّذي لُقّب بالطيّار و ينبه القارئ على كيفية شهادة هذا الرجل العظيم في البيت السابع عشر:

يَهيجني ذكرُ يومِ المط يّـــارِ حتى أطيرا

ثم يستمر الشاعر بذكر أوصاف آل النبيّ و تمجيدهم إلى أن يصل إلى أهل البيت و ذكر فضائلهم في أبيات (٢٩. . . ٢٤، ٢٣) فيقول:

أَهلُ الكســاءِ الأجَلّ ـــينَ منبراً و سريراً
مـــن لَم يزل جبرئيلٌ رداءاً لهمْ و ظهـيرا

بعدئذٍ يذكر الشاعر آل الحسينﷺ و ما مرّ عليهم من جور الأعداء و يذكر بكاء نساء أهل البيت على ما جرى في كربلاء. ثم يعاتب الشاعر اعداء الإمام الحسينﷺ و يبيّن عظمة الإمام و قُبح عمل الأعداء (٤٦، ٤٧) فيقول:

أكـان هتك حريم المـ ـحسينِ أمراً حقيرا
أكـــان قَـــرعُ ثنايـا ه بـالقضيب يَسيرا

ثم يذكر الشاعر أن هذا الظلم و القتل من جانب الأعداء بغضاً لأهل بدر الذين

قتلوا المشركين و الكفار حيثُ يقول:

ثــأرتم أهـــلَ بدرٍ لمـــا وجدتُم ثُؤورا

فقد ختم الشاعر القصيدة يذكر شيعة أهل البيت و حب النّاس لهذه الشجرة الطيبة و يقول إذا شيعة أهل البيت كانت حاضرة في كربلاء ما استطاع العدوّ أن يمس أهل البيت، و يقول:

لو أنَّ شيِــعتَهم اليو مَ أمس كانوا حُضورا

إذنْ لظلُّـــوا يضاهو ن بالزئـــيرِ الزئـــيرا

التكرار الصوتي

التكرار الصوتي هو من الأنماط التكرارية المنتشرة و الشائعة في شعر الرثاء خاصة، و يتمثل« هذا التكرار في تكرار حرف يهيمن صوتياً في بنية المقطع أو القصيدة [٣٧]». و التكرار يسلط الضوء على نقطة حساسة في العبارة و يكشف عن اهتمام المتكلم بها، و هو بهذا المعنى ذو دلالة نفسية قيّمة تفيد الناقد الأدبي الّذي يدرس الأثر و يحلل نفسية كاتبه[٣٨]. تمثّل التكرار في هذه القصيدة بنوعين: تكرار اللفظ و العبارة. فقد كرر الشاعر بعض الألفاظ الرئيسة في القصيدة بما لها دلالات بارزة في تكوين القصيدة مثل كلمة« زورا » و« فيضي ». في هذه القصيدة نجد كثيراً من التكرارات، هنا نشير إلى بعض هذه التكرارات:

زورا بيـــثـــربَ قـــبراً و بالعـــراقِ قبورا

زورا و لا تســـأمـا مـــا حيـــيِّتما أنْتزورا

زورا النـــــبـــيَّ و زورا وصـــيَّه و الوزيرا

زورا الشموسَ شموسَ الد أيام زُورا البدورا[٣٩]

و أيضاً في كلمة«فيضي»:

يـــا عينُ فيضي روَاحـــاً لَهَـــم و فيضي بُكُورا
فيـــضي لِحمـــــزةَ أو لمل عبّاسِ فيضـــاً غزيرا[٤٠]

لقد كرر الشاعر كلمة« زُورا » سبع مرات ليؤكد الزيارة بأسلوب التكرار و بهذا التكرار يريد أن يجسد أهمية زيارة قبور أهل البيت في ذهن السامع و القارئ. و أيضاً كرر لفظ « فيضي » اربع مرات و هذا التكرار تأكيد للبكاء عند الزيارة و يريد الشاعر من الزائر أن يبكي على أهل البيت عند ما يزور قبورهم و يذكر مصائبهم.

ونشاهد أن الشاعر في هذا التكرار استفاد من أسلوب القرآن حيثُ الآية القرآنية تقول: ﴿ إنَّ المُسلمينَ و المُسلماتِ و المؤمنينَ و المؤمناتِ و القانتينَ و القانتاتِ. . . و الصائمينَ و الصائماتِ﴾[٤١] فالشاعر هنا يفيد من هذه الموسيقي الموجودة في هذه الآية حيثُ يقول:

الأفضـــلـــينَ جهـــاداً و الأفضـــلينَ نصيرا
الصـــائمينَ الممصليـــ ـــن طُهِّروا تَطهيرا
و المنطـــويـــنَ بطـــونا و المنـــحنينَ ظهُورا
و المـطعمـــينَ يتـــيماً و المطعمـــينَ أسيرا[٤٢]

ونشاهد هناك تكررت كلمة « قبر » اربع مرات، أوتكررت كلمة« دور» ثلاث مرات، أو كلمة« نحر» و مشتقاتها ثلاث مرات. أو كلمة «طهور» أربع مرات. أو كلمة« لهفي» مرتين. أو عبارة « كم قد حويت» مرتين. و بعد نظرة اجمالية لهذه القصيدة نرى أن الصنوبري بنى هذه القصيدة على ظاهرة التكرار و في اكثر أبيات هذه القصيدة استفاد من التكرار لأغراض مختلفة منها: لأن التكرار يساعد في إيصال المعنى و الدلالة إلى ذهن السامع أو القارئ، أو لإيجاد تقوية الموسيقي في النص و الشعر.

و في بعض الأحيان يستعمل التكرار لانسجام الوزن و العروض و البناء التركيبي. أما في هذه القصيدة فقد كرر الصنوبري لبيان عظمة النبيّ و آله عليهم السلام و أهمية زيارة قبورهم في تكرار كلمة « زورا» سبع مرات.

اما في التكرار الصوتي، هناك تكرار صوتي في هذه القصيدة نلاحظه في الأبيات التالية:

سـيرا إذاً لَـن تسـيرا ... عـيراً تُنَاقِل عيرا
محمَّـلاتٍ ظهـوراً ... وَ مُوقراتٍ نذورا
زورا بيثـربَ قبـراً ... و بالعـراقِ قبورا
زورا و لا تسـأمـا ... حُيِّيتما أن تـزورا
زورا النـبـيّ و زورا ... وصـيَّه و الوزيرا
زورا الشموسَ شموسَ الد ... أيام زُورا البدورا[٤٣]

فقد كرر الشاعر حروف «ر» و «و» مرات كثيرة و هما من الحروف المجهورة، فكأنّه واقفٌ على منصَّة الخطابة و يصرخ بأعلى صوته و يطلب من النّاس زيارة قبر النبيّ وآله ويحكي لهم ما مرّ على أهل البيت من الظلم و الجور، و المدهش في هذه القصيدة، استعمل هذين الحرفين في جميع ابيات القصيدة سوى اربع ابيات.

و كلما نستمر في قراءة هذه القصيدة نرى حروف الجهر قد تكاثرت، و نرى عواطف الشاعر كأنها تجيش. ولكن اللافت للنظر في هذه القصيدة، هو دقّة الشاعر في استعمال حروف الجهر و الهمس في مكانها المناسب مثلاً عندما يخاطب القوم الّذين ظلموا الحسين عليه السلام نرى كثرة استعمال حروف الجهر، مثل هذا البيت:

يا قوم ماذا جنى القو ... م دُمِّروا تدميرا[٤٤]

فنلاحظ جميع حروف هذا البيت، من الحروف الجهر سوى ثلاثة حروف. و عندما الشاعر يريد يذكر أُمَّ كلثوم يستعمل حروف الهمس في البداية و كأنّه أخفض صوته

و همس احتراماً و تجليلاً لها:

نفسي تقي أُمَّ كُلثو مٍ و الرَّدى و الشُرورا[٤٥]

دلالة الأصوات المجهورة و الأصوات المهموسة

لقد أحصيت الأصوات المجهورة و المهموسة في هذه القصيدة. والجدول التالي يثبت نسبة تواتر الأصوات في صفتي الهمس و الجهر:

الجدول(١): عدد تواتر الأصوات المجهورة و المهموسة و النسبة المئويّة لتواترهما

	عدد التواتر	النسبة المئوية
الأصوات المجهورة	١٠٠٤	٧٤ /٧٦
الأصوات المهموسة	٣٣٩	٢٥ /٢٤
مجموع الأصوات	١٣٤٣	

جاء مجموع الأصوات(١٣٤٣) صوتاً حيث تواترت الأصوات المجهورة أكثر من الأصوات المهموسة، فعدد الأصولات المجهورة (١٠٠٤) صوتاً أمّا المهموسة فعددها (٣٣٩) صوتاً فالنسبة المئوية للأصوات المجهورة(٧٦/ ٧٤) و النسبة المئوية للأصوات المهموسة (٢٤/ ٢٥). فنسبة الأصوات المجهورة في الكلام العادي (٧٥/ .) مقابل (٢٥/ .) من الأصوات المهموسة. نلاحظ في هذه القصيدة نسبة الأصوات المجهورة بالنسبة إلى الأصوات المهموسة عالية جدّاً. فالشاعر في هذه القصيدة استفاد من الأصوات المجهورة أكثر، ليثبت انزجاره من أعداءالنبيّ و آله عليهم السلام و أيضاً يريد أن يجسم الظلم الذي مرّ عليهم في الأذهان. فهو جاء بالأصوات الجهر أكثر من الهمس لكي ينبه القارئ أو السامع بما جرى على النبيّ و أهل بيته عليهم السلام، و من جانب آخر أراد بهذه الأصوات اعلان عظمتهم.

دلالة الأصوات الشديدة و الأصوات الرخوة

مجموع الأصوات هنا (٤٦١) صوتاً دون حروف اللين(الألف و الواو والياء)، لأنّ هذه الحروف لا تدخل في تقسيمات الأصوات الشديدة و الرخوة. فعدد تواتر الأصوات الشديدة في هذه القصيدة (٢٧١) و نسبتها المئوية (٧٩/ ٥٨) و عدد تواتر الأصوات الرخوة (١٩٠) و نسبتها المئوية (٢١/ ٤١). فكثرة الأصوات الشديدة تدلّ أيضاً على ما دلّت عليه كثرة الأصوات المجهورة من الجهر، فالشاعر كما قصد بالأصوات المجهورة انتباه السامع أو القارئ بهذه الأصوات، أيضاً أراد تهيج السامع أو القارئ على محبة النبيّ و أهل بيته عليهم السلام و زيارة قبورهم.

الجدول(٢): **عدد تواتر الأصوات الشديدة و الرخوة** والنسبة المئويّة لتواترهما في القصيدة

	عدد التواتر	النسبة المئوية
الأصوات الشديدة	٢٧١	٧٩/ ٥٨
الأصوات الرخوة	١٩٠	٢١/ ٤١
مجموع الأصوات	٤٦١	

المستوى التركيبي

دراسة الجمل

« الجملة هي عنصر الكلام الأساسي، إذ يحصل بواسطتها الفهم و الإفهام بين مختلف المنتفعين باللغة. و يحوّل المنتفع مادة فكرة إلى كلام معبّر، بواسطة الجمل، و يتكلّم و يتواصل بوساطتها كذلك. و اعتبر علماء الألسنية الجملة، الصورة الصغرى للكلام المقيد، أي الكلام الّذي يخضع لمتطلبات اللغة و نواميسها[٤٦]». و حين نقرأ هذه القصيدة نلاحظ، وظّف الشاعر في هذه القصيدة الرثائية كلا النوعين من الجمل الفعلية و الإسمية لكنّه اعتمد على الجمل الفعلية اكثر من الإسمية.

جدول(٣): تواتر الجمل الإسمية و الفعلية و دلالاتها في القصيدة

الجملة	عدد التواتر	النسبة المئوية
الفعلية	٦٧	٧٧/٩٠
الإسمية	١٩	٢٢/٠٩
المجموع	٨٦ ٪١٠٠	

استعمل الصنوبري في هذه القصيدة الجمل الفعلية أكثر من الجمل الإسمية. فقد بلغ عدد الجمل الفعلية فيها ٨٦ جملة، في حين لم تشكل الجمل الإسمية إلا ١٩ جملة. و اعتمد الجملة الفعلية ذات الفعل الماضي أكثر من الفعل المضارع و الأمر.

جدول(٤): تواتر الأفعال في القصيدة

الأفعال	عدد التواتر	النسبة المئوية
الماضي	٣٠	٤٥/٤٤
المضارع	٢٩	٤٣/٩٣
الأمر	٧	١٠/٦٠
المجموع	٦٦	٪١٠٠

قد استعمل الشاعر الأفعال الماضية أكثر من الأفعال المضارعة و ذلك لأنّ الشاعر يعيد كتابة حادثة قد حدثت في الزمن الماضي مثلاً:

ملأتِ و الله يا كربــاً يا كربلاءُ الصُّـدورا

أو يذكر ما فعلوه بالحسين(ع):

أكان هتكُ حـريم الـ ـحسينِ أمراً حقيراً

أكان قَرعُ ثنـايـــا ه بالقضيبِ يسـيراً

و قد أتى الشاعر بالفعل المضارع لِيبينَ لنا ماذا جرى على آل الرسول صلى الله عليه وآله و كأنّه يحدث الآن أمام أعيننا:

ألم يكن حملُ رأسِ الد ـــحسينِ خَطباً كبيرا
ألم يكن منـــــعُهُ الما ءَ شيـــــئاً نكـــيرا

النداء

النداء أسلوب من الأساليب الإنشائية الطلبية، و فيه تنبيه المنادي و حمله على الالتفات[٤٧]. فقد دفع حب الشاعر لأهل البيت أن يخاطب أعداءهم و يلومهم في ما جنوه على أهل البيت و يستعمل أسلوب النداء "٥ مرات" لبيان حزنه و ألمه قائلاً:

يـا عينُ فيضي رَواحاً لهمْ و فيضي بُكورا[٤٨]

و في موضع آخر:

يا عصبةً لَمْ تَخف مـن إلهاً أن تجـــــورا
يا عصبـــةً لَم تـــراقب قرآنُهُ المسطـــورا[٤٩]

و أيضاً:

يا من يذوذُ حسيـــناً عن الفرات فجورا[٥٠]

و أيضاً:

يا قوم ماذا جنى القو م دُمِّروا تدمـــيرا[٥١]

« إن حروف النداء غير الهمزة تستعمل لنداء البعيد أو ما يشبهه. الموضوعة لنداء البعيد قد تستعمل في القريب مجازاً على سبيل الاستعاره التبعية[٥٢]» فقد استعمل الشاعر أداة النداء "يا" في قصيدته الرثائية و هي أداة نداء تستعمل للبعيد و لكنّها تدل على القريب مجازاً، فأراد الشاعر أن يرسم لنا ما جرى على أهل البيت و كأنَّ كل ما جرى عليهم هو أمام أعيننا و ليس في زمان بعيد.

الإستفهام

« لأسلوب الإستفهام دلالات كثيرة منها: الحيرة الماورائية في بعض القصائد الرثائية التي تعبر ألم الشاعر الحاد[٥٣]». و استعمال الاستفهام يُمثّل سمة أسلوبية مميّزة

عند الشاعر تنتشر في معظم قصيدته، و هي تمثل طريقته في عرض المعاني و الأفكار التي يريدها في قصيدته الرثائية[٥٤].

نجد الشاعر استفاد من الاستفهام ليؤكد على قبح عمل الأعداء في حقّ الحسين عليه السلام و تألمه الشديد فيما جرى على ابن بنت الرسول صلى الله عليه وآله يأتي نموذجاً منها:

ألم يكن حملُ رأسِ الـ ـحسينِ خَطباً كبيرا

ألم يكن منـــعُهُ الما ءَ شيئـــاً نكـــيرا[٥٥]

أكان هتكُ حريم الـ ـحسينِ أمراً حقيراً

أكـــان قَـــرعُ ثنايا ه بالقضيبِ يســيراً[٥٦]

نشاهد في اثناء استعمال الشاعر للأدوات الاستفهام "٦ مرات" بأنّه استعمل هذه الأدوات لبيان المصائب و الأحزان التي جرن على الحسين عليه السلام و الشاعر يصوّر واقعة كربلاء و يحكي لنا ما مرّ على الحسين عليه السلام و كان أكثرها استعمالاً هو: الهمزة

يستعمل الفعل بعد أداة الاستفهام كما من المعروف تعني من الجملة الفعلية التجدد و الحدوث، كأنّه يقول للقارئ هذه الواقعة و ما جرى على ابن رسول الله صلى الله عليه وآله جديد و لا يُنسى.

المستوى البلاغي الدلالي

الكناية:

الكناية أبلغ مِن الإفصاح والسبب في ذلك أن الانتقال في الجميع من الملزوم إلى اللازم؛ فيكون إثبات المعنى به كدعوى الشيء بِبَيّنةٍ، ولا شكّ أن دوعوى الشيء ببيّنة أبلغ في إثباته دعواه بلا بيّنة. قال الشيخ عبدالقاهر: ليس ذلك لأن الواحد من هذه الأمور يفيد زيادة في المعنى نفسه لا يفيدها خلافه، بل لأنه يفيد تأكيداً لإثبات المعنى لا يفيده خلافه[٥٧]. يستعمل الشاعر الكناية لبيان حظوة أهل البيت و منزلتهم العالية في أحسن صورة:

زورا الشمـوسَ شموسَ الد أيـام زُورا البـدورا

حيثُ كنى الشاعر أهل البيت بأشعة الشمس في الأنهار و عبّر بنور البدر في الليل.

و في مكان آخر يقول:

و من مضى خاتمُ الرُّسـ ـل و السراجَ المنيرا

فكنى الشاعر الرسول بالسراج الّذي ملأ نوره كلّ السماء و الأرض. و أيضاً في موضع آخر يقول:

لهفي عليهـم ليـوثاً لهفي عليهمْ صقـوراً

الشاعر في هذه الكناية يبيّن شجاعتهم و علوّ مقامهم حيثُ شبههم في الشجاعة بالليوث و في علوّ المقام، بالصقور. و الجدير بالذكر أنّ الشاعر استعمل الكنايات الحسية لبيان عظمة أهل البيت و حبّه الشديد اتجاههم. و بهذه الكنايات الحسية يريد أن يقول: أن هذه العظمة مبرهنة و واضحة لكلّ الناس و لا تحتاج إلى حجّة و تأمّل.

النتائج

خصلت الدراسة إلى نتائج لعلّ أوضحها ما يأتي:

-أسلوب الشاعر والأصوات التي استعملها في قصيدته أعطت اِنطباعاً وتوازناً بين نفسية الشاعر التي انغمست في مدح آل البيت عليهم السلام.

-نلاحظ أن عاطفة الشاعر الصادقة تظهر في جميع مقاطع القصيدة لأن القصيدة تنبع من قلب شاعر يحب النبيّ وآله عليهم السلام فسيطرت على الأبيات العاطفة الصادقة المفعمة بالحب والتعظيم والوقار، وأيضاً انزجار الشاعر من أعداء النبيّ وآله عليهم السلام.

-من الناحية الصوتية نلاحظ أن معظم الأصوات في القصيدة من الأصوات المجهورة من حيث الجهر والهمس، ومن الأصوات الشديدة والمتوسطة من حيث الشدة والرخاوة لتدلّ على سياق القصيدة الذي يقتضي الجهر والشدة. وكان تكرار بعض الأصوات دلالات ملائمة لسياق القصيدة.

-من الناحية التركيبية فقد دفعت العاطفة الصادقة الشاعر إلى استعمل الجمل الفعلية أكثر من الإسمية فكانت الجمل الفعلية تعبر عن الحالات والمواقف التي تمثلت في الجمل الإنشائية الطلبية كالنداء والإستفهام. فهناك توازن مقصود بين عاطفته و أسلوبه.

هوامش البحث:

١) (خليل، ١٩٧٧م: ٢٦)

٢) (خان، ٦٥: ٢٠٠٢)

٣) (الكواز، ١٤٢٦ق: ٢٠)

٤) الشاعر في سطور:

هو ابو القاسم، ابو بكر احمد بن محمد بن الحسن بن مرّار الجوزي الرقيّ الضبيّ الحلبيّ، مشهور بالصنوبري و صحِّف لقبه«الضبي» نسبة إلى قبيلة ضَبَّة في فوات الوفيات. أما لقبه الثاني«الصنوبري» فزعم هو نفسه أنّ جدَّه كان يعمل في دار الحكمة لعهد المأمون فاشترك في مناطرة بين يديه و أعجب به فقال له: إنّك لصنوبري الشكل دلالة على ذكائه و حدة مزاجه وُلد بانطاكية و عمل خازناً في مكتبة سيف الدولة. و نشأ في أحضان الطبيعة الباسمة، فالفها و احبها، و تغدى خياله منها، فوصف رياضها النضرة، و حدائقها الملتفة. و هو شاعرٌ محسنٌ مطيلُ، في شعره سهولةٌ و عذوبةٌ أحياناً، و يُسمّونه حَبيباً الأصغَر لجَودَةِ شعره.

إنّه كان متشيعاً حقاً، و هو يذكر فيه ما يؤمن به الشيعة من أن الخلافة ليست مفوضة للأمة و أنها تنتقل بالوصية من الرسول إلى علي و ابنائه. ليس للصنوبري ديوان معروف، و لكن شعره منثور في كتب الأدب القديمة. و إذا أخذنا نستعرض موضوعات الشعر عندهدلاحظنا أنه عُني بالمديح عناية واسعة، إذ اتخذ شعره متجراً و مربحاً. عين الزركلي وفات الصنوبري سنة ٣٣٤.

٥)(صديقه شجاعى، ١٣٩٣)

٦) (على خطيبى، ١٣٩٥)

٧) (شمسيا، ١٣٧٢هـ. ش، ١١٥-١١٦)

٨) (الأسلوبية. موسى سامح ربابعة. ٩)

٩) (الأسلوبية و تحليل الخطاب، منذر عياشي. ٢٨)

١٠) (الأسلوبية. ربابعة٩)

١١) (المصدر نفسه. ٩)

١٢) (الأسلوب و الأسلوبية. المسدي، ١٠٨)

١٣) (الأسلوب، الشايب. ٤٩)

١٤) (علم الأسلوب، فضل. ٩٥-٩٦)

١٥) (الأسلوبية، عياشي. ص٣٧)

١٦) (الأسلوبية و الأسلوب، المسدي. ص١٠٣)

١٧) (الأسلوبية، عياشي. ص٣٩)
١٨) (الأسلوبية الاحصائية، مصلوح. ص١٣)
١٩) (الحربي، ٢٠٠٣ص٢٠)
٢٠) (الأسلوبية الإحصائية، مصلوح. ص٤٧)
٢١) (اسماعيلي، ٢٠١٤، ص٥)
٢٢) (خان٢٠٠٢، ص٦٥)
٢٣) (بليت، ١٩٩٩، ص٦٦)
٢٤) (الرافعي، ١٩٩٧. ص١٦٩)
٢٥)(عوض حيدر، ١٩٩٩م، ص٣٠)
٢٦) (أنيس، ١٩٧٢، ص٢٣)
٢٧) (صبري، ٢٠٠٦، ص٥٥)
٢٨) (المصدر نفسه، ص٥٦)
٢٩) (السعران، د. ت، ص١٥٣)
٣٠) (أنيس، ١٩٨٤، ص٢٥).
٣١) (المصدر نفسه: ٢٥-٢٦)
٣٢) (الحسيني، ٢٠٠٤م. ص١٩٥)
٣٣) (حسان، ١٧٨: ١٩٩٨)
٣٤) (منصوري، ٤: ٢٠١٠)
٣٥) (ديوان الصنوبري، ص٩٣-٩٦)
٣٦) (الخفاجي، ١٩١: ٢٠١٥)
٣٧) (العرفي، ٢٠٠٠م: ٨٢)
٣٨) (الملائكة، ١٩٨٩م: ١٢٧٦).
٣٩) (الصنوبري، ٩٢: ١٩٧٠)
٤٠) (المصدر نفسه)
٤١) (احزاب: ٣٥)
٤٢) (الصنوبري، ٩٥: ١٩٧٠)
٤٣) (الصنوبري: ٩٣)
٤٤) (الصنوبري: ٩٦)

٤٥) (المصدر نفسه: ٩٦)
٤٦) (الحسيني، ٢٠٠٤م: ١٩٥)
٤٧) (المخزومي، ١٩٨٦م،: ٢٨٩)
٤٨) (الصنوبري: ٩٤)
٤٩) (المصدر نفسه: ٩٥)
٥٠) (المصدر نفسه: ٩٥)
٥١) (المصدر نفسه: ٩٦)
٥٢) (فاضلي، ١٣٦٥م: ١٢٩)
٥٣) (الحسيني، ٢١٥: ٢٠٠٤)
٥٤) (فتوح، ٣٣٩: ٢٠٠٤)
٥٥) (الصنوبري: ٩٥)
٥٦) (الصنوبري: ٩٦)
٥٧) (الايضاح فى علوم البلاغة، ص٤٨٧)

المصادر و المراجع:

القرآن الكريم.
*الأب شيخو. المجاني الحديثة(١٩٩٨م). ط٤. قم: انتشارات ذوي القربى.
*ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد(١٩٦٠م). مقدمة ابن خلدون. قاهرة: نشر الدكتور علي عبدالواحد وافي.
*ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم(١٩٩٤م). لسان العرب. ط٢. بيروت: دار الصادر.
*أحمد سليمان، فتح الله(١٩٩١م). الأسلوبية مدخل نظري و دراسة تطبيقية. لامك: الدار الفنية للنشر و التوزيع.
*بليت، هنريش(١٩٩٩م). البلاغة والأسلوبية نحو نماذج سيميائية لتحليل النص. المترجم: محمد العمري. بيروت: الدار البيضاء.
*الحربي، فرحان بدري(٢٠٠٣م). الأسلوبية في النقد العربي الحديث. بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
*حسان، تمام(١٩٩٨م). اللغة العربية معناها ومبناها. ط٣. القاهرة: عالم الكتب.
*الحسيني، راشد بن حمد بن هاشل(٢٠٠٤م). البنى الأسلوبية في النص الشعري. ط١. لندن: دار الحكمة.
*خان، محمد(٢٠٠٢م)اللهجات العربية و القراءات القرآنية، دراسة في البحر المحيط، المغرب: دار الفجر للنشر و التوزيع.
*الخفاجي، محمد عبد المنعم ومحمدالسعدي فرهود و عبد العزيز شرف(١٩٩٢م). الأسلوبية والبيان العربي، بيروت: الدار المصرية اللبنانية.
*الخطيب القزويني، (١٩٩٩م) الإيضاح في علوم البلاغة، شرح وتعليق محمد عبدالمنعم خفاجي وعبدالعزيز شرف، مصر، القاهرة، دارالكتاب المصري.
*خليل، ابراهيم(١٩٩٧م). الأسلوبية و نظرية النص. بيروت: مؤسسة العربية للدراسات و النشر.
*الرافعي، مصطفى صادق(١٩٩٧م). إعجاز القرآن و البلاغةالنبوية، القاهرة، دار المنار.
*ربابعة، موسى سامح(٢٠٠٣م). الأسلوبية مفاهيمها و تجلّياتها، ط١. دار الكندي للنشر، إربد.
*السعران، محمود(د. ت)علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، بيروت: دار النهضة العربية.
*الشايب، أحمد(١٩٦٦م). الأسلوب. ط٦. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.
*الصنوبري، الديوان(١٩٧٠)، شرح، احسان عباس، بيروت: نشر و توزيع دار الثقافة
*صبري المتولي، شريف(٢٠٠٦م). دراسات في علم الأصوات، مصر: مكتبة زهراءالشرق.
*ضيف، شوقي، تاريخ الأدب العربي العصر العباسي الثاني(١٤٢٧هـ). ط٢. قم:

منشورات ذوي القربى
*العرفي، حسن(٢٠٠٠م). حركة الإيقاع في الشعر العربي المعاصر. ط١. لامك: الشركة العالمية للكتاب.
*عوض، حيدر فريد(١٩٩٩م). علم الدلالة دراسة نظرية و تطبيقية. ط٩. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.
*عياشي، منذر(٢٠١٥م). الأسلوبية و تحليل الخطاب. ط١. سورية: دار نينوى للدراسات.
*الفاخوري، حنا. تاريخ ادبيات عرب(١٣٨٠)، ط٢. تهران: انتشارات توس
*فاضلي، محمد(١٣٦٥هـ. ش). دراسة نقدية في مسائل بلاغية هامة. مشهد: مؤسسة مطالعات.
*فتوح، شعيب محيي الدين سليمان(٢٠٠٤م) الأدب في العصر العباسي خصائص الأسلوب في الشعر ابن الرومي. الإمارة: دار الوفاء.
*فضل، صلاح(١٩٨٥م). علم الأسلوب مبادئه و اجراءاته. ط١. القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب.
*الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب(١٤١٩ق). ط٦. القاموس المحيط، بيروت: مؤسسة الرسالة.
*الكواز، محمد كريم(١٤٢٦ق). علم الأسلوب "مفاهيم و تطبيقات". ط١. ليبا. جامعة السابع بن أبريل.
*المخزومي، مهدي(١٩٨٦م). علم اللغة و فقه اللغة. قطر: دار قطر بن الفجاءة.
*المسدي، عبدالسَّلام(١٩٧٧م). الأسلوبية و الأسلوب، ط٣. تونس: الدار العربية للكتاب.
*مصلوح، سعد(١٩٩٢م). الأسلوبية دراسة لغوية إحصائية. ط٣. القاهرة: عالم الكتاب.
*الملائكة، نازك(١٩٨٩م). قضايا الشعر المعاصر، بيروت: دار العلم للملايين.
الرسائل و المقالات
*اسماعيلي، سجاد(٢٠١٤م). مقالة "مقاربة أسلوبية دلالية في خطبة الجهاد".
*منصوري، زينب(٢٠١٠م). « ديوان " أغاني أفريقيا" لمحمد الفيتوري دراسة أسلوبية». رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير. جامعة الحاج لخضر، كلية اللغة و الآداب.
المصادر الفارسية
*شمسيا، سيروس(١٣٧٢ه. ش). كليات سبك شناسى. تهران: فردوسى.
*شهيدى، سيد جعفر(د. ت). زندگانى فاطمه زهرا(س). تهران: ذفتر نشر و فرهنگ اسلامى.
*الغدير، علامه امينى، ترجمه: محمد تقى واحدى(د. ت). تهران، انتشارات: كتابخانه بزرگ اسلامى.

صدر النبي صلى الله عليه وآله في القرآن الكريم

Prophet’s Chest in Glorious Quran

أ. م.د. أحمد حميد أوغلوا

Asst. prof. Dr. AHmed HAMİTOGLU

م. د. يوسف عبد علي شبيب

Lect. Dr. Yusuf Eabd Eali Shbyb

صدر النبي ﷺ في القرآن الكريم

Prophet’s Chest in Glorious Quran

أ. م.د. أحمد حميد أوغلوا
تركيا / جامعة إبراهيم جاجان- أغري / كلية العلوم الإسلامية / قسم التفسير
Asst. prof. Dr. AHmed HAMİTOGLU
Turkey / Department of Exegesis/ College of Islamic Sciences/ Agrı Ibrahim Cecen University
م. د. يوسف عبد علي شبيب
دائرة التعليم الإسلامي – ديوان الوقف السني
Lect. Dr. Yusuf Eabd Eali Shbyb
Directorate of Islamic Education/ Sunni Endowment

Diwan ahamitoglu@agri. edu. tr
d. yusuf. eabd@gmail. com

تاريخ الاستلام: ٧/ ٢/ ٢٠٢٠
تاريخ القبول: ٩/ ٨/ ٢٠٢٠

خضع البحث لبرنامج الاستلال العلمي
Turnitin - passed research

ملخص البحث:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الخلق وحبيب الحق محمد وعلى آله وصحبه وسلم:

يصور هذه البحث المكانة التي حظي بها النبي محمدﷺمن بين سائر الخلق، فإن تفسيح الصدر وتوسيعه، ورفع الحرج والضيق عنه، وتثبيت الفؤاد، إنما هو من علامات العناية الإلهية لخُلَّص عباده إذ مقام الحب إنما يترتب على هذا الشرح والتوسيع وهو من أعظم الفتوحات الإلهية وأجل الفيوضات الربانية التي يمنحها الله، لذلك شرح الله صدر حبيبهﷺمن غير أن يسأله في حين أن نبي الله موسى طلب ذلك. ومن هنا جاءت هذه الدراسة التي تفصل جزء من جسد النبي عليه الصلاة والسلام

وقد اشتمل البحث: على مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث.

أما التمهيد فكان في بيان معنى الصدر والقلب والفؤاد، والفرق بين القلب والفؤاد.

وأما المبحث الأول: فكان انشراح صدر النبيﷺورفع الحرج والضيق عنه. وأما المبحث الثاني: فكان بيان آيات القلب، وأما المبحث الثالث فكان بيان آيات الفؤاد. وقد أتت الخاتمة بأهم ما توصلنا إليه.

الكلمات المفتاحية: الصدر، القلب، الفؤاد، الحرج، والتثبيت.

Abstract

The Prophet, may Allah bless him and grant him peace, is mentioned in the Gloriuos Quran. The research depicts the position that the Prophet Muhammad, peace and blessings be upon him, has between the rest of creations. The expansion of the chest, the lifting of embarrassment and distress from it and the consolidation of heart, are between the signs of divine providence for the salvation of His servants. The greatest of the divine conquests and bebevelence are his bless , so Allah opens the chest of His Beloved, peace be upon him, without asking him while Moses asked for such a matter. That is, the study details a part of the body of the Prophet to be under the analysis lens.

The research includes an introduction and a preamble in explaining the meaning of chest and heart, and the difference between them. As for the first topic: It is an explanation of the chest of the Prophet, may God bless him and grant him peace, lifting the embarrassment and distress from it. As for the second one ; It is a statement of the verses of the heart and chest, and the conclusion comes with the most important findings the study reaches.

Key words: chest,heart, soul, embarrassment , settlement

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وعلى اله وصحبه أجمعين وبعد: فإن كان لأحد من البشر فضل على كل مسلم على وجه هذه الأرض بعد فضل الله تعالى – فهو – بالقطع لرسول الله ﷺ، الذى أنقذنا الله به من الضلالة، وأخرجنا به من الجهالة والغواية، وجعله سبباً لكل خير هدينا إليه أو شر نهينا عنه. وقد اشتمل القرآن الكريم على إشارات كثيرة تتحدث عن مكانة الرسول ﷺ عند ربه، ولا يتسع المجال هنا للتفصيل في كل ما يتعلق بهذا الجانب، منها على سبيل الإجمال أن الله تعالى نادى جميع الأنبياء وبأسمائهم، فقال: يا آدم، يا نوح، يا إبراهيم، يا موسى، يا عيسى، يا زكريا، يا يحيى .... الخ بينما نادى النبي ﷺ بقوله له (يا أيها النبي – يا أيها الرسول – يا أيها المزمل – يا أيها المدثر (، وقد أثنى الله تعالى على كل نبي بصفات محددة، وحين تحدث عن سيدنا محمد ﷺ بين أنه حاز الكمالات كلها فقال ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾، والمسلم أمام هذا النبي العظيم لا يملك إلا التوقير والإجلال لمقامه، ويجعل نفسه وما ملك فداء لرسول الله ﷺ. لهذا كان موضوع بحثنا على الصلة بهذا النبي الكريم ﷺ، وقد هدانا الله تعالى أن يكون عنوان البحث « صدر النبي ﷺ في القرآن الكريم »، وكانت طبيعة هذا البحث مقسمة بعد هذه المقدمة على تمهيد وثلاثة مباحث على النحو الآتي:

التمهيد: وتضمن مفهوم الصدر ومحتواه، والفرق بين القلب والفؤاد. وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم الصدر في اللغة والاصطلاح

المطلب الثاني: مفهوم القلب في اللغة والاصطلاح

المطلب الثالث: مفهوم الفؤاد والفرق بينه وبين القلب.

وأما المبحث الأول: فكان انشراح صدر النبي ﷺ ورفع الحرج. والضيق عنه وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: انشراح صدر النبي محمد ﷺ.

المطلب الثاني ـ رفع الحرج عن صدره ﷺ.

المطلب الثالث: حصول الضيق لصدره ﷺ:

وأما المبحث الثاني: فكان قلبه الشريف عليه الصلاة والسلام، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: نزول القران على قلب النبي ﷺ.

المطلب الثاني: تنزيه ساحة النبي ﷺ عما قاله المشركون في شأنه

المطلب الثالث: سمو القيادة وحكمة الرئاسة بالرفق واللين.

وأما المبحث الثالث: فكان فؤاده الشريف عليه الصلاة والسلام، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تسليته وتثبيته في أداء الرسالة.

المطلب الثاني: تشجيعه على حفظ الكتاب، وفهمه، والرد على ما يثار حوله من شبهات.

المطلب الثالث: بيان منزلته ﷺ، ومقامه من مقام الرؤية عند الحضرة الإلهية **وقد أتت الخاتمة بأهم ما توصلنا إليه.** .

هذا فإنَّا نقف عاجزين أمام هذا النبي الكريم فمهما بلغنا في كتاباتنا عنه ﷺ فلا نوافيه حقه علينا، وحسبنا أننا حاولنا، فما كان من توفيق فهو من توفيق الله، وما كان من خطأ فمن أنفسنا ومن الشيطان.

التمهيد:

مفهوم الصدر، والقلب، والفؤاد

اعتاد الباحثون في التأسيس لبحوثهم على إعطاء نظرة شاملة، ورؤية عامة حول ما يرومون بحثه، وكان من جملة هذه التأسيسات أن يأتوا على تعريفات خاصة بمفردات البحث، وهذا الأمر أكثر ما ظهر في البحوث الإسلامية والقرآنية على وجه التحديد، لكون هذه البحوث تحتاج إلى إحاطة بعلوم اللغة العربية والبلاغة، وغير ذلك مما لا يمكن الاستغناء عنه في البحوث الإسلامية، وطالما أن موضوع البحث هنا هو الصدر ومحتواه في القرآن الكريم، فإننا نرى لزاماً علينا أن نقدّم في مطلع هذا البحث ما يحتاج إليه من تعريف، سواء من حيث اللغة أم من حيث الاصطلاح أم من حيث ما يعنيه المفهوم بحدّ ذاته، ذلك أن القرآن فيما ينطوي عليه من مفاهيم وحقائق، هو يؤسس لمفهوم مطلق في حركة الإنسان في الزمان والمكان والتاريخ، ولهذا، نجد من الباحثين مَن اختار إعادة البحث في خارطة المفاهيم القرآنية، داعياً إلى إعادة بناء المفاهيم في ضوء رؤية قرآنية تكون بمنزلة المرجعية لكل مفهوم.

المطلب الأول: مفهوم الصدر في اللغة والاصطلاح:

إن القرآن الكريم قد أتى على مفردة الصدور في كثير من الآيات، التي تشير في سياق الدلالة والمفهوم إلى معنى القلب والفؤاد والعقل والروح، وغير ذلك مما لا يمكن إدخاله في باب الترادف والتفريع وحسب، على رأي من يذهب إلى القول بذلك. وقد أجمع أهل اللغة على أن الصدر يعني القسم الأمامي مما يلي وجه الإنسان، ومن ثمّ أطلق على القسم الأعلى والمقدم لأي شيء مثل صدر المجلس، أي أعلاه، وصدر الكلام: أي بدايته، وصدر النهار: أي أوله[1] ، قال الراغب: « إن الصدر استعير لِمُقدم الشيء كصدر القناة، وصدر المجلس والكتاب والكلام»[2] . وإنّ الصدر هو مفردة قرآنية استعيرت لتؤكّد المعنى الكلي لحالات الإنسان، على قلبه، وروحه، وفؤاده، وعقله، وعلى كل ما له مقدمية اعتبار، وعلوّ مقام في حقيقة

الإنسان، باعتبار أن الصدور هي جامعية الرؤية القلبية وحقائق الإيمان وكل البيّنات، وهذا كله يبيّن بل يؤكّد أن الصدر له رمزية القلب والفؤاد بكل ما ينطويان عليه من تجلّيات تخرج الصدر عن كونه مجرد تعبير مجازي ليكون له معنى النفس الإنسانية المفكرة والعالمة التي تشكل حقيقة الإنسان وجوهره. وبما أن الصدر هو محلّ الفؤاد، تماماً كما هو الفؤاد محلّ القلب، والقلب محلّ العقل، كما أفاد القرطبي [٣] ، فإنّ الله تعالى قد خصّ الصدر بالذكر لكونه محلاً لكل ذلك، وأن القلب هو أخصّ من الفؤاد في الاستعمال، وأن الفؤاد هو غشاء القلب، وأشار الرازي الى أن القلب قد يكون اسماً للأجزاء التي تحلّ فيها المعاني الحقيقية من عقل وفرح وحزن، وشعور وعواطف، وأن الفؤاد قد يكون اسماً لمجموع العضو المعروف[٤] ، وشاملاً لكل ذلك لكونه غشاءً للقلب. ويضيف الراغب الأصفهاني في تعريف الصدر كلاماً، هو في الحقيقة مرتكز فهمنا، وسرّ ما نذهب إليه في معنى تمايز القلوب والصدور قال بعض الحكماء: «حيثما ذكر الله تعالى القلب، فإشارة إلى العقل والعلم، وحيثما ذَكَرَ الصَّدر، فإشارة إلى ذلك، أي إلى العقل، وإلى سائر القوة من الشهوة والهوى والغضب ونحوها، وقوله تعالى: ﴿ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴾[٥]، فسؤال لإصلاح قواه، وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴾ إشارة إلى اشتفائهم[٦].

وعليه، فإنّ معنى أن تحلّ مفردة مكان أخرى في الدلالة القرآنية، أن لا يظهر الصدر على أنه شيء آخر خلاف القلب والفؤاد، بل هو استعاده لتبيان حقيقة الصدر بما هو مكان لحقيقة التجلّي الإنساني بأوسع معانيه، ولهذا، نجد الخطاب الإلهي إلى الرسول ﷺ بقوله: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾[٧] ، وغيرها من الآيات التي يستفاد منها توسعة في الصدر في مقابل الضيق والحصر. وعلى كل حال، بما أن العقل عضو مهم ويقع في الجزء الأعلى من البدن فأُطلق عليه صدر، وخاصة أن القلب الجسماني يقع في وسط الصدر...»[٨]

الصدر اصطلاحاً: ولا يخرج معنى الصدر الاصطلاحي عن معناه اللغوي.

المطلب الثاني: مفهوم القلب في اللغة والاصطلاح:

معنى القلب لغة: قال ابن منظور: «القلب: تحويل الشيء عن وجهه. قَلَبَهُ يَقلِبُهُ قلباً، وقَلبَ الشيء، وقلّبه: حوّله ظهراً لبطن. وتقَلَّبَ الشيءُ ظهراً لبطن، كالحية تتقلّب على الرمضاء، وقلبتُ الشيءَ فانقلب أي انكَبَّ، والقلب أيضاً: صَرْفُكَ إنساناً، تقلِبُهُ عن وجهه الذي يريده، وقلّب الأمور: بحثها ونظر في عواقبها[٩]، وجاء في معنى الانقلاب أيضاً أنه «تحول الشيء عن وجهه، وجعل أعلاه أسفله أو يمينه شماله أو باطنه ظاهره، ويُقال: قلب الأمر ظهراً لبطن: اختبره، وقلب التاجر السلعة، تبصّرها. ويقال: قلّب الشيء: مبالغة في قلب، وتقلّب في الأمور: تصرّف فيها كيف شاء، والانقلاب: تحول الشيء عن وجهه، وتغيير مفاجئ في نظام الحكم. . . ، ويقال أيضاً: قلب كل شيء: وسطُهُ ولبّه ومحضه. . . »[١٠].

وقال الراغب الأصفهاني: «قلب الشيء: تصريفُهُ وصرفه عن وجه إلى وجه، كقلب الثوب، وقلب الإنسان: أي صَرَفَهُ عن طريقته، والانقلاب: الانصراف. . . وقلب الإنسان: قيل سُمّي به لكثرة تقلّبه، ويعبَّر بالقلب عن المعاني التي تختصّ به من الروح والعلم والشجاعة[١١]

معنى القلب اصطلاحا:

إذا كان القلب في اللغة يعني التحول في الوجه يميناً وشمالاً، وظاهراً وباطناً على ما أفاد أهل اللغة، وأن الترادف في الأسماء لا يعني انتفاء التفرقة، فإنّ معنى القلب في الاصطلاح، سواء العلمي أم الشرعي، هو نفسه المعنى الذي أتت عليه اللغة، ولكنه يمتاز عنه في الاصطلاح في كون القلب ينقسم إلى ما هو قلب مادي جسماني وقلب معنوي.

كما عبر عن هذا الإمام الغزالي بقوله: «وحيث ورد في القرآن والسنّة ذكر القلب فالمراد به المعنى الذي يفقه من الإنسان ويعرفه حقيقة الأشياء، وقد يكنّى عنه بالقلب الجسماني الذي في الصدر، لأنّ بينه وبين تلك اللطيفة العالمة التي هي حقيقة

الإنسان علاقة خاصة لتعلّقها بسائر البدن، وهو إنما يكون تعلّق بواسطته، فهو مملكتها ومطيتها والمجرى الأول لتدبيرها وتصرفها. . . فالقلب الجسماني والصدر بالنسبة إلى الإنسان كالعرش والكرسي بالنسبة إلى الله تعالى من وجه. . . »[١٢].

وهكذا، فإن معنى القلب اصطلاحاً هو هذا التقسيم والتمييز، بين ما هو جسماني، وما هو ربّاني، بين ما هو جسم لطيف بخاري حامله دم أسود منبعهُ تجويف القلب الجسماني، وبين ما هو لطيفة عالمة مدركة، والتي هي الإنسان، بل روحه الإنساني.

المطلب الثالث: مفهوم الفؤاد والفرق بينه وبين القلب:

الفؤاد لغة: ورد في لسان العرب أنّ الفؤاد معناه القَلبُ؛ وهو من التفؤّد والتوقّد؛ وفي القرآن الكريم جاء لفظ الفؤاد بمعنى القلب، وقيل له فؤاد في مواضع معيّنة نسبةً إلى التوقّد[١٣] فقال تعالى: (نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة)[١٤]، ولا يخرج معناه اللغوي عن الاصطلاحي.

وذهب بعض أهل اللغة إلى المساواة بين القلب والفؤاد، منطلقين من قاعدة الترادف، والأصل خلافه فللإنسان قلب وفؤاد، ولكن حالات القلوب تتمايز، فمنها ما تزداد المضغة فيه ليكون أكثر إيماناً، ومنها ما يكون له رقّة ولين، ومنها ما لا يكون له شيء من ذلك، ومن هنا يتكشّف لنا معنى كلام رسول الله ﷺ فيما أشار إليه من قلوب أهل اليمن بقوله: «أتاكم أهل اليمن، أضعف قلوبا، وأرق أفئدة، الفقه يمان والحكمة يمانية»[١٥]، ففرّق بينهما، وخصّ القلب بالرِقة، والفؤاد باللين.

وقد أشار ابن منظور إلى هذا المعنى دون أن يتوقف مليّاً عنده، فقال: «كأن القلب أخصّ من الفؤاد في الاستعمال، ولذلك قالوا: أصبت حبة قلبه، وسويداء قلبه. . .»[١٦].

وهناك من أهل اللغة أيضاً من بسط الكلام دون فقه في مدلول المفردات، فقال: ربّما يكون القلب بمعنى الفؤاد تماماً، لكن النبي ﷺ وزّع الأوصاف إليهما على سبيل الترادف والتنويع في الكلام، لا على سبيل الافتراق، ساهياً عن معنى الفؤاد في اللغة

لجهة ما يعنيه من توقّد من التفؤّد، إذ يقال في اللغة: فأدت اللحم: شويته، ولحم فئيد: مشوي، وتفأدت النار: تحرّقت وتوقّدت. ويقال هو فارغ الفؤاد، لا همّ عنده ولا حزن، وبه قال بعض المفسرين في قوله تعالى: ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغاً ﴾[١٧] . وجمعه أفئدة[١٨] . فالقرآن، لم يقل وأصبح قلب أم موسى فارغاً، ولا قال ما كذب القلب ما رأى، وإنما جاء بمفردة الفؤاد ليدلّل من خلالها على معنى آخر ومفهوم يتمايز عن معنى القلب بما له من تحويل وتقليب وخصيصة في الاستعمال لما أشار إليه النبي ﷺ من رقة القلب ولين الفؤاد، يقول الرازي: «ومن الناس مَن فرّق بين القلب والفؤاد، فقال: القلب هو العلقة السوداء في جوف الفؤاد دون ما يكتنفها من اللحم والشحم، ومجموع ذلك هو الفؤاد، ومنهم من قال: القلب والفؤاد لفظان مترادفان، وكيف كان يجب أن يُعلم أن من جملة العضو المسمّى قلباً وفؤاداً موضعاً، هو موضع في الحقيقة للعقل والاختيار، وأن معظم جرم هذا العضو مسخر لذلك الموضع، كما أن سائر الأعضاء مسخّرة للقلب، فإنّ العضو قد تزيد أجزاؤه من غير ازدياد المعاني المنسوبة إليه، أعني العقل والفرح والحزن، وقد ينقص من غير نقصان في تلك المعاني، فيشبه أن يكون اسم القلب اسماً للأجزاء التي تحلّ فيها هذه المعاني بالحقيقة، واسم الفؤاد، يكون اسماً لمجموع العضو، فهذا هو الكلام في هذا الباب. . . »[١٩] .

وقد تضمّن القرآن الكريم، ، عشرات الآيات القرآنية التي تأتي على مفردة القلب، أو القلوب، في حين أتى على بعض الآيات التي تستعمل مفردة الفؤاد، وبعضها أفئدة، كما أن القرآن حينما تحدث عن المسؤولية والشهادة على الأعمال في الآخرة، قال: ﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً ﴾[٢٠] ، ولعلها الآية الوحيدة التي جاءت لتجمع بين السمع والبصر والفؤاد في نطاق تحمّل المسؤولية. ، فإذا كان البصر في الآية يعني الرؤية البصرية، والسمع يعني حاسة السمع، فإنّ الفؤاد، الذي هو القلب، يعني العلم، فلا يقول الإنسان على ما أفاد

القرطبي «رأيت وهو لم يرَ، وسمعت وهو لم يسمع، وعلمت وهو لم يعلم»[٢١] .

وإن الآيات التي جمعت فيها الأفئدة كلها تدعو إلى ضرورة أن يقوم الإنسان بالشكر لله تعالى على ما مَنّ به عليه من نعم سواء في حواسه أم في نفسه المتفكرة، والعالمة والمدركة التي يتميّز بها عن سائر الحيوان[٢٢] .

لا شكّ في أن الكلام الحاكم في هذا المجال يبقى لرسول الله ﷺ الذي لم يأتِ الكلام منه على سبيل الترادف والتنويع في الاستعمال، وإنّما لتأكيد حقيقة التمايز بين أن يكون القلب رقيقاً، والفؤاد ليناً، وكمال المعرفة والتحوّل من الإيمان يحتاج إلى أن يكون الإنسان جامعاً للرقة والليونة، ومتوقداً في كمال التعقّل والنضوج، كيما تصحّ منه حقيقة التحول، بحيث تكون له رؤية حقيقية في القلب، وبصيرة نافذة في العلم والمعرفة، ولربما يكون هذا المعنى ملحوظاً في قوله تعالى: ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴾. والفؤاد هو قلب الرسول ﷺ لما اشتمل عليه من جامعية واستواء على معاني الحق والنور، فكان منه التجوهر في الملكوت على نحو لا يكون فيه زيغ ولا طغيان، كما قال تعالى: ﴿ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ﴾[٢٣][٢٤] ، ثم إن كمال المعرفة والتحقيق إنما يكون باجتماع رقّة القلب إلى لين الفؤاد، الذي يكون محصّله الرحمة والإحسان، ومعرفة الحق وقبوله، باعتبار أن اللين يوجب القبول والمعرفة والفهم، والرِقة تقتضي الرحمة والشفقة، وهذا هو العلم والرحمة وبهما كمال الإنسان[٢٥]، وإن القرآن واضح الدلالة في الإشارة إلى حقيقة التمايز بين مفردة القلب ومفردة الفؤاد، فهو أشار إلى الفؤاد في بدء الخلق والإنشاء، ثم خصّه بالرؤية في كلام الرسول ﷺ في سورة النجم، هذا فضلاً عمّا خصّه به من تمايز في حمل المسؤولية، ناهيك عمّا جاء به القرآن من تعابير عن هواء الأفئدة، كما قال تعالى: ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ ﴾[٢٦] ، وقوله تعالى: ﴿ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ ﴾[٢٧] ، إلى غير ذلك من الآيات القرآنية الواضحة الدلالة على أن الفؤاد هو غشاء القلب وبابه، فإذا لم تستوِ حالته، ويفرغ من

هوائه، بحيث يلين لخيوط النور، وتنتفي عنه الأهواء، فلن يكون العبور آمناً إلى حبّة القلب وسويدائه، لتكون له حقيقة الرؤية للآيات الكبرى، سواء في عالم الملك، أم في عالم الملكوت، لأنّ الفؤاد مجاله حماية القلب في لين تحوّله وتقلّبه، فإمّا أن يستجمع المعاني المستوية إليه من عقل وفرح وحزن وشعور ووجدان وعواطف، على ما أفاد الرازي، وإمّا أن تشوبهُ القسوة واليبس، فلا يكون منفذاً للحق إليه، فيؤول الحال به إلى أن يكون هواءً لا استواء له على حق، ولا سبيل له إلى رؤية، يقول العسكري: «الفؤاد غشاء القلب إذا رقّ نفذ القول فيه وخلص إلى ما وراءه، وإذا غلظ تعذّر وصوله إلى داخله، وإذا صادف القلب شيئاً علق به إذا كان ليّناً» [٢٨].

وهناك مَن رأى من العلماء والمفسرين، أن العقل عندما ينضج يطلق عليه «فؤاد» وكما أفاد الراغب أن الفؤاد يعني القلب مع زيادة الإنارة واللمعان، ولكن هذا الكلام يمكن فهمه على نحو آخر بأن نقول: إنّ القلب هو العقل، ولكن المستفاد من الآيات المباركة، بحسب منهجنا الموضوعي، هو أخذ القلب بكليته من حيث هو موضع العقل والاختيار، هذا فضلاً عن كونه مجال الحواس الظاهرة والباطنة، ومرتكز حقائق الإيمان، وهذا يعني فيما يعنيه أن لا نخصّ العقل في الرؤية الموضوعية للآيات بالقلب دون الفؤاد، حتى إن قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ. . . ﴾[٢٩] .

ويمتاز القلب عن الفؤاد، في أنه ملحوظ على جهة الكسب، وقد ألمح العلاّمة الشيرازي إلى هذا المعنى فيما أشار إليه من تدرّج في حقيقة المعرفة التي تبدأ بالسمع بما هو علوم نقلية، وتنتهي بالفؤاد الذي هو العقل عند نضوجه، لأنه ـ أي الفؤاد، هو أعلى درجة من العقل[٣٠] .

وعليه، فإنّ ما نريد تأكيده في مبحثنا هذا، هو أن القلب والفؤاد ليسا شيئاً واحداً، وإن كانا يترادفان من حيث الأصل، بل هما يتفاضلان في درجات الكمال

والنور والحقيقة القلبية، لكون هذه الرؤية خصّت بالفؤاد تماماً كما خصّ الحساب والمسؤولية به، بعد أن كانت هذه الحواس قد خلقت وكوّنت ابتداءً لتؤدّي دورها في الشهادة على نفسها فيما يكون منها من سمع وبصر وفؤاد، وليس من الصدفة أبداً أن يأتي الكلام الإلهي بهذا التدرّج ليعطي الفؤاد خاتمة التحول بما يكون له من شهادة؛ هي في الحقيقة جامعية النفس الإنسانية المفكرة التي ميّزت الإنسان من سائر الحيوان. وهذا أمرٌ من الأهمية بمكان، لكونه يُعطي الفؤاد والأفئدة امتيازاً في القرآن على القلب، تماماً كما في قوله تعالى: ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغاً إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[٣١] .

المبحث الأول: انشراح صدر النبي ﷺ ورفع الحرج والضيق عنه

المطلب الأول: انشراح صدر النبي محمد ﷺ.

لقد أنعم الله سبحانه وتعالى على أنبيائه ورسله بنعم عظيمة جليلة، أولاها فضلا، وأوفاها مِنَّةً، وأعلاها قدرا نعمة النبوة، حيث اصطفاهم لقربه، واجتباهم لرحمته، ومن هذا الفضل أنه سبحانه شرح صدر الرسول الكريم محمدٍ ﷺ، وامتن عليه بهذه النعمة العظيمة في سورة من القرآن الكريم تتلى إلى يوم القيامة، تسمى سورة «الشرح». قال سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾[٣٢] وشَرْحُ صدر النبي ﷺ يتضمن معاني كثيرة عظيمة:

وشرح الله صدره للإسلام دينا وشريعة، وهذا أعظم ما يمكن أن ينشرح له الصدر، وذهب الجمهور إلى أن شرح الصدر المذكور هو تنويره بالحكمة وتوسيعه لتلقي ما يوحى إليه بعد ما كان يشق عليك[٣٣]. وفيه: شرح صدره كناية عن الإنعام عليه بكل ما تطمح إليه نفسه الزكية من الكمالات، وإعلامه برضى الله عنه، وبشارته بما سيحصل للدين الذي جاء به من النصر[٣٤]». ومنه: « ألم نلين لك يا محمد صدرك ونوسعه لك للهدى ووعي الحكمة وقبول الإيمان»[٣٥].

ومنه: « ألم نفتح ونوسع ونلين لك قلبك بالإيمان والنبوة والعلم والحكمة»[٣٦]؛ و معنى هذا الاستفهام: التقرير، أي: قد فعلنا ذلك [٣٧]، ومعلوم أن الاستفهام إذا دخل على النفي قرره كما في هذه الآية ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ فصار المعنى: قد شرحنا لك صدرك، و إنما خص الصدر لأنه محل أحوال النفس من العلوم و الإدراكات، و المراد الامتنان عليه ﷺ، بفتح صدره و توسيعه حتى قام بما قال به من الدعوة، و قدر على ما قدر عليه من حمل أعباء النبوة و حفظ الوحي[٣٨]. ومن العلماء من فسر الصدر بالقلب. حكاه القاضي عياض في الشفاء[٣٩].

ويمكن أن يقال ايضا في: «ألم نشرح صدرك»، بدون« لَكَ »؛ ولكن جيء به زيادة بين فعل الشرح، ومفعوله لفائدتين:

الفائدة الأولى: هي سلوك طريقة الإبهام، ثم الإيضاح للتشويق؛ فإنه سبحانه، لما ذكر فعل: « نَشْرَحْ »، عَلم السامع أن ثَمَّ مشروحًا. فلما قال: « لَكَ »، قويَ الإِبهام، فازداد التشويق. فلما قال: » صَدْرَكَ «، أوضح ما كان قد عُلِم في ذهن السامع مبهمًا، فتمكن في ذهنه كمال تمكن «وهذا من الإطناب البليغ. قال علماء البيان: «إذا أردت أن تبهم، ثم توضح، فإنك تطنب، وفائدته: إما رؤية المعنى في صورتين مختلفتين: الإبهام والإيضاح. أو لتمكن المعنى في النفس تمكنًا زائدًا [٤٠]".

أما تعليل المفسرين فقد اختلف عن تعليل أهل البيان في ذكر كلمة « لك « فقد أورد الرازي رحمه الله تعالى سؤالا وأجاب عنه فقال: « لِمَ قال: ألم نشرح لك صدرك ولم يقل ألم نشرح صدرك؟ والجواب: من وجهين أحدهما: كأنه تعالى يقول لام بلام، فأنت إنما تفعل جميع الطاعات لأجلي كما قال: ((إلا ليعبدون))[٤١]، ((أقم الصلاة لذكري))[٤٢] فأنا أيضا جميع ما أفعله لأجلك وثانيها: أن فيها تنبيها على أن منافع الرسالة عائدة إليه ﷺ، كأنه قال: إنما شرحنا صدرك لأجلك لا لأجلي»[٤٣]. ومما يبيّن العناية برسول الله ﷺ بخصوص هذه الآية ما قاله الشيخ علوان: « لا يخفى على

من شرح الله صدره للإسلام ووسع قلبه لقبول عموم الحكم والاحكام بحيث قد وسع الحق فيه مع عموم شؤونه وتطوراته غير المتناهية المترتبة على أسمائه وصفاته ان تفسيح الصدر وتوسيعه انما هو من علامات العناية الإلهية لخلص عباده إذ مقام الخلة والخلافة انما يترتب على هذا الشرح والتوسيع وهو من أعظم الفتوحات الإلهية وأجل الفيوضات الربانية لذلك خاطب سبحانه حبيبه ﷺ في مقام الامتنان به»[٤٤].

وقول الأستاذ أبي علي الدقاق رحمه الله: « كان موسى عليه السلام مريدا فقال: قال ﴿رب اشرح لي صدري﴾[٤٥] وكان نبينا ﷺ مراد فقال الله تعالى: ﴿ألم نشرح لك صدرك﴾[٤٦].

وما ذكره الرازي رحمه الله: في أن الله تعالى لم يقل ألم أشرح؟ وإنما جيء بنون التعظيم، فالمعنى أن عظمة المنعم تدل على عظمة النعمة، فدل ذلك على أن ذلك الشرح نعمة لا تصل العقول إلى كنه جلالتها، وإن حملناه على نون الجميع، فالمعنى كأنه تعالى يقول: لم أشرحه وحدي بل أعملت فيه ملائكتي، فكنت ترى الملائكة حواليك وبين يديك حتى يقوى قلبك، فأديت الرسالة «[٤٧].

المطلب الثاني ـ رفع الحرج عن صدره ﷺ.

جاءت آيات القرآن الكريم عن الرسول ﷺ مركزة على العناية التي حظي بها النبي محمد ﷺ، فكانت الآيات الكريمة شهادات لتلك العناية الربانية ومن هذه الآيات قوله تعالى: ﴿ فلا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ ﴾[٤٨]، قال الطبري: فلا يضيق صدرك يا محمد ﷺ من الإنذار به من أرسلتك لإنذاره به وإبلاغه إياه، ولا تشك في انه من عندي، واصبر بالمضي لأمر الله جل جلاله واتباع طاعته فيما كلفتك وحملك من عبء أثقال النبوة كما صبر أولوا العزم من الرسل[٤٩] من قبلك فان الله معك والحرج هو الضيق في كلام العرب، وقال ابن عباس وقتادة والسدي الضيق هو الشك[٥٠] وقد ذكر الإمام البيضاوي أن الشك في حالة التبليغ هو الحرج من أن يكذب القوم كتاب الله فقال: ﴿فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ ﴾ أي شك فان الشك حرج في الصدر أو ضيق في القلب

من تبليغه مخافة أن يكذب فيه. أو تقصير في القيام بحقه وتوجيه النهي إليه للمبالغة كقولهم لا أرينك هاهنا، والفاء تحتمل العطف. والجواب فكأنه قيل إذا نزل إليك لتنذر به فلا يحرج صدرك. [٥١]. وذكر القرطبي ان الحرج يأتي على معنيين فأما أن يكون معناه الشك، وأما أن يكون بمعنى الضيق فقال: فيه مسألتان: الأولى قوله ﷻ ﴿ حَرَجٌ مِنْهُ ﴾: أي ضيق أي لا يضيق صدرك بالإبلاغ. والنهي معناه نفي الحرج عنه أي لا يضيق صدرك ألا يؤمنوا به فإنما عليك البلاغ وليس عليك سوى الإنذار به.

والثانية: مذهب مجاهد وقتادة أن الحرج هنا الشك، وليس هذا شك الكفر إنما هو شك الضيق، وقيل الخطاب للنبي ﷺ والمراد به الأمة. وقيل للإنذار أي انزل إليك لتنذر به فلا يكن في صدرك حرج منه، فالكلام فيه تقديم وتأخير. وقيل للتكذيب الذي يعطيه قوة الكلام أي فلا يكن في صدرك ضيق من تكذيب المكذبين له [٥٢].

وقال أبو السعود في قوله ﴿ فلا يكن في صدرك حرج ﴾ أي شك كما في قوله ﷻ ﴿ فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ ﴾ [٥٣] عبر عنه بما يلازمه من الحرج فان الشاك يعتريه ضيق الصدر كما أن اليقين يعتريه انشراحه وانفساحه تنزيهاً في ساحته ﷺ عن نسب الشك إليه ولو في ضمن النهي، فانه من الأحوال القلبية التي يستحيل اعتراؤها إياه وتوجيه النهي إلى الحرج مع أن المراد منه نهيه ﷺ عنه، أما لما مر من المبالغة في تنزيهه ﷺ عن الشك فان النهي عن الشيء مما يوهم إن كان صدور المنهي عنه، وأما للمبالغة في النهي فان وقوع الشك في صدره ﷺ سبب لاتصافه ﷺ به والنهي عن السبب نهي عن المسبب بالطريق البرهاني[٥٤] ونفي له من أصله بالمرة. فيكون المآل نهيه ﷺ عن تعاطي ما يورث الحرج. وقيل الحرج على حقيقته، أي لا يكن فيك ضيق صدر من تبليغه مخافة أن يكذبوك وان تقصر في القيام بحقه فانه ﷺ كان يخاف تكذيب قومه له وإعراضهم عنه فكان يضيق صدره من الأداء ولا ينبسط له، فآمنه الله ﷻ ونهاه عن المبالاة فالفاء حينئذ للترتيب على مضمون الجملة أو على الإخبار به،

فان كلا منهما موجب للإقدام على التبليغ ﴾[٥٥]

وقال ابن الجوزي في: قوله ﷻ﴿ حَرَجٌ مِنْهُ ﴾ قولان: القول الأول: أن الهاء ترجع إلى الكتاب فعلى هذا في معنى الكلام قولان: أحدهما: لا يضيق صدرك بالإبلاغ ولا تخافن، قاله الزجاج. والثاني: لا تشكن لأنه ليس من عند الله. [٥٦]

القول الثاني: ذكر الآلوسي أن استعمال الضيق للحرج مجاز وعلاقته اللزوم ﴿ الحرج هو الضيق واستعماله في ذلك مجاز، كما أن في الأساس علاقته اللزوم فإن الشك يعتريه ضيق الصدر، والقرينة المانعة هو امتناع حقيقة الحرج والضيق من الكتاب، وان جوزتها فهي كناية، وعلى التقديرين هو قد صار حقيقة عرفية في ذلك.

وجوز أن يكون الحرج باقيا على حقيقته، لكن في الكلام مضاف مقدر كخوف عدم القبول والتكذيب فإنه ﷺ كان يخاف من قومه وتكذيبهم وإعراضهم عنه وأذاهم له[٥٧]. وكون الحرج حقيقة، كناية عن عدم المبالاة بالأعداء، وأيا ما كان فالتنوين في حرج للتحقير ومن متعلقة بما عندها أو تحتمل العطف أما على مقدار بلغه ﴿فَلا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنْذِرَ بِهِ ﴾ وأما على ما قبله بتأويل الخبر بالإنشاء أو عكسه

أي تحقق إنزاله من الله ﷻ إليك، أو لا ينبغي لك الحرج وتحتمل الجواب كأنه قيل: إذا انزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه [٥٨]. ومن أجمل ما ورد في تفسير الآية ما قاله الشعراوي رحمه الله تعالى في قوله تعالى: ﴿ فَلا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ ﴾ « فالنهي ليس لرسول الله ﷺ وإنما النهي للحرج أو الضيق أن يدخل لرسول الله، وكأنه سبحانه يقول: يا حرج لا تنزل قلب محمد ﷺ »[٥٩]. وله شبيه في القرآن فانه ﷻ قال لإم موسى: ﴿إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى. أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ ﴾ [٦٠] فالخطاب لإم موسى ثم وجه الأمر للبحر ﴿ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ ﴾[٦١] والأمر لإم موسى بالاطمئنان، وإلا هل تحفظه من الموت المظنون إلى موت محقق ؟ إنما في وحي الله صون الحق فلا تعارض. أو أن

يكون المطلوب انك يا محمد ﷺ لا تتضايق فلا يسلمك الله إليهم[٦٢].

والحرج الذي هو بمعنى الشك، لم يدخل إلى صدر النبي ﷺ بل هو الحرج من عدم استجابة الناس لدعوته، وهو الموصول بربه ﷻ فأراد الله ﷻ أن يخفف عن رسوله ﷺ هذا الحرج فقال له: ﴿ كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْه﴾ وكأنه يخاطب الحرج فيقول له انخلع ولا تدخل قلب النبي ﷺ فما لك من مكان فيه، وهو يخاطب رسوله ﷺ أيضا فيقول له: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفاً﴾[٦٣]. وان دخل الحرج بسبب عدم إيمان المشركين إلى قلب الرسول ﷺ فان الله رافعه فهو يتولى أمر رسوله ﷺ ويجعله منشرحاً فينذر قومه ويبشرهم وهو منشرح الصدر ومستعد لتحمل أعباء الدعوة فينجح في تبليغ الرسالة.

المطلب الثالث: حصول الضيق لصدره ﷺ:

كان النبي الكريم ﷺ يتأذى من استهزاء المشركين، وإعراضهم عن الحق، ولقد لاقى منهم أشد أنواع العذاب والعنت، فضيق الصدر أمر طبيعي يحدث لأمور، فأنزل الحق سبحانه وتعالى آيات كريمة تسلية للنبي ﷺ لما لقيه منهم. قال تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ ﴾[٦٤]. قال الطبري: «يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: فلعلك يا محمد، تارك بعض ما يوحي إليك ربك أن تبلغه من أمرك بتبليغه ذلك، وضائق بما يوحى إليك صدرك فلا تبلغه إياهم، مخافة أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك، له مصدق بأنه لله رسول! يقول تعالى ذكره: فبلغهم ما أوحيته إليك، فإنك إنما أنت نذير تنذرهم عقابي، وتحذرهم بأسي على كفرهم بي، وإنما الآيات التي يسألونكها عندي وفي سلطاني، أنزلها إذا شئت، وليس عليك، إلا البلاغ والإنذار»[٦٥]

وهذا على وجه الاستبعاد أي لا يكون منك ترك ما أوحى إليك، ولا يضيق صدرك بما يبدو من الغيب. . ومن شرح الله بالتوحيد صدره، ونوّر بشهود التقدير

سرّه- متى يلحقه ضيق صدر أو استكراه أمر؟[٦٦]، وقال الزمخشري: كانوا يقترحون عليه آيات تعنتا لا استرشادا، لأنهم لو كانوا مسترشدين لكانت آية واحدة مما جاء به كافية في ارشادهم. ومن اقتراحاتهم لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك وكانوا لا يعتدون بالقرآن ويتهاونون به وبغيره مما جاء به من البينات، فكان يضيق صدر رسول الله ﷺ أن يلقى إليهم مالا يقبلونه ويضحكون منه، فحرك الله منه وهيجه لأداء الرسالة وطرح المبالاة بردهم واستهزائهم واقتراحهم[٦٧]

وسبب هذه الآية أن كفار قريش قالوا: يا محمد لو تركت سب آلهتنا وتسفيه آبائنا لجالسناك واتبعناك. وقالوا: ائت بقرآن غير هذا أو بدله، ونحو هذا من الأقوال. فخاطب الله تعالى نبيه ﷺ على هذه الصورة من المخاطبة، ووقفه بها توقيفا رادا على أقوالهم ومبطلا لها، وليس المعنى أنه ﷺ هم بشيء من ذلك فزجر عنه، فإنه لم يرد قط ترك شيء مما أوحي إليه، ولا ضاق صدره، وإنما كان يضيق صدره بأقوالهم وأفعالهم وبعدهم عن الإيمان[٦٨]. والتعبير ب « ضائق» أفضل من التعبير ب « ضيق» الفرق بينهما أن الضائق يكون بضيق عارض غير لازم، لأن رسول الله ﷺ كان أفسح الناس صدرا، ومثله قولك: زيد سيد جواد تريد السيادة والجود الثابتين المستقرين، فإذا أردت الحدوث قلت: سائد وجائد، والمعنى: ضائق صدرك لأجل أن يقولوا: لولا أنزل عليه[٦٩]؛ لان رسول الله ﷺ كان افسح الناس صدرا[٧٠]. والمعنى: لا يضيق صدرك يا رسول الله من هؤلاء المتعنتين، الذين يريدون أن يخرجوك عن مقامك الذي تلحُّ دائماً في تأكيده، فأنت تؤكد لهم دائماً أنك بشرٌ، وكان المفروض فيهم أن تكون مطلوباتهم منك على مقدار ما أقررت على نفسك، فأنت لم تَقُلْ أبداً عن نفسك إنك إله، ليطلبوا منك آيات تُخالف النواميس، بل أنت مُبلِّغ عن الله تعالى.

وإياك أن يضيق صدرك فلا تُبلغهم شيئاً مما أنزِلَ إليك؛ لأن البلاغَ هو الحُجَّة عليهم، فلو ضاق صدرُك منهم، وانقصتَ البلاغ الموكَّل إليك؛ لأنهم كلما أبلغوا بآية كذَّبوها،

فاعلمْ أن الله سبحانه وتعالى سوف يزيد عقابهم بقدر ما كذَّبوا[٧١]. وقد جاءت آية أخرى مماثلة لهذه قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴾[٧٢]. أي: ولقد نعلم يا محمد أنك يضيق صدرك بما يقول هؤلاء المشركون من قومك من تكذيبهم إياك واستهزائهم بك وبما جئتهم به، وأن ذلك يحرجك[٧٣]. ففي هذا الآية تأنيس للنبي ﷺ، وتسلية عن أقوال المشركين وإن كانت مما يقلق[٧٤]. وضيق الصدر: مجاز عن كدر النفس[٧٥]، ومما يبين مقام النبي ﷺ في هذه الآية ما أورده القشيري بقوله: وقال: «يَضِيقُ صَدْرُكَ» ولم يقل يضيق قلبك لأنه كان في محل الشهود، ولا راحة للمؤمن دون لقاء الله، ولا تكون مع اللقاء وحشة. ويقال هوّن عليه ضيق الصدر بقوله: «وَلَقَدْ نَعْلَمُ» ويقال إن ضاق صدرك بسماع ما يقولون فيك من ذمّك فارتفع بلسانك في رياض تسبيحنا، والثناء علينا، فيكون ذلك سببا لزوال ضيق صدرك وسلوة لك بما تتذكر من جلال قدرنا وتقديسنا، واستحقاق عزّنا[٧٦]. فالنبي ﷺ صبر كثيرا على أذى قومه وعداوتهم، ولكن الله تعالى الذي أمره بتبليغهم لم يدعه وحيداً بل سلاه بقوله إني أعلم بضيق صدرك، وهذا غاية في اللطف والعناية به ﷺ.

المبحث الثاني: قلبه الشريف عليه الصلاة والسلام.

المطلب الأول: نزول القرآن على قلب النبي ﷺ

خُص هذا المطلب بالآيات الخاصة بقلب النبي ﷺ، وليس أنبل من رسول اللهّ ﷺ إنسان، وليس قلب كقلبه الطاهر المطهر إدراكا لتلك المعاني، وقد اصطفى ربنا ـ عز وجل ـ قلب النبي سيدنا محمد ﷺ ليكون محلاً لنزول القرآن الكريم. وقلب سيدنا رسول اللهّ ﷺ لا ينام، وإن نامت عيناه ﷺ والقلب الذي لا ينام قلب يقظ مستنبط دائم الفكرة، فيما ينفع الناس، وهو مستودع الرحمة. وما يخص هذا المطلب قوله تعالى: ﴿ قل مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[٧٧]

وما يهمنا في بحثنا هذا أن يكون الكلام في تأويل قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ على قَلْبِكَ﴾ فقد أورد الرازي رحمه الله أسئلة عدة فقال

السؤال الأول: الهاء في قوله تعالى: ﴿فإنه﴾ وفي قوله: ﴿نزله﴾ إلى ماذا يعود؟ الجواب فيه قولان: أحدهما: أن الهاء الأولى تعود على جبريل والثانية: على القرآن وإن لم يجر له ذكر لأنه وهذا قول ابن عباس وأكثر أهل العلم أي إن كانت عداوتهم لأن جبريل ينزل القرآن فإنما ينزله بإذن الله.

وقال الزمخشري[٧٨]: إضمار ما لم يسبق ذكره فيه فخامة لشأن صاحبه حيث يجعل لفرط شهرته كأنه يدل على نفسه ويكتفي عن اسمه الصريح بذكر شيء من صفاته، وثانيهما: المعنى فإن الله نزل جبريل عليه السلام لا أنه نزل نفسه.

السؤال الثاني: القرآن: إنما نزل على محمد صلى الله عليه وآله فما السبب في قوله نزله على قلبك؟ الجواب: أن أكثر الأمة على أنه أنزل القرآن عليه لا على قلبه إلا أنه خص القلب بالذكر؛ لأجل أن الذي نزل به ثبت في قلبه حفظًا حتى أداه إلى أمته، فلما كان سبب تمكنه من الأداء ثباته في قلبه حفظًا جاز أن يقال: نزله على قلبك وإن كان في الحقيقة نزله عليه لا على قلبه. السؤال الثالث: كان حق الكلام أن يقال على قلبي، والجواب: جاءت على حكاية كلام الله كما تكلم به كأنه قيل: قل ما تكلمت به من قولي، من كان عدوًا لجبريل فإنه نزله على قلبك. [٧٩]، وخص القلب بالذكر؛ لأنه موضع العقل والعلم وتلقي المعارف[٨٠]، وجاءت المخاطبة بالكاف في {قلبك} اتساعًا في العبارة إذ ليس ثم من يخاطبه النبي صلى الله عليه وآله بهذه الكاف، وإنما يجيء قوله: فأنه نزله على قلبي، لكن حسن هذا إذ يحسن في الكلام العرب أن تحرز اللفظ الذي يقوله المأمور بالقول ويحسن أن تقصد المعنى الذي يقوله فتسرده مخاطبة له، كما تقول لرجل: قل لقومك لا يهينوك، فكذلك هي الآية[٨١]، وقال الآلوسي: {على قَلْبِكَ} لأنه القابل الأول للوحي إن أريد به الروح، ومحل الفهم والحفظ إن أريد به العضو بناءً على نفي الحواس الباطنة،

وقيل: كنى بالقلب عن الجملة الإنسانية كما يكنى ببعض الشيء عن كله، وقيل: معنى نزله على قلبك جعل {قَلْبِكَ} متصفًا بأخلاق القرآن ومتأدبًا بآدابه كما في حديث عائشة: «كان خلقه القرآن يرضى لرضاه ويغضب لغضبه» وكان الظاهر أن يقول على قلبي لأن القائل رسول الله ﷺ لكنه حكى ما قال الله تعالى له وجعل القائل كأنه الله تعالى لأنه سفير محض[٨٢]. وظاهر هذه الآية أن جبريل ألقى القرآن في قلب النَّبي ﷺ من غير سماع قراءة، ولكنه بين في مواضع أخر أن معنى ذلك أن الملك يقرؤه عليه حتى يسمعه منه، فتصل معانيه إلى قلبه بعد سماعه، وذلك هو معنى تنزيله على قلبه[٨٣]، وفي قوله تعالى: فإنه نزله على قلبك، فيه التفات من التكلم إلى الخطاب وكان الظاهر أن يقال على قلبي، لكن بدل من الخطاب للدلالة على أن القرآن كما لا شأن في إنزاله لجبريل وإنما هو مأمور مطيع كذلك لا شأن في تلقيه وتبليغه لرسول الله ﷺ إلا أن قلبه وعاء للوحي لا يملك منه شيئا وهو مأمور بالتبليغ[٨٤]. وأتى بلفظ على « على قلبك»، لأن القرآن مستعل على القلب، إذ القلب سامع له ومطيع، يمتثل ما أمر به، ويجتنب ما نهى عنه. وكانت أبلغ من إلى، لأن إلى تدل على الانتهاء فقط، وعلى تدل على الاستعلاء. وما استعلى على الشيء يضمن الانتهاء إليه. وخص القلب، ولم يأت عليك، لأن القلب هو محل العقل والعلم وتلقي الواردات، أو لأنه صحيفته التي يرقم فيها، وخزانته التي يحفظ فيها، أو لأنه سلطان الجسد. [٨٥]. وقال الرازي: وأما قوله (على قلبك) ففيه قولان: الأول: أنه إنما قال: (على قلبك) وإن كان إنما أنزله عليه ليؤكد به أن ذلك المنزل محفوظ للرسول ﷺ متمكن في قلبه لا يجوز عليه التغيير فيوثق بالإنذار الواقع منه الذي بين الله تعالى أنه هو المقصود ولذلك قال(لتكون من المنذرين) الثاني: أن القلب هو المخاطب في الحقيقة لأنه موضع التمييز والاختيار، وأما سائر الأعضاء فمسخرة له والدليل عليه القرآن والحديث والمعقول[٨٦]، وأورد الشعراوي

سؤالا في هذا وأجاب عليه فقال: نزل القرآن على أذن رسول الله ﷺ، أم على قبله؟ الأذن هي: أداة السمع، لكن قال تعالى: {على قَلْبِكَ}؛ لأن الأذن وسيلة عبور للقلب، لأنه محلُّ التلقِّي، وهو(دينامو) الحركة في جسم الإنسان، فبالدم الذي يضخُه في أعضاء الجسم وأجهزته تتولَّد الطاقات والقدرة على الحركة وأداء الوظائف. لذلك نرى المريض مثلاً يأخذ الدواء من طريق الفم، فيدور الدواء دروة الطعام، ويُمتصُّ ببطء، فإنْ أردتَ سرعة وصول الدواء للجسم تعطيه حقنة في العضل، لكن الأسرع من هذا أن تعطيه حقنة في الوريد، فتختلط بالدم مباشرة، وتُحدِث أثرها في الجسم بسرعة، فالدم هو وسيلة الحياة في النفس البشرية.

إذن: فالقلب هو محلُّ الاعتبار والتأمل، وليس لسماع الأذن قيمة إذا لم يَع القلب ما تسمع الأذن؛ لذلك يقول سبحانه في موضع آخر: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوّاً لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ على قَلْبِكَ﴾(٨٧).

فالمعنى: نزَّله على قلبك مباشرة، كأنه لم يمرّ بالأذن؛ لأن الله تعالى اصطفى لذلك رسولاً صنعه على عينه، وأزال عنه العقبات البشرية التي تعوق هذه المباشرة، فكأن قلبه ﷺ منتبهاً لتلقّي كلام الله؛ لأنه مصنوع على عَيْن الله، أما الذين سمعوا كلام الله بآذانهم فلم يتجاوبوا معه، فكانت قلوبهم قاسية فلم تفهم. والقلب محل التكاليف، ومُستقرّ العقائد، وإليه تنتهي مُحصِّلة وسائل الإدراك كلها، فالعيْن ترى، والأذن تسمع، والأنف يشمّ، والأيدي تلمس. . ثم يُعرض هذا كله على العقل ليختار بين البدائل، فإذا اختار العقل واطمأن إلى قضية ينقلها إلى القلب لتستقر به؛ لذلك نسميها عقيدة يعني: أمْر عقد القلب عليه، فلم يَعُدْ يطفو إلى العقل ليبحث من جديد، لقد ترسَّخ في القلب، وأصبح عقيدة ثابتة(٨٨).

المطلب الثاني: تنزيه ساحة النبي ﷺ عما قاله المشركون:

لقد نزّه الله تعالى رسوله عما قاله المشركون قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۖ فَإِن يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾(٨٩)

يقول تعالى ذكره: أم يقول هؤلاء المشركون بالله: (افْتَرَى) محمد ﷺ (عَلَى اللَّهِ كَذِبًا) فجاء بهذا الذي يتلوه علينا اختلاقا من نفسه. وقوله: (فَإِنْ يَشَأِ اللَّهُ) يا محمد ﷺ يطبع على قلبك، فتنس هذا القرآن الذي أُنزل إليك(٩٠). وقال الزمخشري: قوله: (فَإِن يَشَإِ الله يَخْتِمْ على قَلْبِكَ) أي: فإن يشأ الله – تعالى – يجعلك من المختوم على قلوبهم، حتى تفتري عليه الكذب، فإنه لا يجترئ على افتراء الكذب على الله إلا من كان في مثل حالهم. وهذا الأسلوب مؤداه استبعاد الافتراء من مثله، وأنه في البعد مثل الشرك بالله، والدخول في جملة المختوم على قلوبهم ومثال هذا: أن يُخَّون بعض الأمناء فيقول: لعل الله خذلني، لعل الله أعمى قلبي، وهو لا يريد إثبات الخذلان وعمى القلب، وإنما يريد استبعاد أن يخون مثله، والتنبيه على أنه ركب من تخوينه أمرا عظيما(٩١). وقال البغوي: (يختم على قلبك) قال مجاهد: يربط على قلبك بالصبر حتى لا يشق عليك أذاهم، وقولهم: إنه مفتر. قال قتادة: يعني يطبع على قلبك فينسيك القرآن وما أتاك، فأخبرهم أنه لو افترى على الله لفعل به ما أخبر عنه في هذه الآية(٩٢). وقيل: فإن يشإ الله يختم على قلوب الكفار وعلى ألسنتهم وعاجلهم بالعقاب. فالخطاب له والمراد الكفار.(٩٣).

المطلب الثالث: سمو القيادة وحكمة الرئاسة بالرفق والتلطف:

إن الرفق والتلطف من أهم الصفات التي يجب توفرها في أية قيادة، ومن البديهي أن الذي يتصدى للقيادة لو خلا من هاتين الخصلتين، وافتقر إلى روح السماحة،

وعامل من حوله بالخشونة والعنف والفظاظة فسرعان ما يواجه الهزيمة، وسرعان ما تصاب مشاريعه بنكسات، ويتفرق الناس من حوله، فلا يمكنه القيام بمهام القيادة ومسؤولياتها الجسيمة، ولذا قال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾[٩٤]، إن وجود الرحمة في القلوب، يقتضي انتفاء غلظ القلوب وقساوتها. فقد نفى الله سبحانه عن نبيه غلظ القلب والسبب رحمة الله تعالى به أَلَان قَلبك لهم، فكنت سهلًا ورقيقًا في تعاملك معهم[٩٥]: والفظ: الغليظ والمراد به هاهنا غليظ الكلام، لقوله بعد ذلك غليظ القلب أي: لو كنت سيئ الكلام قاسي القلب عليهم لانفضوا عنك وتركوك، ولكن الله جمعهم عليك، وألان جانبك لهم تأليفا لقلوبهم، كما قال عبد الله بن عمرو: إنه رأى صفة رسول الله ﷺ في الكتب المتقدمة: أنه ليس بفظ، ولا غليظ، ولا سخاب في الأسواق، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح[٩٦]. وغلظ القلب ربما تعقبه درجة أشد، وهي ما عبَّر عنه القرآن الكريم بـ"قسوة القلوب ثم هي بعد ذلك درجات. والفرق بين الفظّ وغليظ القلب؛ أن الفظ الذي يكون سيء الخلق، وغليظ القلب هو الذي لا يتأثر قلبه عن شيء، فقد لا يكون الإنسان سيء الخلق ولا يؤذي أحدا ولكنه لا يرق لهم ولا يرحمهم، فظهر الفرق من هذا الوجه[٩٧]. وتلفت الآية الكريمة نظرنا إلى التوافق بين "الظاهر والباطن" فإنه حين ينتفي غلظ القلب وهو أمر باطن، ينبغي أن ينتفي معه أمر آخر وهو غلظ اللسان الذي عبرت عنه الآية بالفظاظة. و» قسوة القلب مرض من الأمراض الخلقية، يجفف في داخل النفس الإنسانية عاطفة الإحساس بآلام الآخرين وحاجاتهم، ويشتد هذا المرض، ويشتد معه الجفاف النفسي، حتى ينعدم الشعور بالواجب الفطري. . وفي هذه الحالة من حالات الجفاف النفسي تمسي القلوب مثل الحجارة التي لا ترشح بأي عطاء، أو أشد قسوة من الحجارة، لأن من الحجارة ما

تتشقق منه الانهار مع قسوته الظاهرة، فيندفع العطاء من باطنه الرخو ماء عذب نقي، ولكن بعض الذين قست قلوبهم يجف من أغوارها كل أثر للفيض والعطاء[٩٨]"

ولا يمكن للإنسان المسلم أن يصل إلى هذا المستوى من قسوة القلب، لأنه في هذه الحالة تكون قد جفت من قلبه كل ينابيع الإيمان، وهذا لا يلائم حضرة النبي ﷺ.

المبحث الثالث: فؤاده الشريف عليه الصلاة والسلام.

المطلب الأول: تسليته وتثبيته في أداء الرسالة

عندما يتدبر الانسان القران الكريم يجد عشرات الآيات التي تشيد صراحة بمكانة النبي ﷺ، وعظيم قدره عند ربه عز وجل، كما يجد آيات أخرى تشير الى تفضيله على سائر البشر، بمن فيهم الأنبياء السابقون عليهم السلام، سواء في الدنيا أم الآخرة، ولقد كان لهذه الاشارات أعظم الأثر في تكريم النبي ﷺ، وتثبيته لإنجاز مهمته، ولا سيما أن هذه التزكية كانت تصدر من رب العالمين في أوقات اشتداد أذى قومه له وسفاهتهم عليه. ولقد سلك القران الكريم أساليب عدة لتثبيت النبي ﷺ امام التحديات حتى استطاع تبليغ رسالة ربه كاملة. ولا شك أن أغراض القصص القرآني وفوائده كثيرة، إلا أن ما يعنينا في هذا البحث هو بيان ما ورد في– تثبيت فؤاد النبي ﷺ لقوله تعالى: «وكلا نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك في هذه الحق »[٩٩]. ووجه تثبيت فؤاد النبي ﷺ بذلك أنه كلما عاود القرآن ذكر قصص الأنبياء وأحوالهم مع أممهم عليه، زاد ذلك تذكيرا وعلما بأن حاله جار على سنن الأنبياء قبله، فيزداد يقينا بأن عاقبته النصر على أعدائه كما كانت عاقبتهم فيجدد ذلك تسليته وعزاءه مما يلقاه من قومه من التكذيب، فيزيد صبرا وتحملا وثباتا على الطريق[١٠٠].

فإن أعظم ما يخفف على الانسان بليته ومحنته، ويحمله على الصبر ما يذكر له من أحوال المصابين بمثل مصيبته، فيرتاح لمشاركة الناس له في محنته كما قالوا: المصيبة

اذا عمت خفت. ومن المعلوم أن معظم القصص القرآني نزل على رسول الله ﷺ في العهد المكي، والصراع بين الحق والباطل بالغ أشده، والمسلمون مستضعفون يخافون أن يتخطفهم الناس، لهذا كانت الحاجة الى التثبيت في العهد المكي أمس منها عن العهد المدني- وان لم يستغن عنه- ففي هذه المدة الحرجة والظروف القاسية نزلت سورة هود، وقد جاءت هذه الآية في آخرها. بعد أن قص الله على رسوله قصص الأنبياء: نوح، وهود، وصالح، وإبراهيم، ولوط، وشعيب، وموسى عليهم السلام أما في قوله تعالى: ﴿ وقرءآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا﴾[١٠١] ؛ أي جعلناه مفرقا لكي تقرأه على الناس على مهل وتؤده بتنجيمه. ولقد كان لنزول القران منجما أثر كبير في تثبيت فؤاد النبي ﷺ وتكريمه كما صرح القران بذلك في سياق رده على تعنت الكفار في اقتراحهم نزول القران عليه جملة واحدة حيث جعل الله احدى علل نزوله منجما تثبيت فؤاد النبي ﷺ.

المطلب الثاني: تشجيعه على حفظ الكتاب وفهمه، والرد على ما يثار حوله من الشبهات.

وقد تعهد الله تعالى لنبيه ﷺ بحفظ كتابه، وتنزيله مفرقا، لتثبيت فؤاده ﷺ قال تعالى: ﴿ وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القران جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك ﴾ يقول أبو شامة[١٠٢] رحمه الله: فان قيل ما السر في نزوله منجما، وهلا نزل كسائر الكتب جملة ؟ قلنا هذا سؤال قد تولى الله جوابه فقال تعالى: ﴿ وقال الذين كفروا... ﴾ يعنون كما أنزل على قبله من الرسل فأجابهم الله بقوله كذلك أي أنزلناه كذلك مفرقا لنثبت به فؤادك أي نقوي به قلبك فان الوحي اذا كان يتجدد في كل حادثة كان أقوى بالقلب وأشد عناية بالمرسَل اليه، ويستلزم ذلك كثرة نزول الملك اليه وتجدد العهد به وبما معه من الرسالة الواردة من ذلك الجناب العزيز فيحدث له من السرور ما تقصر عنه

العبارة، ولهذا كان أجود ما يكون في رمضان لكثرة لقياه لجبريل[١٠٣].

وقيل إن المراد بتثبيت الفؤاد: تسكين القلب ههنا ليس لشك، ولكن كلما كان البرهان والدلالة أكثر على القلب كان القلب أسكن وأثبت أبدا، كما قال ابراهيم g « ولكن ليطمئن قلبي »[١٠٤] وبينت الآية الغرض من قص قصص الأنبياء في القران وهو تثبيت فؤاد الرسول عليه الصلاة والسلام، ولأخذ العبرة والعظة والتخفيف عن المؤمنين[١٠٥]. كما أن التعبير بالفعل المضارع « نثبت « يدل على استمرارية الحدث « التثبيت» وتجدده[١٠٦]. وجاء بالنون في قوله « لنثبت» الدالة على التعظيم، وأكد المعنى ثانية في قوله (ورتلناه) بمعنى فرقناه أو أتينا به شيئا بعد شيء بتمهل وتؤدة لنيسر فهمه وحفظه[١٠٧]

المطلب الثالث: بيان منزلته ومقامه من مقام الرؤية عند الحضرة الإلهية

لقد تعدّدت المقامات الدالة على اصطفاء الله سبحانه وتعالى لنبيه ﷺ في منزلته ومكانته، وفي خصائصه وفضائله، وفي شمائله وصفاته ومما يدلّ على عظم ذلك المقام، وكون النبي ﷺ في أعلى مراتبه، حينما عُرج برسول الله محمد ﷺ إلى السماء رأى ما لم يره ملك مقرّب، ولا نبي مرسل، حتى أخذ بعضهم يماريه على ما رآه، كما تخبرنا سورة النجم المباركة. قال تعالى: ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ﴾[١٠٨] ورؤية الفؤاد تختلف عن رؤية البصر قال القرطبي: "أي لم يكذب قلب محمد ﷺ ليلة المعراج ; وذلك أن الله تعالى جعل بصره في فؤاده حتى رأى ربه تعالى وجعل الله تلك رؤية"[١٠٩]

وأن المرئي في قوله « ما رأى» يحتمل الكلام وجوه ثلاثة: الأول: الرب تعالى والثاني: جبريل عليه السلام والثالث: الآيات العجيبة الإلهية. [١١٠]، قال ابن عاشور: «والأظهر أن هذا رد لتكذيب من المشركين فيما بلغهم من الخبر عن رؤية النبي ﷺ»[١١١]. وسواء كانت الرؤيا قلبية أم بصرية، أو كان الاسراء بجسده أو بروحه على اختلاف المفسرين، فقد حاز نبينا ﷺ على مقام الرؤية، وحظي بمنزلة لم يحظ بها نبي من قبل.

الخاتمة

هذا ما يسره الله تعالى لنا في كتابة هذه البحث المتواضع في بيان أعضاء النبيﷺ في القران، وإن لكل عمل خاتمة، ولا بد من بيان أهم ما توصلت إليه. وقد توصلت في هذه البحث الى بعض النتائج المهمة والتي يمكن اجمالها بما يأتي:

١.حظي النبي محمدﷺبمميزات عدة من بين سائر الأنبياء عليهم السلام، إذ إن القران لم يكتف بذكر اسمه بل عرَّج بذكر صدره وقلبه وفؤاده، وهذا ما لم يكن لغيره من الأنبياء، حتى وإن ذُكرت لهم فهي قليلة بالنسبة لما ذُكر للنبيﷺ.

٢.يتضمن محتوى صدرهﷺ: الصدر، والقلب، والفؤاد.

٣.إن القلب والفؤاد والصدر ليسوا مترادفين، وإنما لكل لفظ معنى يختلف عن الآخر.

٤.كان النبي الكريمﷺبوصفه بشرا يتأذى من استهزاء المشركين وإعراضهم عن الحق، ولقد لاقى منهم أشد أنواع العذاب والعنت، فضيق الصدر أمر طبيعي يحدث له وقد مَن الله تعالى عليه بشرح الصدر.

٥.أكد القران الكريم شرح صدرهﷺ، برفع الحرج والضيق عنه.

٦. لا يوجد قلب أطهر من قلب النبيﷺ، فقد كان قلبه الطاهر مدركا لتلك المعاني، حتى اصطفاه الله تعالى؛ ليكون محلاً لنزول القرآن الكريم.

٧.خص القلب بالذكر في تنزيل القران؛ لانه موضع العقل والعلم وتلقي المعارف.

٨.لقد سلك القران الكريم أساليب عدة لتثبيت فؤاد النبيﷺأمام التحديات، حتى استطاع تبليغ رسالة ربه كاملة هذه هي أهم النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث، أسأل الله أن يجعله عملاً خالصاً لوجهه وأن ينفعنا والمسلمين بما قد أصبنا فيه من استنتاجات، وأن يتجاوز عنا بما أخطأنا فيه من ذلك وعدم تقديمنا الأفضل في هذه البحث، فالفضل والكمال لله وحده والعصمة لأنبيائه وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هوامش البحث:

١)ينظر: لسان العرب، ابن منظور: ٤/ ٢٤١١، والقاموس المحيط،: ١ / ٥٩٤.
٢)معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم: ٢٨٤.
٣)ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ١٠ / ٢٥٥.
٤) ينظر: التفسير الكبير: ٢٤/ ١٦٨.
٥) سورة طه، الآية: ٢٥.
٦)معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم: ٢٨٤.
٧) سورة الشرح، الآية: ١.
٨) نفحات القرآن، للشيرازي: ١١٥ - ١١٦.
٩)لسان العرب: ٥ / ٣٧١٣.
١٠)المعجم الوسيط: ١٢/ ٧٥٣.
١١)معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم: ٤٢٦
١٢)مجموعة رسائل، أبو حامد الغزالي: ٤٢.
١٣)لسان العرب: ٥ / ٣٧١٤.
١٤)سورة الهمزة: ٧.
١٥)صحيح البخاري، ك/ المغازي، ب/ قدوم الأشعريين وأهل اليمن (٥ / ١٧٤) (٤٣٩٠).
١٦)لسان العرب: ٥ / ٣٧١٤.
١٧)سورة القصص: ١٠.
١٨)المعجم الوسيط: ٧٥٣.
١٩)التفسير الكبير: ٢٤ / ١٦٨.
٢٠)سورة الإسراء: ٣٦.
٢١)الجامع لأحكام القرآن: ١٠ / ٢٥٧.
٢٢)إحياء علوم الدين: ٣ / ١٧ - ١٩.
٢٣)سورة النجم، الآية: ١٧.
٢٤) ينظر: التبيان في أقسام القرآن: ١/ ٢٣٩، معجم الفروق اللغوية: ٤٣٣.
٢٥) ينظر: التبيان في أقسام القرآن: ١/ ٢٣٩.
٢٦)سورة الأنعام: ١١٠
٢٧)سورة إبراهيم: ٤٣.
٢٨)ينظر: معجم الفروق اللغوية،: ٤٣٣.
٢٩)سورة ق: ٣٧.

٣٠)نفحات القرآن: ١١٥.
٣١)سورة القصص: ١٠.
٣٢) الانشراح/ ١
٣٣)ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: (٥ / ٤٩٦)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: (٣٠/ ١٦٦)
٣٤)تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد: ١/ ٤٨٥٠. وينظر: سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد،: ٢/ ٥٩.
٣٥) الهداية الى بلوغ النهاية (١٢ / ٨٣٣١):
٣٦) ينظر: مختصر تفسير البغوي: (٥ / ٢٧٤).
٣٧) ينظر: زاد المسير في علم التفسير: ٩ / ١٦٢.
٣٨)ينظر: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: ٥/ ٤٦١
٣٩)ينظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى: ١ / ١١٦.
٤٠) الإتقان في علوم القرآن: ٤١٥، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح: ١٣٦.
٤١)سورة الذاريات: ٥٦.
٤٢)سورة طه: ١٤
٤٣)التفسير الكبير: ٣٢ / ٢٠٦.
٤٤)الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية: ٢ / ٥١٧.
٤٥)سورة طه: ٢٥.
٤٦) الرسالة القشيرية: ٢ / ٣٥٥، وينظر البحر المديد في تفسير القرآن المجيد: ٧ / ٣٢٢.
٤٧) التفسير الكبير: ٣٢ / ٢٠٦.
٤٨) سورة الأعراف الآية / ٢.
٤٩) أولوا العزم من الرسل هم خمسة جمعهم قوله ﷻ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ سورة الشورى الآية / ١٣
٥٠)جامع البيان في تأويل القرآن: (٨ / ١١٦)، التفسير الكبير (١٤ / ١٦).
٥١) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ٣/ ٤٠٣.
٥٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن: ٧ / ١٦٠.
٥٣) سورة يونس: ٩٤.
٥٤) ينظر: روح المعاني (٨/ ٧٦).
٥٥) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (٣/ ٢٠٩).

٥٦) ينظر: زاد المسير (٣/ ١٦٥).
٥٧) ينظر: روح المعاني (٨/ ٧٦).
٥٨) المصدر السابق: (٨/ ٧٦-٧٧).
٥٩) تفسير الشعراوي: ٧/ ٤٠٤٠.
٦٠) سورة طه: ٣٨-٣٩.
٦١) سورة طه: ٣٩.
٦٢) تفسير الشعراوي: ٧/ ٤٠٤٠.
٦٣) سورة الكهف: ٦.
٦٤) سورة هود: ١٢.
٦٥) ينظر: جامع البيان في تأويل أي القران: ١٥/ ٢٥٨.
٦٦) ينظر: لطائف الإشارات: ٢/ ١٢٧.
٦٧) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ٢/ ٣٨٢.
٦٨) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٣/ ١٥٤.
٦٩) ينظر: التفسير الكبير: ١٧/ ٣٢٤، والجامع لاحكام القران: ٩/ ١٢.
٧٠) ينظر: روح البيان: ٤/ ١٠٥.
٧١) ينظر: لطائف الاشارات: ١٠/ ٦٣٦٤.
٧٢) سورة الحجر: ٩٧.
٧٣) ينظر: جامع البيان في تأويل أي القران: ١٧/ ١٥٩.
٧٤) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ٣/ ٣٧٦.
٧٥) ينظر: تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد: ١٤/ ٩١.
٧٦) ينظر: لطائف الإشارات: ٢/ ٢٨٣.
٧٧) سورة البقرة: ٩٧.
٧٨) ينظر: الكشاف: ١/ ١٩٦
٧٩) ينظر: التفسير الكبير: ٣/ ٦١١.
٨٠) ينظر: الجامع لأحكام القران: ١/ ٤٢٧.
٨١) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: ١/ ١٨٣.
٨٢) ينظر: روح المعاني: ١/ ٣٣٢
٨٣) ينظر: أضواء البيان في ايضاح القران بالقران: ١/ ٤٢
٨٤) ينظر: التفسير الكبير: ٣/ ٦١٢
٨٥) ينظر: البحر المحيط في التفسير: ١/ ٤٨٨

٨٦) ينظر: التفسير الكبير: ٣/ ٦١١
٨٧) سورة البقرة: ٩٧.
٨٨) ينظر: لطائف الإشارات: ١/ ٤٨٠
٨٩) الشورى: ٢٤.
٩٠) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن: ٢/ ٢٩٠
٩١)الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: ١/ ١٩٤
٩٢) معالم التنزيل في تفسير القرآن: ١/ ١٢٥.
٩٣) الجامع لاحكام القران: ٢/ ٣٦.
٩٤) سورة آل عمران: ١٥٩.
٩٥) ينظر: جامع البيان في تفسير آي القران: ٦/ ١٨٥)، (تفسير القران العظيم: ٢/ ١٤٨)،
٩٦) يُنظر: تفسير القران العظيم: ٢/ ١٤٨، وتفسير السعدي: ١٥٤.
٩٧) ينظر: التفسير الكبير: ٩/ ٦٠.
٩٨) الأخلاق الإسلامية للأستاذ عبدالرحمن حبنكة: ٢/ ٧٦.
٩٩) هود: آية ١٢٠
١٠٠) ينظر: التحرير والتنوير: ١٢/ ١٩٢.
١٠١) سورة الإسراء: الآية: ١٠٦.
١٠٢) أبو القاسم عبد الرحمن بن اسماعيل بن عثمان شهاب الدين المقدسي الأصل، الدمشقي الشافعي المقرئ النحوي ذو الفنون. من مصنفاته: «شرح الشاطبية» و «ومختصر تاريخ دمشق »و «مفردات القراء» مات سنة (٦٦٥ هـ) طبقات المفسرين للداوودي: ١/ ٢٧٠.
١٠٣) الاتقان في علوم القران: ١/ ١٢١.
١٠٤) البقرة: ٢٦٠.
١٠٥) صفوة التفاسير ٥/ ١١٨
١٠٦)إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: ٤/ ٢٤٨.
١٠٧) القاموس المحيط: ٧/ ٩.
١٠٨) سورة النجم: ١١.
١٠٩) الجامع لاحكام القران: ٣/ ٥٢٦
١١٠) ينظر: التفسير الكبير: ٢٨/ ٢٨٩.
١١١) التحرير والتنوير: ٢٨/ ٨٧.

المصادر والمراجع

القران الكريم

*الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: ٩١١هـ)، محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤ م.

* إحياء علوم الدين : أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت: ٥٠٥هـ)، دار المعرفة - بيروت.

*أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت: ١٣٩٣هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ مـ.

*إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (ت: ١٤٠٣هـ)، دار الإرشاد للشؤون الجامعية - حمص - سورية، (دار اليمامة - دمشق - بيروت)، (دار ابن كثير - دمشق - بيروت)، الطبعة الرابعة، ١٤١٥ هـ، لكتاب: القاموس المحيط

*أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت: ٦٨٥هـ)، محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الأولى- ١٤١٨ هـ

*البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (ت: ١٢٢٤هـ)، أحمد عبد الله القرشي رسلان، الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة: ١٤١٩ هـ

*التبيان في أقسام القرآن، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

* التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤ هـ.

* إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت: ٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت

*تفسير البحر المحيط ـ محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت، الطبعة الأولى - ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

*تفسير الشعراوي، محمد متولي الشعراوي (ت: ١٤١٨هـ)، مطابع أخبار اليوم.

*جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ)، أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.

*الجامع الصحيح المختصر، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، دار ابن كثير، اليمامة – بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧ – ١٩٨٧، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة - جامعة دمشق.

*الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: ٦٧١هـ)، أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة الثانية ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م.
*روح البيان، إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي , المولى أبو الفداء (ت: ١١٢٧هـ)، دار الفكر – بيروت.
*روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني أبو المعالي محمود شكري بن عبد الله بن محمد بن أبي الثناء الألوسي (ت: ١٣٤٢هـ دار إحياء التراث العربي – بيروت.
*زاد المسير في علم التفسير، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: ٥٩٧هـ)، عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الأولى.
*سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد، محمد بن يوسف الصالحي الشامي (ت: ٩٤٢هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٣ م.
*الشفا بتعريف حقوق المصطفى، عياض بن موسى بن عياض بن عمرون اليحصبي السبتي، أبو الفضل (ت: ٥٤٤هـ)، دار الفيحاء – عمان، الطبعة الثانية– ١٤٠٧ هـ.
*صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م.
*طبقات المفسرين للداوودي، محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداوودي المالكي (ت: ٩٤٥هـ)، دار الكتب العلمية – بيروت، راجع النسخة وضبط أعلامها: لجنة من العلماء بإشراف الناشر.
*فتح الباري لشرح صحيح البخاري، زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن ابن شهاب الدين البغدادي ثم الدمشقي الشهير بابن رجب، تحقيق: أبو معاذ طارق بن عوض الله بن محمد، دار ابن الجوزي – السعودية / الدمام – ١٤٢٢هـ، الطبعة الثانية.
*فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار الفكر – بيروت.
*الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية، نعمة الله بن محمود النخجواني، ويعرف بالشيخ علوان (ت: ٩٢٠هـ)، دار ركابي للنشر – الغورية، مصر، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٩ م
*القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت: ٨١٧هـ)، مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة الثامنة، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م.
*الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل: أبو

القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، ط٣- ١٤٠٧ هـ.

*لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت: ٧١١هـ)، دار صادر – بيروت، الطبعة الثالثة- ١٤١٤ هـ.

*لطائف الإشارات: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت: ٤٦٥هـ) المحقق: إبراهيم البسيوني الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر الطبعة: الثالثة.

*مجموعة رسائل الإمام الغزالي: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت: ٥٠٥هـ) نسخة: محققة مصححة بإشراف مكتب الدراسات، دار الفكر – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦ هـ.

*مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة.

*المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي، دار الكتب العلمية / لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ ـ١٩٩٣م، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد.

*مختصر تفسير البغوي، عبد الله بن أحمد بن علي الزيد، دار السلام للنشر والتوزيع – الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

*المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

* معالم التنزيل في تفسير القرآن: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت: ٥١٠ه)المحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٤، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م.

*معجم الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت: نحو ٣٩٥هـ)، الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ «قم»، ط١، ١٤١٢هـ.

*المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)، دار الدعوة.

*التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثالثة- ١٤٢٠ هـ

*المفردات في غريب القرآن أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت: ٥٠٢هـ(المحقق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت ط١، – ١٤١٢ هـ

*نفحات القرآن أسلوب جديد في التفسير الموضوعي للقران الكريم – للشيخ ناصر مكارم الشيرازي، دار العلم والمعرفة.
*الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (ت: ٤٣٧هـ)
، المحقق: مجموعة من الباحثين، جامعة الشارقة – كلية الدراسات العليا والبحث العلمي، الطبعة الأولى.

دلالة التداول وآليات الحجاج

في بنية خطاب الحديث النبوي الشريف

Semantics of Pragmatics and Augmentation Tools in the Structure of the Holy Prophetic Hadiths

أ. م. د. لطيف عبد السادة سرحان

Asst. Prof. Dr. Lateef `Abidalsada Sarhan

دلالة التداول وآليات الحجاج
في بنية خطاب الحديث النبوي الشريف

Semantics of Pragmatics and Augmentation Tools in the Structure of the Holy Prophetic Hadiths

أ. م. د. لطيف عبد السادة سرحان
الجامعة التقنية الوسطى / المعهد التقني الصويرة / قسم التقنيات المحاسبية
Asst. Prof. Dr. Lateef `Abidalsada Sarhan
Technological University of Al-Wasta / Al-Saweira Institute / Department of Accounting Techniques

www. l_a887@yahoo. com

تاريخ الاستلام: ٨/ ٧/ ٢٠١٩
تاريخ القبول: ١٤/ ٨/ ٢٠١٩

خضع البحث لبرنامج الاستلال العلمي
Turnitin - passed research

ملخص البحث:

يبدو للناظر في بنية خطاب الحديث النبوي الشريف اهتمام واضح بالمعنى المتداول في السياق المحاجِج بمختلف اتجاهاته، من حيث الافتراضات السابقة التي ينتجها النص والدلالة التي تضمرها الأقوال، فضلاً عن الاستلزام الدلالي للحوار الدائر في ذلك النص إلى جانب ما يمكن رصده من تلاؤم دلالي للأمثلة التي يعرضها الخطاب، ومن ثَمَّ تنصهر كل هذه الاتجاهات في بوتقة الحجاج بوصفها آلية معتمدة بصدد الأطروحة المراد إثبات جدواها. ويعتمد الخطاب الحديثي منظومة مهمة من الآليات الحجاجية المنسجمة ومفهوم الحجاج بوصفها مصداقاً له انطلاقاً من عناصر الحجاج المتعلقة بالخبر وفاعله المحاجِج ونظيره المهتم بالخبر نفسه ؛ إذ هناك (معطى) يمثل قول الانطلاق الحجاجي و(خلاصة) تمثل حاصل قول الوصول وبين المعطى والخلاصة حجج وأدلة تقتضي قول العبور. وقد توخت تطبيقات الحجاج في الخطاب الحديثي عدة أساليب حجاجية لعل من أهمها الأساليب القولية (اللغوية) إلى جانب مصاديق بعض الأساليب الحجاجية الأخرى، إلى جانب اعتماد النص أدوات الحجاج المعروفة كالتعبير اللغوي والدلالي والاستدلال العلمي والمعرفي والاستشهاد الواقعي وما إلى ذلك.

الكلمات المفتاحية: التداول، بنية خطاب، الحديث النبوي الشريف، الخطاب الحديثي.

Abstract

It seems to the observer of the speech structure of the Prophet's Hadith a clear interest in the meaning of the current context of the various arguments, in terms of the presuppositions produced by the text and the significance implied to the words, the semantic assertion of the dialogue in that text, and what can be monitored from the semantic adequacy of the examples presented by the dialectic discourse. All these trends are then fused into the crucible of argumentation as a mechanism to be proven. The modern discourse depends on an important system of argumentation, which is in harmony with the concept of argumentation as a source of credibility for them, based on the elements of the argumentation related to the report, its active argument and its interest in the report. . The applications of argumentation in dialectic discourse have considered several arguments, perhaps the most important of which are the colloquial (linguistic) methods, as well as the mysticism of some other arguments. The text also includes the tools of argumentation known as linguistic and fictional expressions and scientific and cognitive reasoning.

Key words: Pragmatics, discourse structure , prophetic hadith, hadith discourse

تمهيد:

يؤطر الخطابَ الإسلاميَّ منحًى حجاجيٌّ يظهر واضحاً في بنية الحديث النبوي الشريف، مرتكزاً على ثلاثة أبعاد رئيسة متناظرة وأجزاء الجهاز الحجاجي المؤلف من الخبر (الأطروحة) والحكم (إطار الإشكالية) والإقناع (إطار البرهنة الإقناعي)[1]، إذ تتجلى في ثلاثة مفاهيم هي:

العلم الضروري: وهو ما يمثل الخبر و(الأطروحة) لمعطيات متمثلة بالفروض المنبثقة من الأصول والفروع الإسلامية.

الفعل الضروري: وهو ما يمثل إطار الإشكالية و(الحكم) على أفعال تلك الفروض والأحكام وتروكها.

الاعتقاد الضروري: وهو ما يمثل إطار البرهنة و(الإقناع) بصحة الأخذ بتلك الأحكام.

وللوصول الى مراد هذا السياق المحاجج في بنية المنجز الحديثي كان الخطاب موجهاً إلى الآخر المحاجَج في سياقاته المختلفة , فتارةً يأتي المخاطب حاضراً وتارةً غائباً ؛ ليكون اتجاه الخطاب إلى كل معنيٍّ بالمحتوى الحجاجي، وبناءً على أنَّ الخطاب الإعلامي للتنظير الإسلامي معنيٌّ بالدعوة العامة للبشرية كلها ؛ لذا فإنَّ طرف الرسالة الثاني (الآخر المخاطَب) مفهوم عام مصداقه كل مكلف على وفق المنظور الديني، ومن ثَمَّ فإنَّ هذا يحتم أن يكون الحجاج مقامياً بمعنى توجيه محتوى الرسالة إلى مقام المحاجَج مجرداً من تخصيص المكان والزمان، وكل من يشمله الخطاب مشمول بذلك الإطار الحجاجي وداخل في مقاصده، وبناءً على هذا يحرص الخطاب الحديثي على اتساع دائرته محاولاً تعميم مساحة المخاطب لتحقيق مفهوم (الجمهور الكوني)[2] المستلزِم لتنوع الخطاب ؛ كون جمهور المخاطبين مركباً متنوعاً بفعل تلك

السعة وهو ما يحتم على المتكلم إنجاز جملة من الاستراتيجيات الخطابية كاللفظية والتعبيرية وغيرها[٣]، وهو ما حدا بالخطاب الحديثي إلى التوسل بالدلالات التداولية المختلفة والآليات الحجاجية المتنوعة، إذ يمثل الإطار الحجاجي فضاءً رحباً لبناء النص في بنية خطاب الحديث النبوي الشريف ؛ نظراً إلى ما يتصل به من أحوال الكلام وحيثيات الدلالة المختلفة ومقومات بناء النص مماله صلة بإنتاج المعنى وتحقيق التواصل. وانطلاقاً من أنَّ الدلالة التداولية مختلفة باختلاف السياق والغرض المراد[٤] كما أنَّ الحجاج إجراء سياقي أيضاً ينفعل بالعوامل اللفظية مثلما يتأثر بالأشراط الاجتماعية والعقدية والرمزية وغيرها[٥]؛ لذا فإنَّ بنية الخطاب الحديثي سارت على هذا المنوال في استقصائها المقاصد الخطابية التي تتعدد وتختلف باختلاف الإطار المنتج للدلالة[٦]، وبناءً على ذلك كله جاءت الدلالة التداولية الواردة في خطاب الحديث الشريف موزعة على مقاصدها التداولية كالعقدية والسيميائية واللغوية والاجتماعية والنفسية.

أولاً: الدلالة التداولية العقدية.

يستأثر البعد العقدي بالجزء الأعظم من بنية الخطاب الحديثي، إذ يتجه منحى الخطاب بجميع الدلالات التداولية ولاسيما العقدية منها إلى محاولة ترجمتها عقدياً في ذهن المتلقي، ولعل الأمر يحظى بأهمية خطابية كبيرة في معالجة هذه الدلالة ؛ كونها في الأصل مشتملة على المغزى العقدي، ومحاولة بيانها وتمثلها عقدياً في وعي المتلقي يعود على الواقع التواصلي بنتائج مهمة إذا علمنا أنَّ المعطى الذي تمثله هذه الدلالة عقدي والسياق الحجاجي الإقناعي عقدي أيضاً، وفي ضوء ما تعالجه الدلالة التداولية من حيثيات جزئية في مسارها التواصلي العقدي كالأولوية والشعور الوجداني والمعية وغير ذلك يمكن تناولها موزعة على وفق الآتي:

١ - أولوية الصدارة.

يرد التقديم في الخطاب الحديثي ذا بعد عقدي راسخ في الذهنية الجمعية للمتلقي ولاسيما في المقامات الرفيعة التي يحوز المتصدر فيها على شرف التقديم والسبق والأولوية في التفضيل، وقد أفاد الخطاب الحديثي من هذه القيمة الدلالية في المتداول العقدي لتوظيفها في الإطار الحجاجي الرامي إلى تكثيف الاعتقاد والبرهنة عليه، و من الأمثلة في هذا الصدد قول النبي صلى الله عليه وآله: ((سيكون من بعدي فتنة فإذا كان ذلك فالزموا عليَّ بن أبي طالب ؛ فإنَّه أول من آمن بي))[٧]، ((أنت ياعلي أول المؤمنين إيماناً وأولهم إسلاماً))[٨]، ((أوحي إليَّ في عليٍّ ثلاثٌ: أنَّه سيد المسلمين وإمام المتقين وقائد الغر المحجلين))[٩]((أول شخص يدخل الجنة فاطمة بنت محمد))[١٠]، ((الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة وأبوهما خير منهما))[١١].

ومثلما مر فإنَّ أحد طرفي الحجاج وهو الآخر المحاجَج (فاعل الخبر) غائب مفترض حتى وإن كان اتجاه الكلام إلى المتكلم أو المخاطب أو الغائب ؛ لأنَّ الإطار المعرفي يحتوي مقامات الخطاب الموجه من النبي صلى الله عليه وآله إلى الأمة الإسلامية ؛ لذا فإنَّ أطراف الجهاز الحجاجي موزعة في جزئها الأول الخبر أو (الأطروحة) بما يفهم من السياق المحاجج بحاجة الواقع إلى قادة فضلاء يمثلون امتداد النبوة ورسالتها وأطروحتها الإسلامية، وفي جزئها الثاني الحكم أو (إطار الإشكالية) بكون أهل البيت عليهم السلام حقيقين بتمثيل تلك القيادة، لتأتي في جزءها الثالث (الإقناع) في إثبات تقدمهم في المجتمع بما يحملونه من أولويات على مستوى المناقب أو الفضائل. ولاريب في أنَّ رصد أجزاء الجهاز الحجاجي (الخبر، والحكم، والإقناع) إنَّما يرتكز على الدلالة التداولية العقدية في إفادة معنى الأولوية، إذ نجد الخطاب الحديثي يقتنص تلك المتداولات في ظل صدى مفهوم (الافتراض السابق) لدى المتلقي،

وهو ما يفترضه المتكلم قبل التفوه بالكلام ومن ثَمَّ يتعاطاه المخاطب على وفق ذلك الافتراض، فهو قدر مشترك بينهما في القصد[١٢] مما يعد عنصراً مهمًا في تلقي الخطاب ؛ كونه يوفر مؤونة البيان على المبدع بما يهيؤه من تلاؤم بين مقاصد المبدع في أثناء رسالته التواصلية والدلالات المركوزة في ذهن المتلقي بفعل الافتراض السابق، إذ إنَّ تشكل القناعة لدى المتلقي بكون الأولوية مقياساً للترجيح يفضي إلى أنَّ وجود تلك الأولوية في القيم الرفيعة مدعاة إلى أفضلية المتسمين بها وهم أهل البيت عليهم السلام في هذا المقام.

–الشعور الوجداني.

وفي سياق حجاجي آخر ترد الدلالة التداولية في الخطاب الحديثي محوريةً لبنائه وإقامة تماسكه النصي بما تنطوي عليه بنيتها من عناصر إحالية داخل النص وخارجه تراعى فيها السياقات المحيطة بالنص والمقامات المرتبطة به[١٣]، في إطار الشعور الوجداني وما يرتبط به من حب وبغض ينتمي إلى البعد العقدي لا مجرد الشعور والتوجه العاطفي، من ذلك قول النبي صلى الله عليه وآله للإمام علي عليه السلام: ((من مات يحبك بعد موتك ختم الله له بالأمن والإيمان ما طلعت شمس أو غربت، ومن مات يبغضك مات ميتة جاهلية وحوسب بما عمل في الإسلام))[١٤]، ((من أحبك في حياة مني فقد قضى نحبه، ومن أحبك في حياة منك بعدي ختم الله له بالأمن والإيمان، ومن أحبك بعدي ولم يرك ختم الله له بالأمن والإيمان وآمنه يوم الفزع الأكبر، ومن مات وهو يبغضك يا علي مات ميتة جاهلية يحاسبه الله بما عمل في الإسلام))[١٥]، ((حبيبك حبيبي وحبيبي حبيب الله، وعدوك عدوي وعدوي عدو الله، والويل لمن أبغضك بعدي))[١٦]. وقوله صلى الله عليه وآله أيضاً في الإمام علي عليه السلام وولديه الحسنين عليهما السلام: ((عنوان صحيفة المؤمن حب علي بن أبي طالب))[١٧]، ((حب علي يأكل الذنوب كما تأكل النار الحطب))[١٨]، ((من أحب الحسن والحسين فقد أحبني ومن أبغضهما

فقد أبغضني))[١٩]، ((أحب الله من أحب حسيناً))[٢٠]، وقوله ﷺ في الحسين عليه السلام: ((هذا أحب أهل الأرض إلى أهل السماء))[٢١].

وعند النظر في السياق الثقافي الإسلامي ومقام الكلام تتضح الدلالة التداولية لثنائية (الحب والبغض)، بكونها مفهوماً عقدياً ينحدر من المنظور القرآني بقوله تعالى: ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرَاً إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَ ﴾[٢٢]ونظرية المودة لأهل البيت عليهم السلام في العقيدة الإسلامية[٢٣]، وعلى وفق المنظور التداولي وما يقتضيه مبدأ (الاستلزام الحواري)[٢٤] فإنَّ الحب والبغض يعكس صورة الاعتقاد والإقرار بأحقية أهل البيت عليهم السلام وعدمه، وكل منهما معادل موضوعي لفكرة الاعتقاد الديني، ففي ضوء ما يستلزمه مفهوم المودة أو الحب من ولاء وصحة اعتقاد باستحقاق أهل البيت عليهم السلام وما يقتضيه مفهوم البغض من تنكب للاعتقاد السوي ومجانبة للاعتراف بحقهم يرتكز الخطاب الحديثي في مقامه الحجاجي على هذه الدلالة المتداولة. وقد أفاد اتجاه الخطاب الحديثي من قيمة التداول في الانتقال بذهن المتلقي من دلالة التداول في ثنائية (الحب والبغض) العقدية إلى قيمة دلالية عقدية تثبت فضل أهل البيت عليهم السلام ويبرهن على أفضليتهم في إطار حجاجي وأسلوب قولي[٢٥]، وما يلمح في توظيف (الحب والبغض) في هذا السياق هو محاولة الإفادة مما تتضمنه هذه الثنائية من بعد إضماري للدلالات العاطفية بوصفها (مسلكاً مقامياً)[٢٦]، ليتسنى للخطاب استثمارها حجةً إقناعيةً في السياق المحاجج ؛ كونها تضطلع بأثر فعلي في الحجاج لايختلف كثيراً عن نظيره الذي تنهض به الحجج القائمة على المقدمات، بل يمكن أن تتحول العاطفة من حجة لحمل الآخر على إتيان فعل ما أو الاعتقاد بصحة فكرة معينة إلى نتيجة يحتج المتكلم لها ويضفي المشروعية عليها، وربما تحولت بفعل التداول الحجاجي إلى مبدأ عام مشترك في إطار المواضع والمسلمات [٢٧].

– المعية المرجِّحة.

وفي دلالة تداولية عقدية أخرى يفيد الخطاب الحديثي حجاجياً مما تنطوي عليه حيثيات المعية من ترجيح تداولي في نصوص الحديث الشريف إذ يقول النبي ﷺ: ((علي مع الحق والحق مع علي ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض يوم القيامة))[٢٨]، ((علي مع القرآن والقرآن مع علي لن يفترقا حتى يردا علي الحوض))[٢٩]، ((يا علي من فارقني فقد فارق الله ومن فارقك فقد فارقني))[٣٠].

وواضح أنَّ المعية هنا تداولية يراد بها الاقتران العقدي بين الفرض الشرعي والمكلف المفروض عليه في إطار يتسامى على دلالة المعية المعجمية سواء ذلك بين الإمام والحق أو القرآن أو النبي ﷺ ؛ إذ كل منهم – في هدى هذا الاقتران – يمثل مظهراً من مظاهر الأمر الإلهي وتجلياً من تجليات الإرادة الإلهية، مما يستلزم الأفضلية في ذهن المتلقي عند الاقتران بالحق أو القرآن وعدم مفارقة النبي ﷺ، وهو منطلق دلالي للانتقال بالدلالة التداولية العقدية من مجال التفكير في معناها الأول، أي: انتهاج السبيل القويم بالحق والقرآن والنبوة إلى كونها دليلاً على أفضلية المُلازم وأحقيته على سواه بموجب تلك الرفقة، وما يسعف هذا الاستلزام وجود الافتراض السابق لدى المتلقي بأنَّ الاقتراب من ساحة المسلمات العقدية الموجبة للتقديم بين الفضلاء على سائر الناس من لوازم الأسبقية والأفضلية العقدية[٣١]، ويؤلف (الحوض) بؤرة تداولية حجاجية فاعلة تسلك سلوكاً وظيفياً في التواصل على وفق مفهوم (البؤرة المقابلة) ذات المعطى التداولي بين طرفي الخطاب[٣٢] بوصف الحوض ملمحاً تداولياً مهيمناً في النص ؛ كونه قصبة السبق العقدية في المأثور الإسلامي، إذ الورود على الحوض يعني منتهى الغاية وأمارة الفوز بالرضوان الإلهي المؤسس على الاستقامة في المنظور الديني. ليكون الخبر هو ملازمة أهل البيت عليهم السلام للحق والقرآن والنبوة ومن

ثَمَّ يكون الحكم بأفضليتهم وتقدمهم على سائر الأمة بدليل تلك الملازمة التي تقف عنصراً إقناعياً في ذلك الإطار الحجاجي، ويبدو أنَّ الخطاب الحديثي يبتغي وراء هذه المناورة الدلالية الحجاجية تحقيق مبدأ (التمثُّل الذهني) لدى المخاطب ؛ ليكون معادلاً ذهنياً للموضوعات المراد إثباتها وهو مبدأ تداولي يرتكز على ترتيب الخطاب لنقل المعلومات والقوى الإنجازية لإفعال الكلام، فضلاً عن السياق المحيط بالنص والخطاب والتصورات المستقرة في خلد المتلقي[٣٣].

٤ – المرتبة العقدية.

قد تعتري الدلالة التداولية المرتبة العقدية مما يجد فيها الخطاب الحديثي ضالته في بيان أفضلية أهل البيت عليهم السلام من ذلك قول النبي صلى الله عليه وآله للإمام علي عليه السلام: ((أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنَّه لانبي بعدي))[٣٤]، إذ إنَّ الدلالة العقدية التداولية المطردة في ذهن المتلقي لما تمثله منزلة هارون عليه السلام من موسى عليه السلام في الموروث الديني تشتمل على معاني الأخوة والاستخلاف والإصلاح [٣٥] والمؤازرة و الشراكة [٣٦] والردء والتصديق[٣٧] مما يمثل الخصائص المهمة في دعم وتأييد مكانة أهل البيت عليهم السلام ولاسيما الإمام علي عليه السلام بنقل مفهوم التداول العقدي إزاء هذه المكانة من مجاله الأول بين موسى عليه السلام وهارون عليه السلام إلى مجاله الثاني العقدي بين النبي صلى الله عليه وآله وأخيه الإمام علي عليه السلام. ومثل ذلك في دلالة (الولاية) التداولية التي راعاها الخطاب الحديثي في قول النبي صلى الله عليه وآله: ((من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهمَّ والِ من والاه وعادِ من عاداه))[٣٨]، إذ الدلالة التداولية للمركب (مولاه) المسند إلى النبي صلى الله عليه وآله لايتجاوز معنى السيادة وولاية الأمر والتصرف بالشأن كونه الفاضل الأفضل[٣٩] ؛ إذ لم يكن النبي صلى الله عليه وآله معروفاً بغير هذا المعنى المقصود في هذا السياق والمقام أي: لاينوب عن الفاضل إلا الفاضل مثله. والغاية من هذا الاستعمال في بنية الخطاب الحديثي هو محاولة الارتكاز

الدلالي على المتداول المشهور وتوجيه ذهن المتلقي إلى أبعاده المتحكمة بالدلالة النصية، وما يتركه ذلك من تأثير واضح في الأدوات المعرفية اللازمة لتدبر الخطالب كالمكونات المقالية للخطاب من بنى صوتية وصرفية وتركيبة ومعجمية[٤٠]، ليمكن محاججة الآخر على وفق الانتقال به من مجال الدلالة العقدية الأول (ولاية النبوة) إلى مجالها الثاني (ولاية الإمامة) وإقناعه بأنَّ تقليد الحكم الولائي علياً عليه السلام ينبغي أن يحقق إقناعاً بأفضلية المقلَّد وتقديمه على سواه، وعلى هذا فإنَّ الدلالة التداولية العقدية في (المنزلة والولاية) لايمكن حملها إلا على وفق المنظور التأويلي للملفوظات وفي ضوء مفهوم المشاركة بين طرفي الخطاب لتحديد المعنى المراد[٤١]، إذ إنَّ رصد أهمية الدلالة التداولية في بناء النص – فضلاً عما تنطوي عليه من نوع تداولي ومن ثَمَّ الانتقال بين مجالي كل دلالة تداولية لتحقيق المعنى المراد في الإطار الحجاجي – كان في مقدمة مرامي الخطاب الحديثي ؛ لثقته بما عليه علم المتلقي بالمتداول العقدي مثلما هو معلوم لدى المبدع. والملاحظ في الأمثلة السابقة فضلاً عن هذه الدلالة بل حتى مصاديق الدلالات اللاحقة هو أنَّ الخطاب الديني يستند كثيراً إلى ما يعرف بـ(مبدأ التعاون) الذي يفترض تعاوناً مشتركاً بين المتكلم والمخاطب مبنياً على أسس محددة لديهما ومتفق عليها بينهما[٤٢] وأي خروج للخطاب في ضوء ما يتضمنه التلفظ وما يقتضيه المقام يعد خرقاً لذلك المبدأ وفي هذا الحال يستدعي الأمر إعادة توجيه ذهن المخاطب باتجاه المعنى المقصود بتأويل البنية العميقة للملفوظات، وهو ما توخاه الخطاب الحديثي من الدلالات التداولية في سياقه الحجاجي. وعلى منوال هذه المعرفة المشتركة بدلالة الملفوظ التداولية العقدية توظف بنية الخطاب الحديثي دلالة (السبط) في قول النبي صلى الله عليه وآله: ((حسين مني وأنا منه، هو سبط من الأسباط)[٤٣]، ((كل أمة سبط وسبط هذه الأمة الحسن والحسين))[٤٤]، ((الحسن والحسين سبطان من الأسباط))[٤٥].

إذ المركوز في ذهن المتلقي عن دلالة السبط في المتداول العقدي أنَّ الأسباط هم الذرية الصالحة المشتملة على معاني الاستقامة والصلاح والسير المستقيم في خط التوحيد [٤٦]، ولاريب في أنَّ الخطاب الحديثي إنَّما يتخذ من الدلالة التداولية العقدية بؤرة حجاجية ؛لأنَّها بنية دلالية مكتملة تداولياً ومستقرة في الذهنية الجمعية لمجتمع المخاطبين المقصودين بالسياق الحجاجي، لذا يجدها الخطاب ملمحاً تداولياً فاعلاً في السياق المحاجج بفعل ذلك الاشتمال والاستقرار الدلاليين ومن ثَمَّ وظفها في رصف النص بلحاظ ما يمكن أن تسهم به من خلق ترابط نصي على مستوى الحبك[٤٧] بفضل البعد الإحالي الذي تنطوي عليه قصدية التداول، ليصل هذا الاستثمار التداولي بالنص إلى (المقبولية)[٤٨] بين طرفي الخطاب وتحقيق مستوى عالٍ من (الإعلامية)[٤٩] النصية في ذهن المخاطب، استناداً إلى مقاصد المتكلم ومعرفة المخاطب الدقيقة بتلك المقاصد، لينتقل بالدلالة من بعدها التأريخي العقدي إلى أفق التأثير والحجاج والإقناع بأفضلية المشبه بها.

ثانياً: الدلالة التداولية السيميائية.

يعتري مبدأ الرمزية كل حيثيات الواقع التواصلي انطلاقاً مما ينتجه العقد الاجتماعي من تداول ؛ لذا تُعنى السيمولوجيا بدراسة حياة العلامات في الحياة الاجتماعية [٥٠]، والدلالة التي يراد الوقوف عليها في هذا المقام إنَّما هي متداول عرفي ألفه العرف الإسلامي على وفق ما يتركه الوسط الاجتماعي من آثار سيميائية على الدلالة المتداولة فيه[٥١]وإنَّما اختصت بذلك ؛ لأنَّ الرمز فيها يؤلف عنصراً جوهرياً إلى درجة تمحضها سيميائياً ومن ثَمَّ يهبها صفته وقوة تركيزه، ونظراً إلى ما تحتله السيميائية من مساحة واسعة في الواقع الإدراكي للمقاصد الدلالية فإنَّ محاولة تصنيف علاماتها لايبدو أمراً سهلاً ؛ إذ قد تتعدد العلائم باعتبارات المعنى المختلفة

وظروف إنتاجه، فما يستدعيه المعنى منها في المجال الحسي قد لايكتفي به في مجال آخر[٥٢]، وعلى هذا يمكن تقسيم الأبعاد السيميائية التي اعترت الدلالة التداولية وشغلت مساحة واسعة في بنية الخطاب الحديثي على وفق الآتي:

١ - سيميائية المكان.

يحظى المكان في بنية الخطاب الحديثي بأهمية كبيرة على مستوى التمثيل، بوصفه مرتكزاً تداولياً مؤثراً في السياق الحجاجي المتصدي لإثبات أفضلية أهل البيت عليهم السلام في ذهن الآخر المحاجج، وفي ضوء الأمثلة المختارة لطبيعة المكان يمكن تناول هذه الدلالة في اتجاهين رئيسين:

الأول: المكان الثابت: ويتجلى في تركيز الخطاب عند توظيفه المكان المقصود على إحدى جهاته أو أحد أجزائه بوصفها دالاً تداولياً منطوياً على الرمزية الفاعلة في السياق الحجاجي، مثال ذلك قول النبي صلى الله عليه وآله: ((أسري بي إلى السماء فنظرت إلى ساق العرش الأيمن فرأيت كتاباً فهمته: محمد رسول الله أيدته بعلي ونصرته به))[٥٣]، ((لما عرج بي رأيت على ساق العرش مكتوباً لاإله إلا الله محمد رسول الله أيدته بعلي))[٥٤]، ((أنا وعلي وفاطمة والحسن والحسين يوم القيامة في قبة تحت العرش))[٥٥].

إذ يمثل العرش عنصراً مهيمناً في السياق الحجاجي بوصفه رمزاً عقدياً له من المكانة في المنظور الديني والمنجز الروائي الحديثي ما يجعله بؤرة حجاجية مكثفة يمكنها التأثير الفاعل في عناصر النص، بلحاظ العلاقة الوثقى التي تربط الدلالة التداولية وحيثيات الموقف والمقام والاتصال بالنص، كونها تعنى بالتعالق بين بنية النص وعناصر الموقف التواصلي المرتبطة به بشكل منتظم وهو مايؤلف (سياق النص)[٥٦]؛ لذا حرص الخطاب على انطلاق سيميائية المكان منه على مستوى الجزء كما في (ساق العرش وشنفا العرش)، أو على مستوى الجهة كما في (تحت العرش و

ساق العرش الأيمن)، وواضح أنَّ رمزية الجهة والجزء – ذات الملاك الاجتماعي بفعل التواطؤ- مثلت في دلالتها على القيم الإيجابية أو السلبية أداةً حجاجية ناجعة في بنية الخطاب الحديثي بوصفها مبدأً عاماً متسالماً عليه بين طرفي الخطاب استناداً إلى رصيد المجتمع الثقافي والرمزي [٥٧].

الثاني: المكان المتحول: إذ تظهر في أفق الخطاب الحديثي مجموعة من الدوال المكانية المتحركة من ذلك قول النبي ﷺ: ((أبعث على البراق ويبعث ابناي الحسن والحسين على ناقتين من نوق الجنة))[٥٨]، ((تبعث الأنبياء على الدواب ويحشر صالح على ناقته ويحشر ابنا فاطمة على ناقتي العضباء والقصواء))[٥٩].

فاختيار نياق الجنة أو ناقتي النبي العضباء والقصواء مترتب على ما تكتنزه الدلالة التداولية من بعد سيميائي لحركة المكان وما له من تأثير في السياق الحجاجي ؛ كون اعتلاء هذه الرواحل لايتأتى إلا لمن كانت له الريادة في الفضل والأسبقية في التقدم بحكم ارتباطها بالنبي ﷺ وما يلحقها من شرف ورفعة ومن ثَمَّ فإنَّ معتليها يجلس مجلسه، وعلى هذا فهو حقيق بمنزلة القداسة والوصاية على الرسالة الإلهية، وفي كل ذلك ارتكز السياق الحجاجي على نظائره المقامية والثقافية والاجتماعية انطلاقاً من أنَّ نجاح الخطاب وتحقيق مبتغى الحجاج يستلزم استحضار شروط انتاج الكلام ولاسيما الأبعاد المعرفية والتداولية وسياقاتها المختلفة المؤثرة في ذهن المتلقي[٦٠]، وتشكيل لديه ما يعرف بـ(الكفاية الأدائية الإنجازية) التي تمكِّن المخاطب من إدراك المحتوى غير الحرفي للملفوظ مستعيناً بمبادئ لغوية وسواها إزاء العمليات الاستدلالية الحجاجية بهدف الوصول إلى المعنى الذي يقصده المتكلم[٦١].

٢- سيميائية الإيقونة.

يميل الخطاب الحديثي كثيراً إلى ما يشتمل على الدلالة التي منحها التداول كثافة دلالية وتركيزاً في القصد، مما يمنح السياق الحجاجي برهنة وإقناعا للآخر المحاجج في أحقية أهل البيت عليهم السلام، وفي هذا الصدد يهتم الخطاب بما يلبي حاجته من العلامات والرموز التي ترسخت فيها الإشارة التداولية حتى أصبحت إيقونة سيميائية في المتداول الاجتماعي، انطلاقاً من أنَّ الإيقون هو ذلك الدليل الذي تهيمن فيه الخصائص التصويرية حتى تغدو فيه العلاقة بين الدال والمدلول علاقة تماثل وتشابه ومن ثَمَّ تحيل على مواضيعها مباشرة[٦٢] ومن أمثلة هذه الإيقونات في الخطاب الحديثي قول النبي صلى الله عليه وآله: ((مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق))[٦٣]، ((شارة أتتني من عند ربي أنَّ الله لما أراد أن يزوج علياً من فاطمة أمر ملكاً أن يهز شجرة طوبى فهزها فنثرت رقاقاً وأنشأ الله ملائكة التقطوها فإذا كانت القيامة ثارت الملائكة في الخلق فلا يرون محباً لنا أهل البيت محضاً إلا دفعوا إليه منها كتاباً براءة من النار))[٦٤]، ((من أحب أن يستمسك بالقضيب الأحمر الذي غرسه الله في جنة عدن فليستمسك بحب علي ابن أبي طالب))[٦٥]، ((يا علي أنت صاحب لوائي في الدنيا والآخرة))[٦٦].

(فسفينة نوح وشجرة طوبى والقضيب الأحمر وصاحب اللواء) رموز أكسبها التداول دلالة عقدية مكثفة حتى تمحضت إيقونات تداولية بهدي من طبيعة كل واحد منها، إذ مثلت سفينة نوح - بما تحمله من دلالة قرآنية جمالية – إيقونة النجاة[٦٧]، في حين مثلت شجرة طوبى - بما تحمله من معنى العظمة- إيقونة الجزاء الأوفى[٦٨]، ومثل القضيب الأحمر – بما له من وصف وما عليه من قيمة في الجنة –

إيقونة المستمسك الأخروي[٦٩]، أما صاحب اللواء فقد مثل – بما يحمله من دلالة في الموروث الاجتماعي – إيقونة العماد ومحل الاعتماد والاجتباء[٧٠]، ونظراً إلى أهمية هذا المنحى الإيقوني في التداول العقدي فقد أولاه الخطاب الحديثي عناية فائقة عند بنائه النصي في السياق الحجاجي، إذ هو مركز الانبعاث الدلالي التداولي في السياق المحاجج، وقد تعاطاه بوصفه تقنية خطابية تقع في دائرة اهتمام الحجاج واستثماراته التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض، أو تزيد في درجة ذلك التسليم ؛ كونها تعمل على إعداد المخاطب للقبول بأطروحة أفضلية أهل البيت عليهم السلام[٧١].

– سيميائة العدد.

للعدد حضور فاعل أيضاً في الخطاب الحديثي، يؤثر في سياق الحجاج بدلالته التداولية السيميائية، من ذلك قول النبي صلى الله عليه وآله في الحسين عليه السلام: ((اللهمَّ إني أحبه فأحبه وأحبَّ من يحبه، يقولها ثلاثاً))[٧٢]، ((إنَّ جبريل أخبرني أنَّ الله عزوجل قتل بدم يحيى بن زكريا سبعين ألفاً وهو قاتل بدم الحسين سبعين ألفاً))[٧٣]، وقوله صلى الله عليه وآله في المهدي عليه السلام: ((يجمع الله تعالى له قوماً، قزع كقزع السحاب يؤلف الله بين قلوبهم، لايستوحشون إلى أحد ولايفرحون بأحد، يدخل فيهم على عدة أصحاب بدر، لم يسبقهم الأولون ولايدركهم الآخرون، وعلى عدد أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر))[٧٤].

إذ إنَّ توخي الدلالة التداولية للعدد في سياق الحجاج كان له أثر واضح في دعم الموقف الحجاجي لدى الفاعل المحاجج سواء أكان ذلك على مستوى التكرار كما في تكرار الحديث (ثلاثاً) ؛ نظراً إلى ما لهذا العدد من تأثير دلالي في المتلقي بوصفه علامة في المتصور الذهني بين المتخاطبين يستلزم وجود كيانات كالفكر وقصدية الدلالة، تسمح بعقد روابط بينه وبين الواقع ومن ثَمَّ تصبح وحدة دلالية في النسق

الثقافي المتداول في المجتمع[٧٥]، وبذلك يتميز هذا العدد بدلالة تداولية مهمة تفيد معنى التكرار المقصود والتأكيد والاهتمام. أم كان على مستوى الخبر ورواية العدد كما في تحديد العدد (سبعين) أو ذكر متعلق العدد (أصحاب بدر) و(أصحاب طالوت)، وعلى الرغم من اختلاف السياق في تناول العدد غير أنَّ دلالته التداولية متوافرة على ما يتبعه السياق الحجاجي في إثبات أفضلية أهل البيت عليهم السلام بالانتقال مع دلالة التداول من مقامها الأول إلى مقامها الثاني في إطار تلك الأفضلية، فالعدد (ثلاثة) يعني تداولياً أنَّ متعلقه ذو أهمية يحتاج إلى التكرار والتأكيد، والمتصف عدده بعدد (أصحاب بدر) أو (أصحاب طالوت) يعني إرادة القول بتساوي أهميته وخطره بما عليه البدريون وجنود طالوت من الإيمان والثبات والاستعداد لتحقيق المهمة الرسالية الملقاة عليهم والهدف الإلهي المنوط بهم[٧٦]، ويعوِّل بذلك الخطاب الحديثي في مهمة إدراك المعنى القصدي ضمن سياقه المحاجج على ذهن المخاطب بما يمتلكه من مقومات خطابية تواصلية – إلى جانب الكفاية الأدائية الإنجازية التي سبقت الإشارة إليها – كالكفاية الموسوعية والكفاية التداولية والكفاية التواصلية، فضلاً عما يمكنه من تمثل العالم المرجعي والقدرة على فهم الخطاب وتأويله، ويتجلى البعد الحجاجي لهذه الكفاية على وفق ما تستجمعه من وقائع وحقائق واعتقادات وقيم [٧٧].

٤ – سيميائية اللون.

يأخذ اللون أيضاً بدلالته التداولية حيزاً سيميائياً في بنية الخطاب الحديثي من ذلك قول النبي صلى الله عليه وآله: ((إنَّ أول خلق الله يكسى يوم القيامة أبي إبراهيم فيكسى ثوبين أبيضين ثمَّ يقام عن يمين العرش ثمَّ أُدعى فأُكسى ثوبين أخضرين ثمَّ أُقام عن يسار العرش ثمَّ تُدعى أنت يا علي فتُكسى ثوبين أخضرين ثمَّ تُقام عن يميني، أفما ترضى أن تُدعى إذا دُعيت وتُكسى إذا كُسيت وأن تَشفع إذا شَفعت))[٧٨]، فإذا

كان اللون الأخضر ذا دلالة تداولية في الموروث الاجتماعي العربي للتعبير عن السلام والخير وما يرمز له من اطمئنان وما يورثه من ارتياح نفسي وشعور بالسعادة وحب الحياة [٧٩] فإنَّ اقترانه بإكساء النبي ﷺ يوم القيامة يمنحه انزياحاً تداولياً آخر بوصفه حلة النبوة التي لاريب في أنَّها يمكن أن تضفي عليه من قداستها بما يزيد من إمكانه في دعم الموقف الحجاجي بلحاظ تكرار الإكساء فضلاً عن وحدة اللون بين النبي ﷺ و الإمام علي عليه السلام؛ لذا وجد الخطاب الحديثي في اللون الأخضر دلالة تداولية سيميائية يمكن من خلالها بيان أفضلية الإمام علي عليه السلام في سياقه الحجاجي. وفي ضوء ما مر من أنواع الدلالات التداولية السيميائية من بعد مكاني وإيقوني وعددي ولوني، التي حرص الخطاب الحديثي على توظيفها عند تواصله مع الآخر في السياق الحجاجي، فإنَّ ما يمكن رصده في تعاطيه الدلالة التداولية هو جنوحه إلى إجادة التمثيل والاعتناء بما في ذهن المتلقي من فهم تداولي لحيثيات ذلك التمثيل، للوصول إلى أفضل مستوى من الاتفاق التلفظي بين مقاصد المبدع وكفاية المتلقي في ضوء السياق وآثاره الدلالية المختلفة، وهذا الاستثمار الحجاجي للتداول هو صدى (الملاءمة التداولية). ولعل أهم ما يحدد الهدف المبتغى من الدلالة التداولية في سياقاتها المتعددة وتحقيق غرضها في (مبدأ الملاءمة) هو التخاطب على وفق (الآثار المعرفية contextual effects) في كل تعالق بين معلومتين إحداهما قديمة والأخرى محدثة لينتج ذلك مجموعة من العمليات الذهنية كتعديل أوتحسين أو إثبات أو إقصاء افتراضات توجد في الذاكرة التصورية [٨٠] وبهذا التعاطي أكد الخطاب الحديثي إيجاد فضاءات تلك الآثار المعرفية محاولاً خلقها في ضوء الدلالة التداولية وما يمكن أن تحققه من بعد سيميائي في ذهن المخاطب وما يكتنزه من تصورات سابقة عن تلك الدلالة، معضداً ذلك بأمثلة موضوعية للدلالة التداولية

متناغمة سيميائياً وقدرات المخاطب الكفائية، بقصد محو العوائق التي تعترض طريق الربط المعرفي في ذهن المتلقي بين موضوع الدلالة التداولية الأصيل وما يمكن أن تنتجه في السياق الحجاجي عند تعلقها بموضوع أفضلية أهل البيت عليهم السلام، وهذا ما ينطبق ومفهوم (الجهد المعرفي coynitif cost) في أنَّ كلما كان الجهد المعرفي المبذول في تعاطي الملفوظات ومعالجتها قليلاً تزداد درجة ملاءمة الملفوظ في الخطاب، وكلما اقتضى التعامل والملفوظ جهداً كبيراً كانت ملاءمته ضعيفة[٨١].

إنَّ توخي الخطاب الحديثي مبدأ الملاءمة يعني إيمانه بأنَّ ذلك يجعل من السياق الحجاجي سباقاً إقناعياً منتجاً في ضوء التلاؤم بين مدخلات التداول ومخرجات الحجاج في ذهن المخاطب، ولعل ما مر من دلالات تداولية سيميائية – وحتى في بقية الدلالات التداولية الأخرى – ولاسيما (الإيقونية) منها يخلص إلى أنَّ الخطاب الحديثي يحاول الركون بالمتلقي إلى المسلمات المعرفية أو ما كان ملاكه متسالماً عليه من حيثيات الدلالة التداولية، وهو ما ينسجم وحالة التموضع الحجاجي من اعتماد مبدأ (الموضع)، أي إنَّ تأليف الخطاب محكوم دائماً بمجموعة من المبادئ العامة (المواضع المشتركة) التي تؤدي أثر المسوغ والمعلل لإجراءات الانتقال بالملفوظات من المقدمات إلى النتائج[٨٢]، وعلى هذا فالمواضع هي مصادر ومرجعيات معرفية يصار إليها ويحتكم في تسويغ النتائج لوجود الارتباط الموضوعي بالمقدمات، وكأنَّ هذه المواضع مسلمات معرفية عامة مشتركة بين طرفي الخطاب وهذا ما كان يرمي إليه سياق الحديث الشريف في توظيفه واستثماره للدلالة التداولية في سياقها المحاجج.

ثالثاً: الدلالة التداولية اللغوية.

يراد بهذه الدلالة استجلاء حال الدلالة المتداولة المستعملة في الخطاب الحديثي لأغراض الحجاج والإقناع، تلك التي كانت صبغتها اللغوية معجمية قبل أن ينحلها التداول ثوبه ويمنحها الاطراد المعرفي في تحقق معناها ومن ثَمَّ وسَّد الخطاب الحديثي أمر بيان أفضلية أهل البيت عليهم السلام إلى ما تخلفه الإحالة من نتائج دلالية بين المجال الأول للدلالة وهو المهاد اللغوي والمجال الثاني وهو الميدان التداولي، فحين استوت تلك الدلالات بين يدي الخطاب تداوليةً لَمَّا تزل آثار اللغة عليها واضحة ؛ كونها التأصيل الطبيعي للتداول والمرتقى الأسبق له، وقد حفل الخطاب الحديثي بهذا النوع من الدلالة مثال ذلك قول النبي صلى الله عليه وآله: ((أنا الشجرة وفاطمة فرعها وعلي لقاحها والحسن والحسين ثمرتها وشيعتنا ورقها وأصل الشجرة في جنة عدن وسائر ذلك في سائر الجنة))[٨٣]، ((أنا وعلي حجة الله على عباده))[٨٤]. وقوله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: ((إنَّك عبقريهم))[٨٥]، وقوله صلى الله عليه وآله في الحسن عليه السلام: ((ويحك يا أنس دع ابني وثمرة فؤادي فإنَّ من آذى هذا فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله))[٨٦]، وقوله صلى الله عليه وآله في المهدي عليه السلام: ((يكون في آخر أمتي خليفة يحثو المال حثواً لايعده عداً))[٨٧].

(فالشجرة والحجة والعبقري والأذى والحثو) وحدات دلالية منزاحة من مقامها اللغوي المعجمي إلى نظيره التداولي ؛ إذ لم يرد النبي صلى الله عليه وآله بالشجرة ما قام من النبات على ساق[٨٨] بل قصد دلالته التداولية المتجذرة في السياق المعجمي التي تعني ذلك الأصل الممثل لمقام النبوة والمؤلف لفروعه وهم أهل بيته عليهم السلام كما ذكرهم، فهم الامتداد الطبيعي له والامتداد التشريعي للنبوة. كذلك لم يرد بالحجة دلالتها اللغوية بمعنى البرهان[٨٩] بل أراد دلالتها في سياقها التداولي المتصل بالدلالة اللغوية المعجمية [٩٠] وهو الاصطفاء الإلهي للنبي صلى الله عليه وآله والإمام علي عليه السلام بأن يحملا مهمة رسالية للأمة

تقتضي التبليغ والإرشاد. وأما في قوله (العبقري) فهي في دلالتها المعجمية تعني سيد القوم وكبيرهم وشديدهم ونحو ذلك[٩١] لكنَّ الخطاب الحديثي قصد الدلالة التداولية المؤسسة على نظيرتها اللغوية في سياق اجتماعي ثقافي تنزاح به تلك الدلالة كثيراً، إذا علمنا أنَّ الذين كان علي عبقريهم هم من علية المجتمع والنخبة والصفوة بين الناس، لذا فالدلالة اللغوية المعجمية تعني مطلق التفوق أما في هذا الإطار التداولي فتعني التقدم الرفيع والأسبقية المستحقة، وقد توخى ذلك الخطاب الحديثي لهذا الغرض يعتريه قصد تداولي لتحقيق ذلك المعنى. وكذا الحال مع (الأذى) إذ لم يرد الخطاب بالأذى معنى إلحاق الضرر أو ماشابهه وإن كان أساساً للمعنى التداولي الذي يعني المخالفة والعصيان ونكران حق الإمام الحسن عليه السلام وعدم معاملته على وفق مرتبته المستحقة، وقد اختار الخطاب مفردة (أذى) لما لها من أساس معجمي معبِّر عن رد الفعل إزاء الأفعال السلبية للآخر ليمهد لمعنى تداولي يقضي بالاستياء من ارتكاب تلك المخالفة وعدم الاعتراف بالفضل، ومثل هذا يقال في دلالة(يحثو) المعجمية التي تعطي معنى الكثرة والوفرة[٩٢]، تلك التي استثمرها الخطاب الحديثي في سياقها التداولي الذي منحها معنى الخير الوفير والرخاء الاقتصادي ليعزو ذلك إلى وجود المعصوم المكلف بذلك وهو الإمام المهدي عليه السلام[٩٣]. وتأسيساً على ما مرَّ من استثمار الخطاب الحديثي لنتائج مختبر التداول في السياق الحجاجي يمكن القول إنَّ هذا النوع من التعاطي الموازن بين الدلالة اللغوية ونظيرتها التداولية تقع في إطار (التداولية المدمجة) القائمة على محاولة الجمع وإحكام الصلة بين الدلالة اللغوية وما يمكن أن تنبئ به من معاني الملفوظات[٩٤] في بعدها التداولي والحجاجي[٩٥]، وما يعين على تحقيق هذا الارتباط في النص الحجاجي هو مجموعة المعطيات المصاحبة للدلالة اللغوية المعجمية التي تعرف بـ(الإرشادات التلفظية الحجاجية) وهي مجموعة من

الروابط الحجاجية وبعض الخصائص التركيبية كالاستفهام والاقتضاء والاستلزام ومايصل بذلك مما يسعف المتكلم بتوجيه المخاطب إلى الوجه الذي يتعين عليه أن يؤول به الملفوظ، فعند تلقي المخاطب ذلك الملفوظ يجده موسوماً حجاجياً مساعداً على فهم الخطاب في ضوء تلك الإرشادات وعلى وفق مراد المتكلم[٩٦].

رابعاً: الدلالة التداولية الاجتماعية.

تعد اللغة منجزاً اجتماعياً بما تشتمل عليه من رموز وعلامات للتواصل بين أفراد المجتمع الناطق بتلك اللغة وينتظم تواصلهم اللغوي خطابٌ ملاكه (المُتَّحِد اللساني)[٩٧]، ليؤلف ذلك الخطاب طائفة من الرموز الاجتماعية المتواطأ عليها في التعاقد اللغوي للتعبير والتواصل والتخاطب[٩٨]، وقد وردت في سياق الخطاب الحديثي أمثلة من هذا النوع من الدلالات الاجتماعية المجتلبة من سياقاتها التداولية من ذلك قول النبي ﷺ للإمام علي عليه السلام: ((أنت أخي ووارثي))[٩٩]، ((أنت أخي في الدنيا والآخرة))[١٠٠]، ((أنت أخي وأبو ولدي، تقاتل عن سنتي وتبرئ ذمتي))[١٠١]، ((أنت أخي ووزيري، تقضي ديني وتنجز موعدي وتبرئ ذمتي))[١٠٢]، ((علي مني وأنا من علي، لايؤدي عني إلا أنا أو علي))[١٠٣]،((ياعلي أنت تغسل جثتي وتؤدي ديني وتواريني في حفرتي وتفي بذمتي))[١٠٤].

(فالأخ والوارث وأبو الأولاد والوزير ومبرئ الذمة وقاضي الدين ومنجز الموعد والمؤدي والمغسل والموري والموفي) كلها في الأصل وحدات لغوية ذات دلالات ناتجة من الاجتماع، وقد ساقها الخطاب الحديثي منتزعة من أفقها التداولي لتوظيفها في السياق الحجاجي، بوصفها ملمحاً تداولياً اجتماعياً يدعم الموقف الحجاجي في بيان أفضلية أهل البيت عليهم السلام وإثباتها، فـ(الخبر) الحجاجي يتجه بالمتلقي إلى المعطى الاجتماعي المؤسس على الدلالات التداولية الاجتماعية، وهو أنَّ علياً عليه السلام أقرب

الناس إلى رسول الله ﷺ والمهيأ للقيام بما يتفق وتلك القربى، في حين كان (الحكم) مترتباً على ما تؤول إليه تلك الدلالات من بعد عقدي مؤيد لمقام القربى، بالنظر إلى ما تنبئ به الملفوظات من دلالات عميقة تفيد من الناحية التداولية أنَّ المراد بتلك الرموز الاجتماعية هو أنَّ علياً عليه السلام أولى الناس بالنبي ﷺ بحكم تلك الصلة من جهة أنَّها ذات بعد اجتماعي، ومن جهة ثانية أنَّ ارتباطها بالنبي يكسبها تركيزاً وانزياحاً دلالياً عقدياً ينتجه ذلك الارتباط، ومن الناحية الحجاجية جاء الإقناع بمقتضى معطيات الملفوظات وإرشاداتها بما تنطوي عليه من دلالات سياقية ومقامية تستلزم القول بأولوية الإمام التشريعية وأفضليته المطلقة، فهو بدلالة الأولوية يجب تقديمه في قيادة الأمة وتدبير شؤونها بعد النبي ﷺ ما دام هو الأولى به أصلاً. ويبدو أنَّ أثر التموضع الحجاجي واضح في بنية الخطاب الحديثي عند النظر إلى الأساليب القولية والدلالية التي ركن إليها في موقفه الحجاجي، تلك التي تصدر من ثوابت معرفية يقع (الموضع) مرجعاً معرفياً لها في جل المفاهيم الواردة في الدلالات التداولية الاجتماعية آنفة الذكر، فالأخوة والميراث وقضاء الدين وغيرها مدارك اجتماعية لها جذور معرفية قارة في العقل الجمعي المؤسس للعقد الاجتماعي الذي تحياه تلك الرموز والدلالات، إذا علمنا أنَّ المقومات الرمزية في الثقافة البشرية قد تتحول في استعمالها إلى مواضع (lieux) أو ما يشبهها، ومن ثَمَّ يتقيد بها المتكلم كونها معاني مسكوكة مجازياً لتؤلف قضايا عامة تحوز الإجماع وتنبثق منها المقدمات الجدلية والخطبية ويؤدي استعمالها إلى اقتناع المخاطبين بما يعرض عليهم في ضوئها بوصفها مخازن للحجج[١٠٥]، ولعل من الواضح ظاهرة تتابع الأدلة الحجاجية في بنية الخطاب الحديثي لهذه الأمثلة وهو ما لاتخلو منه سائر نصوص الخطاب الأخرى ولاسيما العقدية منها، ويبدو أن المراد من ذلك ترصين السياق المحاجج

وتقوية الموقف الحجاجي بزيادة الحجج المعتمدة ومحاولة تضافرها لتؤلف (سُلَّماً حجاجياً)[١٠٦] في تأييد الخبر وإثبات الأطروحة بغية إقناع المخاطب بذلك.

خامساً: الدلالة التداولية النفسية.

ما يرام بهذه الدلالة الآثار النفسية التي تخلفها الدلالة اللغوية في المتلقي ومن ثَمَّ تتجمع هذه الدلالات وتنصهر في بوتقة التداول، انطلاقاً من أنَّ النفس الإنسانية ذات طبيعة مشتركة في معظم حالاتها ولاسيما فيما تحب وتكره، فالمعنى النفسي فردي ذاتي في أصله لايتميز بالعمومية أو التداول فهو انعكاس واضح للمعاني الذاتية النفسية إزاء الوحدات الدلالية المختلفة[١٠٧]، لذا فالدلالة النفسية دلالة هامشية تقع – فيما يبدو – جزءاً من المعنى الإيحائي التنبئي المكتسب من كثرة التجارب مع الألفاظ[١٠٨]، اعتماداً على أنَّ هناك تناسباً طردياً بين علم المتلقي بظروف المنجز اللغوي وإحاطته بسياقاته المتعددة وبين فهمه وتوقعه للمعنى المنتج من ذلك المنجز[١٠٩]، وولوج هذه الدلالة فضاء التداول يأتي من تكرار الحدث اللساني ذي الدلالة النفسية ليبلغ مرحلة الاطراد في المتداول اللغوي محملاً بآثار السياق النفسي، تاركاً عليه صفاته وانعكاساته المنولوجية إذا علمنا أنَّ السياق السيكولوجي مجموعة متكررة الحدوث لأحداث ذهنية مترابطة بنحو مميز ليتكرر حدوثها عند إرادة تمييز الأشياء والاستدلال عليها[١١٠].

ومن أمثلة هذه الدلالة في الخطاب الحديثي قول النبي (ص): ((إنَّ الحسن والحسين هما ريحانتاي))[١١١]، ((المهدي طاووس أهل الجنة))[١١٢]، ((فخرت الجنة على النار فقالت: أنا خير منك فقالت النار: بل أنا خير منك، فقالت لها الجنة: وممَ؟ قالت: لأنَّ فيَّ الجبابرة ونمرود وفرعون، فأُسكتت فأوحى الله إليها لاتخضعين، لأُزيننَّ ركنيك بالحسن والحسين، فماست كما تميس العروس في خدرها))[١١٣].

فلم يرد الخطاب بـ(الريحانة) دلالتها على الولد[١١٤]، إذ بإمكانه أن يتناول استعمالاً لفظياً آخر للتعبير عن ذلك، بل أراد بالدلالة الأصيلة لهذه اللفظة قبل انتقال دلالتها إلى التعبير عن الولد، تلك التي تعني الريحانة بوصفها نباتاً ذا رائحة طيبة تبعث على الارتياح والانشراح[١١٥]، مثلما لم يرد بـ(الطاووس) سوى دلالته التداولية النفسية التي تنعكس آثارها في النفس بما تبعثه من تصور جمالي كما الريحانة في نفس المتلقي، وفي هذا السياق الحجاجي يوظف الخطاب الحديثي الدلالة التداولية بمقامها النفسي والانتقال بالمخاطب من مجالها الجمالي إلى أفقها الحجاجي العقدي المنتج بأسلوب دلالي جمالي، يتخذ من الجمال مجالاً تقويمياً منبثقاً من القيم والمواضعات الاجتماعية[١١٦]، في حين سلك أسلوباً حجاجياً مقالياً لإحداث تأثير إقناعي لدى المخاطب على وفق انتظام الخطاب بنحو قصصي[١١٧]، مثلما حدث في النص الأخير ليؤلف القول: (لأزينَّ، ماست) بؤرة حجاجية ؛ كونها تحمل في بنيتها التلفظية دلالة تداولية نفسية لحسن الشيء وجماله حتى تتوق إليه النفس[١١٨] يمكن استثمارها حجاجياً لدعم الأطروحة العقدية في أفضلية أهل البيت عليهم السلام. وسواء أكان الأسلوب الحجاجي دلالياً أم مقالياً فإنَّ المرتكز الدلالي في السياق المحاجج كان التداول النفسي لدلالة الملفوظات، على وفق ما تنطوي عليه التداوليات من أعمال لاقولية متضمنة في اللغة[١١٩]، فضلًا عن أنَّ من المكونات المهمة ذات المرجعية النفسية للخطاب هي بنيته السيكولوجية بوصفه إعادة إنتاج المعارف في إطارها النفسي[١٢٠]. وتأسيساً على ما تتضمنه من (اقتضاء) يظهر في الملفوظ نفسه و(إضمار) يرصد بتأويل التلفظ على وفق القواعد المحادثية وهو ما تتوخاه الاستراتيجيات الحجاجية في الإقناع[١٢١]، وانطواء بنية الخطاب على الملفوظات المتضمنة يعني تسليط قوة خطابية حجاجية توحي- بفضل الاقتضاء والإضمار - للمخاطب

أنَّ حيثيات الدلالة الموظفة في سياق الإقناع ترقى إلى المسلمات المعرفية، بلحاظ أنَّ الترابط الخطابي بين ملفوظ (الحجة) وملفوظ (النتيجة) غالباً ما يتحقق في ظل المسلمات والمبادئ العامة والمواضع[١٢٢]، وهذا ما تورثه الإحالة في البنية التلفظية من دلالات تداولية وتثيره من حوار نفسي في خلد المخاطب، ونظراً إلى أنَّ اللسانيات النفسية هي موضوع التداوليات بوصفها الاستعمال الفعلي للسان والناظر في قيمة القول وبعده العملي خارج العالم اللساني[١٢٣]، فإنهَّا تولي أهمية كبيرة بما تثيره كلمة ما من إمكانات للوقوف على التداعيات الانفعالية التي تخلفها تلك الكلمة بالنظر إلى أنَّ المخاطب يستجيب إلى المثيرات الانفعالية التي تحيل عليها الكلمات في ضوء ما تتضمنه القواعد اللسانية من تعبير عرفي يتأثر بالمدلولات المرتبطة به[١٢٤].

خاتمة ونتائج.

في ختام هذا التتبع لطائفة من الدلالات التداولية المستثمرة في السياق الحجاجي للخطاب الحديثي وبنيته القائمة على توظيف تلك الدلالات حجاجياً يمكن إجمال ما يلحظ من نتائج على وفق الآتي:

١ –اعتمد الخطاب الحديثي في محاولة إثبات الأطروحة وتسويغ الخبر استراتيجية إقناعية قائمة على استثمار الدلالة التداولية في مقاماتها المختلفة وتوظيفها في السياق الحجاجي، إلى جانب اعتماده استراتيجيات أخرى أفاد منها في تحقيق غرضه، كالاستراتيجية التصريحية القائمة على التوجيه بالأمر والنهي والتحذير والإغراء وما إلى ذلك، والاستراتيجية التضمنية القائمة على البعد التأويلي وسبر غور البنى العميقة للملفوظات.

٢ – تعددت الدلالات التداولية المستثمَرة والموظفة في الخطاب المحاجج تبعاً لمنابتها الثقافية والمعرفية من جهة، ومراعاةً لتعدد الطيف الاجتماعي الذي ينتمي إليه المخاطب المستهدف بالإقناع من جهة أخرى.

٣ – ينطوي السياق الحجاجي المعتمد على حجاج مقامي يفترض وجود المخاطب المجرد من الزمان والمكان، انطلاقاً من شمولية النظرية الإسلامية المخاطبة للجمهور المركب المتنوع، على وفق آلية عابرة للظرفية مستجمعة لمقومات خطاب (المتلقي الكوني)، وعلى هذا كان فاعل الحجاج وما يرتبط به من مستلزمات حوارية مما يفترضه المقام ويتقمص موقفه الحجاجي إزاء الخبر وباثه ومن ثَمَّ يدور الحجاج على وفق مفترضات الحوار بين المتكلم وموقف المخاطب المفترض.

٤ – اهتم الخطاب الحديثي كثيراً بإقناع المخاطب بجدوى الأطروحة المعتمدة، مما حداه على توخي الأساليب الحجاجية المتعددة كالأساليب الدلالية والمقالية فضلاً عن تعدد الدلالة التداولية المستدعية لتنوع الحجاج.

٥ – تبوأت الدلالة التداولية مكانة محورية في النص مثلما ألفت بؤرة حجاجية في بنائه وغدت عنصراً مهيمناً متحكماً بتوجيه الخطاب وإدارة حيثياته الإضمارية والاقتضائية.

٦ – أولى الخطاب الحديثي عناية فائقة بالمخاطب يتضح أثر ذلك فيما توخاه من دلالات تداولية متعددة متعلقة ببنى تلفظية عميقة مستندة إلى بعد تأويلي تضمني يتفق والكفاية التداولية لدى المخاطب، وساق في سبيل إقناعه حججاً مختلفة مثلت المبادئ العامة المشتركة المنطلقة من أفق (المواضع الحجاجية) و(المسلمات المعرفية) القدر الأكبر فيها.

٧ – حاول الخطاب الحديثي جاهداً في ظل كل ما اعتمده وتوخاه من تداول وحجاج الانتقال بذهن المخاطب ومخيلته من مقام الدلالة التداولية الأول المعهود لدى المخاطب إلى مقامها الثاني الذي حرص الخطاب على توظيفه حجةً عقديةً في السياق المحاجج.

٨ – لقيت الدلالة التداولية حضوراً بارزاً في الخطاب الحديثي، واتخذت في سبيل الحجاج أفقاً واسعاً يشتمل على مفاهيم التداول الفاعلة كالافتراض السابق والاستلزام الحواري والملاءمة والتداولية المدمجة، إلى جانب ما يستدعيه القصد ويثيره التلفظ كالتأويل والتضمن والإضمار والاقتضاء والإحالة. والحمد لله أولاً وآخراً.

هوامش البحث:

١) ينظر: الحجاج بين النظرية والأسلوب، باتريك شارودو / ٥٥-٦٢.

٢) ينظر: الحجاج مفهومه ومجالاته، د. حافظ اسماعيلي / ٥٣٨.

٣) ينظر: م. ن ١/ ٥٣٧.

٤) ينظر: الأسس الإبستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه، د. إدريس مقبول/ ٢٦٣، الحجاج مفهومه ومجالاته ١/ ٦٢٧.

٥) ينظر: الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل، د. علي الشبعان / ٤٦٨.

٦) ينظر: الحجاج في البلاغة المعاصرة، د. محمد سالم الطلبة / ١٧٥، الاستدلال الحجاجي وآليات اشتغاله، د. الحسين بنو هاشم / ٨٦ (بحث).

٧) فضائل الخمسة من الصحاح الستة، السيد مرتضى الحسيني الفيروزآبادي ١/ ١٨٩.

٨) م. ن ١/ ٣١٢.

٩) م. ن ٢/ ١٠٠.

١٠) م. ن٣/ ١٦٧.

١١) م. ن٣/ ٢١٧.

١٢) ينظر: التداولية، جورج يول / ٥١ -٥٨.

١٣) ينظر: السبك في العربية المعاصرة، د. محمد سالم أبو عفرة / ٣١.

١٤) فضائل الخمسة من الصحاح الستة ١/ ٣٣٢.

١٥) م. ن١/ ٣٣٥.

١٦)م. ن٢/ ١٠٦.

١٧) م. ن٢/ ٢١٨.

١٨) م. ن ٢/ ٢١٩.

١٩) م. ن ٣/ ٢٠٣.

٢٠) م. ن ٣/ ٢١٦.

٢١) م. ن٣/ ٢٦٦.

٢٢) الشورى / ٢٣.

٢٣) ينظر: مجمع البيان، الطبرسي ٩/ ٤٨، تفسير البيضاوي ٢/ ٩٤٨.

٢٤) وهو المعنى الذي ينتجه الكلام في ضوء ما تقتضيه بنية الجمل، ينظر: التداولية، جورج يول / ٥١.

٢٥) وهو الأسلوب الحجاجي المتمثل باستعمال المقولات اللغوية أو أساليب أخرى من أشكال انتظام الخطاب بهدف التأثير والإقناع، كالمفهوم والمقارنة والوصف القصصي والاستشهاد وما على ذلك ن ينظر: الحجاج بين النظرية والأسلوب / ٨٦.

٢٦) وهو الكلام على وفق مقتضى الحال ؛ كون المتكلم مطالباً بمعرفة كافية بالمسلك المناسب لحال المخاطب، ينظر: تحليل الخطاب وتجاوز المعنى، د. محمد يونس / ١٠٤.

٢٧) ينظر: منزلة العواطف في نظريات الحجاج، د. حاتم عبيد / ٢٦١، ٢٦٣ (بحث)، الحجاج مفهومه ومجالاته ١/ ٥٥٧، ٢/ ٧٧.

٢٨) فضائل الخمسة من الصحاح الستة ٢/ ١٠٩.

٢٩) م. ن ٢/ ١١٢.

٣٠) م. ن ٢/ ٢٢٨.

٣١) ينظر: المغني، القاضي عبد الجبار ٢٠ / ق١ ١٢٢- ١٣٣.

٣٢) البؤرة التداولية لدى الوظيفيين بؤرتان: الأولى بؤرة المقابلة: وهي التي يشترك في معرفتها المتكلم والمخاطب. والثانية بؤرة الجديد: وهي التي يجهلها المخاطب ويريد المتكلم إخباره بها. ينظر: اللسانيات الوظيفية، د. أحمد المتوكل / ٣٣، ٢٢٥.

٣٣) ينظر: النص والسياق، فان دايك / ٢٩٧-٢٩٩.

٣٤) فضائل الخمسة من الصحاح الستة ١/ ٣٠٠.

٣٥) لقوله تعالى: ((وقال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي وأصلح ولاتتبع سبيل المفسدين)) الأعراف/ ١٤٢، ينظر: تنوير المقباس في تفسير ابن عباس، الفيروزآبادي / ١٦٧.

٣٦) لقوله تعالى: ((واجعل لي وزيراً من أهلي، هارون أخي، اشدد به أزري، وأشركه في أمري)) طه/ ٢٩ – ٣٢، ينظر: مجاز القرآن، أبو عبيدة ٢/ ١٨، تنوير المقباس / ٣١٣.

٣٧) لقوله تعالى: ((وأخي هارونُ هو أفصح مني لساناً فأرسله معي ردءاً يصدقني إنِّي أخاف أن يكذبون)) القصص/ ٣٤، ينظر: مجاز القرآن ٢/ ١٠٤.

٣٨) فضائل الخمسة من الصحاح الستة ١/ ٣٥٠.

٣٩) ينظر: المغني ٢٠/ ق٢، ١٢٥.

٤٠) ينظر: القرائن والنص، أيمن صالح / ٢١٣ وما بعدها.

٤١) ينظر: التداوليات، د. حافظ اسماعيلي / ١٣٣.

٤٢) يقوم التعاون على الآتي: ١- مبدأ الكم: وهو أن لاتقول إلا ما تحتاجه من الكلام ٢- مبدأ الكيف: وهو أن لاتقول ما ليس لديك دليل عليه ٣- مبدأ المناسبة: وهو أن يكون كلامك ملائماً

للموضوع ٤- مبدأ الطريقة: وهو أن يكون كلامك واضحاً محدداً موجزاً، ينظر: الاتجاه التداولي الوسيط، د. نادية رمضان / ٨١، مبادئ التداولية، جيوفري ليتش / ١٠٧-١١٤، الحجاج مفهومه ومجالاته ١/ ٥٢٩.

٤٣) فضائل الخمسة من الصحاح الستة ٣/ ٢١٦.

٤٤) م. ن٣/ ٢٢٠.

٤٥) م. ن٣/ ٢٢٠.

٤٦) ينظر: تفسير البرغاني ١/ ٣٥٢.

٤٧) وهو ما تسمح به العلاقات الدلالية التحتية للنص بأن يفهم ويستخدم بوصفها بنية عميقة لأدوات الربط الظاهرة فيه، ينظر: نظرية علم النص، د. حسام أحمد فرج/ ١٢٧.

٤٨) وهي ما ينتجه قصد المبدع ورغبة المتلقي من توجه نشط للمشاركة في الخطاب وصياغة مفاهيم مشتركة، ينظر: م. ن/ ٥٢.

٤٩) وهي ما تحققه عناصر النص من معنى على وفق أسلوب التعبير عنها وطريقة عرضها، فإن كان معتاداً كانت الكفاءة الإعلامية منخفضة وإن كان غير معتاد كانت الكفاءة الإعلامية مرتفعة، ينظر: م. ن/ ٦٦.

٥٠) ينظر: علم اللغة العام، دي سوسير / ٣٤.

٥١) ينظر: أنظمة العلامات، سيزا قاسم و نصر حامد أبو زيد / ١٤١.

٥٢) ينظر: سيميائية اللغة، جوزف كورتيس / ٢٦.

٥٣) فضائل الخمسة من الصحاح الستة ١/ ١٧٥.

٥٤) م. ن١/ ١٧٥.

٥٥) م. ن ٣/ ١١٣.

٥٦) ينظر: علم لغة النص، د. سعيد بحيري / ١٤٦.

٥٧) ينظر: الحجاج في القرآن، عبد الله صولة / ٥٣١ – ٥٣٢.

٥٨) فضائل الخمسة من الصحاح الستة ٣/ ٢٢٨.

٥٩) م. ن٣/ ٢٢٨.

٦٠) ينظر: الأسس الإبستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه / ٣٣٠.

٦١) ينظر: الحجاج مفهومه ومجالاته ١/ ٨٨٥-٨٨٦.

٦٢) ينظر: المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، د. نعمان بو قرة / ٩٣.

٦٣) فضائل الخمسة من الصحاح الستة ٢/ ٥٦.

٦٤) م. ن٢/ ١٤٧.
٦٥) م. ن٢/ ٢١٥.
٦٦) م. ن٣/ ٩٤.
٦٧) ينظر: قصص القرآن الكريم، د. محمود البستاني ١/ ٢٣٦.
٦٨) ينظر: مجمع البيان ٦/ ٣٧.
٦٩): ينظر: مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، سبط بن الجوزي ٦/ ٤٤٣.
٧٠) ينظر: لسان العرب، ابن منظور ١٢/ ٣٧٠ (لوي).
٧١) ينظر: الحجاج في البلاغة المعاصرة/ ١٠٥.
٧٢) فضائل الخمسة من الصحاح الستة ٣/ ٢٣٦.
٧٣) م. ن٣/ ٢٨٤.
٧٤) م. ن٣/ ٣٣٤.
٧٥) ينظر: الدلالات المفتوحة، أحمد يوسف/ ٨٣، السيميائيات العامة، عبد القادر شيباني/ ٢١.
٧٦) ينظر: الكشاف، الزمخشري ١/ ٣٢٢، ٤٢٩.
٧٧) ينظر: الحجاج مفهومه ومجالاته ١/ ٨٩١-٨٩٢، كليات المعرفة اللغوية، د. كريم عبيد علوي/ ٢٩٥، استراتيجيات الخطاب، عبد الهادي الشهري/ ٥٧.
٧٨) فضائل الحمسة من الصحاح الستة ٣/ ٨٩.
٧٩) ينظر: جمالية التشكيل اللوني في القرآن الكريم، د. ابتسام مرهون الصفار/ ٣٠٨- ٣١٠.
٨٠) ينظر: التداولية عند علماء العرب، د. مسعود صحراوي/ ٤٠.
٨١) ينظر: م. ن/ ٤٠.
٨٢) ينظر: المظاهر اللغوية للحجاج، رشيد الراضي/ ١٩٠.
٨٣) فضائل الخمسة من الصحاح الستة ١/ ١٧٢.
٨٤) م. ن٢/ ٩٦.
٨٥) م. ن٢/ ٩٧.
٨٦) م. ن٣/ ٢٤٩.
٨٧) م. ن٣/ ٣٣٩.
٨٨) ينظر: لسان العرب ٧/ ٣٣ (شجر).
٨٩) ينظر: م. ن٣/ ٥٣ (حجج).
٩٠) إذ من دلالاتها أنها الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة، ينظر: م. ن٣/ ٥٣.

٩١) ينظر: م. ن٩/ ٤٢ (عبقر).
٩٢) ينظر: م. ن٣/ ٥٠ (حثا).
٩٣) ينظر: الصواعق المحرقة، ابن حجر / ١٩٤.
٩٤) تفيد نظرية التلفظ الحجاجية أنَّ دلالة الملفوظ محكومة بما تدل عليه بنيته العميقة من معنى قصدي على وفق ما يتضمنه من إضمار واقتضاء وبعد إحالي وما تستدعيه من تأويل للوقوف على المراد، ينظر: الحجاج مفهومه ومجالاته ٢/ ٢٤٣ – ٢٤٦.
٩٥) ينظر: المظاهر اللغوية للحجاج / ٦١، الحجاج مفهومه ومجالاته ٢/ ٢٤٦.
٩٦) ينظر: المظاهر اللغوية للحجاج / ٦٧.
٩٧) ينظر: اللسانة الاجتماعية، جولييت غارمادي / ٤٨.
٩٨) ينظر: اللغة في المجتمع، م. م. لويس / ١١٧.
٩٩) فضائل الخمسة من الصحاح الستة ١/ ٣١١.
١٠٠) م. ن١/ ٣١٨.
١٠١) م. ن١/ ٣٣٢.
١٠٢) م. ن١/ ٣٣٥.
١٠٣) م. ن١/ ٣٣٩.
١٠٤)م. ن٣/ ٩٤.
١٠٥) ينظر: الحجاج في القرآن / ٥٢٨، مفهوم الموضع، رشيد الراضي / ٢٠٢ -٢٠٤ (بحث).
١٠٦) يقصد بالسلم الحجاجي العلاقة الترتيبية للحجج على وفق وجهتها وقوتها الحجاجية، ينظر: الحجاج مفهومه ومجالاته ١/ ٨٦٥.
١٠٧) ينظر: علم الدلالة، د. أحمد مختارعمر/ ٣٩، الدلالة السياقية عند اللغويين، د. عواطف كنوش / ٥١.
١٠٨) ينظر: دلالة الألفاظ، د. إبراهيم أنيس / ٩٢.
١٠٩) ينظر: المنظومة الكلامية، د. بيتر ب. دنيس ود. إليوت بنشن / ١٨٣.
١١٠) ينظر: معنى المعنى، أوغدن و ريتشاردز / ١٣٩.
١١١) فضائل الخمسة من الصحاح الستة ٣/ ١٨٣.
١١٢) م. ن ٣/ ٣٤٣.
١١٣) م. ن ٣ / ٢١٨.
١١٤) ينظر: لسان العرب ٥/ ٣٥٨ (روح).

١١٥) ينظر م. ن ٥/ ٣٥٨ (روح).
١١٦) ينظر: الحجاج بين النظرية والأسلوب / ٧٥ – ٧٦.
١١٧) ينظر: م. ن/ ٨٦.
١١٨) ينظر: جمالية التشكيل اللوني / ٩٠ ومابعدها.
١١٩) ينظر: أنساق اللغة والخطاب، صابر الحباشة / ٣٠.
١٢٠) ينظر: تحليل الخطاب وتجاوز المعنى / ٥١.
١٢١) ينظر: التداولية من أوستن إلى غوفمان، فيليب بلانشيه / ١٦٤.
١٢٢) ينظر: مفهوم الموضع / ١٩٩.
١٢٣) ينظر: أنساق اللغة والخطاب / ٣٣.
١٢٤) ينظر: العلامة، أمبرتو إيكو / ١٤٠.

المصادر والمرجع:

القرآن الكريم.
*الاتجاه التداولي الوسيط في الدرس اللغوي، د. نادية رمضان النجار، ط١، مؤسسة حورس – الاسكندرية، ٢٠١٣ م.
*الاستدلال الحجاجي التداولي وآليات اشتغاله، د. رضوان الرقبي، عالم الفكر، م٤٠–ع٢، ٢٠١١م.
*استراتيجيات الخطاب، عبد الهادي بن ظافر الشهري، ط١، دار الكتاب الجديد – بيروت، ٢٠٠٤ م.
*الأسس الإبستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه، د. إدريس مقبول، ط١، عالم الكتب الحديث – إربد، ٢٠٠٦ م.
*أنساق اللغة والخطاب محاولات في النحو والتداولية، صابر الحباشة، ط١، فراديس للنشر والتوزيع – مملكة البحرين، ٢٠٠٧ م.
*أنظمة العلامات في اللغة والأدب والثقافة، إشراف: سيزا قاسم ونصر حامد أبو زيد، دار إلياس العصرية– القاهرة، د. ت.
*تحليل الخطاب وتجاوز المعنى، د. محمد محمد يونس علي، ط١، دار كنوز المعرفة – عمّان، ٢٠١٦ م.
*التداوليات علم استعمال اللغة، د. حافظ اسماعيلي علوي، ط١، عالم الكتب الحديث –عمان، ٢٠١١م.
*التداولية، جورج يول، ترجمة: د. قصي العتابي، ط١، الدار العربية للعلوم ناشرون– بيروت، ٢٠١٠م.
*التداولية عند علماء العرب، د. مسعود صحراوي، ط١، دار الطليعة – بيروت، ٢٠٠٥م.
*التداولية من أوستن إلى غوفمان، فيليب بلانشيه، ترجمة: صابر الحباشة، ط١، دار الحوار – اللاذقية، ٢٠٠٧ م.
*تفسير البرغاني وهومفتاح الجنان في حل رموز القرآن، محمد صالح البرغاني، انتشارات جهان– طهران، ١٣٤٣هـ.
*تفسير البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين البيضاوي، ط١، دار صادر– بيروت، ٢٠٠١م.
*تنوير المقباس في تفسير ابن عباس، مجد الدين الفيروزآبادي، ط١، دار إحياء التراث العربي– بيروت، ٢٠٠٢م.
*جمالية التشكيل اللوني في القرآن الكريم د. ابتسام مرهون الصفار، ط١، عالم الكتب الحديث – إربد، ٢٠١٠م.
*الحجاج بين النظرية والأسلوب، باتريك شارودو، ترجمة: أحمد الودرني، ط١، دار الكتاب الجديد– بيروت، ٢٠٠٩م.
*الحجاج في البلاغة المعاصرة، د. محمد سالم الطلبة، ط١، دار الكتاب الجديد –بيروت، ٢٠٠٨م.
*الحجاج في القرآن، عبدالله صولة، ط٢، دار الفارابي– تونس، ٢٠٠٧م.
*الحجاج مفهومه ومجالاته، إشراف: د. حافظ اسماعيلي، ط١، عالم الكتب الحديث، ٢٠١٠م.

*الحجاج والحقيقة وآفاق التأويل، د. علي الشبعان، ط١، دار الكتاب الجديد –بيروت، ٢٠١٠م.
*الدلالات المفتوحة، أحمد يوسف، ط١، الدارالعربية للعلوم- بيروت، ٢٠٠٥م.
*دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية- القاهرة، ٢٠٠٤م.
*الدلالة السياقية عند اللغويين د. عواطف كنوش المصطفى، ط١، دار السياب-لندن، ٢٠٠٧م.
*السبك في العربية بين المنطوق والمكتوب، د. محمد سالم أبوعفرة، ط١، مكتبة الآداب- القاهرة، ٢٠١٠م.
*السيميائيات العامة أسسها ومفاهيمها، عبد القادر فهيم شيباني، ط١، الدار العربية للعلوم – بيروت، ٢٠١٠م.
*سيميائية اللغة، جوزف كورتس، ترجمة: د. جمال حضري، ط١، بيروت، ٢٠١٠م.
*الصواعق المحرقة، أحمد بن حجر الهيتمي، خرج أحاديثه وعلق حواشيه وقدم له: عبد الوهاب عبد اللطيف، د. ط، د. ت.
*العلامة تحليل المفهوم وتأريخه، أمبرتوإيكو، ترجمة: سعيد بنكراد، ط٢، المركز الثقافي العربي- الدار البيضاء، ٢٠١٠م.
*علم الدلالة، د. أحمد مختار عمر، ط٦، عالم الكتب – القاهرة، ٢٠٠٦م.
*علم اللغة العام، فردينان دي سوسور، ترجمة: د. يوئيل يوسف عزيز، دار آفاق عربي- بغداد، ١٩٨٥م.
*علم لغة النص، د. سعيد حسن بحيري، ط٢، مؤسسة المختار- القاهرة، ٢٠١٠م.
*فضائل الخمسة من الصحاح الستة، مرتضى الفيروزآبادي، دار الكتب الإسلامية – النجف الأشرف، ١٣٨٣هـ.
*القرائن والنص، أيمن صالح، ط١، المعهد العالمي للفكر الإسلامي- فرجينيا، ٢٠١٠م.
*قصص القرآن الكريم دلالياً وجمالياً، د. محمود البستاني، ط٢، مؤسسة السبطين العالمية-قم، ١٤٣٢هـ.
*الكشاف، أبو القاسم محمود الزمخشري، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط٢، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ٢٠٠١م.
*كليات المعرفة اللغوية، د. كريم عبيد علوي، ط١، منشورات الاختلاف –الجزائر، ٢٠١٣م.
*اللسانة الاجتماعية، جولييت غارمادي، تعريب: د. خليل أحمد خليل، ط١، دار الطليعة – بيروت، ١٩٩٠م.
*لسان العرب، ابن منظور، تصحيح: أمين محمد عبد الوهاب ومحمد صادق العبيدي، ط٣، دار إحياء التراث العربي- بيروت، د. ت.
*اللسانيات الوظيفية، د. أحمد المتوكل، ط٢، دار الكتاب الجديد- بيروت، ٢٠١٠م.
*اللغة في المجتمع، م. م. لويس، ترجمة: د. تمام حسان، عالم الكتب- القاهرة، ٢٠٠٣م.
*مبادئ التداولية، جيوفري ليتش، ترجمة: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق – المغرب، ٢٠١٣م.
*مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى،

عارضه بأصوله وعلق عليه: د. محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي- القاهرة، د. ت.
*مجمع البيان في تفسير القرآن، أبو علي الطبرسي، تحقيق: لجنة من العلماء، ط٢، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات- بيروت، ٢٠٠٥م.
*مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، سبط بن الجوزي، تحقيق: عمار ريحاوي، دار الرسالة العالمية – دمشق، ط١، ٢٠١٣ م.
*المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، د. نعمان بوقرة، ط١، عالم الكتب الحديث – عمّان، ٢٠٠٩م.
*المظاهر اللغوية للحجاج، رشيد الراضي، ط١، المركز الثقافي العربي – الدار البيضاء، ٢٠١٤ م.
*معنى المعنى، أوغدن وريتشاردز، ترجمة: د. كيان أحمد، ط١، دار الكتاب الجديد – بيروت، ٢٠١٥م.
*المغني في أبواب العدل والتوحيد، القاضي عبد الجبار، تحقيق: د. عبد الحليم محمود ود. سليمان دنيا، ج٢٠، ق١، الدار المصرية للتأليف والترجمة، د. ت.
*مفهوم الموضع وتطبيقاته في الحجاجيات اللسانية لأنسكومبر وديكرو، رشيد الراضي، عالم الفكر، م٤٠، ع٢، ٢٠١١ م.
*منزلة العواطف في نظريات الحجاج، د. حاتم عبيد، عالم الفكر، م٤٠، ع٢، ٢٠١١ م.
*المنظومة الكلامية، د. بيتر ب. دينس، د. إليوت بنشن، ترجمة: محيي الدين حميدي، بيروت، ١٩٩١م.
*النص والسياق، فان دايك، ترجمة: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق –المغرب، ٢٠٠٠م.
*نظرية علم النص، د. حسام أحمد فرج، ط١، مكتبة الآداب – القاهرة، ٢٠٠٧م.

مقاربة تحليليّة تداولية للخطبة الحربية
وقعة صفين مثالاً

Pragmanalytic Approach to the Military Sermon
(Suffin Battle as a Nonpareil)

م. د. أحمد حسين حيال

Lectur. Dr. Ahamed Hussein Heial

مقاربة تحليليّة تداولية للخطبة الحربية وقعة صفين مثالاً

Pragmanalytic Approach to the Military Sermon (Suffin Battle as a Nonpareil)

م. د. أحمد حسين حيال
وزارة التربية/ مديرية تربية بغداد الرصافة / ٣

Lectur. Dr. Ahamed Hussein Heial
Education Directorate of Baghdad / Rasafa 3

almdrs74@gmail. com

تاريخ الاستلام: ٢٣/ ١/ ٢٠١٩
تاريخ القبول: ٩/ ٦/ ٢٠١٩

خضع البحث لبرنامج الاستلال العلمي
Turnitin - passed research

ملخص البحث:

تتجاوز الخطبة الحربيّة ملامح الخطبة العربيّة الاعتيادية؛ لخصوصية الحدث؛ فحالة الخطيب في ظروف الحرب ليست هي نفسها في السِّلم، لذا تمثلت مقاصد خاصّة بهذه الظروف وغايات أرادها الخطيب للحصول على المكسب الحربيّ، وفتحت هذه المساقات مجالاً تداوليّا للبحث، تكشّفت به مقاصد الخطيب، وغاياته التأثيريّة، وأثر حضور المتخاطبين في بنية الخطبة، والاستلزام الحواريّ. وكان التحليل التداوليّ لمفاصل الخطبة الحربيّة آلية تحليلية كاشفة لقيم تداوليّة كثيرة قارّة في هذه الخطب.

الكلمات المفتاحية: تحليليّة، الخطبة الحربية، صفين، الخطبة العربيّة الاعتيادية.

Abstract

The sermon goes beyond the features of the usual Arabic sermon; the specificity of the event; the situation of the orator , circumstances of war are not the same in peace، Therefore، the objectives were specific to these circumstances and goals the orator wants to gain military interest. Such issues open a field of pragmatic research studies which expose the intentions of the orator، and its purposes of influence. The impact of these factors could be noted on the structure of the sermon and the invocation of dialogue. The pragmatic analysis of the war sermon was an analytical mechanism revealing many pragmatic values in these speeches.

Key words: Analytic, military sermon, Suffin, normal Arabic sermon

١ - الصور الكلاميّة في الحرب:

اتضحت في هذا المُسجَّل (شعراً ونثراً)، قيماً تخاطبيّة عاليّة نتيجة لما تحتويه من أثر لسياقات التلفظ وأحوال المتخاطبين في صياغة هذه الأقوال، وحوت مفاهيم حجاجيّة لما تضمنته من محاولات اقناع من الطرفين وابداء البراهين والحجج لتأييد الآراء التي يؤمن بها الطرفان، من كل هذا تولّد لدينا مشهد تلفظي نستطيع وسمه بالآتي:

١.تقسّم الكلمات المنقولة في مدونة المنقريّ على قسمين، الأول: الكلمات التي قيلت قبل الوصول إلى أرض المعركة ونستطيع أن نوسمها بأنها كلمات تمهيدية للمعركة، مثل الرسائل والخطب، والقسم الآخر: الكلمات التي قيلت في أرض المعركة تحت السيوف والرماح وبين ذرات الغبار والرمال، وغالباً ما تكون مناظرات، وأحياناً تكون خطباً.

٢.تضمّنت المدونة أجناساً كلامية متعددة، شعراً ونثراً (رسائل، وخطب، ومناظرات)، غلب على هذه الأشكال التوجيه، والتأثير في الآخر، وقد تأسس الخطاب بحضور طرفين، متكلّم ومخاطب، يتبادلان الأدوار بحسب منطلقات الحوار القائم بينهما.

٣.الصراع اللفظيّ الدائر بين الطرفين هو نتيجة لصراع سياسيّ واقعيّ سببه الرغبة في بسط سلطة الدين وولاية الأمر التي يتصف بها الطرف الأول (أمير المؤمنين)، ورغبة جامحة من الطرف الثاني في تقويض سلطة الطرف الأول وتبديلها بسلطة الطرف الثاني بغض النظر عن أسس اختيار الخليفة في العرف الإسلاميّ[1].

ولا يمكن اطلاق وصف واحد على بنية الحدث الكلاميّ الدائر في ساحة المعركة أو تلك البيئة المرتبطة بها؛ والسبب في هذا هو التغيّر المستمر لأحوال الحرب، فسياقاتها تتبدل من رسائل متبادلة بين القادة إلى خطب موجّهة للجنود إلى مناظرة حربيّة قائمة بين قائدين يُظهران قوتهما وسيطرتهما على الموقف الحربيّ القائم، وبناء

على هذه القراءة للحدث الكلاميّ رأينا أنه يتشكل الخطاب الحربيّ من ثلاث صور تترتب بحسب الصدور:

١-الخطبة بتعدد أغراضها ومقاصدها، وجهة صدورها.

٢-الرسائل بين الفريقين المتحاربين، قبل الحرب وبعدها.

٣-المناظرة الحربية التي أنجزت في أثناء الحرب وجرائها.

ولم يكن البحث في هذه الصور الثلاث بالأمر المتيسر في هذه الورقة البحثية؛ لذا اتجه البحث في هذه الورقة إلى اختيار الخطب الحربية، وترحيل دراسة الرسائل والمناظرات إلى أوراق بحثية أخرى.

٢- البنية المعجميّة للخطبة:

إنّ مطالعة لفظة (خطبة) في المعجمات العربيّة يضع أمامنا معاني متعددة تتمحور كلها حول مفهوم مركزي أساسي هو الأمر الخطر والحدث المهم، وسمته الغالبة هو اجتماع جمهور من الناس في أثناء الخطبة في معانيها المختلفة[٢].

وإذا ما ركزنا على المعنى المراد هنا وهو الخطبة بمعنى الكلام المنطوق؛ فنجد أن المعنى المركزي، هو المؤسس لهذا المعنى؛ فقد ورد في المصباح المنير للفيومي (ت٧٧٠هـ): ((خَاطَبَهُ مُخَاطَبَةً وخِطَابًا وهو الكلامُ بين متكلِّمٍ وسامعٍ ومنه اشتقاقُ (الخُطْبَةِ) بضمِ الخاءِ وكسرِها باختلافِ معنيينِ فيقالُ في الموعظةِ (خَطَبَ) القومَ وعليهم من بابِ قَتَلَ (خُطْبَةً) بالضمِ وهي فُعْلَة بمعنى مفعولةٍ نحو (نُسْخَةٍ) بمعنى منسوخةٍ وغرفةٍ من ماءٍ بمعنى مغروفةٍ وجمعها(خُطَبٌ) مثل غُرفَة وغُرَف فهو (خَطِيبٌ) والجمعُ (الخُطَبَاءُ) وهو (خَطِيبُ) القومِ إذا كانَ هو المتكلمُ عنهم.))[٣].

ويتضح من نصِّ الفيومي تركيزه على جانب المشافهة الحاصل بحضور المتكلم والمخاطب في أثناء الكلام، وهذا الحضور هو المؤسس للخطبة بأنواعها المختلفة (سياسية، ودينية، وحربية، وغيرها)، فما لم تكن مواجهة بين المتكلّم والمخاطب فلا يمكن أن تتجسَّد الخطبة؛ سواء أكانت هذه المواجهة حقيقيّة أم افتراضيّة.

ولم يغب مشهد الحضور في نصِّ الزبيدي في تاج العروس، إذ قال: ((والخِطَابُ والمُخَاطَبَةُ: مُرَاجَعَةُ الكَلاَمِ وقَدْ خَاطَبَهُ بالكَلاَم مُخَاطَبَةً وخِطَابًا وهُمَا يَتَخَاطَبَانِ قال تعالى: ﴿وَلا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾[٤]))[٥]. وأشار الزبيديّ إلى علاقة البنية الصرفيّة في الاستعمال التخاطبيّ، وكيف ينتقل المعنى من الدلالة على الذات إلى الدلالة على الحدث، وأن هذا الانتقال أسهم في خلق جملة من الألفاظ ترتبط بالمعنى المحوريّ الأساسيّ، نحو (خطاب، خطيب، مخاطب) وكل هذا الانتقال والتولّد إنما يكون بفعل الجو التخاطبيّ الذي يتكون نتيجة مشهد الحضور القائم بين المشاركين في الخطاب. فقال: ((الخُطْبَةُ: مَصْدَرُ الخَطِيبِ (خَطَبَ الخَاطِبُ عَلَى المِنْبَرِ) يَخْطُبُ (خَطَابَةً بالفَتْحِ، وخُطْبَة، بالضَّمِّ)، قاله الليث، ونقله عنه أَبو منصور، قال: ولا يَجُوزُ إِلا علَى وَجْهٍ واحدٍ، وهو أَنَّ اسمَ (ذلكَ الكَلاَم) الذي يَتَكَلَّمُ به الخَطِيبُ (خُطْبَةٌ أَيضاً) فيُوضعُ مَوضعَ المَصْدَرِ، قال الجوهريّ: خَطَبْتُ علَى المِنْبَرِ خُطْبَةً، بالضَّمِّ، وخَطَبْتُ المَرْأَةَ خِطْبَةً، بالكَسْرِ، واخْتَطَبَ فيهما، وقال ثعلب: خَطَبَ عَلَى القَوْم خُطْبَةً، فجَعَلَهَا مَصْدَراً، قال ابن سِيده: وَلاَ أَدْرِي كَيْفَ ذلكَ إِلاَّ أَنْ يَكُونَ الاسمُ وُضِعَ مَوْضعَ المَصْدَرِ، (أَوْ هِيَ) أَيِ الخُطْبَةُ عِنْدَ العَرَبِ (الكَلاَمُ المَنْثُورُ المُسَجَّعُ ونَحْوُهُ)، وإِليه ذَهَبَ أَبو إِسحاقَ، وفي (التهذيب): الخُطْبَةُ: مِثْلُ الرِّسَالَةِ التي لها أَوَّلٌ وآخرٌ))[٦].

وقد أشار (المعجم الوسيط) إلى ما أشارت إليه المعجمات السابقة، فضلًا على اشتماله على بعض الإشارات الأخرى، فورد في هذا المعجم: ((الخطاب الكلام،

والرسالة. . . والخطاب المفتوح خطاب يوجّه إلى أُولي الأمر علانية. . . والخُطبة الكلام المنثور يخاطِب به متكلّم فصيح جمعاً من الناس لإقناعهم. . . والخطيب الحسنُ الخُطبة، ومن يقوم بالخطابة في المسجد وغيره المتحدّث عن القوم))[٧]، ونلحظ حضور مصطلح (المتكلّم الفصيح)، وهو مصطلح غاب عن المعجمات القديمة، والظاهر أن حضوره بسبب التباين في المستوى اللغويّ بين القديم والحديث، فلما لم يكن ثمة فرق بين الخطيب المرتقي المنبر في العصر الإسلاميّ، أو الأمويّ والعباسيّ، لم يفكر أو لم يخطر في بال المعجميّ تقسيم الخطيب الى فصيح وغير فصيح؛ ولكن لمّا صار المنبر يُرتقى من متكلمين تتباين درجات فصاحتهم؛ بل إن العي أحياناً يكون خطيباً، صار من الضرورة بمكان على المعجميّ الحديث أن يجد ما يميز الخطبة من الكلام الاعتيادي، فعمد إلى معيار الفصاحة معيارًا مميزًا.

٣- قيمة الاستهلال الاقناعية:

تكتسب افتتاحيّة الخطبة أهميتها التداوليّة من جهة أنها جاذبة لانتباه السامع؛ فهي غالباً ما تكون جملة بعد البسملة والحمد اللذين صارا بصمة الخطبة العربيّة الإسلاميّة، ولا يمكن أن يوصف الكلام بأنه خطبة من دونهما، ويحاول فيها المتكلّم لفت انتباه المخاطب وعدم تشتيت ذهنه، لغايات تداوليّة أخرى تتضح من خلال النظر في كلمات الخطبة ومقاصدها الكامنة.

ومن الواضح لنا في النظر في مقدمات الخطبة الحربيّة أن بداية الخطبة ذات قيمة تداوليّة اقناعية للمخاطب، فيعمد المتكلّم الى التركيز على القضايا ذات العناية المشتركة بينه وبين المتلقي، فتكون محل جذب المتلقي وتركيزه، من هذا ما قاله عبد الله بن بديل في خطبته في أصحابه بعد أن حمد الله تعالى، فقال: ((إنّ معاوية ادَّعى ما

ليس له، ونازع الأمر أهله ومن ليس مثله، وجادل بالباطل ليُدحِضَ به الحقّ، وصال عليكم بالأعراب والأحزاب، وزيّن لهم الضلالة))[٨]، نلحظ أن المتكلّم في خطابه هنا قد جاء بأبرز قضية عند أصحاب الإمام علي، وهي: أن معاوية ليس بصاحب الأمر الشرعيّ بل هو مدعٍ ما ليس له، وقد اتفق المتكلم والمخاطب على صواب هذه القضيّة وآمنوا بها، ويعدّ ذكرها في هذا المحل نقطة جذب لانتباه المخاطب، ويمكن للمتكلم بعد هذا الجذب أن يقول كلَّ ما يريد أو يوجه مخاطبه الجهة التي يرغب فيها، وقد وجدنا أن بؤرة الكلام في خطبته هي قوله بعد الاستهلال (قاتلوا الطغام الجفاة ولا تخشوهم)، فهذه الجملة هي المحور الأساس الذي يدور عليه كلام الخطيب، وهي الغاية من إنشاء كلامه، وقد استعملها أساساً لخلق حالة من التركيز الذهنيّ للكلام الذي سيقال في ما بعد. وقد نجح في خلق تجاوب واضح من المخاطب، وهو ما أضفى قيمة تأثيريّة للاستهلال.

وقد تنعكس الحالة الشعورية للخطيب على كلامه وتظهر فيه حقيقة مشاعره ومعتقداته، ويعمد في كلامه لتغيير الحالة السلوكيّة للمخاطب أو تثبيتها، من هذا قول مالك الأشتر بعد البسملة والحمد لله والثناء عليه: ((فنحن بحمد الله ونعمته ومنه وفضله قريرة أعيننا، طيبة أنفسنا، ونرجو في قتالهم حسن الثواب، والأمن من العقاب، معنا ابن عم نبينا، وسيف من سيوف الله، علي بن أبي طالب))[٩]، فاستفتح خطبته بجمل تعمل عملاً تأثيرياً في المخاطب؛ إذ إنّه ركّز على المنحى العقائدي في خطبته، فأشار الى حسن الخاتمة وأنهم سيؤمنون من العقاب في الآخرة، كلُّ هذا لأنَّهم في جيش علي بن أبي طالب، وهو جيش الحق، وهذا التركيز على المنحى العقائديّ يتجاوز قضايا الانتصار والهزيمة، فالوقوف مع الحق هو الغاية الأساسيّة التي يهدف لها المسلم المؤمن بالقيّم الدينيّة الحقّة. وقد ظلّت افتتاحيات

الخطب في معظمها ذات قيمة تأثيريّة من حيث الغايات والمقاصد؛ لأنّ ((الغاية من الافتتاح هي كسب المخاطب لمصلحة الأطروحة التي دافع عنها. . . للافتتاح على وجه العموم وظائف ثلاثة هي:

١-إثارة انتباه المتلقي أو القاضي.

٢-تهيئته من أجل الاستفادة.

٣-استمالته، وأهمية هذه العناصر تختلف باختلاف أجناس الخطابة))[١٠].

ونجد أن هذه الغايات اصطبغت بصبغة التأويل التداوليّ الذي يعمد فيه الخطيب إلى استمالة المتلقي وتوجيهه الجهة التي يقصدها، من هذا ما قاله ذو الكلاع في استهلال خطبته ((ثم كان ممّا قضى الله أن ضم بيننا وبين أهل ديننا بصفين، وإنّا لنعلم أن فيهم قوماً كانت لهم مع رسول الله صلى الله عليه سابقة ذات شأن وخطر، ولكني ضربت الأمر ظهراً وبطناً فلم أرَ يسعني أن يُهدرَ دم عثمان صهر رسول الله ﷺ نبينا، الذى جهّز جيش العُسرة، وألحق في مسجد رسول الله بيتاً وبنى سقايةً))[١١].

اعتمد ذو الكلاع التأويل عاملاً مؤثراً في توجيه انتباه المخاطب، معتمداً على السلطة التي يمتلكها بوصفه قائداً من قادة جيش الشام، فعمد إلى صرف انتباههم عن الثوابت الإسلاميّة القارّة في الذهن الجمعيّ للمسلمين كافة، فهذه الثوابت لا تعضد قضيته بقدر ما تضعف حجته فعمد إلى تأويل الوقائع والحقائق للانتفاع منها، وكانت القضيّة الأساسيّة لديه هي مقتل عثمان بن عفان؛ فصارت القضيّة التي تجمعهم وتحركهم في معركتهم؛ لأنّ من له سلطان ((لا يستتبع غيره بلغة الأمر والطاعة، المبنيّة على الحق والواجب، بل بلغة الأمر المبنيّة على التأثير الفعلي الذي يصادف أن يمارسه فيه. وعمق التأثير هذا يأتي من عظمة الشخصيّة، أو من حدّة الذكاء، أو من روعة الرؤية، أو من اتساع الخبرة، أو من وفرة المال، أو من علّة

الجاه، أو من بهاء الفضيلة، أو من غير ذلك ممّا يتمتع به أفراد البشر من صفات ماديّة وروحيّة))[١٢]، فالسّلطة التي يمتلكها ذو الكلاع جعلته يعتني بالقضيّة الأساسيّة عنده (مقتل عثمان)، ويجعلها أساس استهلال كلامه؛ لينقل بهذا صورة للمخاطب بضرورة الثبات على هذه القضية وجعلها قضية محورية في الحرب وخارجها.

إنّ قيمة الاستهلال في الخطبة لا تقف عند جلب انتباه المخاطب أو محاولة تغيير سلوكه، بل تتعدى إلى تثبيت القضايا العقائدية التي تنفع في رفع الحالة المعنوية للمقاتلين في الحرب، من هذا ما نجده في خطبة معاوية حينما قال ((ثم كان فيما قضى الله أن ساقتنا المقادير إلى هذه البقعة من الأرض، ولف بيننا وبين أهل العراق، فنحن من الله بمنظر. وقد قال سبحانه: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [١٣]))[١٤]، إن إحالة نتائج الأمور على الأقدار هو إشارة من الخطيب الى المخاطبين بأن يرضوا لكلّ ما يحصل وأن يقفوا معه بكلّ موقف دون اعتراض أو امتناع، فهو إنّما يسير ويعمل تحت أمر الله وأنه لا يخطو خطوة إلا ولله فيها رضًا وقبول.

وإيكال مآلات الأمور إلى القوى الغيبية يخلق جيشاً مطيعاً لأمر قائده ولا يحاول أن يسأل أو يستفسر عن تصرفات القائد وأفعاله، ولاسيما ان كان هذا الجيش لا يمتلك رؤية حقيقيّة للوقائع، ويخضع للسلطة السياسيّة والدينية من دون وعي وإدراك.

٤- مقاصد التأثير في الخطبة الحربية:

لا نجانب الصواب إن قلنا إنَّ قصد التأثير في المخاطب هو الأساس في تكوين الخطبة الحربيّة سواء أكان هذا المخاطب ايجابياً؛ أي: من جبهة الخطيب نفسها، أم كان سلبياً؛ أي من جبهة العدو، فالتأثير ((هدف مركزي، وسمة رئيسة، وغاية ينشدها كل طرف من أطراف هذه الأعمال الحجاجية لدى العرب))[١٥]، بل إن (بنفينيست)،

جعل التأثير عاملاً أساسياً في تكوين الخطاب، فقال في تعريف الخطاب إنه ((كلّ منطوق أو فعل كلامي يفترض وجود راوٍ ومستمع، وفي نية الراوي التأثير على المستمع بطريقة ما))[١٦]. وإنَّ مفهوم الإقناع أو التأثير في الدراسات اللسانيّة مفهوم لا يغيب عن الخطاب الحربيّ، وإن اتسم هذا الخطاب بالعنف والقسوة، ففي كثير من المواقف نجد الخطيب يبحث عن استمالة الآخر نحوه، وكسبه إلى جانبه، سواء أكان هذا الكسب للعواطف والأفكار، أم للسلوك والأفعال، وهو غاية أساسيّة عمل على تحقيقها معظم قادة الجيش في الفرقتين.

وقد اتضحت محاولة التأثير شاخصة في خطبة أمير المؤمنين لأصحابه قاصداً رصّ صفوفهم وحثّهم على قتال عدوهم، مذكراً إياهم بخصائصه قائداً لهم وبخصائص خصمه عدوهم، فقال: ((وقد عهد إليَّ رسول الله ﷺ عهداً فلست أحيد عنه، وقد حضرتم عدوَّكم وقد علمتم من رئيسهم، منافق ابن منافق يدعوهم إلى النار، وابن عمِّ نبيّكم معكم بين أظهركم يدعوكم إلى الجنة وإلى طاعة ربكم، ويعمل بسنَّة نبيكم ﷺ. فلا سواء من صلّى قبل كل ذكر. لم يسبقني بصلاتي مع رسول الله ﷺ أحدٌ، وأنا من أهل بدر، ومعاوية طليق ابن طليق. والله إنّكم لعلى حقٍّ وإنّهم لعلى باطلٍ، فلا يكونَنَّ القوم على باطلهم اجتمعوا عليه وتفرَّقون عن حقكم حتى يغلب باطلهم حقّكم. ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾[١٧]. فإن لم تفعلوا يعذِّبهم بأيدي غيركم))[١٨].

لقد أسس أمير المؤمنين خطابه هذا على افتراضات سابقة، قارّة في الذهن الجمعيّ للمخاطبين، فعمد إلى تحريك هذه الافتراضات وحضورها حضوراً شاخصاً أمام أنظار المستمعين، كيما يصير الخطاب ناجعاً ذا قيمة تخاطبيّة اقناعيّة، لأنّ الخطاب -أياً كانت أسباب انتاجه- يتأثر بالحالة النفسيّة للمتكلّم، وبأحوال المخاطب، وهذا ما أسماه (ميشال لونات) بـ(مرحلة التوعيّة) في عمليّة الإقناع والتأثير، وتتضمن

التوعيّة آليات الإقناع اللسانيّ والتوضيح والتفهيم، وتعزيز كلِّ ذلك بالأدلة والبراهين المقنعة التي تنساب إلى عقول المستقبلين، على أن يتوفر في الأفكار المراد إيصالها البساطة والوضوح، حتى لا يتعب المتلقي في فك رموزها أو ما غمض منها، ومن ثم يسهل عليه فهمها وهضمها، فتنال بذلك الرسالة الإقناعية المصداقية، وممّا يساعد كذلك على فهم هذه الرسالة، وضوح الغرض المقصود[١٩]، فمسار التوعيّة سار في خطين متوازيين، الأوّل: إنّ أمير المؤمنين هو ابن عم رسول الله وصاحب عهده، وهو يدعوهم إلى الجنة، والآخر: إن معاوية طليق وهو عدوهم، وهو يدعو إلى الباطل. هذان الخطان ينتهيان عند نقطة واحدة هي بيت القصيد بالنسبة لهذه الخطبة وهي قوله تعالى: ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾، فقتال جيش معاوية هو القصد الأساسي من انشاء هذه الخطبة، وظل هذا القصد حاضراً إلى نهاية المعركة.

وقد ارتكز المتكلّم على الصفات الشخصيّة العظيمة له، والتي ذكرها في كلامه، وهو محاولة منه التأثير في المخاطب من طريق الملاءمة بين الوضع الحربيّ الذي يعيشه المشتركون في الخطاب، وبين أحواله وصفاته ملاءمة تجعله قادراً على التأثير في المخاطب وتغيير سلوكه وقناعاته، ونلحظ أن اتجاه خطاب المتكلّم كان نحو جمهور ايجابيّ؛ أي: إن المتلقي ساهم مساهمة فاعلة في تكوين بنية الخطاب هذه فثبّت الموقف العقائديّ وقوّاه.

وقد نجد مخاطباً من نوعٍ آخر قد أسهم مساهمة فاعلة في تكوين البنية القوليّة للخطاب، كما نجد هذا في خطبة خفاف بن عبد الله، أمام جماعة من أهل الشام بعد أن بعثه أمير المؤمنين في قصد خاص جداً وهو ((أن يلقى معاوية لعلّه أن يكسره ويكسر أهل الشام))[٢٠]، وقصد التأثير هذا حمله خفاف معه في خطبته الطويلة التي شرح فيها أحوال مقتل عثمان بن عفان منتهياً إلى قوله: ((وتجرَّد في أمره ثلاثة نفر: عدّي بن حاتم، والأشتر النخعي، وعمرو بن الحمق، وجدَّ في أمره رجلان؛ طلحة

والزبير، وأبرأ الناس منه عليٌّ. قال: ثم مه ؟ قال: ثم تهافت الناس على عليٍّ بالبيعة تهافت الفراش، حتَّى ضلت النّعل وسقط الرّداء، ووطئ الشيخ، ولم يَذكر عثمان ولم يُذكر له))[٢١]، إن ما يُلحظ على هذا القصد الواضح (كسر أهل الشام)؛ أي: التأثير فيهم وتغيير أفعالهم، أنه لم يعتنِ بالاقتناع الفكريّ والعقديّ للمخاطب أو تأثره تأثيراً معنوياً، بقدر عنايته بتغيّر سلوك المخاطب، فلا دخل للمتكلّم بقناعات المخاطب، وعليه فهذه العمليّة لا تقف عند حدود إيصال الأفكار والعقائد والقيم، بل تركز على تفاعل المخاطب مع المتكلّم تفاعلاً دائماً مستمراً، والمراد من التفاعل هنا إبقاء انتباه المخاطب وتركيزه منصباً نحو المتكلّم، يفسّر ما يقول ويحاول أن يستوضح ما لم يفهم من كلامه، وقد حصل بعض التأثر في المخاطب من هذا القول ((فذعر معاوية من قوله، وقال حابس: أيّها الأمير لقد أسمعني شعراً غيَّر به حالي في عثمان، وعظم به علياً عندي))[٢٢]، وهذا التغيير الحاصل في حال حابس هو قصد أساسي للخطيب، وقد نجح في تحقيقه لأن الاقناع هو ((قصد المتحدث إلى إحداث تغيير في الموقف الفكريّ أو العاطفيّ عند المتلقين))[٢٣].

ولكنّ عمليّة التأثير قد يشوبها الفشل تبعاً لأحوال المخاطب، فيرفض المخاطب دعوة المتكلّم ويعدها تجاوزاً على حقه أو أمراً مفروضاً عليه فرضاً قسرياً، نجد هذا في قول أمير المؤمنين في خطبة له: ((سيروا إلى أعداء الله. سيروا إلى أعداء السنن والقرآن، سيروا إلى بقية الأحزاب، قتلة المهاجرين والأنصار «. فقام رجل من بنى فزارة يقال له أربد فقال: أتريد أن تسيرنا إلى إخواننا من أهل الشام فنقتلهم لك، كما سرت بنا إلى إخواننا من أهل البصرة فقتلناهم. كلا، ها الله إذا لا نفعل ذلك))[٢٤].

فغياب التأثير في المخاطب وعدم اقتناعه بكلام أمير المؤمنين عائد إلى مرتكزات عقائديّة قارّة في ذهن المتلقي، فالمخاطب ردّ الكلام عاداً إياه دعوة للاقتتال بين

الإخوة، كما تقاتلوا في البصرة- إشارة إلى حرب الجمل- وهذا الاقتتال لا طائل منه ويجب رفضه ووقفه مع عدم الالتفات إلى الداعي له سواء أكان علي بن أبي طالب أم معاوية بن أبي سفيان، ولم يكن هذا الرفض سمة شخصيّة؛ بل تشكلّت فئة رافضة رادّة لأقوال أمير المؤمنين لا تنصاع له بعد أن كانوا من جنده، نتيجة خلافات عقائديّة، نتج عنها جماعة الخوارج التي رفضت الحرب، ورفضت الانصياع لكلا الفريقين.

فغياب التأثير في المتلقي لا ترجع أسبابه إلى عوامل لفظيّة فحسب؛ بل إنه خاضع إلى ما بعد اللغة؛ أي: الظروف المصاحبة لإنتاج الخطاب، وأحوال المخاطبين وأحوال المتكلم؛ فالنظر في هذه السياقات يستدعي منّا النظر في أحوال المتلقي (اربد، الذي وصف أنه من فزارة)، فالبادي عليه أنه رجل لا يخضع لعلي بن أبي طالب خضوعاً تامّا؛ بل إنه لا يجد فرقاً بين جيش علي بن أبي طالب، وجيش طلحة والزبير في البصرة، وجيش معاوية في الشام، والخلط بين هذه الجيوش لا ينتج إلا من ضعف في الرؤية السياسيّة والعقائديّة، فبساطة التفكير هي التي جعلت أربد يحتار في تحديد جهة الحق، فيظلّ حائراً لا يقرُّ له قرار.

وفشل التأثير في المتلقي لا يمنع الخطيب من تكرار الفعل مرة بعد أخرى مادام يؤمن بأحقية غايته وهدفه لأن ((الأصل في عملية الإقناع أن تقوم على قوة الحجة ووضوح الدليل، فالحق فيها ما وافق الدليل من غير التفات إلى كثرة المتقبلين او قلّتهم، أو هو كما قال الجويني في خامسة قواعد الجدل، الحق لا يعرف بالرجال، أعرف الحق تعرف رجاله. فقد يخطئ العاقل ويصيب الجاهل. وعلى هذا الأساس لا يصح القول أو يفسد بكثرة المقبلين عليه أو النافرين منه))[٢٥].

وما يميّز هذه الخطب أنها خطب توجيهيّة صادرة في الغالب من قادة الجيش، تهدف إلى حثّ المقاتلين على القتال والصمود أمام العدو، وعدم الانهزام، ويركز الخطيب فيها على المكاسب الدينيّة نتيجة هذا الصمود، والتي سيجنيها المقاتل في حال الانتصار أو في حال الشهادة، فيذكرهم بالجهاد في سبيل الله، وحسن العاقبة في الحياة الأخرى. وهذه الأغراض والغايات حضرت في كلمات الفريقين، ولكن اختلفت علّة الحضور، ففي الوقت الذي ظلّ معسكر أهل العراق مؤمناً بالقيم الإسلاميّة، ومقدماً لها على المكاسب الدنيويّة، وهو في هذا يطابق ما يؤمن به مع ما يقوله؛ كان أهل الشام يرفعون الشعارات الإيمانيّة ويريدون منها الكسب الدنيويّ، غير أبهين لمصداقية هذه الأقوال والشعارات.

٥- دلالات الحضور التخاطبيّ:

لا يمكن النظر للخطاب؛ أي خطاب كان، نظرة مقطوعة عن سياقات انتاجه، فهو لا يمكن أن يتكوّن إلا بفعل عوامل التكوين التي تحيزه وتكوّنه، وتعدّ ظروف الانتاج العامل الأساسيّ في تمحور بنيّة القول وصيرورتها؛ فهو الذي يجمع المخاطب مع المتكلّم؛ ليقفا وجهاً لوجه، متخاطبَين ومتحاورَين، إنّ كلًّا من المقام، والمتكلم، والمخاطَب عناصر غير لغوية، وهي تمثل ضغوطا إنجازية قصوى، إن رُوعيت حسُن الكلام، ونجعت العملية التخاطبية، وارتقت أعلى القمم البلاغية، ولا يمكن للمعنى أن يتضح إلاّ باستحضار المقام الحيّ، والمتكلم الفطن، والمتلقي اليقظ.[٢٦] من هنا نجد أن قوة حضور المتكلم والمتخاطبين في الحدث التخاطبيّ تتقوّم بعناصر أبرزها الآتي:

١-ظروف إنتاج الخطاب (زمان، ومكان، وأحوال المشاركين بالخطاب).

٢-المشيرات المقاميّة الدالة على المشاركين في الخطاب، نحو: أنا، نحن، أنتم، هم، الذين، هؤلاء. . .

٣-القيم التي يؤمن بها كل طرف من طرفي الخطاب (المتكلّم، المتخاطبين)، منفصلاً عن الطرف الآخر.

٤-الموضوعات والقيم والآراء المشتركة بين المشاركين في الخطاب.

وقد تبينت عناصر التخاطب هذه جلية واضحة في كثير من الخطب التي قيلت في وقعة صفين، منها((لمّا توادع علي عليه السلام ومعاوية بصفين اختلفت الرسل فيما بينهما رجاء الصلح، فأرسل علي بن أبى طالب إلى معاوية عدي بن حاتم، وشبث بن ربعي، ويزيد بن قيس، وزياد بن خصفة، فدخلوا على معاوية، فحمد الله عدي بن حاتم وأثنى عليه ثم قال: أمّا بعد فإنا أتيناك لندعوك إلى أمرٍ يجمع الله به كلمتنا وأمتنا، ويحقن الله به دماء المسلمين، وندعوك إلى أفضلها سابقة وأحسنها في الإسلام آثاراً، وقد اجتمع له الناس، وقد أرشدهم الله بالذي رأوا فأتوا، فلم يبق أحد غيرك وغير من معك، فانتهِ يا معاوية من قبل أن يصيبك الله وأصحابك بمثل يوم الجمل))[٢٧].

تتمظهر عناصر الخطاب في هذا النصّ بالظروف الحافّة بالخطاب أولاً، وهي أن جو الخطاب كان محاولة جمع كلمة الأمة على أمر واحد، وهو أخذ البيعة للإمام من المسلمين كافة، ولاسيّما أهل الشام، وهي المحاولة التي عمد إليها كثير من أصحاب الإمام علي قبل أن تقع الحرب، ولكنّها محاولة لم تنجح؛ لرفض أهل الشام البيعة وإصرارهم على خلع الإمام عليّ لغايات أخرى لم يصرحوا بها في وقت الحرب، وتتمثل هذه الغايات بتسنم معاوية بن أبي سفيان رئاسة الدولة الإسلاميّة، وقد أخفى أهل الشام هذه الغايات في محاولة منهم للاستفادة من مقتل عثمان بن عفان، والتضليل على جيش أهل العراق؛ وهو أمر لم يدم اخفاؤه، فقد انكشف جلياً واضحاً بعد مقتل علي بن أبي طالب. شكّلت هذه المساقات ظرفاً حاويّاً للبنية

اللغويّة، وموجهاً خطابيّاً فاعلاً للمتكلّم كون ((المساقات تختلف باختلاف الأحوال والأوقات والنوازل. وهذا معلوم في علم المعاني والبيان. فالذي يكون على بال من المستمع والمتفهم الالتفات إلى أول الكلام وآخره، بحسب القضية وما اقتضاه الحال فيها، لا ينظر في أولها دون آخرها، ولا في آخرها دون أولها، فإن القضية وإن اشتملت على جمل فبعضها متعلق بالبعض، لأنها قضية واحدة نازلة في شيء واحد))[٢٨]. وقد اتسعت الدائرة الخطابيّة لتشمل من لم يحضر زمان الخطاب ومكانه نتيجة استعمال المتكلّم الضمير (إنَّا) بصيغته الدالة على الجمع وليس على المفرد، وفيه دلالة على المشاركة في الخطاب مع غيره؛ أي: المشارك معه في الكلام، والمتكلّم هو الذي أشركه معه في الكلام بناء على الارتباط المصيريّ بين الاثنين، فمن لم يحضر مقام التكلّم لم يغب عن المشاركة في الخطاب؛ لأن اختيار هذه الصورة دون غيرها، يتعلق بالسياق عموماً، أي يتعلق بالمتخاطبين، وبعلاقتهما داخل السياق، ويتعلق بما هو خارج السياق، أي يتعلق بما يعرفه هذا المتخاطب عن الآخر، وما يعرفه المتخاطبان عن المقام، وعما يريدان قوله، أو سماعه، وهما يعرفان معرفة تامة المدى الذي يمكن أن يبلغاه في الخطاب، فأحد المتخاطبين يمكن أن يكون خطيباً، أو معلّماً، والآخر يمكن أن يكون جمهوراً، أو مستمعاً، فالعلاقات تظل هي نفسها، والصور يجب أن تكون مضبوطة حتى تناسب المقام بالشكل الأقرب، فيرى عالم الاجتماع الألماني (ديتمار لوش lohsh Ditmar) أنّ محددات اجتماعية مثل الاحترام، أو الألفة، أو الكراهية – والتي تندرج بضمنها العلاقات العاطفية، فتكون مثلاً علاقة ودّ، أو علاقة صدّ، أو قرب، أو بعد، والتي يكون الخطاب علامة، ومؤثراً، ومشخصاً لها – تعدّ عوامل حاسمة في تحديد الاستراتيجية الخطابية التي يتبناها الخطيب في أثناء الخطاب[٢٩]. وتتضح قيمة الحضور التخاطبيّ وأثره في صياغة الكلام مصحوباً بأثر المساقات

الحافّة في الخطاب حينما أراد معاوية الكلام حاثّاً أصحابه للثبات في الحرب فقد ((زوق معاوية خطبة، وأمر بالمنبر فأخرج، ثم أمر أجناد أهل الشام فحضروا خطبته، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس أعيرونا أنفسكم وجماجمكم، لا تفشلوا ولا تخاذلوا، فإن اليوم يوم خطار، ويوم حقيقة وحفاظ، فإنكم على حق وبأيديكم حجة وإنّما تقاتلون من نكث البيعة، وسفك الدم الحرام، فليس له في السماء عاذر))[٣٠].

يصور لنا هذا النصّ عناية المتكلم بالمقام التخاطبيّ، والذي هو إطار يتحدد زماناً ومكاناً بلحظة التخاطب، والعلاقة بينه وبين التخاطب علاقة جدليّة إذ يحدّد أحدهما الآخر ويتأثر به. فالتلفظ لا يكون إلا في مقام ما، والمقام لا يتعين إلا بعملية التلفظ بحدث خطاب يحدّد لحظة زمانيّة معينة هي الآن[٣١]، وقد تبيّن للمتكلّم تأثير المقام التخاطبيّ في المخاطب، فتزويق المنبر لإضافة شيء من الأبهة والعظمة التي تنعكس على مكانة معاوية عند أهل الشام، وتمثل دعوته لكبرائهم لحضور خطبته، إشعاراً منه بأنّه سيتكلّم على أمر جلل يخصّ المعترك الذي دخله أهل الشام مع أهل العراق، ولا يمكننا أن نفهم هذا الاعتناء بتهيئة جو الخطبة من مكان وجمهور إلا إن نظرنا في المقام التخاطبي الذي حفَّز معاوية على الكلام، وهو كما قال نصر بن مزاحم: ((خرج في ذلك اليوم شمر بن أبرهة بن الصباح الحميري، فلحق بعلي عليه السلام في ناس من قرّاء أهل الشام، ففتَّ ذلك في عضد معاوية وعمرو بن العاص))[٣٢]، فالسياقات النفسيّة (الخوف، والقلق، والحرص) هي التي وجهت معاوية وعمرو بن العاص لتهيئة الخطبة وتوجيه المخاطبين وبث فيهم روح العزيمة لمواجهة عدوهم. ويعد هذا الفعل مقتضى تداوليّاً قبل إنتاج الخطاب وفي أثنائه؛ ليحافظ المرسل على ما تستحقه عناصر السياق من خطاب بالموازاة مع تحقيق الهدف والتعبير عن القصد.

ويتجلى الحضور التخاطبيّ بأن يتوجه المحاور إلى غيره كاشفاً له ما يعتقد، وما يعرف، ومطالباً إيّاه بمشاركته اعتقاداته، ومعارفه وبعد هذا (الاطلاع)، وهذه المطالبة يتكوّن البعد الاجتماعيّ ويزداد رسوخاً لتجاوز الخلافات في الرأي بين المتحاورين تجاوزاً لا يأتي بالحل الوحيد، والأوحد بقدر ما يأتي بحلول متوازنة، ومعتدلة تستجيب لأوضاع تتغير عناصرها، وتستجد مطالبها على مرّ الزمن[٣٣].

يتبدى هذا البعد الاجتماعيّ للمقام التخاطبيّ واضحاً جلياً حينما ((قام يزيد بن أسد البجلي [في أهل الشام] يخطب الناس بصفين، وعليه يومئذ قباءُ خزّ، وعمامةٌ سوداء، آخذاً بقائم سيفه، واضعاً نعل السيف على الأرض متوكئاً عليه. قال صعصعة: فذكر لي أبرهة أنّه كان يومئذ من أجمل العرب وأكرمه وأبلغه فقال: «الحمد لله الواحد القهار، ذي الطول والجلال، العزيز الجبار، الحليم الغفار، الكبير المتعال. . . ثم قد كان مما قضى الله أن جمعنا وأهل ديننا في هذه الرقعة من الأرض، والله يعلم أني كنت لذلك كارهاً، ولكنهم لم يبلعونا ريقنا، ولم يتركونا نرتاد لأنفسنا، وننظر لمعادنا حتى نزلوا بين أظهرنا، وفي حريمنا وبيضتنا. وقد علمنا أن في القوم أحلاماً وطغاماً، فلسنا نأمن طغامهم على ذرارينا ونسائنا»))[٣٤].

اعتنى ناقل النص هنا بهيئة المتكلّم وقد صورها تصويراً كاملاً من لباس وحركة، وبيان حالته من كرم وجمال، لينتقل الكلام بعدُ إلى الإحالة على المشاركين في المعركة وحضورهم في أرض واحدة، وهم مشتركون في العقيدة والنسب، فهم عرب، ومسلمون، لكنّ الحالة السياسيّة التي صاروا فيها قسّمتهم على قسمين: جيش أهل العراق، وجيش أهل الشام. وقد تجاوز المتكلّم حالة الافراد في الخطبة لينتقل إلى حالة الجمع؛ فهو يتكلّم بصيغة ضمير الجماعة، والظاهر أنّ سياق الحرب الذي يحتاج إلى رصّ الصفوف والتكاتف الجماعيّ هو الذي حوّل تعبير المتكلّم وجعله ينتقل إلى الكلام بصيغة الجمع؛ كيما يشترك معه المخاطب في وحدة القضيّة والمصير.

ونتلمس ممّا تقدّم حضور الذاتيّة في الخطاب حضوراً لافتاً، فيحاول المتكلّم أن يتموضع في السياق المقامي بوصفه ذاتاً، وتتحدد باعتبارها وحدة نفسيّة تحقق الوعي، وتتعدى مجموع التجارب المعيشة، وليست مجرد إحساس يعبر عنه الفرد، وقد عدّ بنفينست الذاتيّة ((خاصيّة جوهريّة وداخليّة ملازمة للخطاب، لأنّه لا يمكن أن نتصور لغة دون عبارات دالة على الذات، وليس التلفظ سوى التجسيد العملي للغة من خلال إنجاز فردي))[٣٥].

لقد مثّل ضمير المتكلم حضوراً قوياً، ومكثّفًا - في قوله ((أني كنت لذلك كارهاً ولكنهم لم يبلعونا ريقنا)) - حينما مزج بين المفرد والجمع في صيغة التكلّم، وفي هذا دلالة قوية جداً على المصير المشترك بينه وبين من ينتمي إليهم فقد وظّف ضمير (جمع المتكلم)؛ لأنّه في سياق الحديث عن أمر مشترك وهو (الحرب القادمة)، وساوى نفسه مع المخاطَب ولم يكتفِ ببناء علاقة بخطابه، بل حرص على المواصلة فيها بعيداً بعد انتهاء المساحة الخطابية، فتحمّل الضمير دلالات خطابيّة أوسع من دلالته اللغويّة لأنه في حقيقته شكل فارغ مناسب لكل متكلّم يمارس الخطاب يعلّقه بشخصه معرّفاً نفسه بوصفه (أنا)، ومعرفا شريكاً له بوصفه (أنت) في الوقت نفسه، فيُستعمل الوضع الخطابي على جميع المعطيات التي تحدد الذات[٣٦].

٦- أثر الاستلزام التخاطبي في فهم الخطاب:

اقترح كرايس في مقاله الشهير: (المنطق والمحادثة) مفهوم حِكَم المحادثة وتتمثل الفكرة الرئيسة في أنَّ المتحاورين يتقاسمون هدفاً مشتركاً، إذا انعدم لن يكون ثمة تواصل أو سبب للتواصل، وعن هذا المبدأ تفرعت مبادئ فرعية أخرى[٣٧].

إنَّ تصور كرايس للعلاقة بين اللغة واستعمالها يعد تصوراً تقليدياً؛ لأنَّه يرى أنَّ مجموع القرائن الزمانية والمكانية والشخصية فضلا عن مجموع المعارف المشتركة بين المساهمين في عملية التواصل هي عوامل محددة لقيمة استخدام قولٍ ما في سياقٍ ما، كما لاحظ كرايس أنَّ بعض الأقوال تبلغ أكثر مما يدل عليه مجموع الكلمات التي تكوّن الجملة، وبعبارة أخرى إنَّ المتكلم يجعل سامعه يدرك من الدلالة ما يفوق المعنى الحرفي للجملة، وبحسب العامل الذي يولد الاستلزام سواء أكان عبارة لغوية، أم مبادئ عامة مقترنة بالتواصل؛ ليكون هذا الاستلزام وضعياً أو محادثياً[٣٨].

وتتقوّم هذه الفكرة بما رقمه غرايس من قوانين ومسلّمات لها، تنصّ على أن التواصل الكلامي محكوم بمبدأ التعاون ومسلمات حوارية وهي مسلَّمات أربع[٣٩]:

أولا: مسلَّمة الكم: وتخص كمية الإخبار التي يجب أن تلتزم به المبادرة الكلامية.

ثانيا: مسلَّمة الكيف: ونصّها: لا تقل ما تعتقد أنَّه كاذب ولا تقل ما لا تستطيع البرهنة على صدقه.

ثالثا: مسلَّمة الملاءمة: وهي قاعدة واحدة (لتكن مشاركتك ملاءمة).

رابعا: مسلَّمة الجهة: تنصُّ على الوضوح في الكلام، وتتفرع إلى ثلاث قواعد:

أ ـ ابتعد عن اللبس.

ب ـ تحرَّ الإِيجاز.

ج ـ تحرَّ الترتيب.

وقد رسمت هذه المسلمات خطاً تواصلياً بين المتكلّم والمخاطب، بها يكون التواصل واضحاً ومفيداً، ومن الصعب أن يسير المتكلّم على وفق هذه القواعد الموضوعة، فالمتكلمون يعمدون في كثير من المناسبات إلى خرق هذه القواعد ممّا ينتج عنه (الاستلزام التخاطبي).

فمسلَّمة (الكم)، تتعلق بمقدار المعلومات، وكمها ولا علاقة لها بصدق المعلومة أو بملاءمتها للخطاب؛ وكما قيل (خير الكلام ما قلَّ، ودلَّ)[٤٠]. وممّا ورد من خرق لهذه المسلّمة في الخطب الحربيّة ما ورد من كلام قيس بن فهدان حينما كان يحرِّض أصحابه ويقول: ((إذا شددتم فشدوا جميعاً وغضّوا الأبصار، وأقلّوا الكلام واللغط، واعتوروا الأقران، ولا تؤتين من قبلكم العرب))[٤١]. فقد خرق المتكلّم مبدأ الكم، لأنّه جاء بكلمات أقلّ ممّا يفترض أن يذكرها؛ فقضية الحرب ووضع الخطط تحتاج إلى شرح وإسهاب؛ ولكنه اعتمد على فهم المخاطب، فكثّف المعاني عن طريق ضغط العبارات الواردة في هذه الخطبة، وقد وصلت هذه المعاني إلى المخاطب بطريقة سهلة يسيرة؛ اعتماداً على مضمرات الخطاب والمعلومات المشتركة للمتخاطبين، فنلحظ أن المتكلّم لم يوجه المخاطب مكانياً أو زمانياً، فلم يقل شدوا إلى مكانِ كذا أو في وقت كذا، أو إلى قوم كذا، فقد أخفى المتكلّم حمولات قوليّة مكثّفة في النص وأظهر ما يدلّ على هذا الاخفاء، فظلَّت كتلة المعلومات التي يمكن للخطاب أن يحتويها حاضرة في ذهنية المتلقي، ولكن تحقيقها في الواقع يبقى رهن خصوصيات سياق الحديث، فالنص نسيج من أقوال يجهر بها ومن أقوال مضمنة فيه مضمرة وهو آلة كسولة تتطلب من المخاطب عملاً تعاونياً متواصلاً لملء فراغات المسكوت عنه أو ما قيل وبقي محله شاغراً[٤٢].

فحوى هذا النص خطة حربيّة متكاملة لم يكشف عن تفاصيلها المتكلّم بل ظلّت في ضمير المتخاطبين (المتكلّم، والمخاطب)، ففهم المخاطب المراد من قول المتكلّم بأقل كمية من الألفاظ، فقوله (واعتوروا الأقران)، تضمن خطة حربيّة شاملة فهو يقول لهم يجب عليكم أن تستبدلوا النظير والمثيل في الحرب فلا تقفوا عند نظير واحد؛ بل اتركوه وانتقلوا إلى أحدٍ غيره، وفي هذا تمويه نافع ومفيد للمعركة. وبهذا نجد المتكلّم قد نجح في إفهام المخاطب مقاصده بالقدر الكافي من الكلمات فهو إيجاز غير مخلٍ.

أما مسلّمة الكيف، والتي تتعلق بصدق المعلومة أو كذبها، فيرى غرايس أن المتكلّم يجب عليه أن لا يقول ما يعتقد أنه كاذب، أو ما لا يستطيع أن يثبت صحته، إذن نحن أمام فرضية تجعل من الرغبة في قول الصدق أساساً للتواصل والتحاور بين المتخاطبين، ويحصل انتهاك قاعدة الكيف حين يقول المتكلِّم لمحاوره كلاماً ما، ولم يكنْ صادقاً فيه، أو يقوله وهو يعتقد كذبه، أو يقوله وقد افتقر إلى البرهان على صدقه مع استمرار احترامه لمبدأ التعاون؛ فينتج عن هذا كلّه انتهاك لقاعدة الكيف. ويتبدَّى هذا واضحاً جلياً في خطبة معاوية أمام أهل الشام حينما قال: ((يا أهل الشام، قد كنتم تكذّبوني في علي، وقد استبان لكم أمره، والله ما قتل خليفتكم غيرُه، وهو أمر بقتله، وألّب الناس عليه، وآوى قتلته، وهم جنده وأنصاره وأعوانه، وقد خرج بهم قاصداً بلادكم ودياركم لإبادتكم))[٤٣].

إن القسَمَ الذي قدّمه معاوية أمام الإخبار بأن علياً هو الذي قتل عثمان، يمثل خرقاً فاضحاً لمبدأ الكيف؛ لأنّ القارّ والراسخ عند الأمة الإسلامية أن علياً كان بعيداً كل البعد عن دم عثمان بن عفان، وهي محاولة منه لتضليل الجمهور المستمع للخطاب، فالقاصي والداني يعلم أن المخالفات الصادرة من عثمان هي السبب في قتله، وفي هذا يقول طه حسين: ((أنظر إلى ما حدث بعد أن مضت أعوام على إمرة

عثمان: ذهب في أموال المسلمين مذهباً مخالفاً لمذهب عمر وسيرته، فأمّا الذين بايعوه على التزام هذه السيرة فيما التزم فقد رأوا أنه خالف عنها ولم يف بالعهد كاملاً))[٤٤].

ولم تغب أحوال عثمان بن عفان ولا أحوال المسلمين في تلك المدة عن معاوية بن أبي سفيان، فهو عارف -بحكم قربه من الأمراء- بحقائق الأمور ومجرياتها، ولكنه في الوقت نفسه لم يبدِ هذه المعلومات والحقائق للمخاطبين واحتفظ بها لنفسه راجياً الافادة منها في سبيل توجيه المخاطبين الجهة التي يرغب بها، فانتقل كلامه من الوقائع الحقيقيّة إلى مراد المتكلّم؛ فعملية التخاطب تحكمها مجموعة من النوايا المقاصد، وهي مقاصد غير صريحة ولا معلنة بين المتخاطبين، كما تحكمها خلفية معرفية مشتركة تجعل عملية التواصل بينهم مستحيلة في ظل غياب جملة من الشروط التمهيدية. لكن هذه المقاصد لا توجه التواصل دائماً، لأننا في مناسبات كثيرة نتجاوز القصد الذي نرمي اليه، وربما نعبر عن أمور لا نقصدها[٤٥].

أما مسلَّمة الملاءمة فتعد قاعدة من القواعد التي يجب أن ترتكز عليها عملية التواصل الإنسانيِّ حتى تحقِّق العمليات التواصلية الغاية المرادة منها. ومقتضى هذه القاعدة عند غرايس هو: «اجعل إسهاماتك في الحوار المتبادل واردة»، وقد تسمى العلاقة أو المناسبة، وتتعلق بالتقيد بموضوع الحوار؛ أي: يجب أن تكون مشاركة المساهمين في الخطاب ليست خارجاً عن موضوع الخطاب[٤٦]. وهو ما نجده في قول عمار بن ياسر في خطبته لأصحابه حينما قال: ((فقال هؤلاء الذين لا يبالون إذا سلِمتْ لهم دنياهم ولو درس هذا الدين: لم قتلتموه ؟ فقلنا: لإحداثه. فقالوا: إنه ما أحدث شيئاً. وذلك لأنّه مكنهم من الدنيا فهم يأكلونها ويرعونها ولا يبالون لو انهدَّت عليهم الجبال. والله ما أظنهم يطلبون دمه، إنهم ليعلمون أنه لظالم، ولكن القوم ذاقوا الدنيا فاستحبوها واستمرَوْهَا))[٤٧].

يستعرض عمار بن ياسر قضيتين في هذه الخطبة، الأولى: إنَّ سبب قتل عثمان بن عفان هو إحداثه في الدين وخروجه عن سنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم. والقضية الثانية: إنَّ أعداءه أصحاب دنيا، ولا دخل لهم في الدين، وهم لا يطالبون بدم عثمان إنّما همهم الأول هو المكاسب الدنيوية فبعد أن ذاقوا الرياسة والإمارة صار صعباً عليهم أن يعودوا كما كانوا من عامّة الشعب بعيدين عن الترف والجاه والسلطة. وعمار في هذا يجب عليه أن يبرهن صدق قضيته، وهو المؤمن بها والمقاتل دونها، فعمار لم يقل إن عثمان بن عفان أحدث في الإسلام إلا وهو متيقن مؤمن بكلامه صادقاً بينه وبين ربه، فهو لا يحاول أن يخدع الناس في كلامه هذا ولا يحاول أن يستفيد منه سياسياً او عسكرياً، وقد التفت المخاطبون إلى صدق عمار، وأنه لا يقول إلا الصدق حتى وإنْ كان المعلومات التي يستعرضها عمار جديدة لم يكن قد سمعوا بها، وهذا الاتفاق على صدق عمار المتضمّن حمولة معرفية عالية، نابع من قضايا خارج الخطاب تسمّى مقتضيات الخطاب وهي مجموعة من الاعتقادات والخلفيّات المشتركة بين المتخاطبين[٤٨]، لم يخرج عمار عن القضية المركزية للخلاف بين أهل الشام وأهل العراق، وهي دعوة المطالبة بثأر عثمان، وليس اختياره لها موضوعاً أساسيّا في خطبة إلا دليل على أهميتها، فهو يحاول أن يصحح مسار هذه القضية لتنكشف حقيقتها للسامعين، معتمداً على القابليات الشخصية له، وأولاها هي حسن صحبة عمار بن ياسر للنبي والإمام علي وأنه صادق لم يبد منه في يوم ما كذب أو نفاق، فاحتفاظ عمار بن ياسر ببعض التفاصيل وعدم البوح بها، والقاء نتائج الأمور وخواتيمها لم يجعل المخاطبين يشككون بصدقه وبصواب رأيه، وقد بذل جهداً في رفد المخاطب بمعلومات جديدة لأجل توضيح مسار الحرب ومجرياتها، الأمر الذي جعل كلامه متصلاً بسياقه اتصالاً مباشراً، ولا مجال لدخوله

في سياقات أخرى، وقد نجح في خلق مسارٍ تأثيريٍّ في المخاطب، فكلّما ((أنتج القول آثاراً سياقيّة أكثر كان ذلك القول أكثر مناسبة مع مراعاة ما يجب تغييره))[٤٩].

ولربما غابت القضية الثانية عن ذهن بعض جيش أهل العراق، لكنها تظل حاضرة في ذهن عمار وهي نوع من أنواع المقتضيات التي تكون خاصّة بالمتكلَّم فحسب، وهذا من النقاط الأساسيّة التي ركز عليها (قازارد) في مراجعته للتوجه التداولي[٥٠]. وقد أفاد المتكلّم من هذه المقتضيات في إيصال فكرته بناء على صدقه وقدرته على تأكيد كلامه وأقواله، وحضور هذه الاستلزامات في ذهن المخاطب، واستمراريته بالتواصل مع المتكلّم وعدم قطع هذا التواصل بأي حالٍ من الأحوال، دليل قاطع على نجاح المتكلّم في إيصال مراده ومقاصده للمخاطب.

٧- الخاتمة:

١.للسلطة أثر كبير في تشكيل البنية القوليّة وخلق قيمة تأثيريّة عليا فيها؛ إذ هي التي تجعل الكلام مؤثراً فالقول إن صدر من سلطة عليا أثّر في العامّة تأثيراً كبيرا.

٢.صيغ الخطاب الحربيّ صياغة خاصة تتلاءم مع سياقات الحرب التي يحضر فيها الرعب والقلق والرهبة والصعوبة والشدة وغيرها من حالات لا تعترض للمتكلم في غير سياقات الحرب.

٣.ظلّت الخطب الحربيّة تتعرض لقضيتين أساسيتين، هما: أحقية علي بن أبي طالب بخلافة رسول الله، ومقتل عثمان بن عفان، وعمل الخطباء على الافادة من هاتين القضيتين في التأثير بالجمهور.

٤.نجح الخطيب في معظم الخطب الحربيّة في خلق جو تخاطبيّ ناجع، يتواصل به مع المخاطب من دون انقطاع، فعلى الرغم من اختلاف المقاصد والمراد إلا أن المتكلّم استطاع أن يخلق له جمهوراً مصغياً لما يقول؛ وهذه الحالة لا تقف عند الجودة الخطابيّة التي يمتاز بها المتكلّم؛ بل تعود للسياقات المحيطة بالخطاب، كالسلطة السياسية، والمكانة الدينية.

هوامش البحث:

١) لم تكن هذه الأسس في النظر الإسلاميّ واحدة ومتفقاً عليها, ففي الوقت الذي يؤمن به أتباع أهل البيت أن الأساس في الخليفة الوصية من النبي صلى الله عليه وآله وسلم, يؤمن أتباع المذاهب الإسلاميّة الأخرى أن قواعد الخلافة تتم بحسب الظروف المصاحبة للاستخلاف, فنجد اتفاق السقيفة أنتج خليفة, في حين أنتجت الضوابط الموضوعة من الخليفة السابق خليفة آخر, وأنتج الاختيار الشعبي خليفة كذلك.

٢)ينظر: تاج العروس، للزبيدي(ت١٢٠٥هـ)، باب الباء الموحدة، مادة (خ ط ب)، ١/ ٤٧٠.

٣)المصباح المنير، لأحمد بن محمد الفيومي، مادة (الخاء مع الطاء وما يثلثهما)، ١/ ١٧٣.

٤)هود: ٣٧.

٥)تاج العروس: ١/ ٤٧٠.

٦)تاج العروس: ٢/ ٣٧٢.

٧)المعجم الوسيط: ٢٤٣.

٨)وقعة صفين: ٢٣٤.

٩)وقعة صفين: ٢٣٨.

١٠)الاستعارة في محطات يونانيّة وعربيّة وغربية, محمد الولي: منشورات دار الأمان, الرباط , ٢٠٠٥م.: ٥٧- ٥٨.

١١)وقعة صفين: ٢٣٩- ٢٤٠.

١٢)منطق السلطة مدخل إلى فلسفة الأمر, ناصيف نصّار, دار أمواج, لبنان, ط٢, ٢٠٠١م: ٨-٩.

١٣)البقرة: ٢٥٣.

١٤)وقعة صفين: ٢٩٦.

١٥) الدفاع عن الأفكار: ٣٥.

١٦)الخطاب الإقناعي في ضوء التواصل اللغويّ, د. عمارية حاكم: ٢٣.

١٧)التوبة: ١٤.

١٨)وقعة صفين: ٣١٤.

١٩)الإعلام الاجتماعي, ميشال لونات, ترجمة: صالح بن حليمة, مراجعة: مصطفى المصمودي, المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم, تونس ١٩٩٣م: ١٣-١٦.

٢٠)وقعة صفين: ٦٤- ٦٥.

٢١)وقعة صفين: ٦٥.

٢٢)وقعة صفين: ٦٦.

٢٣)البلاغة والاسلوبيّة, هنري بليث, ترجمة, محمد العمري: ١٠٢.
٢٤)وقعة صفين: ٩٤.
٢٥)الحجاج الجدلي: ١٤٩.
٢٦)ينظر: آليات الإقناع في الخطاب القرآني (ماجستير): ٦٨.
٢٧)وقعة صفين: ١٩٧.
٢٨)الموافقات في أصول الشريعة, الشاطبي: ٢/ ٢٦٥.
٢٩)ينظر: النص والخطاب والاتصال: ٨١.
٣٠)وقعة صفين: ٢٢٣.
٣١)المشيرات المقاميّة: ٣٥.
٣٢)وقعة صفين: ٢٢٢.
٣٣)ينظر: في أصول الحوار وتجديد علم الكلام: ٣٧.
٣٤)وقعة صفين: ٢٤١- ٢٤٢.
٣٥)التداولية أصولها واتجاهاتها: ٨٢.
٣٦)ينظر: تلوين الخطاب: ١١٠.
٣٧)ينظر: التداولية من أوستن إلى غوفمان فيليب بلانشيه: ٦٣.
٣٨)ينظر: القاموس الموسوعي للتداولية، جاك موشلر- آن ريبول: ٢١١-٢١٢.
٣٩)ينظر: التداولية عند العلماء العرب، د. مسعود صحراوي، ص٣٣-٣٦.
٤٠)تبسيط التداوليّة, د. بهاء الدين محمد مزيد: ٤٠.
٤١)وقعة صفين: ٢٨٥.
٤٢)التفسير التداوليّ للنص القرآنّي, مجدي حسين: ٧٠.
٤٣)وقعة صفين: ١٢٧.
٤٤)الفتنة الكبرى: ٤٣
٤٥)التداولية أصولها واتجاهاتها: ١٠٥.
٤٦)التفسير التداولي: ٢١٥.
٤٧)وقعة صفين: ٣١٩.
٤٨)الاقتضاء وانسجام الخطاب, د. ريم الهمامي: ٣٥.
٤٩)القاموس الموسوعي للتداوليّة: ١/ ١٤٧.
٥٠)الاقتضاء وانسجام الخطاب: ٤١.

المصادروالمراجع:

أولاً الكتب:

*الاستعارة في محطات يونانيّة وعربيّة وغربية، محمد الولي، منشورات دار الأمان، الرباط، ٢٠٠٥م.

*الإعلام الاجتماعي، ميشال لونات، ترجمة: صالح بن حليمة، مراجعة: مصطفى المصمودي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس ١٩٩٣م.

*الاقتضاء وانسجام الخطاب، د. ريم الهمامي، تقديم: أ. د. عبد الله صوله، بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة، ٢٠١٣م.

*البلاغة والأسلوبية نحو نموذج سيميائي لتحليل النص تأليف: هنريش بليت ترجمة: محمد العمري، دار أفريقيا الشرق، ١٩٩٩م.

*تاج العروس من جواهر القاموس، محمد مرتضى الزبيديّ الحسينيّ، (ت ١٢٠٥هـ)، تحقيق مجموعة من الأساتذة، طبعة الكويت، تاريخ الطبع ٢٠٠٢م.

*تبسيط التداوليّة، د. بهاء الدين محمد مزيد، القاهرة، ط١، ٢٠١٠ه.

*التداولية أصولها واتجاهاتها، جواد ختام، دار كنوز المعرفة، الأردن، ط١، ٢٠١٦م.

*التداوليّة عند العلماء العرب، الدكتور. مسعود صحرواي، دار الطليعة، بيروت- لبنان، ط١، ٢٠٠٥م.

*التداولية من أوستن إلى غوفمان فيليب بلانشيه، ترجمة: صابر حباشة، دار الحوار للنشر، سوريا، ط، ٢٠٠٧م.

*التفسير التداوليّ للنص القرآنيّ، مجدي حسين، رؤية للنشر والتوزيع، ٢٠١٨م.

*تلوين الخطاب ترجمات في اللسانيات وعلوم اللغة والمعرفة، صابر حباشة، الدار المتوسطية تونس، ط١، ٢٠٠٧.

*الحجاج الجدليّ، عبد الله البهلول، تونس، ط١، ٢٠١٣م.

*الخطاب الإقناعي في ضوء التواصل اللغويّ، دراسة لسانية تداولية في الخطابة العربية أيام الحجاج بن يوسف الثقفيّ د. عمارية حاكم، دار العصماء للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠١٥م.

*الدفاع عن الأفكار تكوين ملكة الحجاج والتناظر الفكري، د. محمد بن سعد الدكان، مركز نماء للبحوث والدراسات، ط١، بيروت، ٢٠١٤م.

*الفتنة الكبرى، طه حسين، دار المعارف، الطبعة الثانية عشرة.

*في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، الدكتور. طه عبد الرحمن، المركز الثقافي العربي، ط٢، ٢٠٠م.

*القاموس الموسوعي للتداولية، جاك موشلر وآن ريبول، تُرجم بإشراف د. عز الدين المجدوب، دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، ٢٠١٠م.

*المشيرات المقاميّة في اللغة العربيّة، نرجس باديس، مركز النشر الجامعي، جامعة منوبة، تونس، ط١، ٢٠٠٩م.

*المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد الحمويّ، أبو العباس (ت نحو ٧٧٠هـ)، المكتبة العلمية – بيروت.
*المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مجموعة مؤلفين، القاهرة، ط٤، ٢٠٠٥م.
*منطق السلطة مدخل إلى فلسفة الأمر، ناصيف نصّار، دار أمواج، لبنان، ط٢، ٢٠٠١م.
*الموافقات في أصول الشريعة، أبو اسحاق الشاطبيّ (ت٧٩٠هـ)، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ١٩٩٧م.
*النص والخطاب والاتصال، الدكتور. محمد العبد، الأكاديمية لحديثة للكتاب الجامعيّ، القاهرة، ط١، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م.
*وقعة صفين، نصر بن مزاحم المنقريّ (ت٢١٢هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجمل، بيروت١٩٩٠م.
*الرسائل والأطاريح:
*آليات الإقناع في الخطاب القرآنيّ، سورة الشعراء نموذجاً (ماجستير)، هشام بلخير، جامعة باتنة الجزائر، ٢٠١٢م.

واقعة وادي المخازن ١٥٧٨

Battle of Oued al-Makhazin (1578)

أ. م. د. سمير عبد الرسول العبيدي

Asst. Prof. Dr. Sameer `Abidalrasoul Al-`Abeidi

واقعة وادي المخازن ١٥٧٨

Battle of Oued al-Makhazin (1578)

أ. م. د. سمير عبد الرسول العبيدي
الجامعة المستنصرية / مركز المستنصرية للدراسات
العربية والدولية / قسم الدراسات التاريخية

Asst. Prof. Dr. Sameer `Abidalrasoul Al-`Abeidi
University of Al-Mustansiriya / Al-Mustansiriya Centre for International and Arabic Studies / Department of Historical Studies

dr. saa2004@yahoo. com

تاريخ الاستلام: ٢٥/ ٦/ ٢٠١٩
تاريخ القبول: ١٧/ ٩/ ٢٠١٩

خضع البحث لبرنامج الاستلال العلمي
Turnitin - passed research

ملخص البحث:

شهد المغرب الأقصى في ٤ آب ١٥٧٨، حدثا مهما للغاية في تاريخه، إلا وهو معركة وادي المخازن، بين الجيش السعدي والقوات الغازية بقيادة الملك البرتغالي سيباستيان الاول، وقد سبقت المعركة ورافقتها أحداث على درجة كبيرة من الأهمية، زاد منها النصر الكبير الذي حققه السعديون لأسباب مختلفة، أدت بالنتيجة إلى دفع الاحتلال الأوروبي عنه حتى العام ١٩١٢.

الكلمات المفتاحية: وادي المخازن، معركة، سيباستيان الأول، السعديون

Abstract

On August 4, 1578, Morocco witnessed the most important event in its history, the Battle of the Valley of the almakhazin , between the Saadi army and the invading forces led by the Portuguese King, SebastainI. The battle was preceded and accompanied by events of great importance. Then it resulted in the European occupation to be pushed back in 1912.

Key Words: Valley of the almakhazin, Battle, Sebastain I, Sadids

المقدمة

شهد المغرب الأقصى على مر تاريخه، أحداثاً مهمة، كان العامل المؤثر فيها، هو الموقع الجغرافي، إذ لا يفصله عن بلدان أوروبا سوى مضيق جبل طارق أو (بحر الزقاق)، الذي لا يتجاوز عرضه ١٤ كم، لذا كانت العلاقات التاريخية متينة بين طرفي المضيق، وعلى مختلف الصُعد.

لقد تحكمت عوامل ذات طبيعة تاريخية بتطور العلاقة، محددة أطرها العامة، ويبرز هنا الحكم العربي الإسلامي في الأندلس (٧١١-١٤٩٢م)، الذي أسهم سكان المغرب العربي عامةً، والمغرب الأقصى خاصة، في نشأته، وتأثروا بمراحله كافة من الصعود الى الانهيار، فكان هناك كر وفر، مع حكام الدولتين الأيبيريتين اسبانيا والبرتغال.

لذا في المراحل الأخيرة للوجود العربي في الأندلس سعت الدولتان الى نقل الحرب إلى« العدوة المغربية»، في مسعى لمنع المغاربة من تقديم العون لإخوتهم الذين عانوا من الاضطهاد الديني من الحكام المتعاقبين بتحريض ودعم من الكنيسة الكاثوليكية، وظهرت الرغبة في منع العثمانيين من التحالف مع القوى المحلية، عبر السيطرة على الموانيء المغربية المطلة على البحر المتوسط والمحيط الأطلسي، ومن ثم تهديد حركة الملاحة والموانيء الأوروبية.

افتتحت البرتغال هذه الحملة الأوروبية المضادة عام ١٤١٥م، باحتلالها لميناء سبتة في المغرب الأقصى، ثم حاولت توسيع احتلالها لكنها أخفقت ومع تراجع الاهتمام بالمغرب الأقصى لمصلحة جبهات أخرى أكثر نفعاً من الناحية الاقتصادية، كأفريقيا جنوب الصحراء والعالم الجديد، لكن حاول الملك سيباستيان (١٥٥٧-١٥٧٨م) إعادة الأمجاد السابقة لبلده، بدافع التعصب والتهور، فكانت الهزيمة

الساحقة بواقعة وادي المخازن عام ١٥٧٨م، نهاية تاريخية مريرة لهذه الطموحات التوسعية، ومن هنا تبرز أهمية دراسة هذا الموضوع.

تكون البحث من تمهيد تاريخي مقتضب سعى الى دراسة تلك المرحلة التاريخية التي شهدت صعود السعديين بالتفاف الناس حولهم بسبب نسبهم الشريف وتبنيهم لحركة الجهاد إبان المرحلة (١٥٣٩-١٥٥٤م)، ما تكلل بنجاحهم في تأسيس دولتهم إثر انتصارات محمد الشيخ (١٥٣٩-١٥٥٧م) على حساب الوطاسيين (١٤٧١-١٥٥٤م)، ثم دراسة موجزة لعهد عبد الله الغالب (١٥٥٧-١٥٧٤م)، الذي تميز بالصراع الداخلي على الحكم، كذلك ظهور الدولة العثمانية عاملا مؤثرا في الأحداث السياسية.

درس المبحث الأول (بدايات الصراع السعدي- البرتغالي ١٥٧٤-١٥٧٨م) الخلاف بين محمد المتوكل وعميه عبد الملك واحمد أبو العباس، الذي تحول إلى حرب داخلية بين أفراد الأسرة السعدية من أجل الوصول للحكم، وموقف العثمانيين والقوى الأوروبية منه، ثم انتصار عبد الملك وهزيمة محمد المتوكل، الذي صمم على الرجوع لسدة الحكم بدعم من الملك البرتغالي المتعصب.

تطرق المبحث الثاني إلى سير العمليات العسكرية في المدة (٢٥ حزيران-٤ آب ١٥٧٨م)، بدءاً من التحضير للحملة أي عدد القوات وطبيعتها لدى الطرفين، ثم خط سيرها حتى وصولها لساحة القتال، ثم دراسة مُجريات الواقعة، مع شرح أسباب وتفاصيل النصر الكبير للسعديين، وحيثيات الهزيمة النكراء التي لحقت بالغزاة.

أما المبحث الثالث فسعى إلى دراسة نتائج الواقعة التي كانت على درجة عالية من الأهمية على الأطراف المشاركة فيها جميعها، فواقعة وادي المخازن التي جرت في ٤ آب ١٥٧٨م، من الوقائع الفاصلة ليس في تاريخ المغرب الأقصى فحسب، بل في التاريخ الأوربي والعربي الإسلامي بالإجمال.

تمهيد

يشغل المغرب الأقصى أهمية استثنائية بين بلدان المغرب العربي لكونه اقرب المناطق إلى أوروبا، فلا بفصله عن اسبانيا إلا مضيق جبل طارق، لذا يمكن القول إن الموقع الجغرافي كان له التأثير الأبرز في تاريخ هذا البلد العربي؛ كما لم يكن المغرب الأقصى في أوائل القرن السادس عشر منضوياً تحت حكم كيان سياسي واحد بل كان منقسماً الى كيانات مختلفة، من أبرزها الوطاسيون (١٤٧١-١٥٥٤م)[١].

كان ضعف السلطة الوطاسية في فاس، نتيجة للصراعات الداخلية والأطماع الأوروبية، السبب المباشر في تنامي نفوذ الأشراف السعديين[٢]، مجاهدين لهم شعبية واسعة في المغرب الأقصى بسبب نسبهم الشريف و تبنيهم لدعوة الجهاد ضد الاستعمار البرتغالي للساحل المغربي على المحيط الأطلسي (١٤١٥-١٧٦٩م)[٣]، كذلك أسست هذه القوة الناشئة جيشا برياً على عكس المجاهدين البحريين الذي امتلكوا سفن تجوب البحار وتهاجم الأعداء بأسلوب الكر والفر، -إذْ ظهروا باديء الأمر في إقليم السوس في الجنوب بحكم كونه الإقليم الذي حاول الإسبان والبرتغاليون احتلال موانئه.

لقد نجحت القيادة الجديدة في توحيد جهود السكان في جنوب المغرب الأقصى من أجل محاربة الاستعمار الأوروبي، واستطاعت مد سلطتها على القبائل المحلية، فأضحت محط الأنظار في التصدي للمستعمرين والجهاد للحفاظ على استقلال المغرب الأقصى وهويته العربية الإسلامية[٤].

تزعم هذه الدعوة أبو عبد الله محمد القائم بأمر الله السعدي (١٥٠٩-١٥١٧م)، الذي تبنى دعوة الجهاد ضد البرتغاليين، ساعده بذلك انشغالهم بحركة الاستكشافات

الجغرافية في العالم الجديد، الأمر الذي مكن السعديين إلى حد كبير من النجاح في جهودهم لتحرير بلادهم من البرتغاليين، ما اتضح بجلاء لدى تولى ابنه أبو العباس أحمد (١٥١٧-١٥٣٩م) الحكم، وبمساعدة من شقيقه، ثم خليفته في السلطة محمد الشيخ (١٥٣٩-١٥٥٧م)[٥]، الذي نجح في المدة (١٥٤١-١٥٥٠م) من تحرير عدد كبير من الموانيء المغربية المحتلة، فاستعاد موانيء أغادير وآسفي وأزمور عام ١٥٤١، وأصيلة عام ١٥٤٩، ثم القصر الصغير عام ١٥٥٠[٦].

رافق ذلك سعي السعديين من اجل توطيد دعائم حكمهم الناشيء، مستفيدين من حالة عدم الاستقرار السياسي والعسكري في المغرب الأقصى، ثم تنامي شعبيتهم بين أوساط السكان نتيجة لجهودهم الحثيثة وتبنيهم دعوة الجهاد، وحملهم السلاح ضد المحتلين البرتغاليين، لذا فإثر دخول مراكش عام ١٥٢٥م، شرعوا بالعمل للقضاء بشكل نهائي على الحكم الوطاسي المتداعي، ليتوجوا جهودهم بدخول مدينة فاس عاصمة الوطاسيين عام ١٥٤٩م، لكن العثمانيين تدخلوا عسكرياً، ما أدى إلى هزيمتهم، وإعادة الحكم الوطاسي، بسبب خشيتهم من تداعيات النزعة المستقلة للسلطان السعدي، وفي ٨ كانون الثاني ١٥٥٤م نجحوا بدخول فاس وأعادوا الحكم الوطاسي بقوة السلاح، غير أنهم لم يحسنوا التعامل بعد ذلك، إذ أساءوا التعامل مع السكان بشدة، إذ تعاملوا معهم تعامل الفاتحين الجدد، لينتهز محمد الشيخ تلك الفرصة السانحة من اجل استعادة زمام المبادرة، وهاجم المدينة مرة أخرى، ونجح في استعادتها بتاريخ ٢٣ أيلول ١٥٥٤م، منهياً بذلك الحكم الوطاسي[٧]، وأصبحت فاس عاصمة الدولة الجديدة، ليبدأ حكم السعديين (١٥٥٤-١٦٥٩م) في المغرب الأقصى[٨].

أدرك محمد الشيخ أنه غير قادر على تحدي العثمانيين والصمود أمامهم بالاعتماد على إمكاناته الذاتية، لهذا أرسل إلى الإسبان والبرتغاليين بطلب الدعم، من دون جدوى تُذكر، كذلك أدت النزعة الاستقلالية، ورفضه التام حتى لمجرد الاعتراف الضمني بسيطرة الدولة العثمانية (الخطبة والدعاء)، إلى قيامهم بتدبير مؤامرة لقتله، فاغتيل بتأريخ ٢٣ أيلول ١٥٥٧م[٩].

إن اغتيال محمد الشيخ يؤكد طموح العثمانيين الجاد لضم المغرب الأقصى، من أجل استكمال سيطرتهم على المغرب العربي، وإلا بماذا نفسر تلك الحشود البحرية والبرية لمهاجمته في حين كانت تونس وبعض موانيء الجزائر تعانيان من وطأة الاحتلال الاسباني (١٥٠٥-١٧٩٢م) والقوى المحلية المتعاونة معهم، فيما حلت الفوضى والاضطرابات بالمغرب عقب الاغتيال فأصبحت الفرصة سانحة أمامهم لاحتلاله[١٠]، إذ صدرت الأوامر إلى والي الجزائر حسن بن خير الدين (١٥٥٧-١٥٦١م) للزحف باتجاهه.

في أثناء ذلك تولى الحكم في المغرب الأقصى ابن السلطان القتيل أبو محمد عبدالله الغالب بالله (١٥٥٧-١٥٧٤م)[١١]، الذي استمر توتر العلاقات مع العثمانيين في عهده، ومع سعيه لإتباع سياسة التهدئة مع اسبانيا والبرتغال، والسعي لتوسيعها، فقد قام العثمانيون بحملة في نيسان ١٥٥٨م، انطلقت من الجزائر، والتي نجح بدحرها في معركة وادي اللبن شمال فاس، تلك التي أنهت آمال العثمانيين بضم المغرب الأقصى.

أدرك عبدالله الغالب وضمن الظروف والإمكانيات المتاحة له، استحالة طرد الإسبان والبرتغاليين من الموانيء المحتلة، فسعى تحت ضغط العثمانيين، إلى التهدئة بالاتجاه الذي يمنع مزيدا من التوسع الأوروبي، وذلك ما كان سيرغمه على الدخول في صراع لا تحمد عواقبه.

إن إخفاق العثمانيين في ضم المغرب عسكرياً دفعهم إلى العمل السياسي ومحاولة زعزعة المؤسسة الحاكمة بإدخالها في صراعات داخلية، وسنحت الفرصة لذلك مع لجوء ثلاثة من أشقاء السلطان (عبد المؤمن، وعبد الملك، وأبو العباس أحمد)، إلى الجزائر في عام ١٥٥٧م ثم اسطنبول، هرباً من بطش شقيقهم، نتيجة لرفضهم البيعة له، فاتصل عبد الملك بالسلطان سليم الثالث (١٥٦٦-١٥٧٤م)، الذي بادر إلى قبول دعوته، و إعلان الوصاية على الحكم بعد مقتل السلطان محمد الشيخ، داعماً مطالب عبد الملك في الحكم، ومن هنا بدأ التدخل العثماني في شؤون المغرب الأقصى من خلال رعاية ومساندة أبناء السلطان محمد الشيخ وتقديم أنواع المساعدات المتاحة لهم جميعها[١٢].

المبحث الأول: بدايات الصراع السعدي – البرتغالي (١٥٧٤-١٥٧٨م).

المرحلة الأولى: الحرب الداخلية على الحكم (٢٢ كانون الثاني ١٥٧٤-٣١ آذار ١٥٧٦م).

بعد وفاة عبدالله الغالب في ٢٢ كانون الثاني ١٥٧٤، بويع ابنه أبو عبدالله محمد المتوكل (١٥٧٤-١٥٧٦م)[١٣]، الذي لم تشهد مدة حكمه القصيرة أية أحداث مهمة، باستثناء تصاعد وتيرة الصراع مع أعمامه اللاجئين لدى العثمانيين، ما أدى في النهاية إلى الإطاحة بحكمه، والظروف التي أفضت إلى ذلك لها أهميتها القصوى فيما يتعلق بتاريخ المغرب الأقصى وعلاقاته سواء مع الدولة العثمانية أو اسبانيا والبرتغال[١٤].

كان الصراع بين العثمانيين والسعديين يتأثر تأثرا مباشرا بأحداث البحر المتوسط، فقد أحبطت هزيمة العثمانيين في واقعة ليبانتو Lepanto البحرية بتأريخ ٧ تشرين الأول ١٥٧١م، أمام التحالف الأوروبي الذي ضم بالأساس الجمهوريات الايطالية والبابوية والإمبراطورية الرومانية المقدسة، جميع خططهم لضم المغرب

الأقصى إلى دولتهم، وفي شباط ١٥٧٢م نجح الجواسيس السعديين من اغتيال عبد المؤمن أحد الأشقاء الثلاثة المرشحين لشغل عرش السعديين، فسارع شقيقه عبد الملك للسفر إلى اسطنبول لمطالبة بحقوقه في الحكم من السلطان العثماني، الذي أقره على ذلك، بدلاً من شقيقه المغتال، لكن نجاح الإسبان في إعادة احتلال إيالة تونس من العثمانيين، في حزيران ١٥٧٣م، وجه اهتمام سليم الثاني نحوها بالتحديد.

لذا صمم العثمانيون على استعادة هيبتهم بعد هزائمهم المتلاحقة، فقرروا البدء بذلك من طريق استعادة تونس من الأسبان وفي ١٣ تموز ١٥٧٤م ظهر الأسطول العثماني بقيادة سنان باشا (١٥٠٦-١٥٩٣م)، أمام مدينة تونس وبدأ بمحاصرتها، وكان يضم من (٢٥٠-٣٠٠) سفينة تحمل نحو (٧٠٠٠٠) جندي، وبعد معارك ضارية نجحوا باستعادة تونس، ليتم ضمها نهائيا إلى الدولة العثمانية[١٥].

استغل عبد الملك وشقيقه أبو العباس أحمد الفرصة السانحة لإدراك مطالبهما، فطلب أن يعمل هو وشقيقه تحت إمرة البحرية العثمانية في الجزائر التي انطلقت منها الحملة العسكرية لتحرير تونس من الاحتلال الإسباني، إذ أدركا أن سليم الثاني لن يغامر بفتح جبهة جديدة في المغرب العربي قبل أن يحسم المعركة في تونس.

وقد كان لهما ما أراداه، وحينما انتصرت الحملة العثمانية، كان عبد الملك أول مبشر للسلطان العثماني بالنصر الكبير، إذ سبقت السفينة التي استقلها من تونس إلى اسطنبول، السفن الأخرى، وكانت هذه البشرى هي المفتاح الذي فتح الباب على مصراعيه لمساعدة السلطان العثماني لعبد الملك بالهجوم على المغرب الأقصى وإزاحة ابن شقيقه وارتقاء الحكم[١٦].

لقد ساعد على رجوع العثمانيين إلى سياستهم السابقة ثلاثة عوامل، هي:

١. طبيعة السلطان السعدي محمد المتوكل.

٢. استمرار حضور المناوئين لسلطانه والمؤهلين أكثر منه لتولي الحكم وهما عماه عبد الملك في اسطنبول، وأبو العباس احمد في الجزائر.

٣. قدرة العثمانيين على استعادة قوتهم، وبناء أسطول كبير، في مدة زمنية وجيزة، من أجل محو آثار هزيمة ليبانتو.

كان محمد المتوكل فظاً ظالماً مستبداً فكرهه شعبه، وواصل سياسة المهادنة للقوى الأوروبية في حين كان عبد الملك يتمتع بالأهلية للحكم نظراً لما عُرف عنه من السجايا الحميدة والخبرة بأمور الحكم، ويمكن الإشارة إلى عامل رابع أسهم في استجابة العثمانيين، هو هدوء الأحوال في أوروبا تجاههم، نتيجة انشغال اسبانيا بالشأن الداخلي والأوروبي.

إن المساندة العثمانية جاءت بعد أن تعهد الشقيقان بموجب اتفاق عقد في شباط ١٥٧٦م مع السلطان العثماني مراد الثالث (١٢ كانون الأول ١٥٧٤م- ١٩ كانون الثاني ١٥٩٥م) بدفع مبلغ قدره (٥٠٠) ألف دينار ذهبي والالتزام بعقد تحالف مع العثمانيين لمهاجمة الإسبان والالتزام بالتخلي عن ميناء العرائش لوالي الجزائر من اجل اتخاذه قاعدة لانطلاق العمليات البحرية العثمانية في المحيط الأطلسي؛ وكان ذلك تكتيكا مرحليا اقتضته الظروف لتسلم الحكم، فتم تزويدهم بقوات بحرية تضم (٧٠٠٠) جندي بقيادة والي الجزائر رمضان باشا(١٥٧٤-١٥٧٧)، وبرية تضم (٧٧٠٠) جندي، فأصبح المجموع (١٤٧٠٠) جندي، وانضم لهم الفاسيون المؤيدون لهم، فبلغ العدد نحو (٢٠٠٠٠) جندي، مزودين بالذخائر والمدفعية والمؤن[١٧].

استطاعت الحملة من هزيمة قوات محمد المتوكل في واقعة الركن بالقرب من فاس، ثم دخلت المدينة في ٣١ آذار ١٥٧٦م، ويعود سبب ذلك إلى انضمام قادة جيش المتوكل، إلى صفوف الحملة، نتيجة لمراسلات سابقة مع عبد الملك، فهرب محمد المتوكل من ساحة المعركة، و رغب عبد الملك بالاستمرار في ملاحقته، لكن العثمانيين طالبوه بأن يدفع بما ذمته لهم فوراً، فتقاضوها ثم غادروا فاس بعد ذلك[١٨]

شرع السلطان الجديد الذي تلقب بأبي مروان عبد الملك المعتصم بالله السعدي، في ملاحقة ابن شقيقه الهارب، ليلتقي الجانبان في واقعة وادي الريحان، التي استمرت للمدة(١٠-١٢ تموز ١٥٧٦م)، وفي نهايتها نجح، بإلحاق الهزيمة الثانية والنهائية بمحمد المتوكل، ليدخل بعدها إلى مراكش، في حين لجأ المهزوم، إلى سوسة، في محاولة أخيرة منه لحشد أنصاره، لكنه لم يوفق، فلجأ إلى طنجة الخاضعة للاحتلال البرتغالي[١٩].

الاستجابة العثمانية كانت فاصلة في تحول الدولة السعدية من فرع المتوكل ابن محمد الغالب إلى فرع عبد الملك وشقيقه أبو العباس أحمد ابني محمد الشيخ، ما أدى إلى تولي الحكم رجل محنك يتصف بكثير من الخبرات والميزات التي يفتقر إليها خصمه محمد المتوكل.

وكان ذلك مؤثرا في الغزو الأوروبي للمغرب الأقصى وبالتحديد للبرتغاليين، وما كان يُراد به من مشروعات استعمارية يسعى إلى احتلالها، ذلك أن هزيمة محمد المتوكل، ثم طريقته في ترك ساحة المعركة، أكدت قلة كفاءته وخبرته سواء بوصفه سلطانا أو في المستقبل لدى مواجهته الأطماع الخارجية، إذ إن دخول فاس التي كانت عاصمة الدولة ورمز سيادتها، يمثل نهاية المعركة.

اتخذ عبد الملك المعتصم من مراكش عاصمة له في حين عين أبو العباس احمد والياً على فاس ونواحيها، ومن حُسن حظ الشقيقين أنهما لم ينافس بعضهما بعضا، كما حدث في السابق، كذلك تمتعا بصفات قيادية وخبرة إدارية وعسكرية لمواجهة التحديات المختلفة القائمة، فساعد احمد أبو العباس شقيقه كوزير وقائد ووالي على فاس لتدعيم الدولة، في حين لم يستجب عبد الملك المعتصم لنصيحة أحد مستشاريه بتنحيته خوفاً من تكرار مآسي الماضي من صراعات الأشقاء المريرة على الحكم، إذ قام أبو العباس أحمد بواجبه خير قيام، ولم تزعجه هذه النصيحة، كما أن عبد الملك المعتصم لم يشك قط في إخلاصه وتفانيه له وللدولة، فالهدف هو التكاتف والعمل المشترك للحفاظ على هيبة الحكم والتصدي لمخططات الأعداء[٢٠].

كان عبد الملك المعتصم، قد ترك ابنه وزوجته في اسطنبول وبقي تابعاً للدولة العثمانية طول مدة حكمه، وأجرى إصلاحات كثيرة في فاس، واتخذ من تشكيلات الدولة العثمانية مثلاً يحتذى به في إصلاحاته، بل قلد السلاطين العثمانيين حتى في زيهم، وكان يخرج مثلهم إلى الصلاة في مراسم خاصة، ونظم القصر الذي بناه في فاس على غرار قصر طوب قابي في اسطنبول، واستقدم ضباطا عثمانيين من الجزائر لتنظيم جيشه[٢١].

المرحلة الثانية: الاستعدادات العسكرية والعلاقات السعدية- الأوروبية (١٥٧٦-١٥٧٨م).

بعد استقرار الحكم في المغرب الأقصى، أرسل مراد الثالث رسالتين إلى عبد الملك المعتصم بتأريخ ٩ حزيران ١٥٧٧م، وفيهما يمنّ السلطان العثماني عليه بما أسداه إليه من مساعدة ويعدهُ والياً له على المغرب الأقصى، ويطلب إليه أن يظل منتسباً إلى الباب العالي، وأن يُبقي على علاقات حسن الجوار مع والي الجزائر، وأن يتعاونا في" صد الغزاة الأوروبيين على ديار الإسلام"[٢٢].

اتجه السلطان السعدي الجديد إلى بناء وتحديث الأسطول الحربي لحماية الموانيء وتعقب الأعداء وتنشيط الحركة التجارية، هذا فضلا عن تأسيس قوة عسكرية نظامية ثابتة، متبعاً النظام العثماني في أساليبها وزيها وسلاحها ومراتبها العسكرية، وحقق ذلك في مدة قصيرة جداً[٢٣].

لقد اكتسب عبد الملك المعتصم خبرة واسعة، في أثناء مدة لجوئه الطويلة إلى الدولة العثمانية، إذ أولى اهتماماً خاصاً بالجيش ورفع كفائته القتالية، فهو أول من أسس جيشاً نظامياً بالمغرب الأقصى، ونجح بضم عدد من الأندلسيين والضباط العثمانيين للاستفادة من خبرتهم العسكرية، لذا حظي بشعبية واسعة بين العامة، مع حرصه الدائم على متابعة أدق التفاصيل من أمور دولته بشكل مباشر، كذلك وضع نواة لأسطول بحري عبر بناء السفن في العرائش وسلا، ما منح حماية للسفن التجارية المغربية، وإمكانية التعرض لسفن الأعداء، الأمر الذي وفر له موارد مالية وفيرة للإنفاق على مشاريعه العسكرية الطموحة لتوطيد حكمه [٢٤].

كانت بداية مسيرة أحداث واقعة وادي المخازن، بوقائعها السياسية والعسكرية، ما بدا في أنظار اسبانيا والبرتغال من انقلاب علاقات الدولة السعدية الخارجية بوصول عبد الملك المعتصم للحكم، فهو على عكس سلفه محمد المتوكل الذي أبقى على علاقات وطيدة مع الدولتين، لذا كان التغيير بداية لتوجه جديد يختلف عن السابق، حتى عن عهد عبدالله الغالب، ثم ضاعف من هذه القناعات السياسية، ما أبداه عبد الملك المعتصم من مواقف معادية للإسبان والبرتغاليين، كذلك زادت مخاوفهم نتيجة روابطه الوثيقة مع العثمانيين، بسبب مدة لجوئه الطويل، ما ترك بصماته على مظاهر حكمه جميعها، كما إن استمرار محمد المتوكل في مقاومته، ولجوئه إلى طلب المساعدة في الشمال، حيث تتمركز القواعد الاسبانية والبرتغالية في مليله

وسبتة وطنجة ومعقله الأخير في أصيلة، الذي واصل منه تحركاته لحشد التأييد الداخلي والخارجي لمطالبه في استعادة الحكم، كل هذه العوامل مُجتمعةً كانت حائلاً دون عودة التوازن السياسي إلى علاقات الدولة السعدية الخارجية، بما يعني قطع العلاقات الخاصة مع العثمانيين، على وفق قناعة الأوروبيين ذلك ما أدى إلى اتخاذ الأطراف المختلفة مواقف بذاتها، أفضت في النهاية إلى الصدام العسكري[٢٥].

إلى جانب الدوافع السياسية- العسكرية يبرز الجانب الاقتصادي، إذ سعى عبد الملك المعتصم إلى توثيق علاقاته في هذا المجال مع انكلترا وفرنسا، فاستقبلت فاس سفيري البلدين في عام ١٥٧٧ [٢٦]، لذا لم يكن البرتغاليون قادرين على تجاهل التهديد الجديد لخطوط المواصلات البحرية التي كانت تربط التجارة الآسيوية وتجارة عبيد أفريقيا وتجارة سكر البرازيل الناميتين بلشبونة[٢٧]، وقد شرح جوزمان دي سيلفا Gozman de Silva، سفير اسبانيا في البندقية، كل ذلك للملك الاسباني فيليب الثاني Philip II (١٥٥٦-١٥٩٨م)، برسالته المؤرخة في ٢٣ آيار ١٥٧٦م، بالقول" إن البنادقة سيرتاحون لاحتلال العثمانيين لمراكش، بحكم أن ذلك سيوفر للملاحة الإسلامية قاعدة تمكنها من مهاجمة تجارة إيبيريا الأطلنطية وبالتالي تمكن البندقية- والطريق التجاري المار بشرقي البحر المتوسط- من استعادة وضعها الهام"[٢٨].

ضمن هذا السياق يورد أحد المؤلفين المغاربة وجهة نظر جديرة بالاهتمام مفادها"إن هذا السلطان (عبدالملك المعتصم) رأى مملكة الترك ورأى منافع البحر فأول ما أمر بإنشاء السفن، وإذا كملت له العمارة يقطع إلى بلادنا مع أهل الأندلس وهم أقرب إليه من غيرهم في الرأي والتدبير، ولا يشتغل إلا بنا ونحن ندبر على ملكنا قبل أن يصلح سلطانه ويتمكن من أمره. وأول التدبير عندنا أن تخرجوا وتحتووا وتتمكنوا بالسواحل وتقاتلوا في بلاده وأرضه، فاجتمع الرأي على ما ذكر

وقالوا لمولاي محمد(المتوكل) نحن خارجون وأنت معنا، فإن ظفرنا بالبلاد فلا قسم لنا معك فيها إلا السواحل وما دونها فهو لك. فأنعم لهم بذلك وتعاهدوا عليه"[٢٩].

إن لجوء محمد المتوكل للبرتغال، لطلب العون، واصفاً الحال في المغرب الأقصى على غير حقيقته، والادعاء بامتلاكه أنصارا كثيرين به، ثم التزامه بمنح البرتغاليين كل الشواطيء في حين سيكتفي بحكم الدواخل، كلها أمور لم تكن على الإطلاق لتحظى بالقبول بين العامة، فعندما كتب لعلماء المسلمين في فاس يطلب الدعم، جاءه الرد بالرفض المطلق مع التحذير من العواقب الوخيمة، في رسالة طويلة ومفصلة، كانت خاتمتها ". . . ، وقد قاتلت وأنت في وسط المسلمين في بضع عشرة معركة لم تنتصر لك فيها راية، فأي نحس وشؤم حلا بديار الروم، فإن جلبتهم فالله لك ولهم بالمرصاد، ارجع إلى الله أيها المسكين، وتب إليه فإنه يقبل التوبة عن عباده في كل وقت وحين، ودع عنك كلام من لا ينهضك حاله، ولا يدلك على الله مقاله، وهذه نصيحة أن وافقت عليها، وموعظة إن وفقت إليها، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، وهو نعم المولى ونعم النصير، وهو حسبنا ونعم الوكيل، والسلام"[٣٠].

في هذه الأثناء كان سيباستيان الأول SebastianI(١٥٥٧-١٥٧٨م) ملك البرتغال الشاب، يستعد للحملة ضد المغرب الأقصى، وهو الذي نشأ في بلاط ساده جو مفعم بالمشاعر الدينية وتأثر بمعلميه اليسوعيين، ما أفضى به لتبني سياسة متشددة ضد البروتستانت والمسلمين، على الرغم من معارضة قادة جيشه ونصيحة خاله فيليب الثاني، الذي راسله محمد المتوكل في البدء، لكنه تجاهل مد يد العون إليه، لانشغاله في الحروب الداخلية ضد مسلمي إسبانيا، إضافة للجبهات الأوروبية الأخرى[٣١].

هنا تبدأ معركة وادي المخازن بداية غير واضحة المعالم، هل كان البرتغاليون يفكرون ويستعدون إلى احتلال جزء من المغرب الأقصى، وميناء العرائش بوابة هذا

الجزء، أو أن ما قام به محمد المتوكل، هو ما شجع الملك البرتغالي الشاب المتعصب، على التفكير باحتلال العرائش مقدمة لاحتلال شامل.

مهما يكن فإن المخطط، الذي وضعه البرتغاليون من قبل وهم يحتلون الموانيء حتى أغادير على عهد الوطاسيين، ثم وهم يطردون من اغلبها على عهد السعديين، قد تجدد في فكر سيباستيان، وأراد أن تحقق مملكته أكثر مما حققه سابقوه وأخفقوا في إكماله وأن يجعل من شخصه ملكا متعصبا، قائداً للمعركة ضد المسلمين، ومن المؤكد أن تحالف محمد المتوكل معه وتحريضه على القيام بمعركة للقضاء على حكم عمه، ووعده بان تكون له السيطرة على الموانيء المغربية جميعها، وفي مقدمتها العرائش التي كانت تُعد أهم ميناء مغربي على المحيط الأطلسي؛ زاد من حماس سيباستيان لكن لم يكن هو السبب الرئيس في اتخاذ القرار بشن الحملة؛ إذ يجب أن نشير الى أن الإسبان والبرتغاليين ما يزالون يعدون المغرب الأقصى مسؤولاً عن تأسيس الحكم العربي الإسلامي في ايبيريا (٧١١-١٤٩٢م)، وهم بذلك لم يكتفوا بطرد المسلمين من آخر معاقلهم في غرناطة عام ١٤٩٢، بعد صراع مرير ونجاحات متوالية منذ استعادة طليطلة أولى الحواضر الإسلامية في ٢٥ آيار ١٠٨٥م، بل أخذوا في مرحلة لاحقة باحتلال المواني المغربية، بدءاً من احتلال سبتة عام ١٤١٥م، إذ لابد لهم لكي يضمنوا عدم عودة المسلمين إلى الأندلس أن يكسروا شوكتهم باحتلال موانئه المطلة على المحيط الأطلسي جميعها ومنها االعرائش[٣٢].

كان الملك البرتغالي يسعى لإعداد الحملة منذ مدة، ومع اندلاع الثورات ضد محمد المتوكل والمناداة بإمارة عمه عبد الملك المنفي لدى العثمانيين، بدأ مشروعه لاحتلال ميناء العرائش، بزيارة سبتة وطنجة، في تشرين الثاني ١٥٧٤م مع وعد بتكرار الزيارة في الربيع، وسعى لدى فيليب الثاني لتحذيره من خطر عودة العثمانيين

إلى فاس بدعم من عبد الملك ما سيسمح للأسطول العثماني بالحصول على قواعد ينطلق منها لمهاجمة الموانيء الاسبانية والبرتغالية، فاحتلال العرائش كان سيحول دون ذلك، بل سيتيح السيطرة على طرق الملاحة التجارية في المنطقة، ومع دخول عبد الملك فاس في ٣١ آذار ١٥٧٦م، اتجه السفير البرتغالي في مدريد إلى البلاط يلتمس باسم بلده تقديم عون إضافي من السلاح والمؤن [٣٣].

لكن سيباستيان لم يمتلك القوة الكافية لتحقيق طموحاته، فهرع للاتفاق مع فيليب الثاني، وفي ٢٢ كانون الأول ١٥٧٦م تقابلا في مدينة استرامدورا قرب مدريد، وقرر فيليب الثاني مساعدته شريطة الاكتفاء باحتلال العرائش وألا تستمر الحرب أكثر من سنة، وقرر إعطاءه (٥٠) سفينة و(٥) آلاف جندي ومشاركته بثلث النفقات، كما عرض عليه الزواج من ابنته، لكن تم تأجيل هذا الموضوع إلى ما بعد انتهاء الحملة [٣٤].

لم تكن هذه التحركات بخافية على عبد الملك المعتصم، لذا سعى للتقارب مع فيليب الثاني فأرسل إليه رسالة مع حاكم وهران مارتن دييغو Marttin Diego، في نيسان ١٥٧٧م تتضمن مشروع معاهدة مغربية إسبانية، إذ بدأ رسالته بالتذكير بأنه يبحث دائماً عن صداقة الملك الإسباني وللدلالة على ذلك ذكرهُ بمراسلته السابقة له، ثم استعرض أهم بنود مشروع المعاهدة التي تنص على إقرار السلم بين البلدين وحرية التجارة لرعاياهما، وعدم مد بعضهم يد المساعدة ضد بعض، ولم تثبت الوثائق التاريخية فيما إذا جرت محاولات لمناقشة مشروع المعاهدة، او أن الأحداث التي جرت بالمغرب الأقصى من جراء هزيمة محمد المتوكل ولجوئه إلى سيباستيان الذي استجاب لطلبه قد حال دون ذلك وجعل فيليب الثاني يتريث في الرد انتظاراً لما ستؤول إليه الأحداث، وهو ما أثبتته التطورات اللاحقة [٣٥].

كان الهدف العسكري للحملة هو احتلال ميناء العرائش، في حين قرر سيباستيان ألا يكشف عن ذلك، وأن يعلن عن هدف آخر للتمويه مثل الاتجاه نحو ازمور واغادير بذريعة التحالف مع محمد المتوكل أو الذهاب فحسب لتحصين سبتة، وفي نيسان ١٥٧٧م اتفق على اختيار لويس دي أتاديLuis de Atide (١٥١٧-١٥٨٠م) قائداً للحملة، لكن فيليب الثاني نصح بتأخير الإعلان عن هدفها أو عدم الإعلان من الأساس، في حين كان رأي سيباستيان أن تتألف القوة الاسبانية المشتركة من (٥٠) سفينة تحمل (٥) آلاف جندي وكميات وافرة من المؤن والذخائر، اعتقاداً منه أن الحملة لن تعدو أن تكون أكثر من رحلة تنم بالتباهي والبهجة.

لكن في أثناء ذلك تناهى إلى سمعه خبر عرض السلام والتحالف الذي أرسله عبد الملك المعتصم الذي كان سخياً في بنوده، لكنه بالرغم من ذلك لم يجد فيه سبباً يدعو إلى الأخذ به للتخلي عن مشروع حملته، وهكذا أصر على المضي قدماً، لكن جاء التأخير لمدة عام كامل بسبب عروض السلام التي قدمها العثمانيون لفيليب الثاني، الذي لم يكن ليشرع بالحملة من دون مساعدته[٣٦].

بالمقابل ساد في أوساط الرأي العام البرتغالي تياران، أحدهما تيار متطرف متحمس لمشروع الحملة، وآخر معارض يتزعمه عمه الكاردينال هنريCardinal Henry (١٥١٢-١٥٨٠م) الذي كان لا يثق بمحمد المتوكل ويعتقد أن الصراع مع عمه صراع ظاهري وأن عروض التحالف لا تعدو أن تكون مجرد فخ للإيقاع بالملك والجيش البرتغالي[٣٧]، ومع تعيين لويس دي سلفا Luis de Silva في نيسان ١٥٧٧ سفيراً للبرتغال في اسبانيا، بدأت مرحلة من المراسلات بين الطرفين، كان موضوعها الرئيس هو تنفيذ وعد فيليب الثاني، وبلغ عدد هذه المراسلات ثمان وعشرين رسالة، من المدة (١١ نيسان ١٥٧٧م- ٢٧ آبار ١٥٧٨م)، تباحث

فيها الملكان بشأن نقاط تعلقت بعدد فرق الحملة وقيادتها والأماكن التي ستنقل إليها المؤن اللازمة، على الرغم من شكوى الملك البرتغالي من الانتظار طويلاً قبل الاتفاق النهائي على تلك النقاط، فقد التزم فيليب الثاني بوعده له، ومع نهاية شباط ١٥٧٨م، أعلن سيباستيان عن تنفيذ حملته المؤجلة، وتولى قيادتها شخصياً، ولم يهتم بالمباحثات التي كانت تجري بين الإسبان والعثمانيين، معتمداً على الوعد الذي بحوزته، لذا ذهبت جهود السفير الاسباني في لشبونة سُدى، عندما أخفق الى آخر لحظة في إقناعه بجدوى المشاركة في المباحثات، بذريعة" أن المعاهدة على عكس ما هو مفترض تسمح لعبد المالك (عبد الملك المعتصم) باستجلاب العديد من الأتراك إلى المغرب والاستعداد لشن حرب ضروس أكبر من تلك التي يعد هو لها "[٣٨].

إن تمادي ملك البرتغال في خطته الرامية إلى غزو المغرب الأقصى بدعوى مساعدة محمد المتوكل وحرصه على اغتنام هذه الفرصة، جعل فيليب الثاني الذي كان منشغلاً بالشأن الأوروبي يبعث إلى لشبونة عدة سفارات ليحذره من مغبة أعماله ولا ننسى أن عبد الملك المعتصم كان في هذه الآونة قد تقدم بمشروع المعاهدة المغربية- الاسبانية التي ما زالت قيد الدرس في البلاط الإسباني، ومن السفارات التي وجهها فيليب الثاني إلى لشبونة دون خوان دي سلبا Don Juan de Silba ثم دون لويس دي سلبا Don Luis de Silba وبعث إليه ايضا سفير فوق العادة في آذار ١٥٧٨م، لكن هذه المحاولات جميعها وما سبقها باءت بالإخفاق لإصرار ملك البرتغال المتعصب الطموح على اغتنام الفرصة الراهنة للتدخل في المغرب الأقصى واستعادة نفوذ البرتغال في تلك البلاد، لتبدأ بذلك مرحلة جديدة في تاريخ المغرب الأقصى وتاريخ الدولة السعدية بشكل خاص [٣٩].

المبحث الثاني: العمليات العسكرية (٢٥ حزيران-٤ آب ١٥٧٨م).

لم يكن عبد الملك المعتصم مستعداً لمعركة من هذا الوزن الثقيل وكان ما يزال يقيم في مراكش، وعندما وصله الخبر، جمع قواته من مراكش وقوات أخيه من فاس، ووافاه كثير من المهاجرين المتطوعين من مختلف أنحاء المغرب الأقصى، ومنهم علماء دين ومثقفون وطلبة متحمسون ومدفوعون بغيرتهم على الوطن وخوفهم من أن يقع للبلاد جميعها ما وقع لطنجة وسبتة والشواطيء التي طرد منها البرتغاليون من قبل[٤٠].

غادرت الحملة لشبونة في ٢٥ حزيران وقدرت «الوثائق الاسبانية» عددها مابين (١٧-١٨) ألف رجل (حملتهم ٦٠ سفينة من بينها ٥ سفن حربية كبرى)[٤١]، واتجهت إلى قادس التي وصلتها في ٢٩ حزيران، ومنها أبحرت إلى طنجة فوصلتها في ٨ تموز، ثم اتجه الجيش البرتغالي إلى أصيلة التي وصلها في ١٢ تموز، وكانوا قد وضعوا أيديهم عليها في تموز ١٥٧٧م بمساعدة محمد المتوكل الذي التحق بالحملة في طنجة مع نحو (٥٠٠) فارس، وبقي الجيش البرتغالي مدة في أصيلة، أتاحت فرصة للجيش المغربي ليكمل استعداداته، فقد أضاع سيباستيان الوقت الثمين في مناقشة الطريق الذي يجب أن تسلكه الحملة: هل تحتل العرائش ثم القصر الكبير كما أشار عليه بذلك محمد المتوكل وكبار مستشاريه، أو تتخذ طريق البر؟ وأخيراً استقرت رغبة الملك على أن تكون المعركة برية، «وترجع بعض المراجع ذلك إلى رغبة الملك في استعراض بطولته وفروسيته»[٤٢].

وفي أثناء ذلك حاول عبد الملك المعتصم خداع سيباستيان، ونجح بدفعه إلى اتخاذ أولى القرارات الكارثية، إذ أرسل له رسالة مفادها» إن سطوتك قد ظهرت في خروجك من أرضك، وجوازك العدوة فإن ثبتت إلى أن نقدم عليك فأنت نصراني حقيقي شجاع. وإلا فأنت. . »[٤٣].

يؤكد السفير الاسباني في لشبونة Don Juan de Silba الذي رافق الحملة في رسالة له إلى فيليب الثاني بتأريخ ٢٥ تموز ١٥٧٨م، أن ذلك كان قرارا خاطئا منذ البداية، إذ " تعترضه مصاعب كبيرة جدا، ذلك في أول معسكر استراحة مخطط للحملة على بعد مرحلتين من أصيلة لا يتوفر أي ماء، وللوصول إلى أول نبع مائي يحتاج الأمر إلى السير بالحملة إلى مساء اليوم التالي- الأمر الذي يحتم على الحملة أن تتوقف للاستراحة من جديد، مما يعني الحاجة إلى مرحلة يومين أو ثلاثة أخرى للوصول إلى القصر الكبير. . . ، وهذا في إجماله يعني أن ترتيبات الوصول بالحملة إلى هدفها المنشود يقتضي خمسة عشر يوماً يمكن للعدو الاستفادة منها"[٤٤].

ضمت الحملة جنودا لم يتمرنوا على القتال في المغرب، وتتكون من وحدات مختلفة الجنسيات، تنتمي للبرتغال في أغلبها وفيها كذلك الإسبان والألمان والإيطاليون فضلاً عن وحدة عسكرية صغيرة من المغاربة يقودها محمد المتوكل، وكانت خيالة هذا الجيش ضعيفة وتحمل في الوقت نفسه (٣٦) قطعة مدفعية وقافلة كبيرة من العربات غير المعتادة على السير في المسالك المغربية الوعرة، في حين جمع عبد الملك المعتصم جيشا يضم نحو(٥٠) ألف جندي يعتمد بالأساس على خيالته، تحدوه روح الجهاد في سبيل الله[٤٥].

لقد بلغ التطور في صناعة الأسلحة النارية مدى كبيرا في أثناء تلك المدة من حكم الدولة السعدية (١٥٥٧-١٥٧٨م)، إذ تم تنظيم الجيش على النمط العثماني، وتشكيل فرق مسلحة بالبنادق من الجنود العثمانيين السابقين والأندلسيين، واستعان السلطان بصناع الأسلحة الأوروبيين من ذوي الخبرة والكفاءة، الذين استحدثوا أساليب مبتكرة، في صب المدافع، لذا وفي عام ١٥٧٥م كان جيش عبدالله الغالب مجهزاً بنحو

مئة وخمسين مدفعاً من بينها مدفع ذو تسع مواسير (هو الآن بمتحف الجيش في باريس)، وفي عام ١٥٧٨م كان الجيش المتوجه للقتال يحمل (٣٤) مدفعاً، مع (٣) آلاف من المشاة الأندلسيين حملة البنادق وألف من الفرسان الأندلسيين المسلحين بالبنادق[٤٦].

أما عبد الملك المعتصم الذي كانت عيونه تراقب كل تحركات الحملة البرتغالية منذ خروجها من لشبونة يوم ٢٥ حزيران ١٥٧٨م، فقد خرج من مراكش في اليوم التالي وقصد السوس، وربما كان ذلك لإعداد وتجهيز القوات، ثم عاد إلى مراكش وخرج منها ثانيةً باتجاه الشمال حيث عسكر في منطقة الخميس يوم ٣ تموز، وبعد ثلاثة أيام وصل تامسنة فسلا يوم ١٤ تموز، ثم المعمورة بعد يومين، وقد نصب بها بعض قطع المدفعية، كما ورده في أثناء ذلك خبر وصول الحملة البرتغالية إلى أصيلة التي بقيت فيها حتى ٢٨ تموز، ثم سعى ضمن المسار نفسه إلى حشد التأييد الشعبي والديني له في معركته المرتقبة، فنادى منذ البداية بالدعوة إلى الجهاد المقدس لمواجهة الغزو الخارجي، جاعلاً من صفوف المجاهدين في مقدمة جيشه " ولما سمعت جنود الله وأنصاره وحماة دينه من العرب والعجم، حملتهم الغيرة الإسلامية والحمية الإيمانية وتجدد لهم نور الإيمان وأشرق عليهم شعاع لا يقاس، عقد الراية المنصورة بالله وسط جامع المنصور بعد أن ختم عليها أهل الله حملة القرآن مائة ختمة وضجوا عند ذلك بالتهليل والتكبير والصلاة والسلام على البشير النذير والدعاء له وللإسلام بالنصر والتمكين"، وتمركز الجيش السعدي بسوق الخميس على بعد ١٠ كم جنوبي وادي القصر الكبير[٤٧].

أرسل عبد الملك المعتصم رسالة إلى سيباستيان، يذكره بها" إني جئتك من مراكش ورحلت لك ست عشرة مرحلة، وأنت لم تدن إلي مرحلة واحدة"، وكان غرضه من ذلك استدراجه للخروج إليه والابتعاد عن قواعد التموين ليسهل القضاء عليه، وهو ما حدث بالفعل[٤٨].

سرعان ما استدرج سيباستيان إلى طريق مسدودة بين نهر لوخوس ووادي المخازن من دون أن ينتبه وهو الذي عُرف بعناده الا ان ارتفاع الماء في هذا المكان يختلف نتيجة المد والجزر، ليبادر بالهجوم صبيحة ٤ آب ١٥٧٨م، فانتصر في أول الأمر انتصاراً لم يقو على استغلاله لافتقاره إلى ما يكفي من الفرسان؛ وعند ذاك اخذ الجيش المغربي المتفوق عدداً وموقعاً زمام المبادرة وتوغل بين صفوف أعدائه، وحاول الجنود الهاربون اجتياز وادي المخازن نحو العرائش غير أن مستوى النهر كان مرتفعاً نتيجة لحركة المد فغرق اغلبهم ومنهم سيباستيان ومحمد المتوكل أو سقطوا أسرى، أما عبد الملك المعتصم فقد أنهكه المرض، ولكنه تحامل على نفسه للاستمرار ولم يلبث أن فارق الحياة قبل الحسم، فأحاط أبو العباس احمد الأمر بكتمان شديد حتى النهاية، خوفاً من انهيار المعنويات، لتنجلي الأحداث عن موت الملوك الثلاثة المشاركين بها، لذا تسميها بعض المصادر" واقعة الملوك الثلاثة"[٤٩].

إضافة لما تقدم ذكره، أوردت مصادر أخرى[٥٠]، رواية متطابقة مفادها "أن عبد الملك المعتصم قام بإرسال ثلة من قواته ليلاً لهدم الجسر الوحيد القائم على وادي النهر الذي عبر عليه الأعداء قبل ذلك إلى الضفة الأخرى لقتاله، لكنهم غفلوا عن تأمينه، مما قطع عليهم خط الرجعة"، ذلك ما كان سببا إضافيا للهزيمة الساحقة.

تميزت الواقعة بسيادة الروح الحماسية على المشاركين فيها، ونسجل هنا مشاركة شيخ الطريقة الجزولية (نسبة الى الفقيه أبي موسى الجزولي ١١٤٥-١٢١٠م)، المجاهد الشيخ أبو المحاسن يوسف بن محمد الفاسي (١٥٣٠-١٦٠٤م)، الذي كان في مقدمة القوات[٥١]، في حين كانت الحملة البرتغالية حملة صليبية حقيقية فقد أسهم إلى جانب البرتغاليين إسبان وإيطاليون وألمان وباركها البابا غريغوريوس الثالث عشر Gregory IIX (١٥٧٢-١٥٨٥م) وقدم لها مساعدات مادية ومعنوية وعسكرية، لذا طغى الحماس الديني عليها[٥٢].

وعند تحديد أسباب النصر، يمكن القول إن التشكيل الذي اتخذه الطرفان كان في صالح المدافعين، إذ أمر عبد الملك المعتصم شقيقه أبا العباس احمد باتخاذ ترتيب على شكل هلال كان هو في وسطه، في حين كانت الخيالة على الجناحين، أما المهاجمون فانتظموا على شكل مربع في مقدمته البرتغاليون، وفي اليمين الألمان وفي اليسار المتطوعون الأسبان والإيطاليون وعلى الجناحين الخيالة وأنصار محمد المتوكل (٥٣).

يضاف لذلك الجانب المعنوي فاستنجاد محمد المتوكل بالبرتغاليين، لقي استنكاراً عاماً، لأن السلطان الذي كان بعضهم يعدهُ الحاكم الشرعي قد خان البلاد وتحالف مع العدو، كما إنه كان شخصية انهزامية لقي الخسارة في معاركه السابقة جميعها، فلم يصمد طويلاً في أثناء الواقعة.

وعلى العكس مما تقدم ذكرُه، كانت شخصية عبد الملك المعتصم تتمتع بالذكاء والحنكة، ويتقن عدة لغات منها الاسبانية والبرتغالية والتركية وبعض الفرنسية، كل ذلك جعل منه شخصية متفتحة لوضع ركائز الدولة في تلك المرحلة الحرجة، وننوه بالدور الذي قام به أبو العباس أحمد، وبخاصة في واقعة وادي المخازن، ويعود نجاح الشقيقين إلى عمق رابطة الإخوة بينهما، والى الإدراك الكبير الذي اتسم به فلم يسع للمنافسة على الحكم أو الزعامة، وساعد قبل الواقعة في حشد الجنود وكثير من القبائل والمتطوعين من علماء الدين وطلبتهم، ثم أن تبصره وشجاعته ظهرت عندما توفي شقيقه المريض والواقعة في بدايتها، إذ استطاع كتمان الأمر وقيادة الجيش، مما ساعد على تحقيق النصر الناجز (٥٤).

كان الجيش البرتغالي مزوداً بأسلحة نارية حديثة متفوقاً بالمدفعية لكن تنقصه الخيالة، في حين ارتكب سيباستيان أخطاء قاتلة:

١. لم يستمع إلى نصيحة محمد المتوكل باحتلال تطوان والعرائش كي يستطيع حشد القبائل.

٢. كان تحرك الحملة بطيئاً بسبب كثرة العربات، ووعورة الطرق، مما منح السعديين الفرصة لإكمال استعداداتهم.

٣. نجح عبد الملك المعتصم في استدراجه إلى الداخل مبتعداً عن حماية الأسطول واتخاذه موقعا عسكريا غير ملائم حين اتجه لعبور نهر اللوكوس وأحد روافده ووادي المخازن في منطقة مستنقعات دون أن يأخذ بعين الاعتبار تغير مستوى النهر في حالة المد.

٤. اتخذ الجيش البرتغالي وضعاً قتالياً لا يسمح بالمناورة إذ اعتمد نظام المربعات، وأحاط جناحيه بالعربات وجعل مؤخرته تستند إلى وادي المخازن ومستنقعاته مما يحول دون التراجع.

كان الجيش السعدي، يملك مدفعية أقل وخيالة أكثر واتخذ وضعاً قتالياً ممتازاً فقد انتظم على شكل هلال: الخيالة في الجناحين والمشاة في الوسط تغطيها المدفعية من الخلف، واتخذ مواضع تسهل المناورة والحركة، وساد الحماس الديني والوطني بين صفوفه، ثم دمروا الجسر الوحيد على وادي المخازن قبل الواقعة ليقطعوا خط الرجوع على البرتغاليين(٥٥).

المبحث الثالث: نتائج واقعة وادي المخازن.

كانت الهزيمة مريرة للبرتغاليين بكل المقاييس، ويكفي القول إنه وصل عدد الأسرى إلى نحو أربعة عشر ألفاً، تم فديتهم بمبلغ كبير من المال، حتى ان بعض المؤرخين يرجع تلقيب أبي العباس أحمد الذي خلف شقيقه في الحكم (١٥٧٨-١٦٠٣م) بلقب المنصور « الذهبي» الى هذا الامر، أما جثة سيباستيان فقد أرجعها إلى البرتغال ورفض أن يقبض المال مقابل ذلك[٥٦].

لكن النتيجة الأبرز كانت في البرتغال نفسها، فمع مقتل سيباستيان وأغلب رجال مملكته، لم يبق من العائلة المالكة، إلا عمه الكاردينال هنري الذي تولى الحكم للمدة(١٥٧٨-١٥٨٠م)، ولدى رحيله، انتهز فيليب الثاني الفرصة لضم البرتغال في العام نفسه، وجمع الدولتين تحت تاجه، فكان بذلك نهاية عهد حكم أسرة آفيس Avis (١٣٨٥-١٥٨٠م) في البرتغال[٥٧].

أما بالنسبة للمغرب فيمكن أجمال نتائج الواقعة فيما يأتي:

١. أعاد انتصار الشعب المغربي، ثقته بنفسه وبقدرته على القضاء على المطامع الاستعمارية التوسعية التي تعرضت لها بلاده منذ أن استولت البرتغال على سبتة عام ١٤١٥م.

٢. أتاح النصر الساحق فرصة الاستقرار والازدهار للمغرب الأقصى والتفرغ للبناء والتعمير.

٣. من الناحية الاقتصادية تدفقت على المغرب الأقصى الأموال البرتغالية التي دفُعت لافتداء الأسرى كما ازدهرت التجارة وتسابقت الدول الأوروبية على ذلك.

٤. ترتب على الاستقرار، والاعتزاز بالنصر أن ازدهرت الحركة الفكرية والأدبية فبرز كتاب وشعراء وأدباء، من أمثال عبد العزيز القشتالي (١٥٤٩-١٦٢١م) وابن القاضي (١٥٥٣-١٦١٦م) والمقري (١٥٧٨-١٦٣٢م) وغيرهم.

٥. دعم النصر نفوذ السعديين في المغرب الأقصى وفرض احترامهم سواء في العالم الإسلامي أم في أوربا، فأصبحت لهم شخصية بارزة في العالم كله، وقد كان أول ما قام به السلطان احمد المنصور إثر بيعته أن كتب لملوك الإسلام ينبئهم بهذا الفتح المبين، وتقاطرت الوفود من الإرجاء جميعها تحمل الهدايا وتقدم التهاني، ومن بينها هدية من مراد الثالث، ولاشك أن هذا النصر جعل العثمانيين يصرفون النظر، عن محاولة غزو المغرب الأقصى، الذي كان البلد العربي الوحيد الذي لم يحتلوه، وازدحمت عاصمة السعديين بالوفود الأوروبية، ومنها وفد من اسبانيا، وآخر من فرنسا، وسفراء انكلترا، في تسابق حثيث لمد أواصر الصداقة التعاون.

والحقيقة أن واقعة وادي المخازن انسحبت آثارها على العلاقات الدولية الأوروبية بشكل أكثر مما هو متوقع كمعركة محلية، فقد تغيرت نظرة الدول الأوروبية كلها للمغرب الأقصى، بل جعلتها وهي التي كانت تندفع بحماس إلى المشاركة في حملات صليبية، إلى أن تُعيد النظر قبل أن تُقدم على تكرار ذلك، لذا فتحت واقعة وادي المخازن صفحة جديدة من الحوار والتعايش السلمي بين المغرب الأقصى وأوروبا، [٥٨].

الخاتمة.

لقد تحكمت الجغرافيا التاريخية، في تحديد نمط الصلات بين المغرب الأقصى، والدول التي تعاقبت على آيبيريا، لكنها بالإجمال كانت صلات وطيدة موغلة في التاريخ، وعلى مختلف الصُعد، من جراء القرب المكاني في حين حظي الجانب السياسي بالأولوية، كما هو متبع، ثم تبتعه الجوانب الأخرى.

لكن الزخم الأكبر جاء إبان الحكم العربي الإسلامي في الأندلس (٧١١-١٤٩٢م)، ما شكل بداية لصراع مرير، الأمر الذي استمر حتى عقب طرد المسلمين من الأندلس، مدفوع بعوامل الثأر لدى الجانبين، جراء ما تعرض له المسلمون من اضطهاد منتظم، أجج المشاعر الدينية لدى الطرفين، ليتخذ الصراع العسكري نمط الكر والفر، فتولدت لدى حكام اسبانيا والبرتغال الرغبة بالحفاظ على بلدانهم، من طريق استهداف قواعد المجاهدين على الضفة الأخرى، إضافة إلى الرغبة بالتوسع والبحث عن السيطرة على الموانيء التي كانت قواعد عسكرية ومحطات مهمة للتبادل التجاري.

سبقت البرتغال جارتها اسبانيا في هذا السياق، باحتلالها سبتة عام ١٤١٥م، وأعقبتها بموانئ أخرى في المغرب الأقصى، لكن الزخم توقف عام ١٥١٤م، إلى أن تولى الملك المتعصب سيباستيان الأول العرش في البرتغال عام ١٥٥٧م، فسعى بإصرار الى إعادة النفوذ البرتغالي المتداعي في المغرب الأقصى، من دون تخطيط سابق أو محاولة النظر في العواقب.

ترافق مع ذلك وصول الأسرة السعدية إلى الحكم في المغرب الأقصى عام ١٥٥٤م، الأمر الذي أثار سخط العثمانيين، لكونه البلد العربي الوحيد الذي لم ينجحوا باحتلاله، لكنهم وعقب عدة إخفاقات عسكرية، أدركوا استحالة ذلك،

ليتحولوا إلى التحالف مع السعديين ضد العدو الأوروبي المشترك، فتعاونوا معهم في تأسيس جيش نظامي مزود بالأسلحة النارية.

اقترنت الحملة البرتغالية بالصراع الداخلي بين السلطان المخلوع محمد المتوكل، وعمه عبد الملك المعتصم، ومع تحالف الأول مع البرتغاليين لاستعادة الحكم، أدرك سيباستيان أن الفرصة مواتية له، لضم المغرب الأقصى، متجاهلا جميع التحذيرات التي وجهت إليه من أن مشروعه التوسعي سيواجه بالإخفاق الذريع.

لقد حظي عبد الملك المعتصم بالتأييد الشعبي الكبير، في حين واجه خصمه مشاعر العداء نتيجة تحالفه مع المحتلين، لذا خسر القاعدة الشعبية، وزاد من تأزم الموقف، إصرار سيباستيان على الزحف المتعجل لمواجهة الجيش السعدي، من دون السعي لاحتلال عدد من المواقع والموانئ الاستراتيجية، لتكون قواعد للدعم والتموين، ولإضعاف السعديين، لذا اندفع بتهور نحو ساحة المعركة.

كانت نتائج المعركة كارثية بجميع المقاييس، فقد شكلت نهاية التوسع البرتغالي، كذلك خسر المتوكل وسيباستيان حياتهما، ومُنيت الحملة بخسائر فادحة في الجنود والتجهيزات العسكرية، وامتدت تأثيراتها إلى البرتغال نفسها، حيث أسهمت في القضاء على حكم الأسرة الحاكمة فيها، ثم خسارة استقلالها في مرحلة لاحقة بضمها إلى الإمبراطورية الاسبانية، في حين أدت المعركة إلى الحفاظ على استقلال المغرب في وجه الأطماع الخارجية، ورسخت حكم الأسرة السعدية

هوامش البحث:

١) فاضل بيات، الدولة العثمانية في المجال العربي (دراسة تاريخية في الأوضاع الإدارية في ضوء الوثائق والمصادر العثمانية حصراً)، ط ١، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، نيسان ٢٠٠٧، ص٦٠٠. للتفاصيل ينظر: محمد خليل إبراهيم عباس القيسي، المغرب دراسة في الأحوال العامة في القرنين الثامن والتاسع الهجريين/ الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين، جامعة بغداد، كلية التربية (ابن رشد)، ٢٠١٨.

٢)ينتسب السعديون الى ذرية محمد ذي النفس الزكية بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي أبن أبي طالب، المتوفى عام ٧٦٢ في المدينة المنورة، فهم ينحدرون من طبقة الأشراف، ما جعلهم يتمتعون بنفوذ ديني كبير بين السكان. للتفاصيل ينظر: الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، كتابُ الاستقصا لأخبار دول المغرب الاقصى، الجزء الخامس، تحقيق وتعليق جعفر الناصري ومحمد الناصري، الدار البيضاء، دار الكتاب، ١٩٩٧م، ص ٣-٦.

٣) بدأ البرتغاليون حملتهم ضد موانيء المغرب الاقصى باحتلال ميناء سبتة بتأريخ ٢٤/ ٨/ ١٤١٥م، ليعقبها احتلال عدد من الموانيء، وعلى مراحل مختلفة، من أهمها (القصر الصغير ١٤٦٨م، طنجة وأصيلة ١٤٧١م، آسفي ١٤٨٨م، أغادير ١٥٠٥، أزمور ١٥١٣م). للتفاصيل ينظر: الاستاذ الدكتور محمود علي عامر، الاستاذ الدكتور محمد خير فارس، تاريخ المغرب العربي الحديث (المغرب الاقصى- ليبية)، جامعة دمشق، د. ت، ص ٢٣-٢٨.

٤) أحمد سالم سالم علي، السيطرة العثمانية على الحوض الغربي للبحر المتوسط في القرن السادس عشر، اسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، ٢٠١١، ص١٦٧.

٥)للتفاصيل عن جهود محمد القائم وولديه (١٥٠٩-١٥٥٧م)، في بناء الدولة ومحاربة البرتغاليين ينظر: الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، المصدر السابق، ص ٦-٣٧؛ عبدالله العروي، مجمل تاريخ المغرب، ط٢، المغرب، الدار البيضاء، المركز الثقافي المغربي، ٢٠٠٩، ص ٤٥٣-٤٥٨.

٦) محمد العروسي المطوى، الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، ط١، تونس، دار الكتب الشرقية، ١٩٥٤م، ص١٩٩.

٧) للتفاصيل عن الصراع الوطاسي- السعدي ينظر: الدكتور عبد الكريم كريم، المغرب في عهد الدولة السعدية، ط٣، المملكة المغربية، منشورات جمعية المؤرخين المغاربة، ٢٠٠٦، ص ٣٧-٧٣.

٨) شارل أندري جوليان، تاريخ أفريقيا الشمالية، ج٢، ط٣، تعريب محمد مزالي، البشير بو سلامة، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٣، ص٢٦٧. للتفاصيل عن الدولة السعدية ينظر: د. صلاح العقاد، المغرب العربي الحديث في التاريخ الحديث والمعاصر، ط٦، القاهرة، مكتبة الأنجلو مصرية، ١٩٩٣، ص٥٠-٦٢.

٩) فاضل بيات، المصدر السابق، ص٦٠٢.

١٠) للتفاصيل ينظر: عبد الكريم غلاب، قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي، ط١، ج٢، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٦م، ص٣٠٠-٣٠٥.

١١) للتفاصيل عن مدة حكم عبدالله الغالب ينظر: الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، المصدر السابق، ص ٣٧-٥٧.

١٢) محمد علي داهش، الدولة العثمانية والمغرب العربي (اشكالية الصراع والتحالف)، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠١١، ص٣٧-٤١. للتفاصيل ينظر: د. فاضل بيات، المصدر السابق، ص ٦٠٢-٦٠٧.

١٣) للتفاصيل عن مدة حكمه ينظر: الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، المصدر السابق، ص ٥٧-٥٨

١٤) دكتور شوقي عطا الله الجمل، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا- تونس- الجزائر- المغرب)، ط١، القاهرة، مكتبة الأنجلو مصرية، ١٩٧٧م، ص١٧٤.

١٥) اندرو هيس، أفتراق العالمين الإسلامي والمسيحي في المغرب والأندلس، ترجمة د. احمد عبد الرحيم مصطفى، الكويت، منشورات ذات السلاسل، ١٩٨٦م، ص١٤٣-١٤٥.

١٦) عبد الكريم غلاب، المصدر السابق، ص٣٠٤ -٣٠٥. للتفاصيل ينظر: الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، المصدر السابق، ص ٦١-٦٣.

١٧) محمد علي داهش، المصدر السابق، ٤٥-٤٧.

١٨). الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، المصدر السابق، ص٦٤.

١٩). المصدر نفسه، ص٦٤-٦٥.

٢٠) عبد الكريم غلاب، المصدر السابق، ص٣٠٥ -٣٠٦.

٢١) فاضل بيات، المصدر السابق، ص٦٠٧. للتفاصيل ينظر: الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، المصدر السابق، ص ٦٥-٦٨.

٢٢) محمد علي داهش، المصدر السابق، ص ٤٧.

٢٣) دكتور شوقي عطا الله الجمل، المصدر السابق، ص١٧٦. اعتمدت الدول التي قامت في المغرب العربي في الأساس على القوات غير النظامية التي لا تمتلك الاسلحة النارية الحديثة، حتى نهاية القرن السادس عشر، ما أدى الى الحاق الهزائم المتتالية بها من جيوش الدول الاوربية. للتفاصيل ينظر: أندروهيس، افتراق العالمين الإسلامي والمسيحي في المغرب والأندلس، ط١، ترجمة د. أحمد عبد الرحيم مصطفى، الكويت، منشورات ذات السلاسل، ١٩٨٦، ص ٣٨-٤٣.

٢٤) مجهول، تاريخ الدولة السعدية التكمدارتية، ط١، تقديم وتحقيق عبد الرحيم بنحادة، مراكش، عيون المقالات، ١٩٩٤، ص ٥٣.

٢٥) د. ابراهيم شحاته حسن، وقعة وادي المخازن في تاريخ المغرب ٩٨٦هـ، ١٥٧٨م، ط١، الدار البيضاء، دار الثقافة، ١٩٧٩، ص١٧٠-١٧١.

٢٦). للتفاصيل ينظر: الدكتور عبد الكريم كريم، المصدرالسابق، ص ٩٩-١٠١.

٢٧) للتفاصيل ينظر: الدكتور عبد العزيز سليمان نوار، الدكتور محمود محمد جمال الدين، التاريخ الاوروبي الحديث من عصر النهضة الى نهاية الحرب العالمية الأولى، مدينة نصر، دار الفكر العربي، ١٩٩٩، ص ٥٤-٦٤.

٢٨) أندرو هيس، المصدر السابق، ص ١٤٧-١٤٨.

٢٩) مجهول، المصدر السابق، ص ٥٨.

٣٠) الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، المصدر السابق، ص ٧٨.

٣١) شارل أندري جوليان، المصدر السابق، ص ٢٧٠. واجه فيليب الثاني ثورة البشارات في الاندلس (١٥٦٨-١٥٧١م)، كذلك تمرد البروتستانت ضده في الولايات الالمانية والأراضي المنخفضة الذي حظي بدعم انكلترا. للتفاصيل ينظر: أندرو هيس، المصدر السابق، ص١٣٦-١٤٦.

٣٢)٣١. عبد الكريم غلاب، المصدر السابق، ص ٣٠٦-٣٠٧.

٣٣) ابراهيم شحاته حسن، المصدر السابق، ص٢٠٥-٢٠٦.

٣٤) عزيز سامح التر,الأتراك العثمانيون في أفريقيا الشمالية, ط١, ترجمة د. محمود علي عامر, بيروت, دار النهضة العربية للطباعة والنشر, ١٩٨٩، ص٢٥٥-٢٥٦.

٣٥) الدكتور عبد الكريم كريم، المصدر السابق، ص ١٠١.

٣٦) ابراهيم شحاته حسن، المصدر السابق، ص٢٠٨-٢١٠. للتفاصيل عن المباحثات الإسبانية- العثمانية. ينظر: أندرو هيس، المصدر السابق، ص١٤٨-١٤٩.

٣٧)الاستاذ الدكتور محمود علي عامر، الاستاذ الدكتور محمد خير فارس، المصدر السابق، ص ٥٤

٣٨) ابراهيم شحاته حسن، المصدر السابق، ص ٢١٢.

٣٩) الدكتور عبد الكريم كريم، المصدر السابق، ص ١٠٣.

٤٠) عبد الكريم غلاب، المصدر السابق، ص ٣٠٧.

٤١) ابراهيم شحاته حسن، المصدر السابق، ص ٢١٢ -٢١٣.

٤٢) دكتور شوقي عطا الله الجمل، المصدر السابق، ص١٧٨.

٤٣) الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، المصدر السابق، ص ٧٩.

٤٤). ابراهيم شحاته حسن، المصدر السابق، ص٢١٣-٢١٤.
٤٥) شارل أندري جوليان، المصدر السابق، ص ٢٧٠.
٤٦) كولان، البارود عند المسلمين، ط١، لجنة ترجمة دائرة المعارف الاسلامية (ابراهيم خورشيد، د. عبد الحميد يونس، د. حسن عثمان)، كتب دائرة المعارف الاسلامية (١٤)، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٤، ص٢٩-٣٠.
٤٧) الدكتور عبد الكريم كريم، المصدر السابق، ص ١٠٤-١٠٥.
٤٨) مجهول، المصدر السابق، ص ٦٠.
٤٩) شارل أندري جوليان، المصدر السابق، ص ٢٧١.
٥٠) مجهول، المصدر السابق، ص ٦٠ ؛ د. ابراهيم شحاته حسن، المصدر السابق، ص ٢١٨ ؛ عبد الكريم غلاب، المصدر السابق، ص ٣٠٨؛ دكتور شوقي عطا الله الجمل، المصدر السابق، ص١٧٨.
٥١) الدكتور شوقي أبو خليل، وادي المخازن، دمشق، دار الفكر، ١٩٨٨، ص ٧٢-٧٣.
٥٢) الاستاذ الدكتور محمود علي عامر، الاستاذ الدكتور محمد خير فارس، المصدر السابق، ص ٥٤
٥٣) دكتور شوقي عطا الله الجمل، المصدر السابق، ص١٧٨-١٧٩.
٥٤) عبد الكريم غلاب، المصدر السابق، ص ٣١٠-٣١١. للتفاصيل ينظر: الدكتور شوقي أبو خليل، المصدر السابق، ص٩١-١٠٣.
٥٥) الاستاذ الدكتور محمود علي عامر، الاستاذ الدكتور محمد خير فارس، المصدر السابق، ص ٥٤ للتفاصيل ينظر: الدكتور شوقي أبو خليل، المصدر السابق، ص٧٢-٧٥.
٥٦) دكتور شوقي عطا الله الجمل، المصدر السابق، ص ١٨٠.
٥٧) الشيخ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، المصدر السابق، ص٨٠. للتفاصيل ينظر: الدكتور شوقي أبو خليل، المصدر السابق، ص٧٦-٩٠.
٥٨) دكتور شوقي عطا الله الجمل، المصدر السابق، ص ١٨٠-١٨٤. للتفاصيل ينظر: د. ابراهيم شحاته حسن، المصدر السابق، ص ٢٣٣-٢٤٥.

المصادر والمراجع.

أ. الرسائل الجامعية

محمد خليل إبراهيم عباس القيسي، المغرب دراسة في الأحوال العامة في القرنين الثامن والتاسع الهجريين/ الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين، جامعة بغداد، كلية التربية (ابن رشد)، ٢٠١٨.

ب. المصادر العربية والمعربة.

*ابراهيم شحاته حسن، وقعة وادي المخازن في تاريخ المغرب ٩٨٦هـ، ١٥٧٨م، ط١، الدار البيضاء، دار الثقافة، ١٩٧٩.

*أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، كتابُ الاستقصا لأخبار دول المغرب الاقصى، الجزء الخامس، تحقيق وتعليق جعفر الناصري ومحمد الناصري، الدار البيضاء، دار الكتاب، ١٩٩٧.

*أحمد سالم سالم علي، السيطرة العثمانية على الحوض الغربي للبحر المتوسط في القرن السادس عشر، اسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة، ٢٠١١.

*اندرو هيس، أفتراق العالمين الإسلامي والمسيحي في المغرب والأندلس، ترجمة د. احمد عبد الرحيم مصطفى، الكويت، منشورات ذات السلاسل، ١٩٨٦.

*شارل أندري جوليان، تاريخ أفريقيا الشمالية، ج٢، ط٣، تعريب محمد مزالي، البشير بو سلامة، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٣.

*شوقي أبو خليل، وادي المخازن، ط١، دمشق، دار الفكر، ١٩٨٨.

*شوقي عطا الله الجمل، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا- تونس- الجزائر- المغرب)، ط١، القاهرة، مكتبة الأنجلو مصرية، ١٩٧٧.

*صلاح العقاد، المغرب العربي الحديث في التاريخ الحديث والمعاصر، ط٦، القاهرة، مكتبة الأنجلو مصرية، ١٩٩٣.

*عبدالله العروي، مجمل تاريخ المغرب، ط٢، المغرب، الدار البيضاء، المركز الثقافي المغربي، ٢٠٠٩.

*عبد العزيز سليمان نوار، الدكتور محمود محمد جمال الدين، التاريخ الاوروبي الحديث من عصر النهضة الى نهاية الحرب العالمية الأولى، مدينة نصر، دار الفكر العربي، ١٩٩٩.

*عبد الكريم غلاب، قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي، ط١، ج٢، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٦.

*عبد الكريم كريم، المغرب في عهد الدولة السعدية، ط٣، المملكة المغربية، منشورات جمعية المؤرخين المغاربة، ٢٠٠٦.

*عزيز سامح التر,الأتراك العثمانيون في أفريقيا الشمالية, ط١, ترجمة د. محمود علي عامر, بيروت, دار النهضة العربية للطباعة والنشر, ١٩٨٩.

*فاضل بيات، الدولة العثمانية في المجال العربي (دراسة تاريخية في الأوضاع الإدارية في ضوء الوثائق والمصادر العثمانية حصراً)، ط١، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، نيسان ٢٠٠٧.

*كولان، البارود عند المسلمين، ط١، لجنة ترجمة دائرة المعارف الاسلامية (ابراهيم خورشيد، د. عبد الحميد يونس، د. حسن عثمان)، كتب دائرة المعارف الاسلامية (١٤)، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٤.

*مجهول، تاريخ الدولة السعدية التكمدارتية، ط١، تقديم وتحقيق عبد الرحيم بنحادة، مراكش، عيون المقالات، ١٩٩٤.

*محمد العروسي المطوى، الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، ط١، تونس، دار الكتب الشرقية، ١٩٥٤.

*محمد علي داهش، الدولة العثمانية والمغرب العربي (اشكالية الصراع والتحالف)، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠١١.

*محمود علي عامر، الاستاذ الدكتور محمد خير فارس، تاريخ المغرب العربي الحديث (المغرب الأقصى- ليبية)، جامعة دمشق، د. ت.

ملحق رقم ١.

التسلسل التاريخي للاحتلال البرتغالي لموانيء المغرب الأقصى (١٤١٥-١٥١٤م)

المصدر: شارل أندري جوليان، تاريخ أفريقيا الشمالية، ج٢، ط٣، تعريب محمد مزالي، البشير بو سلامة، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٣، ص ٢٥٦.

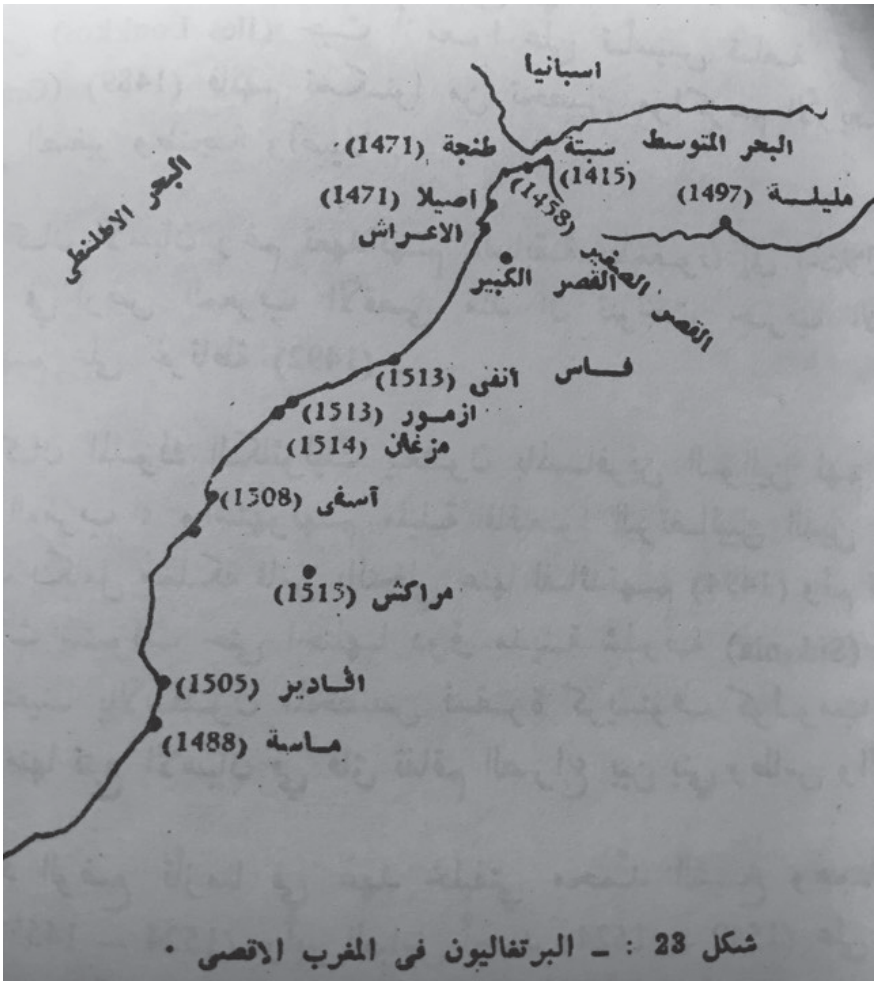

شكل 23 : ـ البرتغاليون في المغرب الاقصى .

ملحق رقم ٢.

خط سير حملة سيباستيان نحو وادي المخازن خلال المدة (١٢ تموز-٤ آب ١٥٧٨م).

المصدر: الدكتور ابراهيم شحاته حسن، وقعة وادي المخازن في تاريخ المغرب ٩٨٦هـ، ١٥٧٨م، ط١، الدار البيضاء، دار الثقافة، ١٩٧٩م، ص٣٣٧.

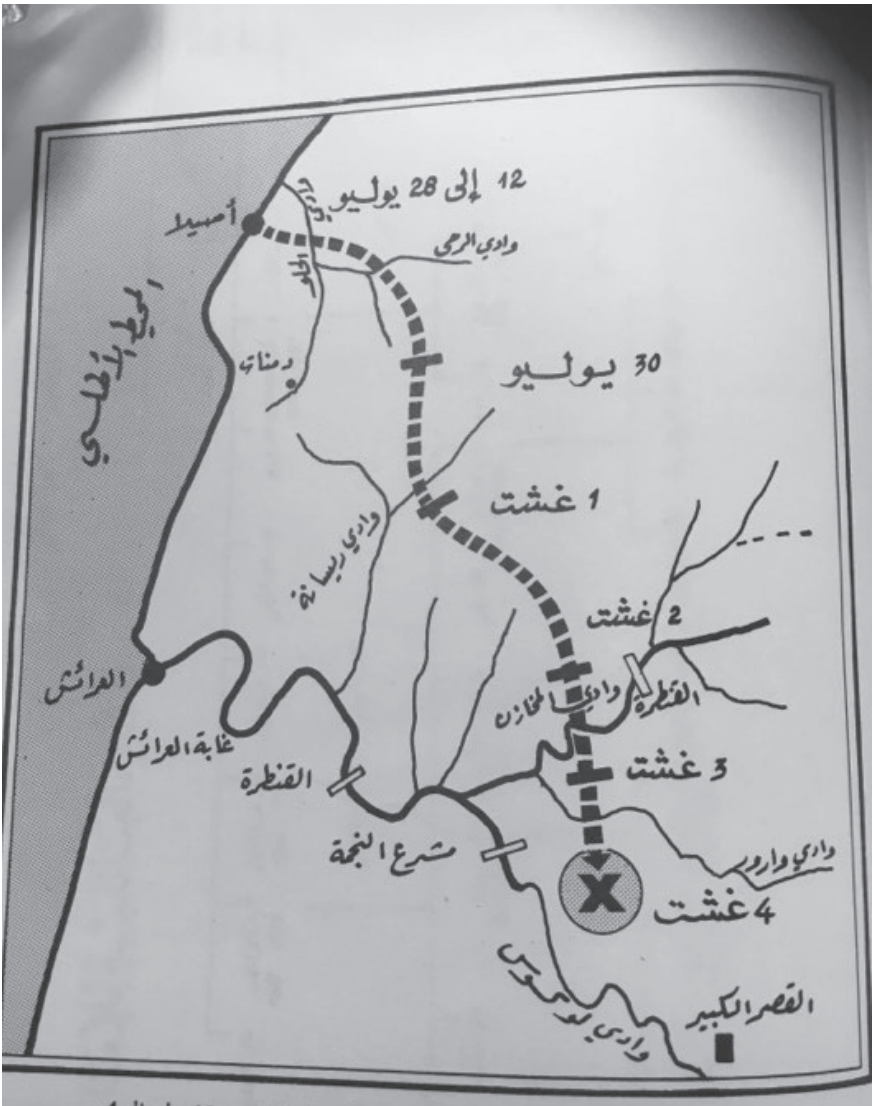

خط سير حملة سباستيان نحو موقع المعركة بوادي المخازن في الفترة من 12 يوليو إلى 4 أغسطس.

النزاهة الإدارية والمالية للحكومة العراقية في العهد الملكي ١٩٣٩-١٩٥٨

Financial and Administrative Integrity of the Iraq Government in the Royal Reign (1939-1958)

م. د. أركان مهدي عبد الله

Lectur. Dr. Arkan Mahdi Abidallah

النزاهة الإدارية والمالية للحكومة العراقية
في العهد الملكي
١٩٣٩-١٩٥٨

Financial and Administrative Integrity of the Iraq Government in the Royal Reign (1939-1958)

م. د. أركان مهدي عبد الله
المديرية العامة للتربية في محافظة ذي قار

Lectur. Dr. Arkan Mahdi Abidallah
Directorate of theqar

mahdearkan76@gmail. com

تاريخ الاستلام: ١٨/ ٨/ ٢٠١٩
تاريخ القبول: ١٢/ ١١/ ٢٠١٩

خضع البحث لبرنامج الاستلال العلمي
Turnitin - passed research

ملخص البحث:

نشأ العراق دولة وطنية منذ عام ١٩٢١ في ظل نظام ملكي برلماني، واستطاع في زمن الملك فيصل الأول ان يحقق شروط الدولة الديمقراطية الحديثة، حينما استطاع الاخير ان يبني مؤسسات إدارية دستورية عملت من اجل تحقيق مصالح وطنية عليا في وسط تجاذبات سياسية ومصالح فئوية كشفت عن حالة الصراع بين الإرادة الوطنية النزيهة من جهة والمصالح السياسية الحزبية الفاسدة من جهة أخرى، وتطورت الاوضاع في هذا المجال لتصبح أكثر سوء لاسيما بعد مقتل الملك غازي ومجيء ولده فيصل الثاني للحكم ونظراً لصغر سن الأخير، تولى عبد الإله وصاية العرش، في وقت كان للحرب العالمية الثانية وما رافقها من أحداث تداعيات اقتصادية وسياسية سيئة ألقت بظلالها لتأثر سلباً في إدارة البلاد.

وضعت هذه الدراسة من أجل بيان ومعرفة مدى نزاهة إدارة مؤسسات الدولة العراقية الإدارية والمالية في العهد الملكي في المدة (١٩٣٩-١٩٥٨) فعام ١٩٣٩ هو خط الشروع بالبحث، ويمثل وفاة الملك غازي ودخول العراق في عهد الوصاية، إذ أصبحت أمور الدولة خاضعة لنفوذ الوصي عبد الإله والذي كانت له اليد الطولى في إدارة البلاد حتى بعد عام ١٩٥٣، وهي السنة التي تسلم فيها الملك فيصل الثاني سلطاته الدستورية فإن الوصي عبد الاله بقي مهيمنا على إدارة الحكم، وطول هذه المدة حتى عام ١٩٥٨ كانت البلاد تعيش حالة من استغلال السلطة لمصالح سياسية وفئوية عرضت نزاهة الدولة العراقية الى الخطر، وخلقت نوعا من بيروقراطية الدولة الإدارية الحاكمة النافذة سلطاتها على بقية السلطات التشريعية والإدارية، في هذا الطور كانت البلاد تمر في ظروف اقتصادية صعبة عاشها العراقيون بعد الحرب العالمية الثانية أثرت في ادارة البلاد من الناحية الوظيفية حينما تفشت ظاهرة الرشوة بين الموظفين الإداريين.

الكلمات المفتاحية: (النزاهة، الفساد، الإدارية، المالية، التوظيف، الاستغلال)

Abstract

Iraq emerges as a national state since 1921 under a parliamentary monarchy. In the time of King Faisal I, it was able to achieve the conditions of a modern democratic state, when the latter was able to build constitutional administrative institutions that worked for the achievement of supreme national interests amidst political and partisan interests. The conflict between the national will on the one hand and the corrupt party political interests on the other, and the situation in this area has become worse, especially after the death of King Ghazi and the arrival of his son Faisal II to rule and because of the young age of the latter, Abdul Ilah took the custody of the throne. The events of economic and political repercussions cast a shadow to affect negatively on the administration of the country.

This study is conducted to clarify and determine the integrity of the administrative and financial administration of the State of Iraq during the period (1939-1958). The beginning of 1939 is the starting point of the research, representing the death of King Ghazi and the entry of Iraq under the tutelage. The influence of the guardian Abdul Ilah, who had the upper hand in the administration of the country even after 1953, the year that King Faisal II received his constitutional powers, the guardian Abdalah remained dominant in the administration, and throughout this period until 1958 the country was in a state of exploitation of power. The country was going through difficult economic conditions the Iraqis lived after World War II, which has affected the country's administration functionally when the rampant phenomenon of bribery spreads in the administrative staff.

The study includes the administrative exploitation of power in the monarchy (the second part of the study) 1939-1958), focusing on the policy adopted by the government in the exploitation of the legislative power ,the employment of parliament for political interests, the policy of recruitment , appointment of ministers, and the political employment of the judiciary by government officials. The third section was devoted to the disclosure of wealth and behavior (1939-1958), in which we discussed the financial and administrative situation of ministers and senior officials.

Key words: Integrity ,corruption, administrative, financial, employment , exploitation

المقدمة

ان قيام الدول الحديثة واستمرار بقاء حكوماتها قوية يرجع الى امتلاكها سلطات إدارية ومالية قائمة على نظم دستورية تنظم العلاقة بين هذه المؤسسات وتمنع المفسدين من استغلالها؛ لان أي فساد يصيبها، يؤدي إلى تآكل الدولة وانهيارها، ومن هنا حرصت الدول على نزاهة مؤسساتها الإدارية والمالية من أي فساد.

ويعد العراق الحديث دولة ذات مؤسسات مهنية ودستورية التي عملت من اجل مصالحها الوطنية، وقد قطعت شوطًا طويلا في هذا الاتجاه في وقت كانت هناك حالة من الصراع بين الإرادة الوطنية النزيهة من جهة والمصالح الفئوية الفاسدة من جهة أخرى، وازدادت أوضاع البلد سوءًا لاسيما بعد مقتل غازي ومجيء فيصل الثاني وعبد الاله وصيا على العرش، وقيام الحرب العالمية الثانية وما رافقها من أحداث وتداعيات اقتصادية وسياسية أثرت في إدارة البلاد.

بحثت هذه الدراسة موضوع نزاهة المؤسسات الإدارية والمالية للدولة العراقية في المدة (١٩٣٩-١٩٥٨)، وطول هذه المدة حتى عام ١٩٥٨ كانت الدولة العراقية تعيش حالة من استغلال السلطة لتحقيق مصالح سياسية عرضت مهنية نزاهة الدولة الى الخطر، وأوجدت نوعًا من البيروقراطية الإدارية الحاكمة على سلطات الدولة التشريعية والإدارية، فضلا عن الظروف الاقتصادية الصعبة التي عاشها البلد بعد عام ١٩٣٩ نتيجة الحرب العالمية والتي كانت من أهم العوامل التي خلقت بيئة فاسدة كانت وراء تفشي ظاهرة الرشوة بين الموظفين الإداريين.

تأتي أهمية دراسة هذا الموضوع من اعتبارات متعددة يراها الباحث لعل من أهمها: أن الموضوع لم يدرسه الباحثون بهذا العنوان بالرغم من وجود الأبحاث

التي درست الهيكلية الإدارية للحكومة العراقية في العهد الملكي إلا أنها لم تبحث موضوع نزاهة هذه الحكومة في إدارة مؤسساتها الإدارية والمالية، ولا يخفى على الباحث المتخصص أهمية النزاهة الإدارية والمالية في بناء الدول واستقرارها.

ولذلك تناولنا بالبحث هذه الدراسة التي تضمنت ثلاثة مباحث، تمثل الأول بالإطار النظري والتاريخي للدراسة وهو عبارة عن بيان ماهية النزاهة المالية والإدارية لمعرفة معناها الاصطلاحي والمهني، كذلك بيان طبيعة الحكم وإدارة الدولة الملكية في العراق، أما المبحث الثاني فتضمن دراسة الاستغلال الوظيفي للسلطة في الحكم الملكي(١٩٣٩-١٩٥٨)، مركزاً فيه على السياسة التي اتبعتها الحكومة في استغلال السلطة التشريعية وتوظيف البرلمان لمصالح سياسية، وسياسة التوظيف وتنصيب الوزراء، والتوظيف السياسي للسلطة القضائية من قبل رجال الحكم، أما المبحث الثالث فقد كُرِّس للكشف عن الثروة والسلوك الإداري لرجال الحكم الملكي(١٩٣٩-١٩٥٨)، تناولنا فيه الوضع المالي والإداري للوزراء وكبار الموظفين، كذلك الرقابة الحكومية للسلوك الإداري لموظفي الدولة.

واجه الباحث صعوبة في التعامل مع موضوع الدراسة فالبحث عن نزاهة الحكومة العراقية في المدة(١٩٣٩-١٩٥٨) واسع الدائرة ويشمل جوانب إدارية ومالية تتعلق بطبيعة الممارسات الوظيفية لرجال السلطة في إدارة الدولة، ومعرفة مدى استغلال هذه الممارسات لتحقيق مصالح سياسية ومنافع شخصية، وكل هذا يعتمد على قراءة تاريخية تحليلية، استدعت من الباحث ان يعتمد على منهجين هما: المنهج الاستردادي، والمنهج التحليلي كون الموضوع يُدرس في إطار تاريخي يكشف عن الممارسات السلوكية والوظيفية لرجال الحكم الملكي التي يتطلب استعادتها مادة تاريخية موثقة، وتحليلها لبيان ما يود الباحث ان يثبته حقيقة تاريخية وتجربة اجتماعية مرت بها الدولة العراقية في العهد الملكي.

المبحث الأول

الإطار النظري والتاريخي للدراسة

ماهية النزاهة الإدارية والمالية

النزاهة قيمة إنسانية وصفة أخلاقية وظاهرة حضارية ارتبط وجودها في بعده الإداري والمالي بنظام الحكم السائد في البلد، فديمومة نجاح هذا النظام يعتمد على ما يمتلكه من مقومات اجتماعية واقتصادية وسياسية تتعاضد فيما بينها لبناء مؤسسات إدارية رصينة وفق مناهج دستورية تنظم العلاقة بين هذه المؤسسات وتمنع المفسدين من استغلالها؛ لان إي توظيف خارج إطار ملاكاتها الوطنية، يؤدي الى تعطيل قدراتها في تحقيق المصلحة العامة، ومن هنا حرصت الدول على المحافظة على نزاهة مؤسساتها الإدارية والمالية من ان تطالها يد الفساد، كما ان نزاهة هذه الدول يعتمد على التزامها بنظم رقابية فعالة ومستقلة تراقب وترصد نزاهة عمل الحكومة في إدارة مهامها الوطنية.

وتمثل النزاهة الإدارية والمالية بوجهها المؤسساتي الابتعاد عن كل ما يسيء لمنصب الوظيفة الحكومية، والنزاهة هي حالة النقيض لمفهوم الفساد والذي نقصد به حسب ما عرفته منظمة الشفافية الدولية((استغلال السلطة من اجل المنفعة الخاصة))[١].

ومن يستغل السلطة قد يكون فردا أو مجموعة من الأفراد، المهم انه يشغل منصباً تشريعياً أو تنفيذياً أو قضائياً، يمتلك نفوذاً سياسياً أو إدارياً يخرج عن القانون والنظام العام للسلوك الوظيفي من أجل تحقيق مصلحة اقتصادية أو سياسية أو اجتماعية لمصلحة فرد ما أو جماعة معينة[٢]. والنزاهة بوصفها سلوكا إداريا وماليا نبحثه في هذه الدراسة التاريخية يستلزم ان نعرف المقصود من الفساد المالي والإداري.

يقصد بالفساد المالي: مجمل الانحرافات المالية المخالفة للقواعد والأحكام المالية التي تنظم سير العمل الإداري والمالي في الدولة ومؤسساتها، ومخالفة التعليمات الخاصة بأجهزة الرقابة المالية، ويمكن ان نلحظ مظاهر الفساد المالي في أشكال متعددة منها: الرشوة والاختلاس، والاستحواذ على الأراضي، والمحاباة، والمحسوبية في التعينات الوظيفية، أما الفساد الإداري فيتعلق بالانحراف الإداري المتمثل باستغلال الموظف أو المسؤول منصبه الوظيفي بما يخالف التشريعات والنظم الإدارية بما يخدم مصالح خاصة[٣].

إدارة الدولة الملكية في العراق

عاش العراق في زمن الملك فيصل الأول حالة من الصراع بين الإرادة الوطنية الحاكمة والمصالح الاستعمارية المهيمنة، وفي خضم هذا التجاذب استطاع فيصل ان يؤسس لنظام سياسي أرست نظمه الدستورية في القانون الأساسي العراقي الذي صدر عام ١٩٢٥، إلا ان الدولة في زمن فيصل لم تصل من ناحية عملية الى مستوى يفترض ان تبلغه من نزاهة إدارية ومالية بعيدة عن مصالح البيروقراطية الحاكمة بوصفها سلطة سياسية ذات جهاز إداري يهيمن على بقية السلطات التشريعية والقضائية[٤].

وعند مجيء الملك غازي لم تكن الأمور قد استوت لتصل الدولة الى مستوى من النزاهة والكفاءة المثالية في إدارة مؤسساتها الحكومية، في وقت كان الملك غازي قليل الخبرة والبلاد تعيش منافسات حادة بين الساسة التقليديين جرت البلاد الى الانشغال بالاضطرابات والانقلابات الداخلية والتي لم تمهل الملك الشاب فرصة إغناء تجربته الإدارية والعملية [٥]، وبعد وفاة غازي بحادث سيارة في ٤ نيسان ١٩٣٩ أخلفه ولده فيصل الثاني ملك على العراق وخاله عبد الإله وصياً على العرش، وكانت هذه

المدة وما أعقبها من أحداث تمثلت بقيام الحرب العالمية الثانية وتداعياتها السياسية والاقتصادية على البلاد لها الأثر الكبير في عملية إدارة الدولة العراقية[٦].

كان الأمير عبد الإله في السابع والعشرين من عمره عند تنصيبه وصياً على فيصل الثاني لعدم بلوغه سن الرشد القانوني، لم يكن عبد الاله يمتلك من المنزلة العلمية والخبرة السياسية ما يؤهله ليكون وصياً فهو انسان بسيط التفكير، وكان من الممكن ان يعيش موظفاً بسيطا، لكن لكونه خال الملك ولأسباب سياسية تشوبها المصالح لم تكن بريطانيا وبعض الساسة العراقيين أمثال نوري السعيد بعيدين عنها، ترأس عبد الإله هذا المنصب الخطير، وأصبح من عام(١٩٣٩-١٩٥٣) يمسك زمام السلطة بيده حتى بعد ان بلغ فيصل السن القانوني وتوج ملكاً على العراق(١٩٥٣-١٩٥٨)، كانت السلطة عمليا بيد عبد الإله، ولم يستطع فيصل الثاني ان يتجاوز خاله ويستقل في أمور البلاد[٧].

المبحث الثاني

الاستغلال الوظيفي للسلطة في الحكم الملكي ١٩٣٩-١٩٥٨

تعتمد الدولة في بنية هيكلها الوظيفي والمهني على استقلالية مؤسساتها الإدارية ومدى طبيعة العلاقات المتحكمة في جهاز الدولة، ومدى استقلالية وظائفها الدستورية أو ما يسمى بمبدأ الفصل بين السلطات، وتتمثل هذه السلطات بثلاث وظائف هي: وظيفة صنع القوانين التي تحكم العلاقات الاجتماعية، والتي تحدد الحقوق وتفرض الواجبات، وتقوم بها السلطة التشريعية، ووظيفية تنفيذ القوانين التي سنتها السلطة التشريعية، وهذه الوظيفة تقوم بها السلطة التنفيذية، ووظيفة

الفصل في الخصومات وتقوم بها السلطة القضائية[٨]، وجميع هذه الوظائف تخضع لتنظيم سياسي تفرضه السلطة أو الحكومة من خلال مؤسسات تعمل في داخل إطار الدولة[٩]، ولبيان ومعرفة درجة نزاهة ومهنية الحكومة الملكية طول المدة(١٩٣٩-١٩٥٨)، نقف لنبحث الأداء الحكومي للوزراء والمسؤولين، ومدى استغلالهم لمناصبهم الوظيفية في تحقيق مصالح مادية وسياسية عند إدارة شؤون الدولة النيابية والوظيفية والقضائية.

أولاً: السلطة التشريعية وتوظيف البرلمان

تعد السلطة التشريعية أحد أهم أعمدة الدولة الدستورية، ووفق المادة الثامنة والعشرين من القانون الأساسي العراقي، تكون السلطة التشريعية من لها الحق في وضع القوانين وتعديلها وإلغائها مع مراعاة أحكام القانون، وهي منوطة بمجلس الأمة مع الملك، ومجلس الأمة يتألف من مجلسي الأعيان والنواب[١٠].

يتألف مجلس الأعيان من عدد لا يتجاوز ربع مجموع النواب يعينهم الملك، ومدة العضوية ثماني سنوات ويجوز إعادة تعيين العضو السابق، أما مجلس النواب فيتألف بالانتخاب بنسبة نائب واحد عن كل عشرين ألف من الذكور، ودورة مجلس النواب أربع سنوات لكل سنة اجتماع، ولأهمية المجلسين وللحفاظ على نزاهتهما اشترط القانون مجموعة من الشروط احدها ان لا يكون عضوا في احد المجلسين(الأعيان والنواب) من كانت له وظيفة في الحكومة أو المصالح الملحقة بها أو منصب أو وظيفة أو خدمة لدى شخص أو مؤسسة لها عقد مع إحدى الدوائر العامة أو له أية منفعة مادية مباشرة أو غير مباشرة، كذلك اشترط القانون ان لا يكون العضو من أقارب الملك في الدرجة التي تعين بقانون[١١].

ومع أهمية هذه الشروط للمحافظة على استقلالية مجلس الأعيان ونزاهته إلا أن انتفاء الصفة الشعبية في اختياره جعلته تحت رحمة الإرادة الملكية التي لم تكن تعتمد مبدأ تمثيل جميع الشرائح الاجتماعية أو المناطق الجغرافية في البلد، فالعضوية كانت تسيطر عليها العناصر الارستقراطية من شيوخ العشائر أمثال عداي الجريان وحسين عطية وعبد الواحد سكر وغيرهم، وقد احتفظ هؤلاء بعضويتهم في أكثر من مجلس.

من جانب آخر فإن الدستور أعطى مجالا للسلطة التنفيذية ان تهيمن على مجلس الأعيان بسبب السماح بالازدواج الوظيفي في كون الفرد عينا ووزيرا في آن واحد، حينما نص على جواز قيام الملك بتكليف الأعيان لأداء خدمات عامة، وقد انحصرت تلك الخدمات أساساً بمهام رئيس الوزراء أو تقليد منصب وزاري، وعلى هذا الأساس أصبح العديد من الأعيان أعضاء في السلطة التنفيذية، فمثلاً كان هناك سبعة أعيان ضمن وزارة حمدي الباجه جي التي تألفت في ٣ حزيران ١٩٤٤، كذلك كان هناك ثمانية أعضاء من ضمن ثلاثة عشر وزيراً في وزارة محمد الصدر التي تشكلت في كانون الثاني ١٩٤٨، ان هذا التداخل في السلطات وعدم الفصل بينها كما اقر الدستور أدى الى تشتيت المسؤولية الرسمية فالقرارات التي كانت تتخذها الوزراء تعتمد في السلطة التشريعية من الأشخاص(الوزراء) انفسهم بصفتهم أعضاء في مجلس الأعيان[١٢].

أما مجلس النواب بوصفه ممثلا عن الشعب فمهمته تشريعية ورقابية على الجهاز الإداري للسلطة، كما انه مسؤول عن رسم السياسات المالية للبلد، ومع أهمية هذا المجلس في حياة الأمة إلا أن الأهواء السياسية أضعفت كفاءته ونزاهته ابتداءً من تكوينه بانتخابات مزورة الى أدائه الذي سيطر عليه رجال السلطة[١٣].

لقد شهدت الانتخابات النيابية عمليات تزوير طول مدة الحكم الملكي منذ ان بدأت الحياة النيابية في سنة ١٩٢٥ الى ان انتهى العهد الملكي في ١٤ تموز ١٩٥٨[١٤]، ويذكر توفيق السويدي وهو رئيس وزراء سابق كان المرشحون يتفق على تعيينهم سلفاً الملك ورئيس الداخلية ومن ورائهم رئيس الوزراء والمستشار البريطاني، وكانت الحكومة تطلب من المرشح التعهد بان يبقى مؤازراً لها إلا إذا استقالت، فحينئذ يؤازر أية حكومة يأتي بها جلالة الملك [١٥].

كان اغلب رؤساء الحكومات الملكية يحلون المجلس النيابي من اجل التخلص من المعارضين لوزارتهم والمجيء بأعضاء موالين لحكومتهم وهذا تقليد سياسي لجأت اليه أغلب الوزارات في العهد الملكي ومنها وزارة نوري سعيد[١٦]، وقد صرح الأخير بهذه الحقيقة أمام مجلس النواب في ٥ كانون الثاني ١٩٤٤ حينما ذكر صراحة ان الحكومة هي التي تعين النواب حينما خاطب النواب)): بأنكم مدينون لي بنيابتكم ذلك إني أنا الذي وضعت أسماءكم في قائمة الحكومة وأخرجكم المتصرفون نوابا، وإني أتحدى كل واحد منكم وسواكم ان يفوز بالنيابة ما لم تضع الحكومة اسمه في قائمتها)) [١٧].

وفي ٢١ تشرين الثاني ١٩٤٦ أجرت وزارة نوري سعيد انتخابات انتهت في آذار ١٩٤٧، وقد اتهم كل من الحزب الوطني الديمقراطي[١٨]وحزب الأحرار[١٩] السلطات الإدارية ومؤسسات وزارة الداخلية التي يترأسها نوري السعيد بالتدخل في سير الانتخابات ووقوفها بجانب مرشحين ضد آخرين، ووجه الحزب الوطني كتاب احتجاج الى نوري السعيد ذكر فيه تدخل بعض الوزراء في الانتخابات مستغلين نفوذهم دون ان يتخذ سعادته أي إجراء. [٢٠]

لقد تميز مجلس النواب بضعف نشاطه التشريعي والرقابي بسبب سيطرة السلطة التنفيذية عليه، فبالرغم من ان الدستور العراقي قد أعلن ان الوزارة مسؤولة عن سلوكها أمام البرلمان إلا أنه لم تسقط وزارة واحدة نتيجة للتصويت السلبي للبرلمان ضدها خلال عمله، بل على النقيض من ذلك، كان البرلمان أداة بيد الوزارة وكان يُحَل متى ما اعتبرته الوزارة غير ملائم[٢١].

وبالرغم من ان الدستور حدد دورة مجلس النواب بأربع سنين، إلا إننا نجد في المدة (١٩٣٩-١٩٥٨)ان هناك ثمانية مجالس عوضاً عن العدد القياسي الذي تسمح به تلك المدة والبالغ خمسة مجالس فقط، لان المجالس لم تكمل دورة كاملة، إلا مجلسا واحدا فقط أكمل المدة المقررة وهي أربع سنوات، أما المجالس الأخرى فقد حلتها الحكومة[٢٢]، أما بسبب انتقاداتها للحكومة أو لان الحكومة كانت ترغب بزيادة عدد أنصارها في المجلس[٢٣].

ثانياً: سياسة التوظيف وتنصيب الوزراء

كانت سياسة التوظيف وتعيين الوزراء خاضعة في كثير منها الى المصالح السياسية والعلاقات الاجتماعية بين النخب السياسية، ولذلك بقيت مناصب الدولة بيد شخصيات معينة طالما تكررت أسماؤها في قوائم الوزراء ففي المدة(١٩٣٩-١٩٥٨)، كانت هناك ٣٤ وزارة عراقية شغلها ١٦ رئيس وزراء، وضمت ٤١٨ منصباً وزارياً تناوب على إشغاله ١٢٩ شخصا فقط، وكما مبين في الجدول الاتي[٢٤]:

جدول عدد المناصب وعدد شاغليها للمدة (١٩٣٩-١٩٥٨)

المنصب	عدد المناصب	عدد شاغلي المناصب
منصب رئيس الوزراء	٣٤	١٦
جميع المناصب الوزارية	٤٠٢	١٢٩

وبعد إجراء عملية تقسيم منصب رئيس الوزراء على عدد الشاغلين للمنصب للمدة(١٩٣٩-١٩٥٨) يظهر ان معدل المرات التي ترأس فيها كل فرد منهم بلغت(٢، ١)، إلا انه من ناحية عملية كان هناك تفاوت كبير في عدد المرات التي شغل بها الشخص منصب رئاسة الوزارة، إذ نجد ان نوري السعيد شغل هذا المنصب ١٢ مرة، وبذلك تكون نسبة الأخير من رئاسة الوزراء بلغت ٧٥٪ وباقي الأشخاص ٢٥٪، أما بقية المناصب الوزارية فإن معدل المرات التي استوزر فيها كل فرد بلغت(٣، ١)، إلا انه من ناحية عملية عند استقرائنا لعدد المرات التي شغل بها الوزير منصب الوزارة في المدة(١٩٣٩-١٩٥٨) ظهر تباين كبير في توزيع المناصب، فهناك من استوزر مرة واحدة أو مرتين مثل محمد شفيق العاني، و رستم حيدر، وناجي السويدي، وإبراهيم كمال، وحسين جميل، وغيرهم، بالمقابل هناك من تسنم أكثر من منصب مثل نوري السعيد ٢٦ منصبا، وأحمد مختار بابان ١٢منصبا، وعمر نظمي ١١ منصبا، وصالح جبر ١٠ مناصب[٢٥].

ومما تقدم يظهر ان بعض الأشخاص كثر استيزارهم وشغلهم للمناصب، ويبدو ان ذلك راجع الى مدى رغبة وتمسك هؤلاء بالسلطة، كما ان هناك أسبابا موضوعية أخرى أبقتهم في السلطة، لعل من أهمها، وجود بريطانيا عاملا مؤثرا في المشهد السياسي العراقي لاسيما بعد أحداث حرب ١٩٤١، إذ كانت داعمة لبعض الأشخاص الموالية لها أمثال صالح جبر و نوري السعيد، حتى نجد ان الأخير تسنم

منصب رئاسة الوزراء ووزارة الدفاع والخارجية أكثر من مرة[٢٦].

لقد نتج عن دعم بريطانيا للعناصر الموالية لها تشجيع بعض على الفساد الإداري والمالي، وفي هذا الصدد يذكر عبد الرزاق الحسني ان بريطانيا بعد حوادث ١٩٤١ استمالت بعض الشخصيات الحكومية الى جانبها من خلال دعمهم للوصول الى الوزارة وإرشائهم بالأموال باسم المساعدة، وحينما لاحظوا ان بعض الوزراء والشخصيات يترفع من أخذ المساعدة، ابتكروا طرقاً أخرى منها منح هؤلاء((تحاويل التموين))لشراء السيارات ونحوها بأثمان واطئة[٢٧].

من جانب آخر كانت النخبة السياسية تستمد قوتها للوصول الى المناصب الوزارية والإدارية من ارتباطاتها المصلحية بالبلاط الملكي وتحديداً بالأمير عبد الإله الذي أصبح وصياً على فيصل الثاني بعد مقتل غازي، وبحكم هذا المنصب سيطر عبد الإله على مفاصل الدولة فكان يجمع بيديه كل خيوط السلطة، فهو الذي يختار رئيس الوزراء والوزراء وكبار موظفي الدولة وأعضاء مجلس النواب، كما انه كان يتدخل حتى في تعيين الموظفين وإحالتهم على التقاعد[٢٨].

وكان من يرغب ان يصل إلى المنصب الوزاري عليه ان يتزلف لعبد الإله، ومن أشكال هذا التزلف تقديم الهدايا له في المناسبات، [٢٩]، وقد اعترضت الأحزاب السياسية الوطنية على هذه السياسة ورفع كل من حزب الاستقلال، والحزب الوطني الديمقراطي، وحزب الجبهة الشعبية، عام ١٩٥٢مذكرات احتجاج للوصي عبد الإله، جاءت هذه المذكرات متشابهة في مضمونها من حيث شرحها لظروف البلاد المتردية، وانتشار الفساد الإداري والمالي في البلاد، وانتهاك الدستور، وتدخل البلاط في تأليف الوزارات، إلا أن اشد هذه المذكرات كانت مذكرة الحزب الوطني الديمقراطي

التي رفعها رئيس الحزب كامل الجادرجي والتي جاء فيها: ان القانون الأساسي حمل الوزارات جميعاً مسؤولية الحكم وفصل بين السلطات الثلاث، ولكن عدم التقيد بالقانون الأساسي من ناحية حقوق الملك وواجباته في الحدود المعينة لها كان سبباً مهما لخرق السلطة التنفيذية مواده، وأصبحت المجالس النيابية خاضعة للسلطة التنفيذية ((وأصبحت الوزارات تعلق بقاءها في الحكم على إرادة البلاط ومشيئته فاستسلمت له كل الاستسلام وأصبح البلاط مرجعا حقيقياً في كل صغيرة وكبيرة))[٣٠].

وفي اجتماع عقد في ٣ تشرين الثاني ١٩٥٣ حضره الوصي عبد الإله ورئيس الوزراء مصطفى العمري وبعض الوزراء ومنهم نوري السعيد، وجميل المدفعي، وتوفيق السويدي، وطه الهاشمي، تدارسوا مسألة الفساد وضرورة الإصلاح وما تضمنته مذكرات الأحزاب، وقد ألقى بعضهم اللوم على شخص الوصي، ومنهم طه الهاشمي الذي وجه خطابه للجالسين((من منا كان حراً في تأليف وزارته))، ثم وجه خطابه للوصي مذكرا ان ولايته سوف تنتهي وعليه ان يقوم بالإصلاح ويبعد الحكم عن الاستغلال[٣١].

ومع كل هذه الاعتراضات إلا أن عبد الإله لم يرتدع وظل يمارس السلطة حتى بعد انتهاء مدة وصايته وتسلم الملك فيصل الثاني سلطاته الدستورية في ٢ آيار ١٩٥٣، ويذكر ناجي شوكت ان عبد الإله لم يترك ابن أخته حراً في التصرف بعد ان أصبح ملكاً، بل كان ملازماً له ليلاً ونهاراً يملي عليه إرادته، وان جميع الشخصيات التي شكلت الوزارات بعد ان أصبح فيصل ملكاً هو الذي جاء بها إلى الحكم[٣٢].

أما ما يخص عملية تعين الموظفين أو فصلهم فكانت تخضع لولاءات سياسية معينة فعلى خلفية أحداث مايس ١٩٤١ نجد ان حكومة جميل المدفعي الخامسة(٢ حزيران ١٩٤١-٢١ أيلول ١٩٤١)وحكومة نوري السعيد السادسة(٩ تشرين الأول

١٩٤١- ٣ تشرين الأول ١٩٤٢)قد عملتا على إقصاء الكثير من الموظفين الكبار وإبعادهم عن وظائفهم، كما تم أحالة أكثر من مئة ضابط على التقاعد بسبب ولائهم لثورة مايس ١٩٤١[٣٣]، وما بين عام ١٩٤٥-١٩٥٤ عملت الحكومات العراقية على إقصاء الكثير من الشخصيات من وظائفهم بحجة انتمائهم للحزب الشيوعي بالرغم من كفاءتهم والتزامهم الوظيفي لتحرم الدولة من خبراتهم المعرفية والمهنية[٣٤].

لقد جاءت هذه السياسة بموظفين ومسؤولين غير أكفاء، وهذه نتيجة متوقعة أشار إليها أحد الكتاب العراقيين وهو المحامي سلمان الشيخ داود حينما كتب مقالا مطولا في جريدة الحارس عام ١٩٥٤ انتقد فيها سياسة التوظيف المارة الذكر مرجعاً أسبابها إلى من بأيديهم سياسة الحكم، فهؤلاء لم يأخذوا نصب أعينهم مصلحة الدولة بل مصالحهم الخاصة عند إسنادهم منصب الوزارة الى من يتوسمون فيه الطاعة من أفراد حاشيتهم، وأقربائهم إلى أن قال: ((فكانت-الوزارة- شركة منظمة تنظيما دقيقا يتبدل أعضاء إدارتها من حين لآخر))[٣٥].

ثالثاً: التوظيف السياسي للسلطة القضائية.

ان استقلالية القضاء مبدأ دستوري يوجب أن تكون القرارات القضائية حيادية وغير خاضعة لنفوذ السلطة أو توظيفه للمصالح السياسية باعتبارها الضامن القانوني لاحترام حقوق الإنسان وحماية مصالح الأفراد والجماعات، ولذلك نص القانون الأساسي العراقي على استقلالية السلطة القضائية وحمايتها من تدخل السلطات الأخرى، فالقضاء مصون وفق المادة واحد وسبعين من تدخل أي جهة في شؤونه [٣٦]، ومع ان الدستور ضمن نزاهة القضاء واستقلاليته، إلا أن هذا الضمان كان شكلياً ولم يكن حقيقياً، فمن ناحية عملية كان خاضعا لأوامر السلطة

التنفيذية ؛لان محاكمه القضائية طول الحكم الملكي كانت جزءا من ملاكات وزارة العدلية، فالوزارة هي من تشرف على شؤونها. [٣٧]

وهذا الأمر بطبيعة الحال يكشف عن تداخل واضح بين السلطة القضائية والسلطة التنفيذية ولم يكن هناك فصل بينهما؛ لان دخول القضاء تحت إشراف وزارة العدلية دون ان يكون هيئة مستقلة سوف يعطي الوزارة كجهة تنفيذية فرصة التدخل في أمور القضاء، لاسيما ان هذه الوزارة كغيرها من الوزارات يمكن ان يترأسها رئيس الوزراء بالوكالة أو أشخاص آخرون في الوزارة وقد حصل هذا الأمر عدة مرات في المدة(١٩٣٩-١٩٥٨)[٣٨]، إن هذه الصيغة وضعت وزارة العدل وبما فيها القضاء تحت سيطرة وتأثير الأهداف والمصالح الذاتية للوزراء والجماعات المتناحرة داخل كيان الوزارة، وهذا الأمر ظهر واضحاً من خلال الاجتهادات بتفسير المواد القضائية وتنفيذها وفقاً للمصالح الشخصية لرجال الحكم[٣٩].

وفي المدة ١٩٣٩ – ١٩٥٨، غيبت القضاء السلطة التنفيذية، حينما عطل العمل بالدستور وأعلنت الأحكام العرفية أكثر من مرة، بحجة الحالات الاستثنائية والاضطرابات السياسية التي شهدها العراق، فبعد أحداث آيار ١٩٤١ كانت أحكام القبض تصدر استناداً الى ((مرسوم صيانة الأمن العامة وسلامة الدولة)) رقم ٥٦ لسنة ١٩٤٠، والذي حصر أوامر الاعتقال برئيس الوزراء نوري سعيد ووزير الداخلية صالح جبر، ووفق هذا المرسوم اعتقل المئات من الوطنيين المعارضين للسياسة البريطانية بتهمة الأفكار النازية وخطورتها على البلد، وقد اعترض صادق البصام وزير العدلية على هذه الإجراءات لأنها اتخذت دون التنسيق مع وزارة العدلية بصفتها المسؤولة عن تطبيق القوانين، لذلك قدم استقالته[٤٠].

في عام ١٩٥٢ رفع الحزب الوطني الديمقراطي مذكرة الى البلاط الملكي جاء فيها تأكيد الفصل بين السلطة التنفيذية والقضائية لان رجال السلطة اتخذوا من القضاء وسيلة لمحاربة خصومهم، وهذا الأمر افقد القضاء استقلاله نتيجة هذه التدخلات، لذلك يرى الحزب((ان الشعب بحاجة. . . الى تشريع يضمن استقلال القضاء. .))[٤١]

المبحث الثالث

الثروة والسلوك الإداري لرجال الحكم الملكي ١٩٣٩ - ١٩٥٨

الوزراء وكبار الموظفين.

أصبحت بعض الشخصيات الحكومية من الضباط الشريفين[٤٢] وكبار موظفي الدولة من الارستقراطيين الأثرياء الذين يمتلكون أراضي واسعة مستغلين بذلك نفوذهم في الدولة، وقد أشار المؤرخ الفلسطيني حنا بطاطو في كتابه العراق الى أسمائهم والمساحات التي يمتلكونها[٤٣]، وقد مثل هذا الإثراء بحد ذاته فساداً مالياً انعكس على سلوكهم الإداري حينما وجد هؤلاء ان مصالحهم أصبحت مشتركة مع مصالح حائزي الأراضي من الملاكين مما دفعهم ان يقفوا الى جانبهم من خلال وضع القوانين وإنتاج السياسات التي تخدم مصالحهم، كسياسات ضريبية محاسبية، وسياسات تسوية الأراضي التي أدت إلى تركيز كبير في الملكية الخاصة، وقد انعكس ذلك سلباً على الفلاح مما أنتج هجرة الفلاحين من الريف الى المدينة[٤٤].

كان لبريطانيا الدور الكبير في إفساد بعض الوزراء والشخصيات السياسية المؤثرة في الشأن السياسي العراقي، فهي من أجل تحقيق مصالحها في العراق استمالة هؤلاء بإرشائهم بطرق غير مباشرة، وفي هذا الصدد يذكر عبد الرزاق الحسني ان البريطانيين أسروا إلى شركات النفط ان تسمح لبعض الوزراء والمسؤولين بتأسيس

محطات لبيع البنزين، وكانت هذه المحطات تدر على أصحابها مبالغ تتراوح من ألفين إلى عشرة آلاف دينار في كل سنة[٤٥].

كانت هناك محاولات للحكومة في محاربة الفساد نتيجة استغلال بعض الساسة والمسؤولين مناصبهم الإدارية لتحقيق مصالح مادية أَثْرت الكثير منهم، إلا إن هذه المحاولات لم تكن جادة أو إنها واجهت اعتراضات بعض النفعيين، من هذه المحاولات ما قامت به وزارة حمدي الباججي في عام ١٩٤٥ من وضع لائحة خطيرة تحارب الفساد الذي استشرى في دواوين الدولة باسم((لائحة الإثراء غير المشروع))والتي سنعرض بعض موادها في موضع آخر من البحث، وحينما عرضت على البرلمان في جلسته المنعقدة في ٢٤ آذار ١٩٤٥، وطلب بعض النواب ومنهم عبد الكريم الازري ألا تقف هذه اللائحة على صغار الموظفين فقط وإنما يجب ان تشمل الوزراء، رفضت اللائحة بسبب إصرار المتنفذين على ان يشمل صغار الموظفين دون النواب والأعيان والوزراء والمديرين[٤٦].

ولما تألفت وزارة نوري سعيد العاشرة في ٦ كانون الثاني ١٩٤٩شعر رئيس الوزراء ان استغلال النفوذ الرسمي في عضويات مجلس الأمة بلغ حداً لا يمكن السكوت عليه، فأراد ان يضع حداً لهذا الاستغلال بتشكيل((المحكمة العليا)) لتفسير الفقرة السادسة من المادة الثلاثين من القانون الأساسي العراقي[٤٧] ليتثبت من صحة الجمع بين عضوية البرلمان أو الأعيان وبين الخدمة في الدوائر شبه الرسمية، وقد اجتمعت المحكمة العليا في ٣ شباط ١٩٤٩، ورأت ان الغرض الأساس من النص القانوني هو استقلال عضو مجلس الأمة وتأمين حريته في إبداء الرأي بدون مؤثر مادي، كذلك الحيلولة دون استغلال مركزه لغايات مادية ومنافع شخصية لا تتصل بالمنفعة العامة، ولهذا فإن وجود إي علاقة ناشئة من منفعة مادية

بين عضو مجلس الأمة وإحدى دوائر الحكومة، أو المؤسسات والمصالح الملحقة بها من شركات وغيرها فإنه يؤثر في المصلحة العامة[٤٨].

لذلك قررت المحكمة تفسير ما جاء في المادة السادسة من معنى كلمة(وظيفة) وغيرها من مفردات نص الفقرة بما يمنع من جواز الجمع بين العضوية في مجلس الأمة وبين استغلال هذه العضوية في الاستخدام في المصالح الحكومية أو شبه الحكومية، وقد ألغى هذا القرار القوانين الخاصة التي جوزت ترؤس الوزير المختص الذي هو بالأصل من أعضاء مجلس الأمة بعض المصالح الرسمية، وكان من نتيجة هذا القرار ان استقال بعض الأعيان والنواب من مناصبهم في المؤسسات الحكومية وشبه الحكومية، ومن الشركات المتعاقدة مع الحكومة مفضلين العضوية في مجلس الأمة، وآخرين فضلوا العكس[٤٩].

ويمكن عد هذه الخطوة القانونية خطوة في الاتجاه الصحيح لقطع الطريق وتفويت الفرصة على كل من يستغل منصبه في مصالح شخصية يجنيها من خلال عمله في بعض المؤسسات والشركات الحكومية وشبه الحكومية، إلا أن الغريب ان هذه الخطوة جاءت متأخرة بعد ان استشرى الفساد في مفاصل الدولة فلماذا لم تفهم أو تفسر الفقرة الدستورية وفق الفهم الذي يحقق المصالح العامة، فضلا عن إصدار قوانين خاصة تخالف مواد وفقرات الدستور(القانون الأساسي العراقي)، ويبدو ان ذلك راجع إلى ان فهم الدستور وتشريع القوانين قائم على مراعاة المصالح الخاصة لبعض المسؤولين دون المصالح العامة.

وفي إطار محاربة الفساد استصدر رئيس الوزارة نوري السعيد قرارا من ((لجنة التموين العليا)) في شباط ١٩٥٢، يقضي بعدم جواز منح الوزراء، الذين يمتهنون

التجارة، إجازات بالاستيراد والتصدير، منعاً لاستغلال النفوذ، إلا أن الوزراء الذين عناهم هذا القرار تحايلوا عليه، فحولوا الإجازات بأسماء ذويهم، وبذلك يكون الحد من أطماع هؤلاء الوزراء غير ممكن [٥٠].

كان للأحزاب السياسة دور معارض تمثل عام ١٩٥٢بإرسال مذكرات احتجاجية الى السمو الملكي الوصي وولي العهد [٥١]حملته مسؤولية تردي الأوضاع العامة في البلاد نتيجة امتهان القوانين وانتشار الفساد، ونذكر ما تضمنته مذكرة حزب الاستقلال[٥٢] من نقد والتي جاء فيها: ((وانصرف أغلب من وصل الى المناصب الوزارية الى احتجاز الأموال، وامتلاك الممتلكات، وانشغل اغلبهم وهم في مناصب المسؤولية بالتجارة والزراعة والشركات، وتفشت الرشوة، وأصبح قبول الهدايا من أصحاب المصالح شيئاً طبيعياً ومألوفاً من المسؤولين))، وطالب الحزب في المذكرة تطهير أجهزة الدولة من المفسدين، وإصدار قانون ((من أين لك هذا ؟))، وبأثر رجعي، إلا أن رد الوصي جاء مخيباً للآمال ولم يؤخذ ما جاء في المذكرات بعين الاعتبار[٥٣]. وإجمالا بقي الوضع مترديا لم يقض على الفساد طول الحكم الملكي.

ومع كل ما ذكرناه من صور الفساد للسلوك الإداري والمالي للحكومة العراقية في العهد الملكي، إلا أننا لم نشهد في مدة البحث فساداً مالياً وصل الى مستوى صفقات مالية كبيرة تضرر بسببها اقتصاد البلد نتيجة سرقة المال العام وضياعه بإقامة عقود ومشاريع وهمية أو غير منتجة، ولو كان لبان في ذلك الوقت ولتحدث به الرأي العام، واعترضت عليه الكتل السياسية المعارضة ولكتبت عنه الصحف والمجلات إلا إننا لم نعثر على شيء من هذا القبيل. ويبدو ان أحد أسباب عدم وجود هكذا نوع من الفساد راجع الى عوامل موضوعية تتعلق بعدم وجود المقتضي، بمعنى عدم وجود ما يمكن ان يكون صفقة للفساد من مشاريع صناعية أو اقتصادية، لان

اقتصاد البلد في ذلك الوقت كان ضعيفاً، فلم تكن هناك وفرة مالية كبيرة، الأمر الذي حدد من خلق فرص لمثل هذا النوع من الفساد.

ورجوعا الى الوضع الاقتصاد العراقي نجد انه عانى من ضائقة مالية وقد اشتدت هذه الضائقة أواخر عام ١٩٢٢ وبداية عام ١٩٢٣، وحتى بعد عام ١٩٢٧ حينما أصبح العراق دولة نفطية كانت إيراداته ضعيفة لا تؤمن حاجاته الصناعية والخدمية، ففي عام ١٩٣١ خفضت الدولة رواتب الموظفين مدة عشر سنوات، وبعد اندلاع الحرب العالمية الثانية ازدادت الأمور المالية للبلد سوءا، مما أجبر الدولة على تقليل نفقاتها، وفي عام ١٩٤٨ طلبت الحكومة العراقية من الحكومة المصرية قرض مقداره ثلاثة ملايين جنيه من أجل تأمين رواتب الموظفين إلا أن الحكومة المصرية لم تؤمن هذا المبلغ، فاضطرت الحكومة العراقية ان تتفق مع الشركات النفطية ان تدفع حصة العراق من نفطه كل ثلاثة أشهر وليس في نهاية كل سنة[٥٤].

جدول رقم (٢) يمثل مجموعة عائدات النفط الخام التي تدفعها الشركات الى الحكومة العراقية[٥٥]

السنة	المدفوعات بالدينار العراقي
١٩٣٤	٦٣٧،٧٩٦
١٩٣٦	٥٨٩،١٥٤،١
١٩٤٣	٥٢٥،٠٥١،٢
١٩٥٠	٤١٦،٦٧٤،٦
١٩٥١	٤١٣،١١٣،١٥
١٩٥٢	٤٧٦،١٢١،٣٣
١٩٥٣	٨٥٩،٧١١،٥٧

١٩٥٥	٨٣٦،٧٤٢،٧٣
١٩٥٨	٠٠٠،٠٠٠،٨٠

ومما تقدم يظهر ان الحكومة العراقية لم تكن في وفرة مالية كبيرة تمنحها القدرة على بناء مشاريع اقتصادية وصناعية كبيرة حتى يمكن ان تكون فيها صفقات فساد، وحينما تغير الوضع الاقتصادي للبلد بعد عام ١٩٥٢ بسبب زيادة وارداته النفطية[٥٦]-كما مبين في الجدول أعلاه-عملت الحكومة العراقية على بناء مشاريع خدمية في العراق، بعد توسيع مجلس الأعمار[٥٧]الذي أصبح في عام ١٩٥٣ وزارة الأعمار، ومع زيادة هذه الإيرادات وحصول بعض الخدمات من المشاريع الأساسية من بناء السدود ومحطات توليد الطاقة الكهربائية، والطرق والجسور والبنايات الحكومية الضخمة، إلا أن هذه الأموال عجزت عن زيادة الإنتاج الوطني في حقلي الزراعة والصناعة إلا في عدد قليل من المشاريع الصناعية، ومع ذلك فإن هذه المشاريع لم يشوبها فساد إداري أو مالي[٥٨].

ويقول حنا بطاطو هناك عدد غير قليل من المسؤولين أواخر العهد الملكي ممن كان يعيش على راتبه التقاعدي فقط أمثال ارشد العمري وهو رئيس وزراء سابق[٥٩]، كما ان التحقيقات التي جرت بعد ثورة تموز ١٩٥٨ عن أموال المسؤولين الحكوميين كشفت ان عدداً من هؤلاء لم يكن يمتلك أي أرصدة كبيرة أمثال أحمد مختار بابان الذي شغل منصب رئيس الوزراء في عام ١٩٥٨، وبهجت العطية مدير الأمن العامة الذي ظهر انه مدين، و سعيد قزاز وزير الداخلية، وخليل كنه، وغيرهم[٦٠].

أما ما يتعلق بالملك فيصل الثاني فكان إنسانا بريئاً لم يعرف عنه حب السلطة أو جمع الثروة أو استغلال المنصب، كان يتقاضى راتباً عادياً، اما الأراضي التي هي الموارد الرئيس للعائلة المالكة والتي كانت تقدر بـ ١٧٧٠٠٠ دونم، فضلاً عن بعض

الاستثمارات في مصنع للنسيج وفي ((شركة المنصور في سباق الخيل)) [٦١]، وكل هذه الموارد كانت تابعة للخزينة الملكية التي تشرف عليها دائرة خاصة تسمى (نظارة الخزينة الخاصة) وهي مخولة بصورة قانونية بإنماء هذه الموارد وتنظيم أوجه صرفها والتي تشمل الاحتياجات الخاصة الملكية وحاجات الأمراء ورواتب الموظفين العاملين في القصر الملكي ومسؤولية صرف المبالغ المخصصة من الملك كرواتب وإعانات وهبات الى المدارس والجمعيات الخيرية [٦٢].

ومما تقدم يظهر ان عائدات الأراضي والاستثمارات الملكية في بعض الشركات لم تكن أموالا خاصة للملك نفسه، بل هي أموال تابعة لدائرة حكومية تهتم بشؤون الملك وحوائجه بوصفه منصبا رسميا في الدولة، ووجود هكذا دائرة تنظم هذه الأموال وتشرف على صرفها يكشف عن نزاهة العائلة المالكة، فلم يكن بمقدور هذه العائلة ان تتصرف بهذه الأموال تصرفا شخصيا وكيفما تشاء، بل هناك موظفون في هذه الدائرة مسؤولون عن صرف مرتبات ومصروفات محددة كفلها القانون.

أما ما قيل عن سبائك الذهب التي تقدر بمليون باون العائدة الى العائلة المالكة والتي هربت الى تركيا فقد أثبتت اللجنة العراقية التي شكلت في ١٣ آب ١٩٥٨ عدم صحة تلك الأخبار بعد ان فتشت السفارة العراقية في اسطنبول واليخت الملكي واتصلت بالبنوك ولم تعثر على أي أموال تعود للأسرة الحاكمة[٦٣].

الرقابة الحكومية للسلوك الإداري لموظفي الدولة:

كان لقيام الحرب العالمية الثانية وما رافقها من تداعيات اقتصادية سيئة على العراق بسبب ارتفاع أسعار المواد الغذائية بشكل كبير جداً[٦٤]، أثر واضح في تزايد ظاهرة الرشوة بين الموظفين وعلى قول عبد الرزاق الحسني((ان الحرب العالمية

الثانية(١٩٣٩-١٩٤٥)انتهت بانقلاب عظيم في الأخلاق. . ولعل من اظهر بوادر هذا الانقلاب الأخلاقي، استغلال الوظائف الحكومية في الكسب الحرام))[٦٥] نتيجة ارتفاع الأسعار ارتفاعاً فاق الحد المعقول، ومن اجل الحد من هذه الظاهرة عملت وزارة حمدي الباججي (٢٩ آب ١٩٤٤-٢٩ كانون الثاني ١٩٤٦)ووزارة توفيق السويدي(٢٣ شباط ١٩٤٦-٣٠ آيار ١٩٤٦) على تطهير جهاز الدولة من هؤلاء المفسدين وقد حققا نجاحاً نسبياً في هذا الاتجاه، وحينما آلت الوزارة الى السيد ارشد العمري (١حزيران ١٩٤٦-١٤ تشرين الثاني ١٩٤٦)، استطاع ان ينزل ضربة قاسية بالمتلاعبين والمرتشين، فكانت مقررات مجلس الوزراء تصدر بفصل المئات من الموظفين في دوائر الأشغال، والري، والتموين، وأجرت الوزارة تنقلات واسعة بين المتصرفين، والقائمقامين، ومديري النواحي، والمديرين العامين والمهندسين[٦٦].

وفي وزارة علي جودت الأيوبي التي شكلت في كانون الأول ١٩٤٩، أقصت الوزارات المختلفة لاسيما وزارة المالية عددا كبيرا من الموظفين المرتشين وسيئي السلوك من الخدمة في دواوين الدولة، وحينما جاءت وزارة توفيق السويدي الثالثة في شباط ١٩٥٠ أعلنت في منهاجها تطهير جهاز الدولة من الفاسدين وقد عملت على إبعاد الكثير من المفسدين[٦٧].

ومع تعاقب الوزارات في إصلاح الجهاز الحكومي غير أن الأمور لم تتغير كثيراً، لأن الفصل اقتصر على صغار الكتبة ولم يجتث جذور المحسوبين والمنسوبين بصورة مطلقة، وأصبح الفساد في الجهاز الحكومي مصدر خطر على المصلحة العامة وعلى حقوق الناس بسبب تفشي الرشوة وكثرة الاختلاسات، وازدادت الشكوى من سوء سلوك الموظفين، وأصبحت بعض الوظائف والمناصب مصدرا للاستغلال والإثراء غير المشروع، حتى بلغ الأمر ان بيعت بعض الوظائف، وفرض بعض الموظفين

الكبار أتاوات شهرية على صغار مرؤوسيهم، وكل ذلك سببه ان الرقابة الحكومية لم تكن بمستوى حجم الفساد، كما ان تطبيق القوانين الانضباطية الرادعة لم يشمل جميع المفسدين، وفي بعض الأحيان كانت العقوبة تقتصر بنقل الموظف المرتشي من مكان إلى مكان آخر، كل هذه العوامل أدت إلى استمرار الفساد والاستهتار بالقوانين[٦٨].

وتفعيلاً لدور الرقابة التشريعية قرر البرلمان تشريع قانون يعاقب على الفساد الإداري والمالي في الأجهزة الحكومية، وبعد الاتفاق اصدر مجلس النواب في ٢٤ آذار ١٩٥٦ ((قانون تنسيق الجهاز الحكومي))، والذي نص على تأليف لجنة تسمى لجنة التنسيق تتألف من حكام من الصنف الأول وموظفين من الصنف الممتاز ممن عرفوا بالاستقامة والكفاءة للتحقيق في سلوك الحكام والقضاة والموظفين والمستخدمين لإقصاء من يثبت سوء سلوكه من الخدمة وفق أحكام هذا القانون، وان يشمل تعبير سوء السلوك، الاستهتار الخلقي، والرشوة بأي وجه كان، واستخدام النفوذ الرسمي او استعمال السلطة لتأمين منافع خاصة، ويتحقق سوء السلوك بكل أنواع الأدلة والقرائن بما في ذلك الشهرة والتواتر ومظاهر الحياة التي يعيشها الموظف، وحددت المادة السابعة من القانون وظائف لجنة التنسيق بالعزل، والفصل لمدة سنتين ولا تزيد عن خمس سنوات[٦٩].

وصادق الملك فيصل الثاني على القانون ونشر في الجريدة الوقائع العراقية[٧٠]، وبموجب هذا القانون فُصِل ٣١٧ موظفاً، بينهم (٩) متصرفين من أصل(١٤) متصرفا، ونحو(١٠٠)ضابط شرطة بين مدير، ومعاون، ومفوض، وعدد من المدراء العامين، والقائم مقامين، ومديري النواحي، والقضاة، والكتاب، ومع ان رئيس الوزراء نوري السعيد أراد ان يمدد نفاذ القانون مدة سنة أخرى وفق المادة الرابعة عشر من القانون، ولكن الضجة التي قامت بوجهه، واحتمال شمول التطهير أكابر الموظفين والمحسوبين حال دون ذلك. [٧١]

وتحصل مما تقدم ان الحكومة العراقية عبر وزاراتها التي تشكلت في العهد الملكي عملت على إصدار تشريعات و قوانين رقابية في مكافحة الفساد للمحافظة على النزاهة الإدارية والمالية لأجهزة الدولة، وقد حققت نجاحاً في هذا الاتجاه إلا أن المنافع الشخصية والأهواء السياسية كان لها دور في عرقلة أي مشروع او قانون رقابي يحمي دوائر الدولة ومؤسساتها من الفاسدين.

الخاتمة

أولاً: ان الحكم وإدارة الدولة في العهد الملكي ١٩٣٩- ١٩٥٨ نشأ في ظل ظروف سياسية و اقتصادية صعبة تمثلت بمقتل غازي ودخول البلاد في حالة استثنائية تمثلت بهيمنة الوصي على إدارة الحكم واستغلال منصبه لمصالح سياسية عرضت نزاهة الدولة الى الخطر، أما ما يتعلق بالجانب الاقتصادي فقد عاش العراق في ظروف اقتصادية صعبة فرضتها الحرب العالمية الثانية كانت السبب وراء تفشي ظاهرة الرشوة بين الموظفين الإداريين.

ثانياً: إن الفساد الإداري والمالي طول مدة موضوع الدراسة، كان راجعا في مجمل انحرافاته المالية والإدارية الى مخالفة القواعد والإحكام الى الفساد السياسي بسبب الصراع السياسي بين النخب السياسية من جانب وارتباط هذه النخب بعلاقات مصلحية مشبوهة مع بريطانية من جانب آخر.

ثالثاً: أصدرت الحكومة العراقية مجموعة من الإجراءات القانونية والرقابية من اجل القضاء على الفساد الإداري والمالي، إلا أن خضوع هذه الإجراءات الى التقلبات السياسية التي شهدتها البلاد عند تغير الوزارات أضعف من تلك الإجراءات وحد من تأثيرها فكانت كل وزارة تفسر هذه القوانين بما لا يضر بمصالح أصحابها.

رابعاً: ان طبيعة الفساد وحجمه في الحكم الملكي كان خاضعاً في محدداته الى الوضع المالي والاقتصادي في العراق والذي كان سيئا منذ قيام الحكم الملكي نتيجة قلة الواردات النفطية واستمرت الى عام ١٩٥٣ حينما زادت كثيرا لتشجع الحكومة على تخصيص مبالغ كبيرة من هذه الواردات لمجلس إعمار العراق، وقد شهد لهذا المجلس بالنزاهة والمهنية في إقامة المشاريع في العراق.

هوامش البحث:

١) سمير النير، الفقر والفساد في العالم العربي، دار الساقي، بيروت، ٢٠٠٩، ص١٥.

٢) رهبة أسودي حسين، الفساد الإداري والمالي في العراق دراسة اجتماعية سياسية، مجلة حولية المنتدى، العدد ٦، لسنة ٢٠١١، ص١٠٢.

٣) المصدر نفسه، ص١٠٢-ص١٠٣.

٤) نزار توفيق سلطان الحسو، الصراع على السلطة في العراق الملكي، مكتبة الكندي، بغداد، ١٩٨٤، ص١١، ص٢٤.

٥) لطفي جعفر فرج، الملك غازي، مكتبة اليقظة العربية، بغداد، ١٩٨٧، ص٢٧٧.

٦) طه ناجي، ثورة العراق المجيدة ١٤ تموز ١٩٥٨، دار الرواد، بغداد، ٢٠٠٩، ص٢٠.

٧) طارق الناصري، عبد الإله الوصي على عرش العراق(١٩٣٩-١٩٥٨)، ج٢، المكتبة العالمية، بغداد، ١٩٩٠، ص٧٠.

٨) كريمه لطيف عبدا لله الجبوري، وظائف الدولة في الفكر السياسي الإسلامي، رسالة ماجستير، كلية العلوم السياسية -جامعة بغـداد، ٢٠٠٩، ص٥٤.

٩) إبراهيم عبد العزيز شيحا، النظم السياسية للدول والحكومات، منشأة المعارف، الإسكندرية، ٢٠٠٣، ص٢٢٧٠.

١٠) ديوان التدوين القانوني(أعداد)، القانون الأساسي العراقي مع تعديلاته، مطبعة الحكومة، بغداد، ١٩٤٤، ص٣٠.

١١) المصدر نفسه، ص٣١-ص٣٢.

١٢) المصدر نفسه، ص٦٣.

١٣) فاهم نعمة إدريس، واقع الحياة النيابية في العهد الملكي ١٩٢٥-١٩٥٨، مجلة كلية التربية – جامعة واسط، مجلد ١، العدد١، ٢٠٠٧، ص٢٤٩.

١٤) المصدر نفسه.

١٥) توفيق السويدي، توفيق السويدي، مذكراتي، نصف قرن من تاريخ العراق والقضية العربية، الذاكرة، بيروت، ٢٠١١، ، ص١٠٣.

١٦) سعاد رؤوف شير محمد، نوري السعيد ودوره في السياسة العراقية ١٩٣٢-١٩٤٥، مكتبة اليقظة العربية، بغداد، ١٩٨٨، ص٥٢.

١٧) محاضر مجلس النواب، الدورة الانتخابية العاشرة، الاجتماع غير الاعتيادي، جلسة يوم ٥ كانون الثاني ١٩٤٤، ، مطبعة الحكومة، بغداد، ١٩٤٥، ص٢١.

١٨) هو أحد أعرق الأحزاب السياسية في العراق، اسس في عام ١٩٤٦، كان أعضاؤه في جماعة الأهالي التي ظهرت في الثلاثينات، أسس الحزب كامل الجادرجي ومحمد حديد وحسين جميل وآخرون، ترأسه كامل الجادرجي إلى أن حل الحزب بسنة ١٩٦١، كان هذا الحزب معارضاً لسياسة الدولة آنذاك، ولعب دوراً بارزاً في تحشيد الجماهير ضد معاهدة بورتسموث. فاضل حسين، الحزب الوطني الديمقراطي، ١٩٤٦-١٩٥٨، مطبعة الشعب، بغداد، ١٩٦٣.

١٩) حزب عراقي يميني شُكّل عام ١٩٤٦م، كان رئيسه سعيد صالح، من أعضائه توفيق السويدي، أصدر الحزب جريدة صحيفة باسم صوت الأحرار، عام ١٩٤٨م وتوقفت الصحيفة عن الصدور في العام التالي. عبد الرزاق مطلك الفهد، الأحزاب السياسية في العراق، شركة المطبوعات، بيروت، ٢٠١١، ص١٥١-ص١٥٢.

٢٠) عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات، ج٧، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٨، ص١٣٨-ص١٣٩؛قحطان حميد العنبكي، الانتخابات النيابية لسنة ١٩٤٧ تجاوزات وانتقادات، مجلة الذاكرة، عدد ٤٣٦٤، ٤ شباط ٢٠١٩، ص٢.

٢١) محمود عبد الواحد محمود(أعداد)، العراق المعاصر رؤى أجنبية، ترجمة وتقديم وتعليق محمود عبد الواحد محمود، مكتبة عدنان، بغداد، ٢٠١١، ص٨٧.

٢٢) عملية استقراء قام بها الباحث في تحديد عدد المجالس التي انتخبت للمدة(١٩٣٩-١٩٥٨)، وحساب أعمارها النيابية بعد مراجعة: عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات، ج١٠، ص٣٠٩-ص٣٢٥.

٢٣) محمود عبد الواحد محمود(أعداد)، المصدر السابق، ص٨٧.

٢٤) عملية استقراء قام بها الباحث في تحديد عدد المناصب خلال المدة(١٩٣٩-١٩٥٨) وعدد الأشخاص الذين شغلوا هذه المناصب. بعد مراجعة المركز العراقي للمعلومات، دليل الوزارات العراقية ١٩٢٠-٢٠٠٣، دار الشروق، بغداد، ٢٠٠٧.

٢٥) عملية استقراء قام بها الباحث في تحديد عدد المناصب التي شغلها الوزراء في المدة(١٩٣٩-١٩٥٨)، بعد مراجعة: : المركز العراقي للمعلومات، دليل الوزارات العراقية ١٩٢٠-٢٠٠٣.

٢٦) محسن محمد المتولي العربي، نوري السعيد من البداية الى النهاية، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ٢٠٠٥، ص٤٤-ص٣٧؛منذر جواد مرزة، ، العهد الملكي في العراق، ١٩٢١-١٩٥٨، مؤسسة دار الزهراء للنشر، النجف، ٢٠٠٥، ص٢٥٣.

٢٧) عبد الرزاق الحسني، المصدر السابق، ج٦، ص٢١٧.

٢٨) جعفر الحسيني، ثورة في العراق، دار الكتب العلمية، بغداد، ٢٠١٣، ص٢٢.
٢٩) طارق الناصري، المصدر السابق، ص٣٩٦.
٣٠) فاضل حسين، المصدر السابق، ص٢٩٤-ص٢٩٥.
٣١) عبد الرزاق الحسني، المصدر السابق، ج٨، ص٣٢٤.
٣٢) ناجي شوكت، سيرة وذكريات، ج٢، مكتبة اليقظة، بغداد، ١٩٩٠، ص٥٧٥، ص٥٧٧؛سعيد رشيد زميزم، ملوك العراق والوصي عبد الاله، مؤسسة الفكر الاسلامي، بيروت، ٢٠١١، ص١٩٠.
٣٣) راجع: جريدة الوقائع العراقية (بغداد)، العدد ١٩٣٨، ٢١ تموز ١٩٤١؛ جريدة الوقائع العراقية (بغداد)، العدد ١٩٤٤، ١١ آب١٩٤١ ؛ جريدة الوقائع العراقية (بغداد)، العدد ١٩٥٤، ٢٩ ايلول١٩٤١.
٣٤) راجع: صلاح هادي عبادي الحلي، الإقصاء السياسي في تاريخ العراق المعاصر، ١٩٢١-١٩٥٣، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية التربية للعلوم الإنسانية – جامعة بابل، ٢٠١٥، ص١٦٤-ص١٧٢.
٣٥) جريدة الحارس (بغداد)، العدد ٧٦، بتاريخ ٨ آيار ١٩٥٤.
٣٦) القانون الأساسي العراقي، مطبعة دار السلام، بغداد، ١٩٢٥، ص٧- ص٢٧.
٣٧) د. ك. و، ١٤٤٩ / ٣١١، البلاط الملكي، الديوان، ، التعيينات والتشكيلات، قوائم بأسماء موظفي وزارة العدلية، ٢٤ / ٧/ ١٩٢١م؛دليل المملكة العراقية ١٩٣٥-١٩٣٦، مطبعة الأمين، بغداد، ١٩٣٥، ص٤١٧-ص٤٢٢.
٣٨) حصل هذا التداخل في وزارة طه الهاشمي التي تشكلت في كانون الثاني ١٩٤١ حينما كان عمر نظمي وزيراً للداخلية وللعدل بالوكالة، كذلك في وزارة المدفعي السادسة آذار ١٩٥٣، حينما كان علي ممتاز بابان وزيراً للمالية وللعدل بالوكالة. راجع: المركز العراقي للمعلومات، دليل الوزارات العراقية ١٩٢٠-٢٠٠٣، ص١٠٠، ص١٥٣.
٣٩) أحمد فوزي، أشهر المحاكمات الصحفية في العراق، بغداد، مطبعة الانتصار، ١٩٨٥، ص١٠.
٤٠) د. ك. و، ٥٢٦٦ / ٣١١، مرسوم صيانة الأمن العام و سلامة الدولة، رقم القرار ٥٦ لسنة ١٩٤٠، بتاريخ ٢٠ حزيران ١٩٤١، و٦، ص٩؛نجدة فتحي صفوت، صالح جبر سيرة سياسية، دار الساقي، بيروت، ٢٠١٦، ص١٦٩.
٤١) فاضل حسين، المصدر السابق، ص٢٩٤- ص٢٩٦.
٤٢) وهم قسم من المدنيين والضباط العراقيين كانوا في الجيش العثماني وتخلو في الحرب العالمية

الأولى عن الأتراك والتزموا بخدمة عائلة الشريف حسين لاسيما ابنه فيصل حتى مجيئه الى العراق. حنا بطاطو، العراق الطبقات الاجتماعية والحركات الثورية، الكتاب الأول، ترجمة عفيف الرزاز، ط٣، منشورات دار القبس، الكويت، ٢٠٠٣، ص٤٥- ص٤٦.

٤٣) راجع: المصدر نفسه، ص٣٩٤.

٤٤) محمد سلمان حسن، التطورات الاقتصادية في العراق ١٨٦٤-١٩٥٨، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٦٥، ص١٩٤-ص١٩٥.

٤٥) عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات، ج٦، ص٢١٧.

٤٦) عبد الرزاق الحسني، المصدر السابق، ج٦، ص٢١٧-ص٢١٩؛المصدر نفسه، ج٨، ص٦٦.

٤٧) تنص المادة (٣٠)من الفقرة (٦) من القانون الأساسي العراقي من كان له وظيفة في الحكومة أو المصالح الملحقة بها أو منصب أو وظيفة أو خدمة لدى شخص أو مؤسسة لها عقد مع إحدى الدوائر العامة أو له أية منفعة مادية مباشرة أو غير مباشرة مع ذلك العاقد إلا إذا كانت المنفعة ناشئة عن كونه مساهماً في شركة مؤلفة من أكثر من خمسة وعشرين شخصاً. ويستثنى من ذلك مستأجرو أراضي الحكومة وأملاكها والقائمون بالمهام المبينة في الفقرة الثانية من المادة الحادية والثلاثين من هذا القانون. ديوان التدوين القانوني(أعداد)، القانون الأساسي العراقي مع تعديلاته، ص٣١.

٤٨) عبد الرزاق الحسني، المصدر السابق، ج٨، ص٦٦- ص٦٨.

٤٩) المصدر نفسه، ص٦٨- ص٧٠.

٥٠) المصدر نفسه، ص٢٤٦.

٥١) تقدمت أربعة أحزاب سياسية بمذكرات احتجاجية على أوضاع البلاد عام ١٩٥٢ الى الوصي عبد الإله هذه الأحزاب هي: حزب الاستقلال، والجبهة الشعبية، والحزب الوطني الديمقراطي، حزب الامة الاشتراكي، للاطلاع على نصوص المذكرات راجع: عبد الرزاق الحسني، تاريخ الاحزاب السياسية العراقية، الرافدين للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠١٣، ص٢٧١-ص٢٨٦.

٥٢) حزب سياسي عراقي أسس عام ١٩٤٦م برئاسة محمد مهدي كبة، من أعضائه فائق السامرائي وخليل كنة وصديق شنشل وغيرهم، أصدر جريدة لواء الاستقلال التي ظلت تصدر حتى عام ١٩٥٤، انضم إلى الجبهة الوطنية سنة ١٩٥٦، في أواسط الخمسينات، هجره معظم الشباب المتحمس للفكر القومي. عادل غفوري خليل، أحزب المعارضة العلنية في العراق ١٩٤٦-١٩٥٤، منشورات المكتبة العالمية، ١٩٨٤، ص٨١-ص٨٤.

٥٣) عبد الرزاق الحسني، تاريخ الأحزاب، ص٢٧٢- ص٢٧٣.

٥٤) عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات، ج١، ط٢، مطبعة العرفان، صيدا، ١٩٥٣،

ص١٢٧؛المصدر نفسه، ج٥، ص١٧٤؛المصدر نفسه، ج٨، مطبعة دار الشؤون الثقافية العامة، ص١٢، ص٢٦؛ وزارة المالية العراقية، لائحة ميزانية الدولة العراقية لسنة ١٩٤٦ المالية، مطبعة الحكومة، بغداد، ١٩٤٦، ص١-ص٥ ؛ خير الدين حسيب، تقدير الدخل القومي في العراق، منشورات دار الطليعة، بيروت، ١٩٦٤، ص٣٥.

٥٥) وفاء كاظم الكندي وميثم عبد الخضر السويدي، الموارد المالية النفطية وأثرها في تطوير وارتفاع مستوى الدخل القومي، في العراق، خلال المدة١٩٥٨-١٩٦٣، مجلة العلوم الانسانية، جامعة بابل-كلية التربية للعلوم الانسانية، مجلد ٢٥، العدد ٤، ٢٠١٨، ص٢٥٦.

٥٦) في الثالث من شباط ١٩٥٢ تم توقيع اتفاقية بين الحكومة العراقية والشركات الثلاثة وذلك بإعطاء العراق حصة ٥٠٪ من أرباح الشركات تؤخذ بشكل حصة عينية من النفط الخام للاستهلاك الداخلي والباقي يحول الى دفع نقدي وتم الاتفاق على زيادة الإنتاج الى ٣٠مليون طن عام ١٩٥٥واصبح دخل العراق الصافي من النفط يقدر ب٢٠مليون دينار عراقي أي ما يقارب ٤٠مليون دولار آنذاك. عباس العيداني، تاريخ انتاج النفط في المنطقة عامة والعراق خاصة، http: //www. alnoor. se /article. asp?id=٢١٠٧٠٤

٥٧) شرع قانون مجلس الأعمار في نيسان ١٩٥٠ في زمن وزارة توفيق السويدي، ترأس المجلس نوري سعيد مدة وزارته(١٥ أيلول ١٩٥٠- تموز ١٩٥٢) وكان مجلس الأعمار مؤسسة كبرى مسؤولة عن تصميم وتنفيذ المشاريع العُمرانية، مِن مشاريع الرَّي والصناعة والبناء وغيرها، خطة عمل المجلس ست سنوات(١٩٥١-١٩٥٦)قدر له مبلغ ١٥٥ مليون دينار. زكي صالح، مقدمة في دراسة تاريخ العراق المعاصر، مطبعة الرابطة، بغداد، ١٩٥٣، ص١٥٠؛ غصون مزهر حسين، قانون مجلس الأعمار في مناقشات مجلس النواب العراقي لسنة ١٩٥٠، مجلة كلية التربية-الجامعة المستنصرية، العدد ٤، لسنة ٢٠١٧.

٥٨) زكي صالح، مقدمة في دراسة تاريخ العراق المعاصر، مطبعة الرابطة، بغداد، ١٩٥٣، ص٢٠٠؛ عبد الحسين وادي العطية، الإصلاح الزراعي في العراق والتنمية الاقتصادية، مطبعة المعارف بغداد، ١٩٦٥، ص١٠-ص١١.

٥٩) حنا بطاطو، المصدر السابق، ج١، ص٢٥٧.

٦٠) يونس البحري، مذكرات يونس البحري، إعداد وتقديم خالد عبد المنعم العاني، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ٢٠٠٥، ص٨٣.

٦١) حنا بطاطو، المصدر السابق، ج١، ص٣٩٢.

٦٢) مقالة منشورة في صحيفة المراقب العراقي تحت عنوان((الخزينة الخاصة بالبلاط الملكي

العراقي)) http: //www. almuraqeb-aliraqi. org/ ٢٠١٥/ ١١/ ٢٣/ ٣٦٢٧٦/

٦٣) نوري عبد الحميد العاني وعلاء جاسم محمد، المصدر السابق، ج١، ص٤٧٦.

٦٤) جريدة الرقيب(بغداد)، العدد ٢٠، ٩ نيسان ١٩٤٦.

٦٥) المصدر نفسه، ج٨، ص٦٧.

٦٦) المصدر نفسه، ج٧، ص٩٧.

٦٧) المصدر نفسه، ج٨، ص١٤١، ص١٥١.

٦٨) مجلس النواب العراقي، محاضر مجلس النواب، الدورة الانتخابية الخامس عشر، الاجتماع الاعتيادي لسنة ١٩٥٥-١٩٥٦، الجلسة الثامن والعشرون، ليوم ٢٤ آذار ١٩٥٦، مطبعة الحكومة، بغداد، ١٩٥٦، ص٤٩٣، ص٤٩٩.

٦٩) مجلس النواب العراقي، محاضر مجلس النواب، الدورة الانتخابية الخامس عشر، الاجتماع الاعتيادي لسنة ١٩٥٥-١٩٥٦، الجلسة الثامن والعشرون، ليوم ٢٤ آذار ١٩٥٦، مطبعة الحكومة، بغداد، ١٩٥٦، ص٥٠٣؛ د. ك. و، ٣٣٢١ / ٣١١، قانون تنسيق الجهاز الحكومي، رقم القرار ٦٦ لسنة ١٩٥٦، بتاريخ ٢٤ حزيران ١٩٥٦.

٧٠) جريدة الوقائع العراقية (بغداد)، العدد ٣٨٠٦، ١٤ حزيران ١٩٥٦.

٧١) د. ك. و، ٣٢١٠١ / ٣١١، وزارة العدل، تنسيق الجهاز الحكومي وفصل الموظفين غير المرغوب فيهم، بتاريخ ١٤ كانون الثاني ١٩٥٧، و٣، ص٢٣؛عبد الرزاق الحسني، تاريخ الوزارات، ج١٠، ص٨١.

المصادر والمراجع

أولاً: الوثائق:

أ- الوثائق غير المنشورة:

وثائق البلاط الملكي، المحفوظة في أرشيف دار الكتب والوثائق العراقية ببغداد (د. ك. و).

* د. ك. و، ١٤٤٩ / ٣١١، البلاط الملكي، الديوان، التعيينات والتشكيلات، قوائم بأسماء موظفي وزارة العدلية، ٢٤ / ٧/ ١٩٢١.

* د. ك. و، ٥٢٦٦ / ٣١١، مرسوم صيانة الأمن العام وسلامة الدولة، رقم القرار ٥٦ لسنة ١٩٤٠، بتاريخ ٢٠ حزيران ١٩٤١.

* د. ك. و، ٣٣٢١ / ٣١١، قانون تنسيق الجهاز الحكومي، رقم القرار ٦٦ لسنة ١٩٥٦، بتاريخ ٢٤ حزيران ١٩٥٦.

* د. ك. و، ٣٢١٠١ / ٣١١، وزارة العدل، تنسيق الجهاز الحكومي وفصل الموظفين غير المرغوب فيهم، بتاريخ ١٤ كانون الثاني ١٩٥٧.

ب- الوثائق المنشورة:

١- وثائق مجلس النواب العراقي، مطبعة الحكومة، بغداد، ١٩٢٨، ١٩٣٧، ١٩٤٥، ١٩٥٦

- محاضر مجلس النواب، الدورة الانتخابية العاشرة، الاجتماع غير الاعتيادي، جلسة يوم ٥ كانون الثاني ١٩٤٤، مطبعة الحكومة، بغداد، ١٩٤٥.

- مجلس النواب العراقي، محاضر مجلس النواب، الدورة الانتخابية الخامس عشر، الاجتماع الاعتيادي لسنة ١٩٥٥-١٩٥٦، الجلسة الثامن والعشرون، ليوم ٢٤ آذار ١٩٥٦، مطبعة الحكومة، بغداد، ١٩٥٦.

٢- القانون الأساسي العراقي، مطبعة دار السلام، بغداد، ١٩٢٥.

٣- ديوان التدوين القانوني(أعداد)، القانون الأساسي العراقي مع تعديلاته، مطبعة الحكومة، بغداد، ١٩٤٤.

٤- دليل المملكة العراقية ١٩٣٥-١٩٣٦، مطبعة الأمين، بغداد، ١٩٣٥.

٥- وزارة المالية العراقية، لائحة ميزانية الدولة العراقية لسنة ١٩٤٦ المالية، مطبعة الحكومة، بغداد، ١٩٤٦.

الرسائل والاطاريح:

١- صلاح هادي عبادي الحلي، الإقصاء السياسي في تاريخ العراق المعاصر، ١٩٢١-١٩٥٣، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية التربية للعلوم الإنسانية – جامعة بابل، ٢٠١٥

٢- كريمه لطيف عبدا لله الجبوري، وظائف الدولة في الفكر السياسي الإسلامي، رسالة ماجستير، كلية العلوم السياسية -جامعة بغـداد، ٢٠٠٩.

الكتب:

١- إبراهيم عبد العزيز شيحا، النظم السياسية للدول والحكومات، منشأة المعارف، الإسكندرية، ٢٠٠٣.

٢- أحمد فوزي، أشهر المحاكمات الصحفية في العراق، بغداد، مطبعة الانتصار، ١٩٨٥.

٣- توفيق السويدي، توفيق السويدي، مذكراتي، نصف قرن من تاريخ العراق والقضية العربية، الذاكرة، بيروت، ٢٠١١.

٤- جعفر الحسيني، ثورة في العراق، دار الكتب العلمية، بغداد، ٢٠١٣.
٥- حنا بطاطو، العراق الطبقات الاجتماعية والحركات الثورية، الكتاب الأول، ترجمة عفيف الرزاز، ط٣، منشورات دار القبس، الكويت، ٢٠٠٣.
٦- خير الدين حسيب، تقدير الدخل القومي في العراق، منشورات دار الطليعة، بيروت، ١٩٦٤.
٧- زكي صالح، مقدمة في دراسة تاريخ العراق المعاصر، مطبعة الرابطة، بغداد، ١٩٥٣.
٨- سعاد رؤوف شير محمد، نوري السعيد ودوره في السياسة العراقية ١٩٣٢-١٩٤٥، مكتبة اليقظة العربية، بغداد، ١٩٨٨.
٩- سعيد رشيد زميزم، ملوك العراق والوصي عبد الاله، مؤسسة الفكر الاسلامي، بيروت، ٢٠١١.
١٠- سمير النير، الفقر والفساد في العالم العربي، دار الساقي، بيروت، ٢٠٠٩.
١١- طارق الناصري، عبد الإله الوصي على عرش العراق(١٩٣٩-١٩٥٨)، ج٢، المكتبة العالمية، بغداد، ١٩٩٠.
١٢- طالب مشتاق، أوراق أيامي، ط٢، الدار العربي للمطبوعات، بغداد، ١٩٨٩.
١٣- طه ناجي، ثورة العراق المجيدة ١٤ تموز ١٩٥٨، دار الرواد، بغداد، ٢٠٠٩.
١٤- عادل غفوري خليل، أحزب المعارضة العلنية في العراق ١٩٤٦-١٩٥٤، منشورات المكتبة العالمية، ١٩٨٤.
١٥- عبد الحسين وادي العطية، الإصلاح الزراعي في العراق والتنمية الاقتصادية، مطبعة المعارف بغداد، ١٩٦٥.
١٦- عبد الرزاق الحسني، تاريخ الأحزاب السياسية العراقية، الرافدين للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠١٣.
١٧- ==========، تاريخ الوزارات العراقية، ج٧، ج٨، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٨
١٨- ==========، تاريخ الوزارات، ج١، ج٥، ج٦، ط٢، مطبعة العرفان، صيدا، ١٩٥٣.
١٩- عبد الرزاق مطلك الفهد، الأحزاب السياسية في العراق، شركة المطبوعات، بيروت، ٢٠١١
٢٠- فاضل حسين، الحزب الوطني الديمقراطي، ١٩٤٦-١٩٥٨، مطبعة الشعب، بغداد، ١٩٦٣.
٢١- لطفي جعفر فرج، الملك غازي، مكتبة اليقظة العربية، بغداد، ١٩٨٧.
٢٢- محسن محمد المتولي العربي، نوري السعيد من البداية الى النهاية، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ٢٠٠٥.
٢٣- محمد سلمان حسن، التطورات الاقتصادية في العراق ١٨٦٤-١٩٥٨، منشورات المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٦٥.
٢٤- محمود عبد الواحد محمود(أعداد)، العراق المعاصر رؤى أجنبية، ترجمة وتقديم

وتعليق محمود عبد الواحد محمود، مكتبة عدنان، بغداد، ٢٠١١.
٢٥- المركز العراقي للمعلومات، دليل الوزارات العراقية ١٩٢٠-٢٠٠٣، دار الشروق، بغداد، ٢٠٠٧.
٢٦- منذر جواد مرزة، ، العهد الملكي في العراق، ١٩٢١-١٩٥٨، مؤسسة دار الزهراء للنشر، النجف، ٢٠٠٥.
٢٧- ناجي شوكت، سيرة وذكريات، ج٢، مكتبة اليقظة، بغداد، ١٩٩٠.
٢٨- نجدة فتحي صفوت، صالح جبر سيرة سياسية، دار الساقي، بيروت، ٢٠١٦.
٢٩- نزار توفيق سلطان الحسو، الصراع على السلطة في العراق الملكي، مكتبة الكندي، بغداد، ١٩٨٤.
٣٠- نوري عبد الحميد العاني وعلاء جاسم محمد الحربي، تاريخ الوزارات العراقية في العهد الجمهوري، ج١، ط٢، دار الحكمة، بغداد، ٢٠٠٥.
٣١- ولدمار غلمن، عراق نوري السعيد، مؤسسة الإنتاج الطباعي، بيروت، ١٩٦٥.
٣٢- يونس البحري، مذكرات يونس البحري، إعداد وتقديم خالد عبد المنعم العاني، الدار العربية للموسوعات، بيروت، ٢٠٠٥.

المجلات العلمية:

١- رهبة أسودي حسين، الفساد الإداري والمالي في العراق دراسة اجتماعية سياسية، مجلة حولية المنتدى، العدد ٦، لسنة ٢٠١١.
٢- غصون مزهر حسين، قانون مجلس الأعمار في مناقشات مجلس النواب العراقي لسنة ١٩٥٠، مجلة كلية التربية-الجامعة المستنصرية، العدد ٤، لسنة ٢٠١٧.
٣- فاهم نعمة إدريس، واقع الحياة النيابية في العهد الملكي ١٩٢٥-١٩٥٨، مجلة كلية التربية – جامعة واسط، مجلد ١، العدد١، ٢٠٠٧.
٤- قحطان حميد العنبكي، الانتخابات النيابية لسنة ١٩٤٧ تجاوزات وانتقادات، مجلة الذاكرة، عدد ٤٣٦٤، شباط ٢٠١٩.

الصحف:

*جريدة الوقائع العراقية (بغداد)، العدد ١٩٣٨، ٢١ تموز ١٩٤١.
*جريدة الوقائع العراقية (بغداد)، العدد ١٩٤٤، ١١ آب١٩٤١.
*جريدة الوقائع العراقية (بغداد)، العدد ١٩٥٤، ٢٩ ايلول١٩٤١.
*جريدة الوقائع العراقية (بغداد)، العدد ٣٨٠٦، ١٤ حزيران ١٩٥٦.
*جريدة الرقيب(بغداد)، العدد ٢٠، ٩ نيسان ١٩٤٦.
*جريدة الحارس(بغداد)، العدد ٧٦، بتاريخ ٨ آيار ١٩٥٤.

المواقع الالكترونية:

عباس العيداني، تاريخ انتاج النفط في المنطقة عامة والعراق خاصة، http: / /www. al-noor. se /article. asp?id=210704

استخدام التقنيات الحديثة لتحليل الهزات الأرضية في الحدود العراقية الإيرانية - جنوب شرق حلبجة ٢٠١٧ – ٢٠١٨

Using Modern Technology in Analyzing Earthquake on the Iraq-Iran Borderline: South-East Halabja 2017-2018

م. د. علي خلف صايل

Lectur. Dr. Ali Khalif Saeel

استخدام التقنيات الحديثة لتحليل الهزات الأرضية في الحدود العراقية الإيرانية – جنوب شرق حلبجة ٢٠١٧ – ٢٠١٨

Using Modern Technology in Analyzing Earthquake on the Iraq-Iran Borderline: South-East Halabja 2017-2018

م. د. علي خلف صايل
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

Lectur. Dr. Ali Khalif Saeel
Ministry of Higher Education and Scientific Research

Alialiali. as175@gmail. com

تاريخ الاستلام: ١٦/ ١/ ٢٠٢٠
تاريخ القبول: ٩/ ٢/ ٢٠٢٠

خضع البحث لبرنامج الاستلال العلمي
Turnitin - passed research

ملخص البحث:

يتناول البحث دراسة (استخدام التقنيات الحديثة في تحليل الهزة الأرضية التي ضربت الحدود العراقية الإيرانية ـ جنوب شرق حلبجة)، متمثلة باستخدام تقنية نظم المعلومات الجغرافية (Arc GIS 10. 4) وبرنامج (Geotool) في تحليل الموجات الزلزالية محددة بذلك مشكلة البحث بمدى الآثار السلبية على المناطق التي تعرضت إلى نشاط الهزات الأرضية، وقد وضعت فرضية الدراسة على وفق المشكلة المعتمد عليها للبحث، وعبراعتماد تقنية نظم المعلومات الجغرافية (GIS) كأداة للبحث في أنشاء قواعد بيانات ساعدت في تسهيل التنبؤ بمقدار الآثار الناتجة عن الهزات وتقييمها، مما يؤدي إلى اتخاذ أفضل القرارات حول تقليل الآثار السلبية على المناطق التي تعرضت إلى الهزات الأرضية.

إذ ضربت شمال العراق كثيرٌ من الهزات الأرضية في الآونة الأخيرة، إذ سجلت مراصد الهيئة العامة للأنواء الجوية أكثر من ٦٠٠ هزة في المنطقة الشمالية الشرقية للبلاد، وكان لطبيعة صخور المنطقة الحدودية بين العراق وإيران من جهة، والعراق وتركيا من جهة أخر أن يقع العراق ضمن منطقة النشاط الزلزالي كما أُشير لها في كثير من التقارير الدولية.

إذ تم في هذه الدراسة تحليل أربعة أحداث، وإعطاء نتائج تفصيلية حول الحدث مثل: الموقع، والوقت، والحجم، وتحليل الطيف و هي على النحو الاتي: -

تحليل الهزة الأرضية التي حدثت بتاريخ ١٢ / ١١ / ٢٠١٧ في محافظة السليمانية / جنوب شرق حلبجة إذ بلغت قوتها ٥ . ٨ درجة بحسب مقياس ريختر.

تحليل الهزة الأرضية التي حدثت بتاريخ ١ / ١ / ٢٠١٨ عند الحدود العراقية الإيرانية إذ تبعد ٢٥ كم جنوب شرق قضاء مندلي / ديالى وبلغت قوتها ٥ . ٥ درجة بحسب مقياس ريختر، ثم أعقبتها ٣٨ هزة ارتدادية لغاية الساعة الثانية عشر ظهرا لليوم التالي بحسب مراصدنا الزلزالية.

تحليل الهزة الأرضية التي حدثت بتاريخ ١١ / ١ / ٢٠١٨ في محافظة بغداد، وقد بلغت شدتها ٤. ٥ درجة بحسب مقياس ريختر.

تحليل الهزة الأرضية التي حدثت بتاريخ ١٢\١\٢٠١٨ في محافظة بغداد، وقد بلغت قوتها ٤. ١ درجة بحسب مقياس ريختر.

أيضا تضمن البحث دراسة جيولوجية، وطبوغرافية المنطقة الشمالية الحدودية مع الجمهورية الإسلامية الإيرانية ؛ وعبر التحليل الموجي من لدن مختصين في مركز البيانات الوطني العراقي، وعبر البيانات المستلمة تبين أنها هزة أرضية طبيعية غير ناتجة عن أي فعل بشري.

الكلمات المفتاحية: التقنيات الحديثة، الهزات الأرضية، حلبجة، طبوغرافية.

Abstract

The study deals with the use of modern techniques in analyzing the earthquake that struck the Iraqi-Iranian border southeast of Halabja, using GIS 10. 4 and Geotool to analyze seismic waves. The study hypothesis was developed according to the research problem and through the adoption of Geographic Information Systems (GIS) as a research tool in the establishment of databases that helped facilitate the prediction and evaluation of the effects of the earthquakes leading to better decisions on minimizing adverse impacts on areas affected by earthquakes.

Northern Iraq has been hit by many earthquakes in recent times, where the observatories of the General Authority for Meteorology recorded more than 600 tremors in the north-eastern region of the country, and the nature of the rocks of the border region between Iraq and Iran on the one hand and Iraq and Turkey on the other hand that Iraq falls within the activity area Seismic also referred to in many international reports.

Because the Arab plate is thinner than the Iranian one, this has made the effects of the earthquakes clear and significantly affecting the countries in the north and northeast of Iraq.

In this study, four events were analyzed and detailed and the results were given about the event such as location, time, size and spectrum analysis as follows:

1- Analysis of the earthquake that occurred on 12/11/2017 in Sulaymaniyah province / southeast of Halabja where it measured 5. 8 on the Richter scale.

2- Analysis of the earthquake that occurred on 1/1/2018 at the Iraqi-Iranian border where 25 km southeast of Mandali / Diyala dis-

trict and measured 5. 5 on the Richter scale and then followed by 38 aftershocks until twelve o'clock the next day according to our seismic observatories.

3- Analysis of the earthquake that occurred on 11/1/2018 in the province of Baghdad has reached a magnitude of 4. 5 on the Richter scale.

4- Analysis of the earthquake that occurred on 12 \ 1 \ 2018 in Baghdad province and the magnitude of 4. 1 on the Richter scale.

The research also includes a geological and topographic study of the northern border region with the Islamic Republic of Iran.

It seems through wave analysis by specialists in the Iraqi National Data Center, and through the data received, it is a natural earthquake not caused by any human action.

Key words: Modern techniques, earthquake , Halabja, typography

مشكلة البحث:

تتمحور مشكلة البحث حول الهزات الأرضية التي ضربت شمال العراق في الآونة الأخيرة، والآثار السلبية الناتجة عن تلك الهزات، وبناء على ذلك يمكن صياغة مشكلة الدراسة على شكل سؤال هو:

ما مدى الآثار السلبية المتولدة من الهزات الأرضية التي ضربة شمال العراق ؟

فرضية البحث:

وهي حلول مبدئية لمشكلة البحث، يتجه بموجبها الباحث للوصول إلى الحل المطلوب، لذا يمكن أن تتمثل فرضية البحث بفرضية أساسية هي:

تعاني المناطق التي تقع شمال العراق من الآثار السلبية الناتجة من تردد الهزات الأرضية.

أولا: مفهوم نظم المعلومات الجغرافية (GIS).

نظم المعلومات الجغرافية (Geographic information System) هي طريقة، أو أسلوب لتنظيم المعلومات الجغرافية اعتماداً على إحداثيات معينة (Coordinate)، وقد كانت بدايات ظهور نظم المعلومات الجغرافية في عقد الستينات من القرن العشرين، عندما حاول الباحثون تمثيل سطح الأرض على شاشة الحاسوب، ومن ثم تطوير برمجيات لتحليل هذه البيانات وربطها بأماكنها الجغرافية وطباعتها على الورق[1].

وبسبب اختلاف المجالات والتطبيقات العلمية العديدة فانه لا يوجد تعريف محدد لنظم المعلومات الجغرافية، إذ حاول كل باحث تعريفها منطلقاً من الخلفية العلمية التي تمَّ تطبيق نظم المعلومات الجغرافية فيها، فبعضهم عرفها من منطلق تكنولوجي وبعضهم الأخر عرفها من حيث الأهداف التطبيقية ؛ وعلى العموم ليس هناك تعريف شامل لنظم المعلومات الجغرافية، وعليه يمكن القول بان

نظم المعلومات الجغرافية (**عبارة عن نظام يتم من خلاله ربط المعلومات المكانية مع المعلومات الوصفية من خلال برامج معينة باستخدام الحاسوب، قادرة على إدخال وتخزين ومعالجة وتحليل وإخراج البيانات الجغرافية بصورة مختلفة حسب احتياجات المستخدم.**

ثانياً: متطلبات تصميم نظام جغرافي خاص بتحليل الهزات الأرضية التي ضربت الحدود العراقية الإيرانية ـ جنوب شرق حلبجة.

قام الباحث من خلال الاستعانة بتقنية نظم المعلومات الجغرافية واعتماد برنامج (Arc GIS 10. 4) وبرنامج (Geotool) بتصميم نظام معلومات جغرافي خاص بتحليل الهزات الأرضية التي ضربت الحدود العراقية الإيرانية جنوب حلبجة، وقد تضمن العمل بتلك التقنية مجموعة مراحل أهمها:

جمع البيانات عن منطقة الدراسة: لقد قام الباحث بجمع البيانات المتمثلة بالجداول والبيانات الإحصائية والبيئية، والخرائط ذات المقياس ١ / ٥٠٠٠٠٠ لعام ٢٠١٤، والمرئيات الفضائية ذات دقة تمييز ١٥متر لعام ٢٠١٥ من القمر Land Sat من قبل الوزارات والدوائر المعنية، وقد تم استخدام نظم المعلومات الجغرافية في عمليات التحليل المكاني.

١ .**إدخال وتخزين البيانات:** تعد مرحلة إدخال وتخزين البيانات المرحلة الثانية في بناء قاعدة نظم المعلومات الجغرافية، والتي تمثل مرحلة أساسية في قاعدة البيانات بعد أن تتم عملية جمع البيانات وتدقيقها بشكل صحيح لضمان نتائج علمية عند تطبيقها على الخريطة، وتستخدم في عملية الإدخال الأجهزة والبرامج المساعدة باستخدام الحاسب الالكتروني ضمن أحد أنظمة المعلومات الجغرافية [٢].

٢ .**عملية الإرجاع المكاني للمخططات (Georeferencing):** هي عملية يتم فيها إرجاع المخطط إلى الحيز المكاني الحقيقي المطابق للأرض وتخليصه من معظم التشوهات المتراكمة عليه وهي العملية الأكثر أهمية، وبالمفهوم الرياضي هي تحويل

الإحداثيات من جملة إحداثيات أولى (إحداثيات البكسل) إلى جملة إحداثيات ثانية (إحداثيات أرضية جغرافية).

٣.**أتمتة وتحويل وتحميل البيانات**: تتضمن أتمتة قاعدة البيانات بناء قاعدة بيانات رقمية سلسة من (البيانات، الخرائط، الجداول)، إذ يرتكز الاهتمام على تطوير مواصفات وطرق التحويل.

٤.**أنشاء قاعدة بيانات الدراسة وتنظيم الطبقات ضمنها**: يتم أنشاء قاعدة بيانات خاصة بالبحث، وتحتوي ضمنا على (dataset) التي تمتلك نظام إسقاط (UTM Z38N) والاهليلج (WGS84) وهو الإسقاط العالمي والذي يتم اعتماده في العراق، وتم إنشاء (Feature classes) لجميع البيانات المتوفرة والمتعلقة بالبحث.

وبالضغط على الزر اليمين للماوس ثم (New) ثم نختار (feature class) ثم تحديد اسم (feature class) الجديدة، ونوع هذه الكائنات (مضلع، خط، نقطة)، ومن ثمَّ تمَّ إنشاء (feature class) داخل (feature dataset) وهي تأخذ نظام الإسقاط نفسه الذي تمَّ اختياره لها.

٥.**أتمتة المخططات ورفع الطبقات**: أن أتمتة المخططات هي تحويل الصورة من نوع (Raster) إلى بيانات خطية (Vector) وهذا النوع من البيانات تتمتع بخصائص هندسية تتمثل بـ (النقطة، الخط، المضلع)، إذ يتم تزويدها بالمعلومات الوصفية المرتبطة بها، مما يسمح ذلك من تطبيق الاستفسارات المكانية والوصفية وإجرائها عليها معاً، وقد قام الباحث بإجراء أتمتة المخططات على مرحلتين هما: ١.**الترقيم المكاني لسمات المخطط (Digitizing)**: وذلك من خلال استخدام الحاسوب إذ يتم الترقيم على صورة المخطط الذي تم إرجاعه أولاً بواسطة شريط الأدوات (Georeferencing) الموجود في برنامج (GIS) داخل التطبيق (Arc Map)، وتتميز هذه الطريقة بدقة عالية، وهي أفضل من طريقة الترقيم باستخدام (لوح الترقيم) إذ يتم الترقيم على المخطط الورقي مباشرة فهو مجهد عضلياً وبدقة قليلة.

٢. **إدخال المعلومات الوصفية (Attributing)**: هي المرحلة التي تم فيها تزويد البيانات المكانية بمعلوماتها الوصفية المناسبة والمتوفرة، وذلك ضمن جدول كل طبقة. **مرحلة الترميز والإخراج الكارتوغرافي (Cartography)**: إن الكارتوغرافية فن وعلم صناعة الخرائط (المخطط) إذ يتم تمثيل السمات الطبيعية والاصطناعية، وكذلك المظاهر الاقتصادية والسكانية، وغيرها من الظواهر. . . الخ، أما الترميز فنقصد به تمثيل السمات بأشكال رسومية تعبر عن الواقع.

يكون انتقال الموجات الزلزالية إما داخل سطح الأرض، أو بالقرب من سطحه وبسرعة مميزة اعتمادًا على نوع الموجة، وهناك عدة أنواع من الموجات الزلزالية مثل موجات الجسم، وغيرها من الموجات السطحية ذات سرع أقل تختلف سرعة هذه الموجات أيضاً تبعاً لطبيعة الأرض، وهناك إمكانية لاكتشافها على مسافات طويلة بواسطة محطات مراقبة حساسة لها جهاز قياس الزلازل [٣]، ويقدم جهاز قياس الزلازل معلومات أساسية عن الزلازل والأشكال الموجية التي يمكن تحليلها للحصول على معلومات حول موقع وحجم وطبيعة الموجة الزلزالية [٤].

إذ إن هناك عدد من المعايير للتمييز بين الزلازل، و الانفجارات على أساس الاختلاف الطيفي [٥]، إذ إن الفرق في محتوى التردد بين الانفجارات النووية تحت الأرض والزلازل واضح في أغلب الأحيان، موجات الانفجارات تحت الأرض لها طول موجة أقصر من الزلزال.

بناءً على ذلك فإن موجات الانفجارات لها ترددات سائدة أعلى، وتمتد على نطاق أوسع من الزلازل، ولها حركات ضغط أولية في جميع الاتجاهات.

وهناك طريقة ثانية للتمييز هي النسبة بين حجم الموجة الموجية وحجم الموجة السطحية (مللي ثانية)[٦]، وتعد هذه الطريقة الأكثر استخداماً من لدن العديد من الباحثين.

ثالثاً: الزلازل الجيولوجية بين العراق وإيران

يشكل تصادم الألواح العربية وأوراسيا حوالي (١٥٠٠ كم) طولاً وحزام دفع لجبال زاجروس، والذي يعبر الحدود الغربية تقريباً لإيران ويمتد إلى شمال العراق، إذ يؤدي هذا التصادم أيضاً إلى تقصير القشرة الأرضية في جبال (البرز و Kopet Dag) في شمال إيران، إذ يشهد شرق إيران زلازلَ مدمرة تنجم عنها أخطار تتسبب في مقتل الآلاف من السكان.

تتحرك اللوحة العربية شمالاً ببضعة سنتيمترات سنوياً إذ تصطدم بالطبق الأوراسي، وتنزلق اللوحتان ضد بعضهما البعض، إذ تسببت قوى الضغط والاحتكاك الناجم عن الصفيحتين اللتين تفركان بعضهما البعض في حدوث عدة زلازل كبرى في المنطقة، إذ يتم ضغط الصخور وتوجيهها فوق الصخور القريبة كما موضح بالملحق ١ خريطة (١).

تسبب هذا الطيات وحزام الدفع، الذي شكّل جبال زاجروس في زلزال تصل قوته (7. 2 ml) درجة بحسب مقياس رختر وكان ذلك في ١٢ / ١١ / ٢٠١٧ الساعة (٩. ١٨ دقيقة) بحسب التوقيت المحلي لمدينة بغداد كما موضح بالملحق ١ خريطة رقم (٢).

ثم أعقبتها أكثر من ١٥٠ هزة لاحقة منها ما يقارب (٥٠ هزة) داخل العراق وحدوده مع إيران) توزعت في خانقين وحلبجة ودربندخان وكلار والبقية داخل إيران والتي مازالت مستمرة، وأودت بحياة مئات الأشخاص وإصابة قرابة ألف شخص في إيران، كما وتم إصابة عشرات الأشخاص في العراق فضلا عن تسببها بتدمير بعض الدور السكنية، وتأثر معظم المباني في قضاء حلبجة وبنجوين ودربندخان وخانقين والمناطق المجاورة والقريبة من مركز حدوث الهزة وتأثر سد دربندخان، وحدوث انزلا قات أرضية قرب السد.

وقد امتد تأثير الزلزال لعدة دول مجاورة للعراق منها تركيا ومعظم دول الخليج،

إذ شعر المواطنين بالهزة في جميع محافظات العراق بنسب متفاوتة، إذ تأثرت بعض المحافظات، وسببت إضراراً بشرية ومادية، وكانت أكثرها تأثُّراً هي محافظة السليمانية و ديالى ثم اربيل وكركوك، في حين سببت الهزة الذعر والخوف لبقية المحافظات، ومنها تحديدا العاصمة بغداد التي تبعد عن مركز الهزة حوالي (٢١٠ كم)، وهذه هي المرة الأولى في تاريخ العراق تشهد تأثراً بالزلازل بهذه القوة والشدة.

خريطة رقم (١) أنواع الحركات التكتونية للصفيحة العربية

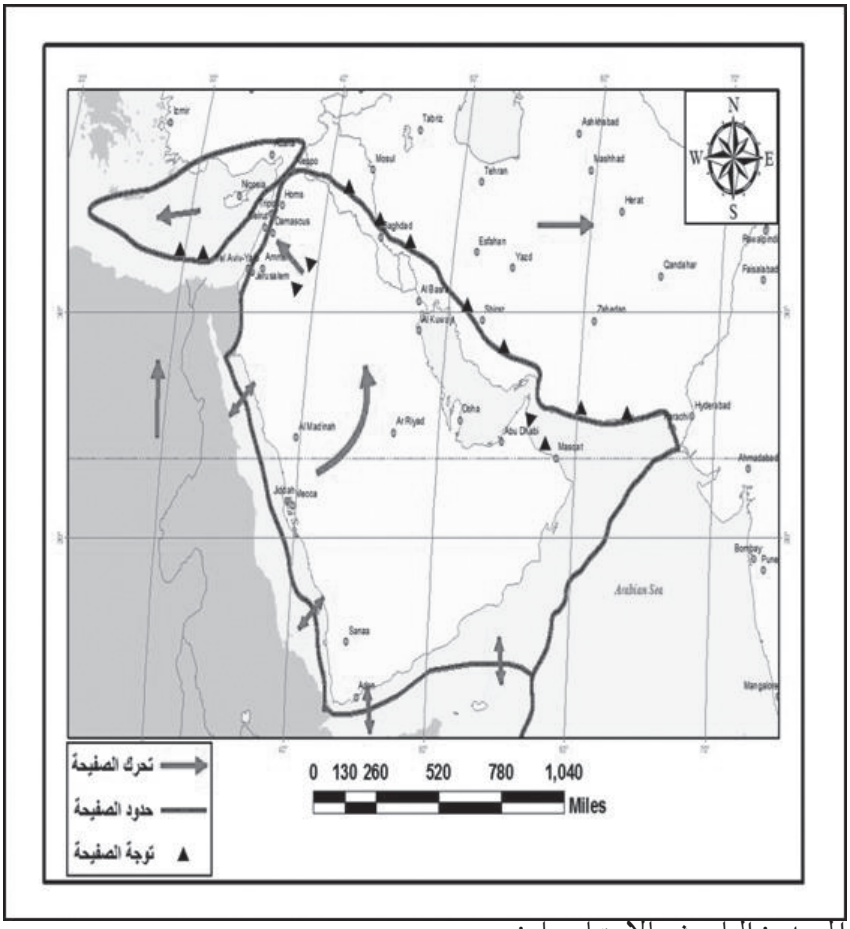

المصدر: الباحث بالاعتماد على:

١- وزارة الموارد المائية، الهيئة العامة للمساحة، خريطة قارة أسيا، ٢٠١٤.

٢- نظم المعلومات الجغرافية (Arc GIS 10. 4).

خريطة رقم (٢) تبين موقع الهزة الأرضية.

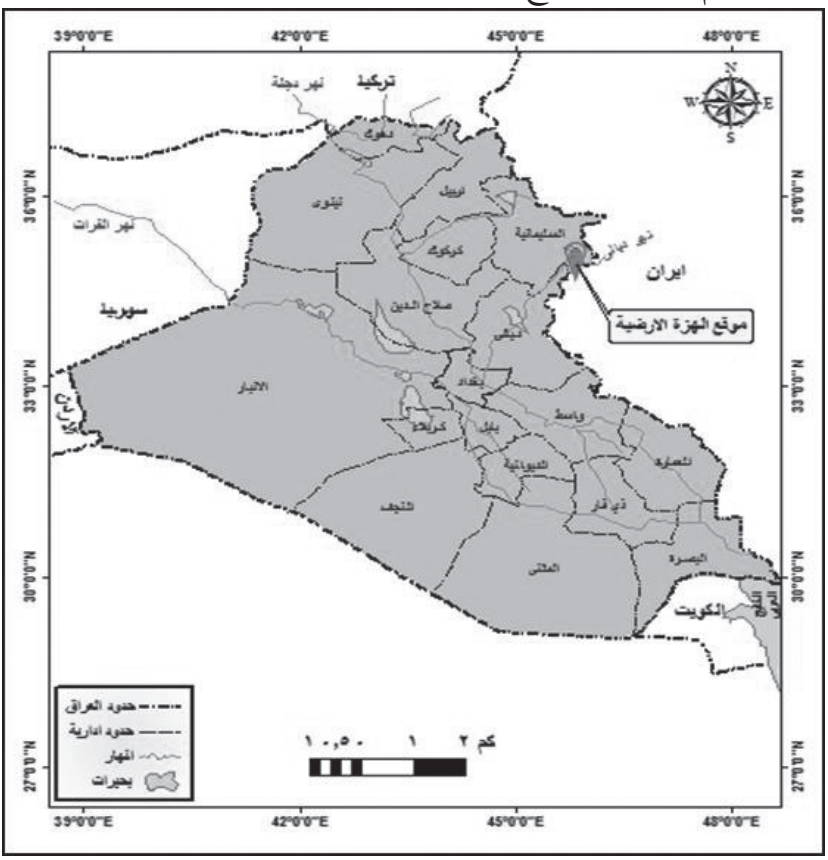

المصدر: الباحث بالاعتماد على:

١- وزارة الموارد المائية، الهيئة العامة للمساحة، خريطة العراق الإدارية بمقياس ١ / ٥٠٠٠٠٠، ٢٠١٤.

٢- نظم المعلومات الجغرافية (Arc GIS 10. 4).

بلغ عدد الهزات الأرضية التي تم تسجيلها في اليوم الأول (١٢ / ١١ / ٢٠١٧) ٢٥ هزة، في حين بلغ عدد الهزات في اليوم الثاني (١٣ / ١١ / ٢٠١٧) ٩٥ هزة، بينما بلغ عدد الهزات الأرضية في اليوم الثالث (١٤ / ١١ / ٢٠١٧) إلى ١٠ هزات مثلما هو موضح في الشكل رقم (١) و (٢).

شكل رقم (١) يوضح عدد الهزات الأرضية المسجلة بالمنطقة للفترة (١٢ ـ ١٤ / ١١ / ٢٠١٧).

المصدر: الباحث بالاعتماد على البيانات التي تم الحصول عليها من (هيئة الأرصاد الجوية العراقية وعلم الزلازل).

شكل رقم (٢) يوضح عدد وقوة الهزات الأرضية.

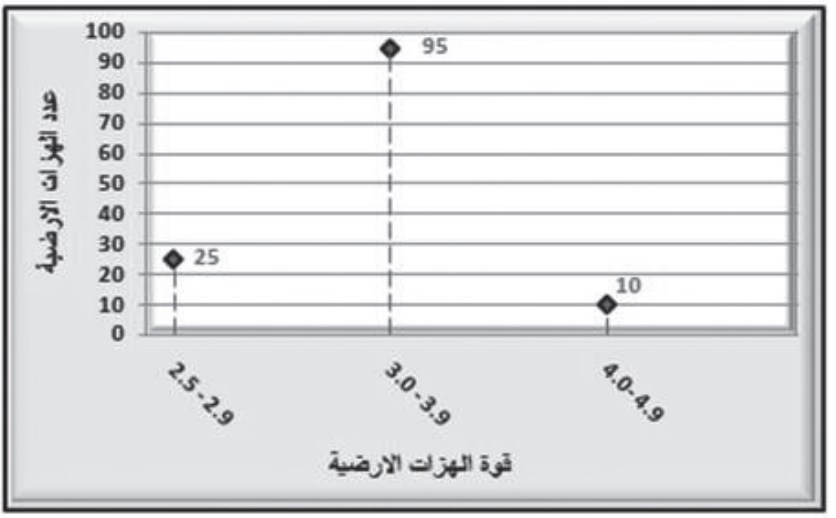

المصدر: الباحث بالاعتماد على البيانات التي تم الحصول عليها من (هيئة الأرصاد الجوية العراقية وعلم الزلازل).

وقد قامت (هيئة الأرصاد الجوية العراقية وعلم الزلازل) بعرض الزلازل الأخيرة على العراق والمناطق المحيطة بها للفترة من ١٢- ٢٩ / ١١ / ٢٠١٧ كما موضح بالخريطة رقم (٣) وقد أعقب هذه الزلازل ارتداد الزلازل في يناير ٢٠١٨.

خريطة رقم (٣) الزلازل التي تعرضت لها المنطقة للفترة (١٢ ـ ٢٩ / ١١ / ٢٠١٧).

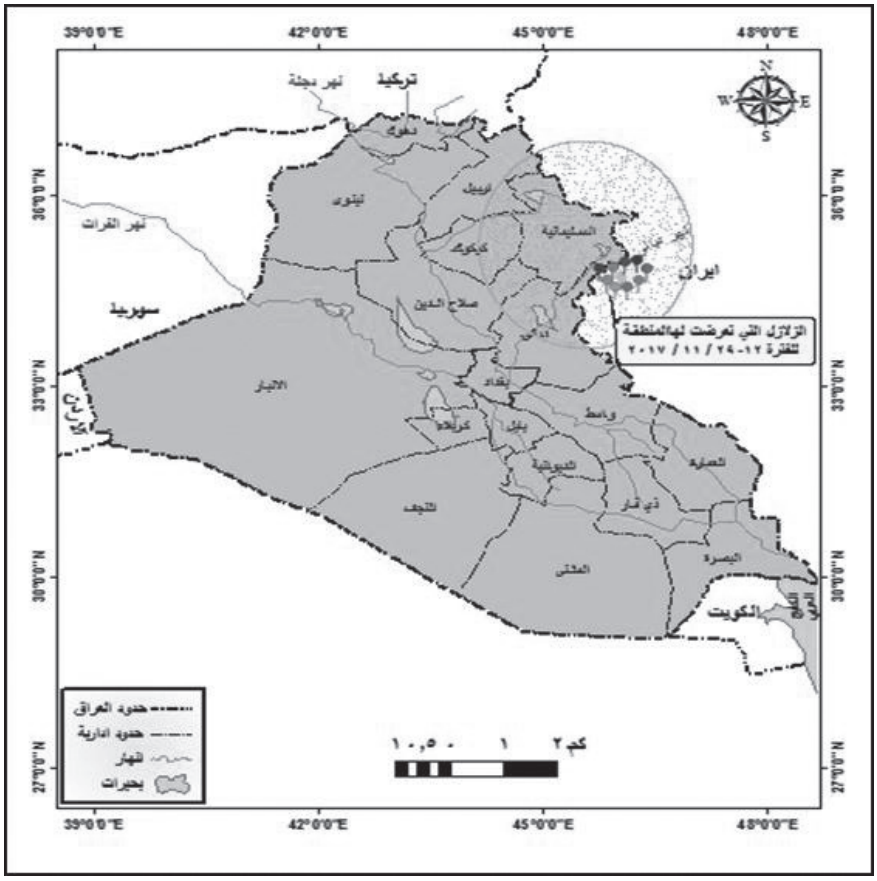

المصدر: الباحث بالاعتماد على:

١- وزارة الموارد المائية، الهيئة العامة للمساحة، خريطة العراق الإدارية بمقياس ١ / ٥٠٠٠٠٠، ٢٠١٤.

٢- نظم المعلومات الجغرافية (Arc GIS 10. 4).

تم استلام البيانات، لأربعة أحداث، من المركز الدولي للبيانات (IDC) التابع لمنظمة معاهدة الحظر الشامل للتجارب النووية (CTBTO) من قبل مركز البيانات

الوطني العراقي (NDC)، ثم تم تحليلها باستخدام برامج (Ge-) (CTBTO Arc Gis 10. 4) (SeisComP3) (otool). تستخدم هذه البرامج لتحليل بيانات الزلازل الموجيه من العديد من المحطات وإعطاء نتائج تفصيلية حول الحدث مثل الموقع والوقت والحجم وتحليل الطيف.

تم تحليل أقوى زلزال في عام ٢٠١٧ على الحدود العراقية الإيرانية في ١٢ / ١١ / ٢٠١٧ في الساعة ٦:١٨ من قبل محللي مركز البيانات الوطني العراقي (NDC) وقد طلبت بيانات لهذا الحدث من ١٤ من محطة زلزالية تنتمي إلى نظام المراقبة الدولية (IMS) وتحليل البيانات باستخدام حزمة (NDC-in-a Box) وكانت النتائج كما يلي: تم تحليل البيانات المستلمة من قوائم الأحداث القياسية (SEL2) باستخدام برنامج (Geotool) وتحديد وقت الوصول كما هو موضح في الجدول (١) ثم (Geotool program was) المستخدمة في قياس وقت الحدث والموقع على الخريطة كما هو مبين في الشكل (٣) كان الوقت ٦: ١٨ خط طول ٤٥,٩ و دائرة عرض ٣٥,١.

جدول رقم (١) تاريخ وصول الأمواج إلى كل محطة ومرحلتها.

ت	اسم المحطة	وقت الوصول	نوع المرحلة
1	GYET	18 :20 :47	P
2	BRTR	18 :20 :56	P
3	GERES	18 :24 :02	P
4	FINES	18 :24 :45	P
5	MKAR	18 :24 :35	P
6	KEST	18 :24 :23	P
7	ZALV	18 :24 :52	P
8	ARCES	18 :25 :19	P

P	46 :25 :18	ESDC	9
P	40 :26 :18	SONM	10
P	41 :27 :18	DBIC	11
P	24 :30 :18	ILAR	12
P	28 :31 :18	ULM	13
P	32 :30 :18	YKA	14

المصدر: الباحث بالاعتماد على البيانات التي تم الحصول عليها من مركز البيانات الوطني العراقي (NDC).

شكل (٣) تحليل الموجة الزلزالية وموقع الحدث بواسطة برنامجي (Geotool، Arc Gis 10. 4).

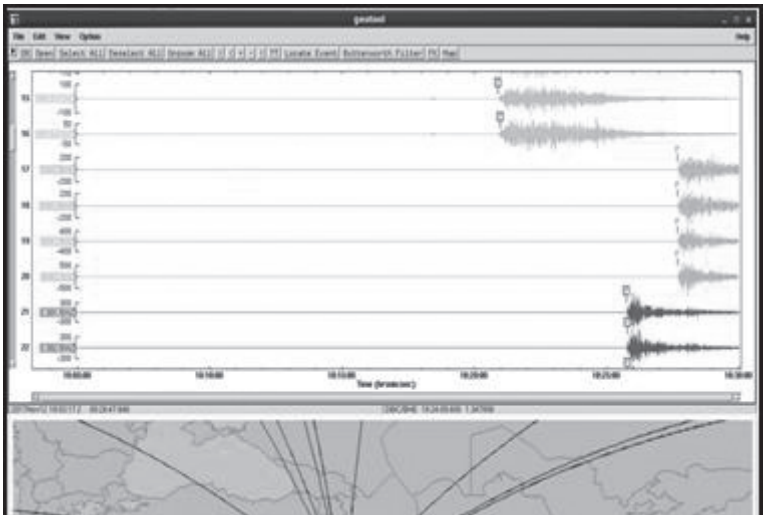

المصدر: الباحث بالاعتماد على

١- البيانات التي تم الحصول عليها مركز البيانات الوطني العراقي (NDC).

٢- استخدام الباحث لبرنامجي (Geotool، Arc Gis ١٠. ٤) في أعداد الخريطة وتحليل البيانات.

والشكل (٤) يوضح تحليل Geotool، وكيفية وصول الموجة P من محطات IMS، وتحديدها على الشاشة الرئيسية عند نقطة بداية الموجة الأولى للوصول، وعند استخدام تقنية نظم المعلومات الجغرافية (GIS) تم تحديد موقع الحدث في ٤٥. ٨٧. ٢ خط طول و ٣٤. ٩٥. ٥ دائرة عرض وكان ذلك في ١٢ / ١١ / ٢٠١٧ الساعة ٦. ١٨ دقيقة، وقد كانت النتائج التي تم الحصول عليها مختلفة قليلا عن سابقتها، وكانت متوافقة تماما مع النتيجة (REB).

الشكل (٤): تحليل Geotool (أ) وصول الموجة P من محطات IDC (ب) استخدام (GIS) في أعداد خريطة توضح موقع الحدث وتاريخه (ج) تحديد نتائج أمر الحدث.

المصدر: الباحث بالاعتماد على:

١- البيانات التي تم الحصول عليها مركز البيانات الوطني العراقي (NDC).

٢- استخدام الباحث لبرنامجي (Geotool، Arc Gis 10. 4) في أعداد الخريطة وتحليل البيانات.

وقد تم تحليل الحدث باستخدام برنامج (SeisComP3) أي تحليل البيانات في الوقت الحقيقي، ويعتمد تحليل البرنامج هذا على المحطات الأخرى وليس محطات (IMS)، للإشارة إلى دقة التحليل كما هو موضح في الأشكال (٥ و ٦).

الشكل (٥) تحليل الحدث بواسطة برنامج (SeisComP٣).

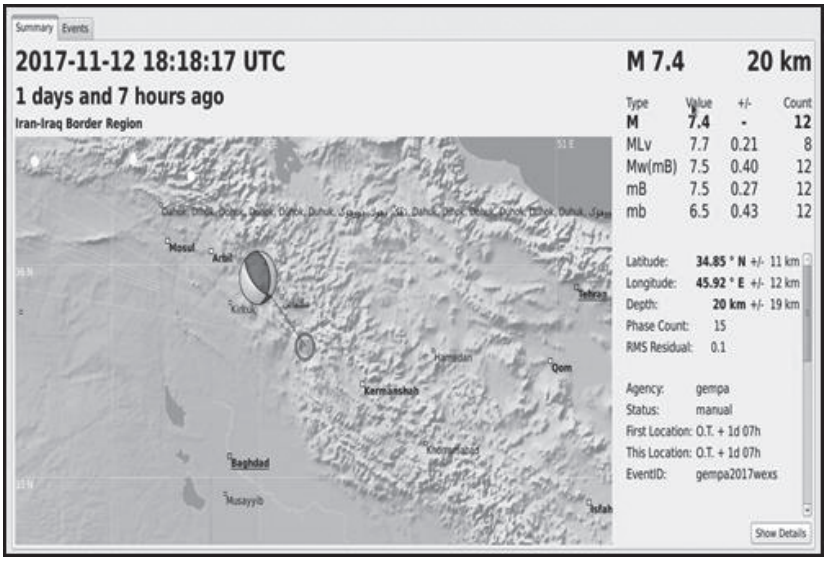

المصدر: الباحث بالاعتماد على:

١- البيانات التي تم الحصول عليها مركز البيانات الوطني العراقي (NDC).

٢- استخدام الباحث لبرنامجي (SeisComP3، Arc Gis 10. 4) في أعداد الخريطة وتحليل البيانات.

الشكل (٦) معالجة نتائج تحليل الحدث بواسطة برنامج (SeisComP٣).

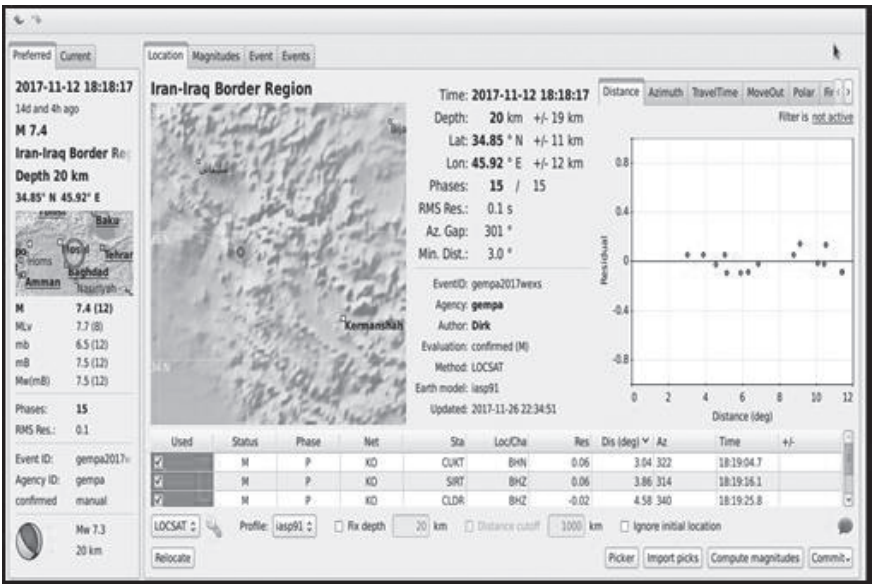

المصدر: الباحث بالاعتماد على

١- البيانات التي تم الحصول عليها مركز البيانات الوطني العراقي (NDC).

٢- استخدام الباحث لبرنامجي (SeisComP3، Arc Gis 10. 4) في أعداد الخريطة وتحليل البيانات.

وقد سجلت هيئة الأرصاد الجوية والزلازل العراقية في ١١ / ١ / ٢٠١٨ زلزالا ضرب منطقة جنوب مندلي الجنوبية في محافظة ديالى على بعد (٢٥ كم) من الحدود العراقية الإيرانية تليها ارتدادات كما هو موضح في الجدول (٢).

جدول (٢) الزلزال الذي سجلته هيئة الأرصاد الجوية العراقية والزلازل والارتدادات الناتجة عنه.

ت	الوقت المحلي	الوقت بالتوقيت العالمي	المقاييس المحلية مع مقياس ريختر
1	31 :59 :09	31 :59 :06	5 .5
2	08 :01 :10	08 :01 :07	0 .5
3	15 :14 :10	15 :14 :07	2 .5
4	02 :22 :10	02 :22 :07	2 .5
5	57 :05 :11	57 :05 :08	7 .3
6	39 :09 :11	39 :09 :08	4 .3
7	49 :11 :11	49 :11 :08	1 .3
8	59 :13 :11	59 :13 :08	1 .3
9	56 :17 :11	56 :17 :08	1 .4
10	24 :46 :11	24 :46 :08	0 .3
11	35 :53 :11	35 :53 :08	7 .3
12	06 :57 :11	06 :57 :08	1 .3
13	49 :06 :12	49 :06 :09	9 .3
14	56 :23 :12	56 :23 :09	2 .4
15	25 :32 :12	25 :32 :09	1 .4

المصدر: الباحث بالاعتماد على البيانات التي تم الحصول عليها من هيئة الأرصاد الجوية العراقية والزلازل.

١ـ الزلزال الأول في ١١/ ١/ ٢٠١٨.

لقد تم تحليل البيانات المستلمة عن الزلزال بواسطة استخدام برنامج (Geotool) وذلك من خلال تحديد وقت الوصول كما هو موضح في الجدول (٣)، ومن ثم تم استخدام برنامج (Geotool) و (Gis) في قياس وقت الحدث وموقعه على الخريطة كما هو مبين في الشكل (٧).

جدول (٣) المرحلة ووقت الوصول إلى محطات زلزالية مختارة تحيط بالحدث الأول.

ت	اسم المحطة	نوع مرحلة	الوقت
1	KBZ	Pn	01 :02 :07
2	BRTR	Pn	17 :02 :07
3	WSAR	Pn	04 :03 :07
4	AKTO	P	51 :03 :07
5	ARU	P	48 :04 :07
6	KIRV	P	53 :04 :07
7	BVAO	P	04 :05 :07
8	VRAC	P	08 :05 :07
9	CM31	P	21 :08 :07

المصدر: الباحث بالاعتماد على البيانات التي تم الحصول عليها من هيئة الأرصاد الجوية العراقية والزلازل.

الشكل (٧) (أ) تحليل البيانات المستلمة من محطات (IDC) بواسطة برنامج (Geotool) (ب) تحدد موقع ونتائج الحدث (ج) استخدام برنامج (Gis) في أعداد خريطة توضح موقع حدث والمحطات المستخدمة لتحديد موقعه.

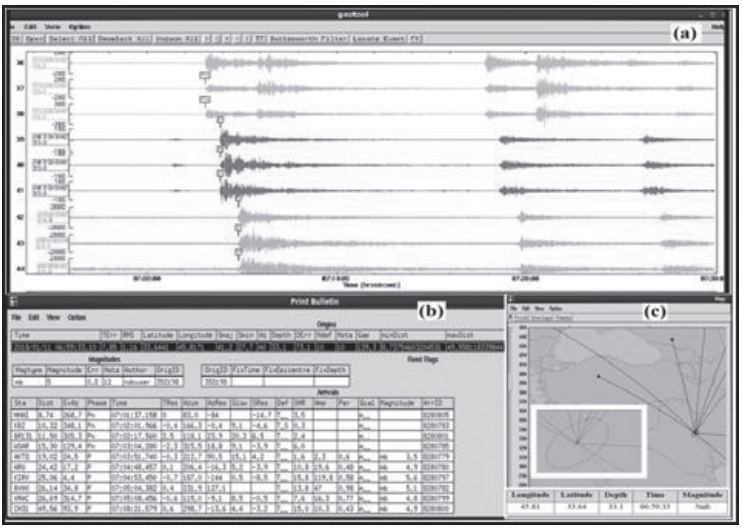

المصدر: الباحث بالاعتماد على:

١- البيانات التي تم الحصول عليها من محطات (IDC).

٢- استخدام الباحث لبرنامجي (Geotool، Arc Gis 10. 4) في أعداد الخريطة وتحليل البيانات.

٢ـ الزلزال الثاني في ١١/ ١/ ٢٠١٨.

تم تحليل البيانات المستلمة باستخدام برنامج (Geotool) ولقياس وقت الحدث وموقعه على الخريطة التي تم أعدادها بواسطة برنامج (Gis)، كما هو مبين في الجدول (٤) والشكل (٨)، إذا تم تسجيل الحدث في الوقت ٧. ١٤. ٢٣ وفي الموقع الذي يقع على خط الطول ٤٤. ٥٨. ١٤ ودائرة عرض ٣٣. ٣٩. ٨.

الجدول (٤) المرحلة ووقت وصول الإشارة إلى محطات الزلازل المختارة التي تحيط بالحدث الثاني.

ت	اسم المحطة	نوع مرحلة	الوقت
1	GYET	Pn	13 :17 :7
2	BRTR	Pn	04 :17 :7
3	KBZ	Pn	08 :17 :7
4	GERES	P	11 :20 :7
5	KMBO	P	07 :20 :7

المصدر: الباحث بالاعتماد على البيانات التي تم الحصول عليها من هيئة الأرصاد الجوية العراقية والزلازل.

المصدر: الباحث بالاعتماد على:

١- البيانات التي تم الحصول عليها من محطات (IDC).

٢- استخدام الباحث لبرنامجي (Geotool، Arc Gis 10. 4) في أعداد الخريطة وتحليل البيانات.

٣ـ الزلزال الثالث في ١٢/ ١/ ٢٠١٨.

تم تحليل البيانات المستلمة باستخدام برنامج (Geotool)، ولقياس وقت الحدث وموقعه على الخريطة التي تم أعدادها بواسطة برنامج (Gis) كما هو مبين في الجدول (٥) والشكل (٩)، إذا تم تسجيل الحدث في الوقت ١١. ٤٣. ٤٨ وفي الموقع الذي يقع على خط الطول ٤٥. ٤١. ٣ ودائرة عرض ٣٢. ٦٢. ٩.

الجدول (٥) المرحلة ووقت وصول الإشارة إلى محطات الزلازل المختارة التي تحيط بالحدث الثالث.

ت	اسم المحطة	نوع مرحلة	الوقت
1	WSAR	Pn	11: 47: 26
2	BLEG	P	11: 48: 08
3	BVAR	P	11: 49: 25
4	KURK	P	11: 49: 52
5	MKAR	P	11: 50: 03
6	HFS	P	11: 50: 29
7	CMAR	P	11: 52: 39
8	ILAR	P	11: 56: 06

المصدر: الباحث بالاعتماد على البيانات التي تم الحصول عليها من هيئة الأرصاد الجوية العراقية والزلازل.

شكل (٩) تحليل البيانات المستلمة بواسطة برنامج (Geotool) وتحديد موقع الحدث على الخريطة.

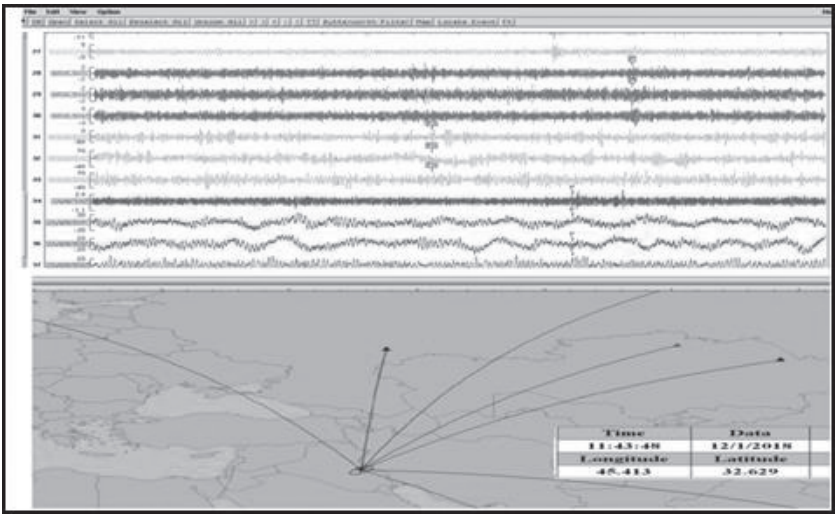

المصدر: الباحث بالاعتماد على:

١- البيانات التي تم الحصول عليها من محطات (IDC).

٢- استخدام الباحث لبرنامجي (Geotool، Arc Gis 10. 4) في أعداد الخريطة وتحليل البيانات.

ولمعرفة ما إذ كانت الأحداث (زلزال أو انفجار أرضي) فقد تم تحليل إشارة الزلازل الموجية من خلال تحليل طيف التردد وإجراء مقارنة مع حدث الانفجار السابق.

والشكل (١٠) يبين مقارنة بين تحليل الطيف لزلزال الأرض الحدودية بين العراق وإيران والتجربة النووية السادسة لكوريا الشمالية (على سبيل المثال) وبيان ذلك من خلال العلاقة بين التردد والسعة النسبية للموجة (P) المحجوز من قبل محطة (JNU) وتحليلها بواسطة خيار (Ceptrum) في برنامج (Geotool).

إذ يوضح هذا الشكل فرقًا كبيرًا بين المنحنيتين إذ يظهر سلوك منحنى الانفجار النووي على نطاق واسع من الترددات العالية في حين أن منحنى التحليل الزلزالي الآخر محدود ضمن نطاق ضيق من الترددات المنخفضة مع سلوكيات ضيقة تبلغ ذروتها عند (٢. ٤ هرتز) لذا تشير النتيجة إلى إن الحدث طبيعي ناجم عن الزلزال.

الشكل (١٠) مقارنة بين تحليل الطيف لزلزال الأرض العراقية الإيرانية مع انفجار كوريا الشمالية.

المصدر: الباحث بالاعتماد على البيانات التي تم الحصول عليها من هيئة الأرصاد الجوية العراقية والزلازل.

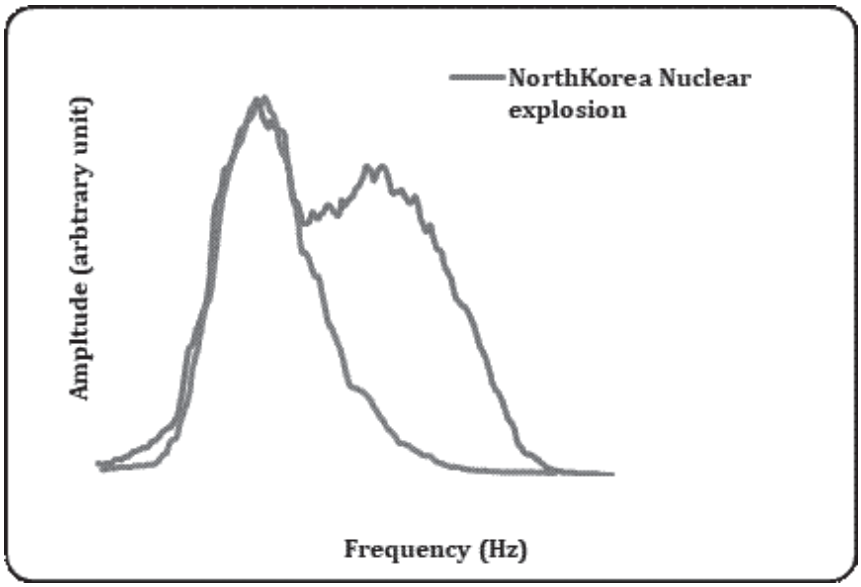

الاستنتاجات:

١.إن الزلزال الذي حدث شرق وشمال العراق الخط الأمامي للمنطقة العربية والإيرانية في الشرق مع المنطقة التركية في الشمال كان طبيعيا.

٢.لا تزال هذه المناطق تحت تأثير الزلازل، وترتد الأمواج خاصة بعد زلزال أكتوبر ٢٠١٧، وكان السبب الرئيس لذلك هو امتداد المنطقة العربية من البحر الأحمر باتجاه المنطقة الإيرانية.

٣.لقد أودى تكرر الزلازل بحياة مئات الأشخاص، وإصابة قرابة إلف شخص في إيران، وكما تم إصابة عشرات الأشخاص في العراق، فضلا عن تسببها بتدمير بعض الدور السكنية، وتأثر معظم المباني في قضاء حلبجة وبنجوين ودربندخان وخانقين والمناطق المجاورة فضلا عن تأثر سد دربنذخان، وحدوث انزلاقات أرضية قرب السد مما أدى إلى نزوح عدد كبير من سكان تلك المناطق.

٤.شعور المواطنين بالهزة في جميع محافظات العراق بنسب متفاوتة، إذ تأثرت بعض المحافظات وسببت أضرار بشرية ومادة وكانت أكثرها تأثر هي محافظة السليمانية و ديالى ثم اربيل وكركوك.

٥.كان لطبيعة الأرض الصخرية للحدود بين البلدين الدور الكبير في جعل المنطقة نشطة زلزاليا.

٦.أظهرت نتائج تحليل الأحداث على الحدود العراقية الإيرانية دقة التحليل لتحديد موقع وحجم ووقت الحدث من قبل (NDC) العراقية مقارنة بتحليل (IDC) داخل فترة قصيرة.

٧.أثبتت البرامج (Geotool) و (Gis) المستخدمة في التحليل كفاءتها في تحديد الحدث بشكل دقيق.

التوصيات:

١ .على كافة المواطنين الالتزام بالتعليمات التي تصدرها الجهات المسؤولة عن إغاثة الكوارث الطبيعية بخصوص الهزات الأرضية المدمرة، والتي تبعث وتشيع حالة من الرعب والهلع والشعور بالدوار وعدم الاتزان، إذ يستمر تعرض المنطقة للأمواج الزلزالية لعدة ثواني، وقد تستمر إلى عشر أو عشرين ثانية.

٢ .عند شعورك بهزة أرضية وأنت داخل غرفة أو بناية التجأ فورا تحت قطع الأثاث الصلب للوقاية من تساقط الأحجار، و إذا تعذر عليك الاختباء حاول أن تلصق نفسك في أحد أركان الغرفة، وحاول الابتعاد عن النوافذ.

٣ .الخروج بعيدا عن المنزل وعدم العود إلى داخله بعد انتهاء الهزة الأرضية إلا بعد التأكد من سلامة الأبنية.

٤ .ضرورة التثقيف المستمر، ونشر الوعي بين المواطنين حول الهزات الأرضية.

٥ .إن انتهاء الهزة الأرضية لا يعني انتهاء الخطر فقد تعقبها هزات ارتدادية لاحقة بشدة إقل، أو هذه الهزة الأرضية ليست الهزة الرئيسية المدمرة التي ستأتي في وقت لاحق مما يحدو بك الالتزام بتعليمات الجهات المختصة، وعدم الاستماع إلى الشائعات وترويجها، والتزام الهدوء وفسح المجال أمام فرق الدفاع المدني لإجراء اللازم.

هوامش البحث:

١) بسام احمد زكي عبد الهادي، زياد يونس طه الكسواني، GIS خطوة بخطوة تعلم برنامج Arc GIS ٩. ٣، مطابع الدستور التجارية، عمان، الأردن، ٢٠١٠، ص ٥.

٢) ضياء رفيق حسون مرجان، الإسناد التخطيطي لمتخذي القرار باستخدام نظم المعلومات الجغرافية (GIS)، أطروحة دكتوراه (غير منشورة)، التخطيط الحضري والإقليمي، جامعة بغداد، ٢٠٠٥، ص ٤٥.

٣)-D. Davies, " Seismic Methods for Monitoring Underground Explo-sions ", Progress Report , 1971.

٤)K. Koch and D. Fah, "Identification of earthquakes and explosions using amplitude ratios: The Vogtland area revisisted ," Pure Appl. Geophys. , vol. 159 , no. 4, 2002 , pp. 735 - 757.

٥)P. Molnar and M. Wyss , " Moment , source dimensions and stress drops of Shallow focus earthquakes in Tonga Kermadec Arc. ," Phy. Earth. Plan. Int. , vol. 6 , 1972 , pp. 263 - 278.

٦)A. S. Dahy and H. G. Hassib , " Discriminating Nuclear Explosions from Earthquakes at Teleseismic Distances , " Eur. J. Appl. Sci. , vol. 1 , no. 4 , 2009 , pp. 47 - 52.

المصادر والمصادر:

* بسام احمد زكي عبد الهادي، زياد يونس طه الكسواني، GIS خطوة بخطوة تعلم برنامج Arc GIS ٩. ٣، مطابع الدستور التجارية، عمان، الأردن، ٢٠١٠.

*ضياء رفيق حسون مرجان، الإسناد التخطيطي لمتخذي القرار باستخدام نظم المعلومات الجغرافية (GIS)، أطروحة دكتوراه (غير منشورة)، التخطيط الحضري والإقليمي، جامعة بغداد، ٢٠٠٥.

*D. Davies, " Seismic Methods for Monitoring Underground Explosions ", Progress Report , 1971.

*K. Koch and D. Fah, "Identification of earthquakes and explosions using amplitude ratios: The Vogtland area revisisted ," Pure Appl. Geophys. , vol. 159 , no. 4, 2002.

*P. Molnar and M. Wyss , " Moment , source dimensions and stress drops of Shallow focus earthquakes in Tonga Kermadec Arc. ," Phy. Earth. Plan. Int. , vol. 6 , 1972.

*A. S. Dahy and H. G. Hassib , " Discriminating Nuclear Explosions from Earthquakes at Teleseismic Distances , " Eur. J. Appl. Sci. , vol. 1 , no. 4 , 2009.

AL-`AMEED

Quarterly Peer-Reviewed Journal
for
Humanist Research and Studies

Irony<https:\\literary device .net.(15-7-2019)

Web Resource (3)

Locutionary ,Illocutionary,Perlocutionary<cuitural studies now. Blog spot.(20-7-2019)

Web Resource (4)

https://examples.yourdictionary.com/metaphor-examples-for-kids.html

Web Resource (5)

https://literarydevices.net/rhetorical-question/./com

2.Arabic References

القران المجيد.

*ألأشوب، ابي جعفر.(١٣٤٩هـ).مناقب ال ابي طالب .قم المقدسة: دار الاضواء.

*الصدوق، ابو جعفر.(١٣٦٢هـ) الخصال .قم :جماعة المدرسين في الحوزة العلمية للنشر في قم المقدسة.

*الموسوي، مصطفى .(١٩٧٥م).الروائع المختارة من خطب الامام الحسن عليه السلام.بغداد: دار المعلم للطباعة و النشر.

References

1.English References

Ali,Abdulla Yusuf (trans.).(2006)***The Meaning of The Noble Quran***.

New Delhi :N.P.

Abram,M.H.(1999).***A Glossary of Literary Terms.*** (7 th Ed.) Massachusetts :Heinlein and Heinle.

Fowler,H.(1965).***A Dictionary of Modern English Usage.*** Oxford: Oxford University Press.

Giora,R.(1998). ***Irony.*** Amsterdam \Philadelphia :John Benjamin publ.co.

Grice.H.P.(1975)."Logic and Conversation"***.*** In Peter. C. and Jerry. L.M.(eds),***Syntax and Semantics.*** New York: Academic Press.

Grice.H.P.(1989)***.Studies in the Way of Words .***Harvard: Harvard College Press

Linda ,H.(1994)in Hava, M.B.(2014)."To what Extent the Meaning of Different Types of Irony in King Lear is Translated and Transferred into Persian by Beh Azin (2012) and Peyman(2002).***Theory and Practice in Language Studies.*** Vol,4.

Kana ,T , Sarair, and Maulida, R. (2016)''Irony in Charles Dickens Oliver.''***Englisia*** .Vol.3.Medan: Universitas Muhammadiyah Aceh.

Wilefred,P.(1991).***Speech Act Theory ,Discourse Structure and Indirect Speech Act.*** Leeds. University of Leeds Press.

Web Resources

Web Resource (1)

academic.brooklyn.cuny.edu/english/melani/.../irony.18\8\2019

Web Resource (2)

13.Conclusions

It is inferred that there are many types of irony including, *verbal irony* which is embodied when the speaker says something and means the opposite ,and *situational irony* when the addressee or the readers expect something to happen but what is happened is completely the opposite.

Also ,it is concluded that irony can be produced by flouting Grice maxims and using the speech acts .In this sermon Al-Imam Al-Hassan (PBUH) uses two types of speech acts:

-The first type is the speech act of assertion which implies a verbal irony to identify ,confirm ,and emphasize his lineage to people who do not know him and be proud of his belonging to this gracious origins.

-The second one is the speech act of telling , by which he flouts Grice's maxims to present an ironic meaning .Al-Imam (PBUH)flouts the maxim of quantity ,manner, and quality to produce the verbal irony .

Moreover, It is inferred that Al-Imam (PBUH) draws irony by using rhetoric as in using the rhetorical question and the metaphor:

1-He uses metaphor to present a verbal irony in his reply to Muawiya because he makes an implied comparison between himself and dates .

2-He uses rhetorical question to present a verbal irony in which there is no one equals to the Prophet (PBUT) and demonstrate Muawiya's disability to find someone equal to his ancestor (PBUT).

he deserves the succession more than Muawiya.

_The second time by which Al-Imam flouts the maxim of manner is when he says(انما مثل ذلك مثل رجل أصاب ملكاً فتمتع به و انقطع عنه و بقيت تبعاته عليه) to tell Muawiya that he has taken the succession and it is not for him ,the time is not far he will lose it and have nothing except his followers who are hypocrite.

_The third time by which he flouts the maxim of manner is when he says(من يلهيك عن معرفته) to confuse Muawiya and let him think that even the close people may betray him.

3-Al-Imam(PBUH) Flouts the maxim of quality when he uses the rhetorical question (فهل لك أن تساميه يا معاوية) because he knows that there is no one equal to the Prophet Muhammad (PBUT) but he has another purpose from this question which is demonstrating Muawiya's disability to find some like his ancestor.

- A Rhetorical Question

Al-Imam Al-Hassan (PBUH) uses the rhetorical question when he says (فهل لك ان تساميه يا معاوية) to demonstrate Muawiya's disability to find someone equal to his ancestor (PBUT).

_The second time by which he uses the speech act of telling is to tell Muawiya that the succession must be for the one who is applying the Islamic instructions not for the one who disrupts them when he says (اما الخلافة فلمن عمل بكتاب الله و سنة نبيه ،و ليست لمن خالف كتاب الله و عطل السنة)

_The third speech act of telling used by Al-Imam Al-Hassan is when he says(من يلهيك عن معرفته) to confuse Muawiya's mind and let Muawiya think that even the close people for him may betray him.

_The fourth time by which he uses the speech act of telling when he says(الحق ابلج و الباطل لجلج) to report a fact which is the truthiness becomes clear for all people intending himself, and the falsehood fads in front the truthiness intending Muawiya.

_The fifth time by which the speech act of telling is embodied when Al-Imam (PBUH) says(لم يندم من ركب الحق ،و قد خاب من ركب الباطل، و الحق يعرفه ذو الالباب) to recommend people to follow the truth.

3.Speech act of stating is used by Muawiya when he says:

فقال معاوية: ما في قريش رجل الا و لنا عنده نعم جزيلة و يد جميلة

He uses the speech act of stating to express his protest upon what Al-Imam Al-Hassan(PBUH) said and violates the maxim of quality to tell Al-Imam (PBUH) that he has helped many people in Quraish whom he considers as followers.

- Flouting Grice Maxims

1-Al-Imam Al-Hassan flouts the maxim of quantity when he says (ايها الناس من عرفني فقد عرفني) to give a verbal irony intending Muawiya bin Abi Sufyan.

2-Al-Imam flouts the maxim of manner three times:

_The first time is when he says(الريح تلقحه ،والحر ينضجه ،والليل يبرده و يطيبه على رغم انفك يا معاوية.) to tell Muawiya that in addition to the sacred lineages ,the difficult circumstances make him such wise a man that

1-He uses the speech act of assertion three times for different purposes .

_The first time by which he uses the speech act of assertion implies an ironic meaning to identify himself for people of (Ahl alsham) and makes an implicated comparison between his origins and those of Muawiya to pride his being the grandson of the Prophet Muhammad (PBUT) when he says,

انا الحسن بن علي بن أبي طالب، أنا ابن نبي الله، أنا ابن من جعلت له الارض مسجدا و طهورا ،أنا ابن السراج المنير ،أنا ابن البشير النذير ،أنا ابن خاتم النبين ،سيد المرسلين ،إمام المتقين، ورسول رب العالمين، أنا ابن من بعث الى الجن و الانس ،أنا ابن من بعث رحمة للعالمين.

_The second time by which Al-Imam Al-Hassan uses the speech act of assertion that implies an ironic meaning to confirm his belonging to such Glorious and holy family when he says:

«أنا ابن المستجاب للدعوة، أنا ابن الشفيع المطاع ،أنا ابن اول من ينفض رأسه عن التراب و يقرع باب الجنة ،أنا ابن من قاتلت معه الملائكة ولم تقاتل مع نبي من قبله ،أنا ابن من نصر على الاحزاب ،أنا ابن من ذل له قريش رغماً.»

_The third time by which he uses the speech act of assertion implies an ironic meaning to emphasize his belonging to the Prophet Muhammad (PBUT) to people and be proud of his lineage when he says,

أنا ابن من ساد قريش شابا و كهلا، أنا ابن من ساد اهل الدنيا بالجود الصادق ،و الفرع الباسق، والفضل السابق ،أنا ابن من رضاه رضى الله ،و سخطه سخطه.

2-The speech act of telling which implies an ironic meaning is used five times by Al-Imam Al-Hassan(PBUH) in different contexts.

_The first time by which Al-Imam uses the speech act of telling is when he says (انا ابن من قاتلت معه الملائكة ولم تقاتل مع نبي قبله) to remind people specially Muawiya of what happened in Badar Battle and Al-ahzab Battle) when Allah supports Muslim army with angels to fight with him and beat the disbelievers army.

فقال أقول لا تصديقاً لقولك

The speech act of assertion is used by Muawiya to assert what Al-Imam Al-Hassan said.

فقال الامام الحسن ﷺ:الحق ابلج، و الباطل لجلج

Al-Imam Al-Hassan uses the speech act of telling to report a fact which is (الحق ابلج) meaning that the truthiness appears and be so clear for all people and this is an ironic expression which refers to Al-Imam Al-Hassan himself. (لباطل لجلج)means the falsehood fads in front of the truthiness and this is an ironic expression that refers to Muawiya .

و لم يندم من ركب الحق و قد خاب من ركب الباطل ،و الحق يعرفه ذو الألباب.

The speech act of telling is used by Al-Imam Al-Hassan to recommend all people to follow the truth.(ذو الالباب) is an ironic expression that refers to those who are believers and have wise brains, those who can distinguish the truth and follow the straightway.

ثم اخذ معاوية بيد الامام الحسن و قال :لا مرحباً بمن ساءك.

Muawiya express his enmity to those who do not want Al-Imam Al-Hassan (PBUH) by saying(لا مرحباً بمن ساءك) ,but this Literary in front of people. Internally ,Muawiya does not want that and thus he flouts the maxim of quality.

The situational irony is embodied to the readers in reading Al-Imam's (PBUH) sermon. At the beginning of the sermon ,it is anticipated that the reconciliation between Al-Imam A-Hassan (PBUH) and Muawiya will not be done .Yet, when the readers continue to the end of the sermon ,they will discover that the reconciliation has done despite of the disagreement between them.

12.Results of Analysis.

In this sermon, there are three types of speech acts .Two are used by Al-Imam Al-Hassan and one is used by Muawiya.

reminds Muawiya of the lack and humiliation of (الطلقاء) and this is a verbal irony by which Al-Imam intends Muawiya and his father Abi sufyan ,because one day they were about to be slaves but the Prophet Muhammed (PBUT) released them. He wants to tell Muawiya that "actually he is servile and has no followers ,but because of his money and position he tempts people to follow you and make them as followers."

فقال معاوية :من اولئك يا حسن؟

قال ﷺ: من يلهيك عن معرفته.

(Who are they O Hassan?) s a rhetorical question by which Muawiya flouts the maxim of quality because he knows very well who they are , but he wants to annoy Al-Imam Al-Hassan(PBUH) by asking him to clarify and specify more who they are .

Al-Imam Al-Hassan(PBUH) flouts the maxim of manner by using the speech act of telling to give Muawiya an ironic reply which lets him think that the closer people to him may betray him. By this reply Al-Imam (PBUH) intends to confuse Muawiya's mind and let him think that even the close people may betray him.

ثم قال ﷺ: أنا ابن من ساد قريش شابا و كهلا ،أنا ابن من ساد اهل الدنيا بالجود الصادق ،و الفرع الباسق، والفضل السابق ،أنا ابن من رضاه رضى الله ،و سخطه سخطه ،فهل لك ان تساميه يا معاوية.

Al-Imam Al-Hassan (PBUH) uses the speech act of assertion for the third time to emphasize his belonging to the Prophet Muhammad (PBUT) to people and be proud of his lineage in front of Muawiya's origins .

(فهل لك ان تساميه يا معاوية) is a rhetorical question by which Al-Imam Al-Hassan flouts the maxim of quality because he knows that there is no one equal to the Prophet Muhammad (PBUT) but he asks Muawiya to demonstrates his incapability in front of all people.

his descriptions to his origins have strong association ,cause the succession must be for the person who follows what Allah and the Prophet (PBUT) said, not for the person who disobeys them. The locutionary act of his utterance is an announcement .The illocutionary act is to convey a fact from Al-Imam to Muawiya and the perlocutionary act expresses a declaration which is the succession will be for the person who applies what is mentioned by Allah in Glorious Quran and this is a verbal irony by which Al-Imam intends himself ,not for the person who disrupts the Islamic instructions and this is a verbal irony by which Al-Imam (PBUH) intends Muawiya . Al-Imam(PBUH) wants to tell Muawiya that the succession must not be for him because he does not apply the Islamic instruction.

«انما مثل ذلك مثل رجل أصاب ملكاً فتمتع به و انقطع عنه و بقيت تبعاته عليه.»

Al-Imam Al-Hassan flouts the maxim of manner by giving an ambiguous example by which he uses the verbal irony intending Muawiya. He wants to tell Muawiya that “he took the succession and it isn’t for him , but the time is not far he will lose everything and have nothing except his followers who are hypocrite.”

فقال معاوية: ما في قريش رجل الا و لنا عنده نعم جزيلة و يد جميلة .قال الامام الحسن عليه السلام: بلى من تعززت به بعد الذلة و تكثرت به بعد القلة.

Muawiya flouts the maxim of quality by using the speech act of stating to express his protest upon what Al-Imam Al-Hassan(PBUH) has said and violates the maxim of quality to tell Al-Imam (PBUH) that he helped many people in Quraish whom he considers as followers.

Al-Imam Al-Hassan (PBUH) ironically mocks Muawiya by saying(بلى) which is supposed to refer to an agreement ,but Al-Imam Al-Hassan(PBUH) uses it to present another meaning which is negating what Muawiya has said and mocks him .Al-Imam Al-Hassan

The Prophet (PBUT) said :"O Ali ,the first one who pushes up his head from the dust is you."

So Al-Imam Al-Hassan (PBUH) wants to make an implied comparison between his father who is a noble and believer man and Muawiya's father (Abi sufyan) who is disbeliever .

٣.أنا ابن من قاتلت معه الملاْئكة و لم تقاتل مع نبي قبله ،أنا ابن من نصر على الاْحزاب، أنا ابن من ذل له قريش رغماً.

The intended one from all these descriptions is the Prophet Muhammad (PBUT).Al-Imam Al-Hassan uses the speech act of telling to remind people specially Muawiya of what happened in Badar Battle and Al-ahzab Battle when the numbers of Muslim army are less than the_disbelievers' . The Prophet (PBUT) was the leader of Muslims' army and Abi sufyan was the leader of disbelievers army. In this battle Allah supports the Prophet Muhammad(PBUT) with angels who fight with him against disbelievers army and beat them .Al-Imam Al-Hassan wants to tell Muawia that even if he has few supporters, he can fight against Muawia and beat him .He can call Allah to support him with angels like his ancestor.

فقال معاوية: «أما انك تحدث نفسك بالخلافة ،و لست هناك.»

Muawiya violates the maxim of manner by using the speech act of arguing to give a mysterious utterance but implicated an implied meaning which is telling Al-Imam (PBUT) that the succession is not for him. Muawiya wants to tell Al-Imam (PBUT) that there is no relevance between his descriptions to his origins and his right of the succession.

فقال الاْمام الحسن عليه السلام:أما الخلافة فلمن عمل بكتاب الله و سنة نبيه،ليست لمن خالف كتاب الله و عطل السنة.

Al-Imam Al -Hassan uses the speech act of telling to imply his reply an ironic meaning . He wants to say that the succession and

son between himself and dates. Since Al-Imam(PBUH) the master of youth of paradise and dates as Allah mentions in the Glorious Quran a sacred tree in paradise ,so both have relevance to paradise . Al-Imam says that dates can't be ripe without suffering the changing of weather and tasting the heat of sun. He wants to say that in addition to his noble origins, the difficult circumstances make him such wise a man that he deserves the succession .He wants to tell Muawiya that whatever he does to prevent him from accessing the succession, eventually he will get it whether he agrees or not.

ثم اقبل على كلامه فقال ﷺ :"أنا ابن المستجاب للدعوة، أنا ابن الشفيع المطاع ،أنا ابن اول من ينفض رأسه عن التراب و يقرع باب الجنة ،أنا ابن من قاتلت معه الملائكة ولم تقاتل مع نبي من قبله ،أنا ابن من نصر على الاحزاب ،أنا ابن من ذل له قريش رغماً."

Al-Imam (PBUH) uses the speech act of for the second time to confirm his belonging to a Glorious family. He uses the speech act as the following :

١.أنا ابن المستجاب للدعوة، أنا ابن الشفيع المطاع

(المستجاب للدعوة)and(الشفيع المطاع) these are verbal ironies that refer to Al-Imam Ali(PBUH) .He intends to demonstrate the great rank of his father by which Allah responds his calling and accepts his intercession for those who follow him .Al-Imam Al-Hassan (PBUH) has another purpose which is being pride of his being the son of Al-Imam Ali (PBUH) in front of Muawiya's father(Abi sufyan) whos is cursed by Allah.

٢.أنا ابن اول من ينفض رأسه عن التراب و يقرع باب الجنة

These are verbal ironies that refer to Al-Imam Ali (PBUH).Al-Imam Al-Hassan(PBUH) mentions what is said by the Prophet Muhammad (PBUT) about Al-Imam Ali (PBUH).

قال الرسول ﷺ:يا علي اول من ينفض رأسه عن التراب انت(ألاشوب، ١٣٤٩ هـ:٣٠٦).

and there is no right for Muawiya to take it .

٦.انا ابن من بعث رحمة للعالمين

refers to the prophet(PBUT) This is an ironic expression which .Al-Imam enriches his speech by reminding people of what is said .(by Allah about the Prophet Muhammad(PBUT

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ الانبياء :١٠٧

"And we haven't sent you ,[O Muhammad] except as a mercy to the worlds."(Ali,2006:221).

So Al-Imam wants to say that since Allah sent his grandfather as a mercy to all people ,It is his duty to be the successor cause he will be fair and beneficent for people like his ancestor on the contrary of Muawiya who wrongs people and takes their rights .

فلما سمع كلامه معاوية، غاظه منطقه، و اراد ان يقطع عليه، فقال :يا حسن عليك بصفة الرطب .

Muawiya violates the maxim of relevance to ask Al-Imam to talk about dates while he was taking about his origins and lineage.

The situational irony is embodied in Muawiya's expectation that he will embarrass Al-Imam(PBUH) by asking him to talk about dates ,but what happened is completely the opposite . Al-Imam(PBUH) gives Muawiya a powerful ironic reply by which Al-Imam embarrasses Muawiya.

فقال الأمام الحسن ﷺ : الريح تلقحه، والحر ينضجه، والليل يبرده و يطيبه على رغم انفك يا معاوية.

Such a rhetorical reply is full of metaphor and irony by which Al-Imam flouts the maxim of manner to give a mysterious reply but full of implicated meaning .Explicitly, AL-Imam is talking about dates .Implicitly, he is talking about himself.

Actually Al-Imam Al-Hassan (PBUH) draws an implied compari-

٣.أنا ابن السراج المنير ،أنا ابن البشير النذير.

Al-Imam enriches his speech by mentioning what Allah says .about the Prophet (PBUT) in the Glorious Quran

﴿يأَيُّهَأ آلنَبِيُّ إِنْا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدَاً وَ مُبَشِرَاً وَ نَذِيراً(٤٥)وَ دَاعِيَاً إِلى الله بِإِذْنِه وَ سِرَاجَاً مُنِيرَاً(٤٦)﴾ الاحزاب:٤٦

"O Prophet ,indeed we have sent you as a witness and a bringer of good tidings and a warner(45) And one who invites to Allah ,by his permission, and an illuminating lamp(46)"(Ali,2006:290).

-So "a bringer of good tidings and a warner "is an ironic expression which refers to the Prophet Muhammad(PBUT) who brings a good tiding which is promising those who are believers by getting paradise and warns those who are disbelievers from hell.

-"Illuminating lamp" is also an ironic expression which refers to the Prophet(PBUT) because he illuminates peoples' minds and guides them to the straightway.

-Al_ Imam (PBUH) wants to say that" since I am the grandson of this man, I must complete his duty by being the successor.

٤.أنا ابن خاتم النبين ،سيد المرسلين،امام المتقين، و رسول رب العالمين

The intended one by all these descriptions is the Prophet Muhammad (May Allah bless him and his households).By uttering all these expressions, Al Imam (PBUH) wants to identify himself and pride his being the grandson of this great man in front of those of Muawiya.

٥.أنا ابن من بعث الى الجن و الانس

"من بعث الى الجن و الانس" refers to the Prophet Muhammad (PBUT). Al-Imam wants to say that "since his ancestor is missioned by Allah for all creatures (human and jinn),the succession must be for him, cause it is like an inheritance which he inherits from his ancestor

11.Data Analysis.

أيها الناس من عرفني فقد عرفني،

This is a verbal irony by which Al-Imam (PBUH) flouts the maxim of quantity intending Muawiya bin Abi Sufyan.

ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن علي بن ابي طالب.

It is a verbal irony by which he intends people of (Ahl alsham) because most of them do not know him.

أنا ابن نبي الله، أنا ابن من جعلت له الارض مسجدا و طهورا ،أنا ابن السراج المنير ،أنا ابن البشير النذير ،أنا ابن خاتم النبين ،سيد المرسلين ،إمام المتقين، ورسول رب العالمين ،أنا ابن من بعث الى الجن و الانس، أنا ابن من بعث رحمة للعالمين.

In these lines Al-Imam Al-Hassan (PBUH) uses the speech act of assertion which implies an ironic meaning to identify himself for people who do not know him and makes an implied comparison between his origin and that of Muawiya to show Muawiya and people that the succession must be for the man who comes from pure and noble lineage such as Al-Imam Al-Hassan (PBUH).Al-Imam uses different speech acts as the following:

١ . أنا ابن نبي الله

He starts by belonging himself to the Prophet Muhammad (PBUT) .to demonstrate the relationship between him and this great man

أنا ابن من جُعلت له الارض مسجداً و طهورا

Al-Imam Al-Hassan wants to demonstrate how Allah distinguish-es his grandfather (PBUT) from other Prophets by reminding them .of what the Prophet(PBUT) had said

قال الرسول ﷺ:أُعطيتُ خمساً لم يعطها أحدٌ من قبلي : جعلت لي الارض مسجدا و طهورا ، ونُصرتُ بالرعب ، وأُحل لي المغنم ، وأُعطيتُ جوامع الكلم ، وأُعطيت الشفاعة . (الصدوق، ١٣٦٢هـ:٢٩٢)

So(من جعلت له الارض مسجدا و طهورا) is an ironic description which refers to the Prophet Muhammad(PBUT),

فقال الإمام الحسن ﷺ :أما الخلافة فلمن عمل بكتاب الله وسنة نبيه و ليست لمن خالف الكتاب و عطل السنة أنما مثل ذلك مثل رجل أصاب ملكاً فتمتع به و انقطع عنه و بقيت تبعاته عليه.

فقال معاوية: ما في قريش رجل الا و لنا عنده نعم جزيلة و يد جميلة .قال الامام الحسن ﷺ:بلى من تعززت به بعد الذلة و تكثرت به بعد القلة.

فقال معاوية :من اولئك يا حسن؟

قال ﷺ:من يلهيك عن معرفته. ثم قال ﷺ: أنا ابن من ساد قريش شابا و كهلا، أنا ابن من ساد اهل الدنيا بالجود الصادق ،و الفرع الباسق، والفضل السابق ،أنا ابن من رضاه رضى الله ،و سخطه ، فهل لك ان تساميه يا معاوية.

فقال : اقول لا، تصديقا لقولك

فقال الامام الحسن ﷺ:الحق ابلج، و الباطل لجلج، و لم يندم من ركب الحق و قد خاب من ركب الباطل ،و الحق يعرفه ذو الالباب. ثم اخذ معاوية بيد الامام الحسن ﷺ وقال :لا مرحبا بمن ساءك.

10.The Contextual Factors of Issuing Irony

In Al-Imam Al-Hassan sermon, the following contextual factors are recognized:

1-The speaker: Al-Imam Al-Hassan Al-Mujtaba (PBUH) .

2-The reason behind issuing irony is to demonstrate his lineage and origins for Muawiya and people of (ahl alsham) and to tell Muawiya that the succession must be for the progeny of the Prophet Muhammad(PBUT).

3-The addressees: Muawiya bin Abi Sufyan and people of (ahl alsham).

4-Date: 41 of Hijra.

5-Location: Maskan District in Iraq.

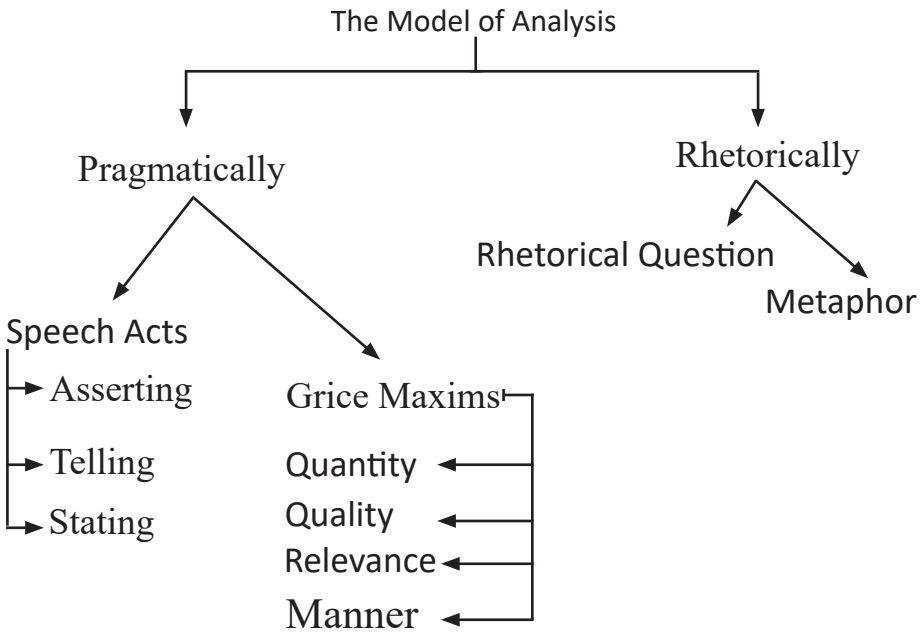

9.The Text

خطبة الامام الحسن عليه السلام في بيان امجاده و حسبه و نسبه.(الموسوي، ١٩٧٥:٥٢-٥٣)

حمد الله و صلى على نبيه ،ثم قال :أيها الناس من عرفني فقد عرفني و من لم يعرفني فأنا الحسن بن علي بن أبي طالب، أنا ابن نبي الله، أنا ابن من جعلت له الارض مسجدا و طهورا ،أنا ابن السراج المنير ،أنا ابن البشير النذير، أنا ابن خاتم النبين ،سيد المرسلين ،إمام المتقين ،ورسول رب العالمين ،أنا ابن من بعث الى الجن و الانس ،أنا ابن من بعث رحمة للعالمين .فلما سمع معاوية كلامه، غاظه منطقه ،وأراد ان يقطع عليه فقال :يا حسن عليك بصفة الرطب.

فقال الامام الحسن عليه السلام:الريح تلقحه، والحر ينضجه ،والليل يبرده و يطيبه على رغم انفك يا معاوية.

ثم أقبل على كلامه فقال عليه السلام:أنا ابن المستجاب للدعوة ،أنا ابن الشفيع المطاع ،أنا ابن أول من ينفض رأسه عن التراب ،ويقرع باب الجنة، أنا ابن من قاتلت معه الملائكة و لم تقاتل مع نبي من قبله ،أنا ابن من نصر على الاحزاب ،أنا ابن من ذل له قريش رغما.

فقال معاوية :اما انك تحدث نفسك بالخلافة أولست هناك.

mand ,request, order) (Ibid).

-Could you open the door please?

3. Commissive

Its function is to urge the speaker to do something in the future like(promise, vow, and pledge) (Ibid.).

-I promise I am going to study hard .

4. Expressive

Its function is to express how the speaker feels about the situation like (apologies, thanks, congratulations) (Ibid).

- I am happy that I see you again.

5.Declaration

Its function is to change the state of the world in an immediate way. (Ibid.).

-You are sinister!

6. Rhetorical Question

It is one for which the questioner does not expect a direct answer: in many cases it may be intended to start a discourse, or as a means of putting across the speaker›s or author›s opinion on a topic(Web Resource, 4).

7. Metaphor

Metaphor is a figure of speech that is used to make a comparison between two things that aren›t alike but do have something in common(Web Resource, 5).

8.The Model of Analysis

The current data are analyzed pragmatically according to Searle's classification of speech act, as well as Grice's maxims, and rhetorically such as metaphor as well as rhetorical questions.

which must be identified by the hearer. This depends on the speaker ability to identify and explain the speaker's selection for these expressions according to the context (Ibid.).

5. Speech Act

Wilefred(1991:79) defines speech act as what the speaker needs to make an utterance serve a function in communication. In other words, speech is a set of functions which are performed via utterance. Austin(Web Resource, 3) classifies speech acts into three types :

1-Locutionary Act

It refers to the basic words which are uttered or produced in a meaningful linguistic expression. These words are uttered and acted intentionally

-The door is open(Ibid.).

2-Illocutionary Act

:The purpose or the reason for uttering something like (promise, offer, warning, etc.) (Ibid.).

-Close the door.

3-Perlocutionary Act

It means we utter something to intend effect on hearer.

-It could be too noise thus I will close the door(Ibid.).

Searl's taxonomy of speech act functions (Wilefred,1991:8) as the following:

1.Assertive

It functions is to tell what the speaker knows or believes (statement, description ,and assertion) (Ibid.).

-Next week, the president will visit the city.

2. Directive

Its function is to make the addressee perform an action like(com-

B-She is the usual.

Sometimes the speaker doesn't follow the cooperative principle when he \ she does one of the following :

1-"Violating the Maxims"

e.g I have some cookies to eat with the tea.(In a situation that the speaker has a lot of cookies .So in this case the speaker violates the maxim of quality.)

(Grice,1989:309)

2-"Opt out of both maxims and CP"

e.g "I can 't say more; my lips are sealed" In this example the speaker refuses to cooperate in the conversation. The audience knows that even if he can't say more ,he knows more. (ibid.)

3-Face a clash between two maxims by fulfilling one maxim and violating the second one

e.g The speakers A and B have E a conversation about C.

A-"Where does C live?

B-"Somewhere ,in south of France"

If B says "in somewhere" he knows that his answer will be less informative than required and so he will violate the maxim of quantity .So he needs to violate the maxim of quality to be more informative and gives a hint that doesn't exactly know in which town C lives.(Ibid.)

4-"Flouting the Maxim"

-"War is war "

-Hell is hell.

Superficially, these examples are not informative ,because the speaker violates the maxim of quality. In other words, they could be informative at the level of what is implicated(implied meaning)

A says that his friend X "is a good friend" while A knows that X has cheated him in some matter .So by saying that A does not mean the literal meaning of what he has said .Impliedly, he means the opposite of what is said (Ibid.).

Sometimes the statement implies" Metaphor". ''you are the cream in my coffee." which means "you are my pride and joy"(Ibid.).

Grice (Ibid) SAYS that it is possible to combine Irony and Metaphor in one statement by imposing two steps of interpretation on the listener like: "you are the cream in my coffee." which metaphorically means "you are my pride and joy." and ironically means "you are my bane."

3-Maxim of Relevance

It is a maxim in which the speaker should "be relevant".

A-Do you like my singing?

B-The tone is wonderful.

Sometimes the speaker violates the maxim of relevance by presenting irrelevant information. For example:

A-Do you like my singing?

B-By the way ,I like your guitar.

(Grice,1989:309)

4-Maxim of Manner

It is a maxim in which the speaker's contribution should be clear ,brief ,and orderly presented. (Ibid.).

A-Where was Kate after the class ended?

B-She left the class and went home.

The speaker violates the maxim of manner by presenting ambiguous information.

A-How is Kate today?

the maxims of conversation which are Quantity ,Quality, Relevance, and Manner (Grice,1975:45).

1.Maxim of Quantity

It is a maxim in which the speaker should be informative as required not more nor less than what is required (Grice,1989:309) .

A:What time do you end your lecture?

B:At 2 p.m.

Sometimes the speaker violates the maxim of quantity by giving information more or less than what is required.

Teacher: Did you read the last chapter of the novel?

Student: Yes ,I did and I wrote a summary about it.

The student here violates the maxim of quantity by giving information more than what is required.

2-Maxim of Quality

It is a maxim in which the speaker should be “genuine” .He\she shouldn’t say something is false or lacks evidence (Grice,1989:309) .

A-Why didn’t you come to the school yesterday?

B-My car was broken.

The speaker B is truthful in his contribution. But sometimes the speaker violates the maxim of quality by giving false information or information without evidence.

A-Did you see John today?

B-No, but I think that he is probably at work.

The speaker B says “I think” which means that he isn’t sure from what he says and so he violates the maxim of quality by presenting information which lacks evidence.

Grice (Ibid. :312) states that violating the maxim of quality leads to” Irony”.

cause he thought that she was dead .After while Juliet regained her consciousness and found Romeo was killed beside her ,so also she killed herself. What happen is that Romeo did not know that Juliet is faint and that is why he killed himself and Juliet did not know that Romeo killed himself because of her (Ibid.).

4.Grice Maxims

In 1995, Grice coined the term ''Implicature'' and distinguished two types of ''Implicature'' which are ;conventional and conversational .Implicature is a term in which an utterance proposes an implied meaning behind what is literally said. That means there is an implicated meaning behind what is being said which must be interpreted by the addressee depending on his\her understanding. (Web Resource,2)

Grice distinguished two types of implicature:

A-Conventional Implicature

Conventional implicature refers to those words which explicitly demonstrate the implied meaning, in addition to that it helps to determine what is said . The conventional implicature has association to specific words like(but , and ,so , therefore.....etc) (Grice,1989:307).

For example:

-She is young ,but wise.(the conventional meaning is identified from "but" which implicates the contrast between being wise and young.)

B-Conversational Implicature

Grice stated "make your conversation contribution such as is required, at the stage at which it occurs ,by the accepted purpose or direction of the talk exchange in which you are engaged." So in order to achieve the cooperative principle, the speaker must follow

of dissembling or hiding what is actually the case in order not to deceive ,but achieve special rhetorical or artistic effects".

Linda (1994:9) elucidates that irony is ''the mode of the unsaid ,the unheard ,[and]the unseen ''. In other words that means irony is a device of speech which depends on our comprehension of the implied meaning of what is said .

3.Types of Irony

A-Verbal Irony

A verbal irony is a contradiction between what is meant and what is actually said .For example ; your friend invites you to attend a party . The party is so boring .Your friend asks you ''how do you see the party ? you answer '' the most interesting party I ever attend''(Kana et al.2016:93).

B-Situational Irony

A situational irony is that in which the dissimilarity is between the conduct and the outcome .That means the difference between what is anticipated to happen and what is actually happening .An example of that is founded in ''Harry potter '' by J.k. Roweling .A movie in which the audience anticipate that Harry will get rid of Voldemort who is his antagonist if he kills him . Yet, at the end of the movie what happened is the opposite .Even after Voldemort has been killed by Harry his soul still hunting Harry Potter to revenge from him (Ibid.).

C-Dramatic Irony

It is one type of irony in which the irony markers make the readers acquainted of characters conduct or anticipation unsuitable to the story. An example of that is seen in shakespear's play ''Romeo and Juliet'' when Romeo saw Juliet is faint ,he killed himself be-

Imam's sermon then finding out how these strategies issue irony.

2. Finding out the rhetorical strategies utilized in the sermon to issue irony.

3. Developing an eclectic model to analyse Al-Imam's sermon.

1.3The Hypotheses

It is hypothesized that:

1. Speech act and Grice's maxims can be utilized in the sermon. Irony is implied by using, more frequently, the speech act of telling and it is implied by flouting Grice's maxims.

2. Metaphor and rhetorical question can be utilized in the sermon to issue irony.

2.Definitions of Irony

Irony can be defined from various perspectives which are stated by different scholars and linguists. According to Giora,(1998:1) irony is defined as a rhetorical and literary device in which what is meant is the opposite of what is being said .Fore example we plan to go for a picnic and it is raining ,you say '' what a wonderful day to have a picnic.''

Likewise, Fowler (1965:295) defines irony as an idiom which has two sides :one of them is the speaker who is aware of the intended meaning and the other side is the addressee who is supposed to comprehend the ironic sentence depending on his\her understanding.

Furthermore , irony can be defined as a device of speech in which the words are arranged and presented in such a way that the real meaning conflicts what is presented .In other words there is no agreement between the surface and the deep , the appearance and the essence , what is expected to happen and what is actually happening .(Ibid.)Abram(1999:134) states that ''Irony is the sense

1.Introduction

The term" irony " refers to different kinds of verbal utterances and to situations that are not uttered verbally. Therefore, irony is not a unitary phenomenon. For instance, in a conversation, a speaker can utter a sentence that is ironic(i.e meaning the opposite of what a speaker utters), this is called verbal irony. However, the sequence of events that unfold in a conversation can be ironic as well. In the first case, the speaker utters a sentence(performs a speech act) which is insincere, that is to say, it is the opposite of what he/she says. In the latter case, the speaker acts towards a goal , but in the situation, there are circumstances which cause him/her to have the opposite effects(Web Resource, 1).

1.1 The Problem

Linguistically, irony is studied and analyzed in different contexts such as literary and political. However, to the best of the researcher's knowledge irony has not been tackled in religious contexts. Thus, the present study attempts to pragma-rhetorically study irony in Al-Imam Al-Hassan's sermon to Muawiya bin Abi Sufyan to find answers to the following questions:

1. What and how are the pragmatic strategies used in Al-Imam's sermon?
2. How does Al-Imam Al- Hassan utilize rhetoric to issue irony?

1.2 The Aims

This study aims at:

1. Identifying the types of pragmatic strategies used in Al

ملخص البحث:

هذا البحث دراسة تداولية-بلاغية للتهكم في خطبة الامام الحسنعليه السلامعاوية بن ابي سفيان. يحاول البحث تسليط الضوء على نوعين من التهكم هما التهكم اللفظي والتهكم السياقي. يدرس البحث التهكم من زاويتين: تداولية وبلاغية. تداوليا, تحليل الافعال الكلامية و قوانين كرايس في خطبة الامام الحسنعليه السلام. بلاغيا، تحليل الاستعارة والسؤال البلاغي في خطبة الامامعليه السلام.

قُسمت هذه الدراسة الى جزئين نظري وعملي. نظريا، يعرف التهكم و يناقش تداوليا وبلاغيا. اما عمليا فتحلل خطبة الامام الحسن عليه السلام وفقا للزاويتين اعلاه.

الكلمات المفتاحية: الامام الحسن ، التهكم ، افعال القول .قوانين كرايس، التداولية ، البلاغة

Abstract

This paper is a pragma- rhetorical study of irony in Al-Imam Al-Hassan's (peace be upon him) sermon to Muawia bin Abi Sufyan. It attempts to shed light on two types of irony: verbal and situational. It studies irony from two angles: pragmatically and rhetorically. Pragmatically, speech acts and Grice's maxims are analyzed in Al-Imam Al-Hassan's sermon. Rhetorically, metaphor and rhetorical question are explicated in the sermon. This paper is divided into two parts: theoretical and practical. Theoretically, irony is defined and allied with pragmatics and rhetoric. Practically, Al-Imam Al-Hassan's (PBUH) sermon is analyzed according to the two above angles.

Key Words: Al-Imam Al-Hassan, Irony, Speech act, Grice's maxims, Pragmatics, Rhetoric

A Pragma-Rhetorical Study of Irony In Al-Imam Al-Hassan's Sermon

دراسة تداولية بلاغية للتهكم في خطبة الامام الحسن عليه السلام

Lectur. Zina Abdul-Hussein Khudhair
College of Al-Imam Al-Kadhim for Islamic Sciences/ Department of English

م. زينة عبد الحسين خضير
كلية الامام الكاظم عليه السلام للعلوم الإسلامية الجامعة
قسم اللغة الإنكليزية

Researcher/ Saja Sattar Ali
English BA/ College of Al-Imam Al-Kadhim for Islamic Sciences / Department of English

الباحثة/ سجى ستار علي
بكالوريوس لغة إنكليزية/ كلية الامام الكاظم عليه السلام للعلوم الإسلامية الجامعة
قسم اللغة الانكليزية

zinaalshammari1@gmail.com

Received: 23/8/2020
Accepted:: 30/9/2020

Turnitin - passed research

A Pragma-Rhetorical Study of Irony In Al-Imam Al-Hassan's Sermon

دراسة تداولية بلاغية للتهكم في خطبة الامام الحسن عليه السلام

Lectur. Zina Abdul-Hussein Khudhair

م. زينة عبد الحسين خضير

Researcher/ Saja Sattar Ali

الباحثة/ سجى ستار علي

Al-Taff Sermons and Its Scope : Analytic Approach

(Peace be upon him) and showing his images in the Glorious Quran. It focuses on the prophetic and Quranic discourse structure, Sufein event and the like in which the researchers endeavor to fathom the Islamic thought with explicating the verified texts.

Without doubt, these studies contribute much to the authentic, serious and scientific research. The diversity designates one fact that the journal extends its horizons and solidifies its bonds with other universities and scientific institutes worldwide. No success could be of avail without the efforts the incharges of the journal do to trace the authentic articles, pass them into right methodological scientific standards and take precision in applying these standards.

For a fact, the unceasing responsibility the eminent legal trusted man of the Holy Al-`Abbas Shrine, Seid. Ahamed Al-Safi (May Allah support him), takes is the most effective factor in achieving the progress and development of the journal. Moreover, the strenuous supervision of the department of cultural and intellectual affairs and the intellectual and scientific society of Al-`Ameed has the evident impact on augmenting the administrative and technical abilities of the journal , such grants the editorial board the opportunity to do more efforts in light of the quality standards.

We do pray to Allah, the Almighty, to be in the trust of the researchers, readers to have them the latest in the research fields to provide the universities, research centres with more articles, authentic, and to do the best to prosper their scientific and epistemic reading. No success but from Him.

. . . Edition word. . .

In the Name of Allah, the Compassionate, the Merciful

Thanks be to Allah beyond description and what man beseeches, prayer and peace be upon our prophet Muhammad and the reservoir of science of Him and the successor of the science of the first and the last, the infallibles, and (peace be upon them)

Now

Here still sails the ship of Al-`Ameed in the seas of science and knowledge and loads its pages with various types of knowledge. Distinguished articles delve into the depth of thought to lay the hand of the readership on the latest authenticated scientific studies in the research fields.

Al-`Ameed journal itself ploughs a hard pathway into searching for the latest, the authentic and the systemized in the fields of the academic research. On such a scientific methodology it cleaves itself.

Such an issue comes in line with what the journal calls for as there is an essential file, Al-Taff Sermons and Its Scope : Analytic Approach, tackling research studies on the intellectual and literary heritage of Imam Al-Hussein Ibn Abi Talib revivalism (Peace be upon them). The analysis takes hold of his sermons, recommendations, dialogues and reforming contributions that stream in his saying:

Never ever do I plunge into fighting as arrogant, as exultant, as corrupted and as unjust, I do into reforming the nation of my grandfather.

There is a diversity of contemporary linguistic studies and historical, administrative and intellectual studies on elegizing our prophet, the guiding Muhammad

c: With the rectifiers reconnoiters some renovations

or depth, before publishing, the research are to be retrieved to the researchers to accomplish them for publication.

d: Notifying the researchers whose research papers are not approved; it is not necessary to state the whys and wherefores of the disapproval.

e: A researcher destowed a version in which the meant research published, and a financial reward.

14. Taking into consideration some points for the publication priorities, as follows:

a: Research participated in conferences and adjudicated by the issuing vicinity.

b: The date of research delivery to the edition chief.

c: The date of the research that has been renovated.

d: Ramifying the scope of the research when possible.

15. With the researcher is not consented to abort the

process of publication for his research after being submitted to the edition board, there should be reasons the edition board convinced of with proviso it is to be of two-week period from the submission date.

16. It is the right of the journal to translate a research papre into other languges without giving notice to the researcher.

17. You can deliver your research paper to us either via Al. Ameed Journal website

http://alameed. alkafeel. net, or Al-Ameed Journal

building (Al-Kafeel cultural association), behind Al-

Hussein Amusement City, Al-Hussein quarter, Holy

Karbala, Iraq.

7.All documentations should be observant of IEEE, MLA, APA, Chicago ,Vancouver or Harvard.

8. Printing all tables, pictures and portraits on attached papers, and making an allusion to their sources at the bottom of the caption, in time there should be a reference to them in the context.

9. Attaching the curriculum vitae, if the researcher cooperates with the journal for the first time, so it is to manifest whether the actual research submitted to a conference or a symposium for publication or not. There should be an indication to the sponsor of the project, scientific or nonscientific, if any.

10. For the research should never have been published previously, or submitted to any means of publication; in part, the researcher is to make a covenant certifying the abovementioned cases.

11. In the journal do all the published ideas manifest the viewpoints of the researcher himself; it is not necessary to come in line with the issuing vicinity, in time, the research stratification is subject to technical priorities.

12. All the research studies are to be subject to Turnitin.

13. All research exposed to confidential revision to state their reliability for publication. No research retrieved to researchers; whether they are approved or not; it takes the procedures below:

a: A researcher should be notified to deliver the meant research for publication in a two-week period maximally from the time of submission.

b: A researcher whose paper approved is to be apprised

of the edition chief approval and the eminent date of publication.

Publication Conditions

Inasmuch as Al-`Ameed [Pillar] Abualfadhal Al-`Abass cradles his adherents from all humankind, verily Al-`Ameed journal does all the original scientific research under the provisos below:

1. Publishing the original scientific research in the various humanist sciences keeping pace with the scientific

research procedures and the global common standards; they should be written either in Arabic or English and have never been published before.

2. Being printed on A4, delivering a copy and CD having, approximately, 5, 000 - 10, 000 words under simplified Arabic or times new Roman font and being in pagination.

3. Delivering the abstracts, Arabic or English, not exceeding a page, 350 words, with the research title.

For the study the should be Key words more few words.

4. The front page should have; the name of the researcher / researchers, address, occupation, (Inglish & Arabic), telephone number and email, and taking cognizance of averting a mention of the researcher / researchers in the context.

5. Making an allusion to all sources in the endnotes, and

taking cognizance of the common scientific procedures

in documentation; the title of the book and page number.

6. Submitting all the attached sources for the marginal

notes, in the case of having foreign sources, there should be a References apart from the Arabic one, and such books and research should be arranged alphabetically.

Copy Editors (Arabic)

Prof Dr. Sha`alan Abid Ali Saltan (Babylon University)
Prof Dr. Ali Kadhim Ali Al-Madani (Babylon University)

Copy Editors (English)

Prof. Dr. Riyadh Tariq Al-`Ameedi (Babylon University)
Prof. Dr. Haider Ghazi Al-Moosawi (Babylon University)

Adminstration and Finance

Akeel `Abid Alhussan Al-Yassiri
Asst. lecturer. Dhiyaa M. H. Uoda

Technical Management

Radhwan Abidalhadi Al-Salami
Zain Alabdeen Aadil Alwakeel
Thaeir F. H. Ridha
Yaseen K. Al-Janabi
hussein fadhil alhelo

Electronic Web Site

Samir Falah Al-Saffi
Asst. lecturer. Mohammad J. A. Ebraheem
Haider Sahib Al-obeidi

publishing and Follow-up

Muhammed K. AL. Aaraji
Ali M. AL. Saeigh

layout

Ali Abdulhaleem Almudaffer
Hussein `Aqeel Abughareeb

Editor Chief

Prof. Dr. Sarhan Jaffat

(Al-Qadesiya University)

Edition Manager

Prof Dr. Shawqi Mustafa Al-Moosawi

(Babylon University)

Editorial Board

Prof. Dr. Tariq Abid `aun Al-Janabi
(University College of Imam Al-Kadhim for Islamic Sciences

Prof. Dr. Karem Husein Nasah
(University College of Imam Al-Kadhim for Islamic Sciences

Prof. Dr. Riyadh Tariq Al-`Ameedi(University of Babylon)

Prof. Dr. Taqi Al-Abduwani(Gulf College – Oman)

Prof. Dr. `Abbas Rashed Al-Dada
(university of Al kafeel/Al Sharee`ah)

Prof. Dr. Mushtaq `Abas Ma`an
(university of Al kafeel/Al Sharee`ah)

Prof Dr. `Adil Natheer AL. Hassani
(University of Warith Alanbiyaa)

Prof Dr. Ali Kadhim Al-Maslawi (Karbala University)

Prof. Dr. `Ala Jabir Al-Moosawi (University of Al-ameed)

Prof. Dr. Haider Ghazi Al-Moosawi (Babylon University)

Prof. Dr. Gholam N. Khaki(University of Kishmir)

Prof. Dr. Ahmad Sabih AL-Kaabi (University of Al-Ameed)

Asst. Prof. Dr. Ali H. AL. Dalfi (Wasit University)

Asst. Prof. Dr. Khamees AL-Sabbari
(Nazwa University) Oman

Al-Abass Holy Shrine. Al-Ameed International Centre for Research and Studies.

AL-`AMEED : Quarterly Peer-Reviewed Journal for Humanist Research and Studies / Issued by Al-Abass Holy Shrine Al-Ameed International Centre for Research and Studies.-Karbala, Iraq : Al-Abass Holy Shrine, Al-Ameed International Centre for Research and Studies, 1433 hijri = 2012 -

Volume : illustrations ; 24 cm

Quarterly.-Tenth Year, Tenth Volume, 37th Edition (March 2021)

ISSN : 2227-0345

Includes bibliographical references.

Text in English ; Abstracts in English and Arabic.

1.Humanities--Periodicals. A. Title.

LCC : AS589.A1 A8365 2021 VOL. 10 NO. 37

Cataloging Center and Information Systems - Library and House of Manuscripts of Al-Abbas Holy Shrine

In the Name of Allah,
Most Gracious, Most Merciful
Allah will
Raise up to suitable ranks
And degrees, those of you
Who believe and who have
Been granted knowledge
And Allah is well acquainted
With all ye do*.

(*) Abdullah Yussif Ali, The Holy Quran, Text Translation and Comment, (Kuwait : That El-Salasil, 1989)1509, Iyat 11, Sura, Mujadila, or The Woman Who Pleads.

Secretariat General
of Al-`Abass Holy Shrine

Al-Ameed International
Centre
for Research and Studies

Print ISSN: 2227-0345
Online ISSN: 2311 - 9152
Consignment Number in the Housebook
and Iraqi Documents: 1673, 2012.

Iraq - Holy Karbala

Tel: +964 760 235 5555 Mobile: +964 760 232 3337

http: // alameed. alkafeel. net
Email: alameed@alkafeel. net

AL-`AMEED

Quarterly Peer-Reviewed Journal
for
Humanist Research and Studies

Issued by
Al-`Abass Holy Shrine
Al-Ameed International Centre
for Research and Studies

Licensed by
Ministry of Higher Education
and Scientific Research

Reliable for Scientific Promotion

Tenth Year, Tenth Volume, 37th Edition
Sha`ban 1442 . March 2021